سيناريوهات الحرب و السلام

مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة

د. حسن محمد وجيه



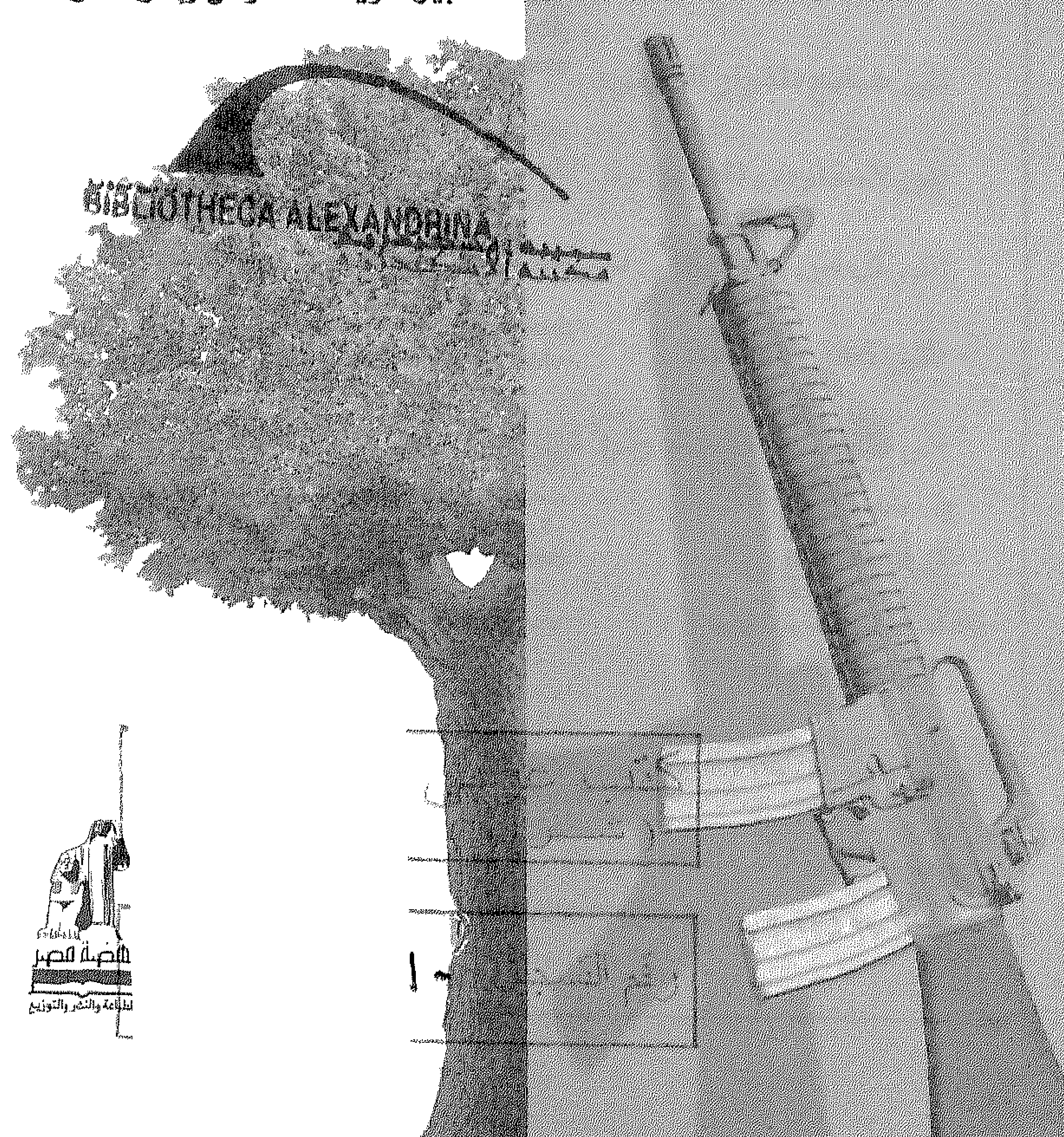
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

سيناريوهات الحرب و السلام

مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة

أ. د. حسن وجيه

خبير لغويات التفاوض وإدارة الأزمات



اسـم الكتـاب: سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية القوة.

المـؤلـف: د. حسن وجيه.

إشراف عـام: داليا محمد إبراهيم.

تاريـخ النشـر: الطبعة الأولى يناير 2008م.

رقـم الإيـداع: 22274 / 2007

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-4162-0

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

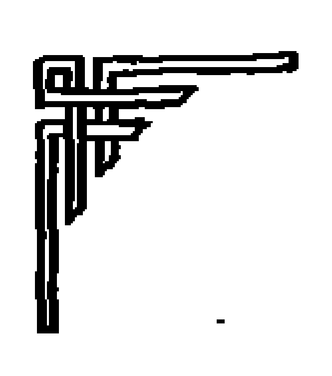
مركز خدمة العملاء: 25909827 (02)
البريد الإلكتروني لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولي التخصصي - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938



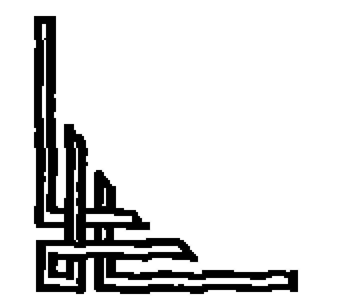
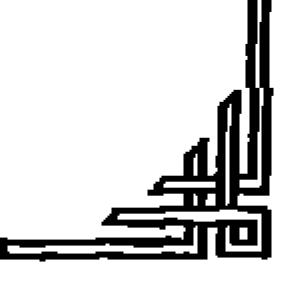

إلى صانع القرار العربي....

إلى المفاوض العربي....

إلى كل من يعمل على تحقيق التضامن العربي الإسلامي

على كافة الأصعدة

إلى أمة تبني الإخاء وتردُّ كيد المعتدين

مقدمــة المؤلــف

هذه الطبعة من كتاب «سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة» لا تُعنى فقط بتقديم مجرد سيناريوهات محتملة في هذا الاتجاه أو ذاك بقدر ما تركز على سبل إدارة الاختلافات من خلال تنمية مهارات التفاوض اللازمة لتدعيم التضامن العربي الإسلامي في مواجهة التحديات الهائلة التي نواجهها على أصعدة عديدة، فهي تركز على بعد أو سبيل مهم جدًّا ومفتقد من حيث المعالجة والتحليل والتوظيف، وهو البعد التقني للتضامن العربي الإسلامي، وهو ما ستتضح معالمه ومتطلباته من خلال هذه الدراسة.

ولقد كرس الباحث دراسات عديدة وعشرات المقالات في الصحف العربية لتوضيح عناصر هذا البعد المفتقد في ضوء تفاعلات الواقع العربي وممارساته[1]. وتأتي هذه الدراسة لتضيف حلقة أخرى من حلقات مشروعي العلمي؛ إذ إنها تُضيف البُعد المستقبلي العلمي لأبعاد التحليل المقدمة في هذه الدراسة وكذلك لدراساتي السابقة.

من هنا فهذا الكتاب يقدم للقارئ العربي دراسة من منظور

(١) من هذه الدراسات ما يلي: أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي – دار سعاد الصباح ١٩٩٢، مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعي والسياسي – عالم المعرفة – الكتاب ١٩٠ لسنة ١٩٩٤ – الكويت، التفاوض وإدارة المقابلات – العبيكان – الرياض ١٩٩٧.

لغويات التفاوض التي تتعامل أساسًا مع ما يُسمى بدبلوماسية المسار الثاني أو ما أسميه TRACK 2 DIPLOMACY – وكيف نقرأ من خلالها سيناريوهات الحرب والسلام في إطار الصراعات التي تعنينا وهي في حالتنا هنا ما يتعلق أساسًا بالصراع العربي الإسرائيلي أو بالصراعات في منطقة الخليج العربي – والتي تناولناها بالتحليل في سياقات عديدة سابقة وتناولناها كذلك في سياق الطبعة التجريبية التي نشرتها دار المعراج الدولية بالرياض في ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

ولكن تظل النقطة الأهم، ليست القراءة من أجل التعرف على مثل هذه السيناريوهات، بل القراءة من أجل التدخل الإيجابي وتجسيد مفهوم استباق الأزمات المستقبلية أو ما تبقى لنا لندركه قبل أن ننتقل من مربع إلى مربع أكثر سوءًا والعياذ بالله، وحتى نتمكن من توجيه دفة الأمور لصالح أهدافنا المشروعة في السلام العادل وفي التنمية وتحقيق الاستقرار.

ولهذا فإن هذه الدراسة تعنى بتعريف مفهوم «دبلوماسية المسار الثاني» التي تدار من خلالها أكثر التفاعلات والصراعات في عالم اليوم.

ونلقي الضوء هنا على أنواع هذه الدبلوماسية وأنواع المباريات التفاوضية التي تدار في إطارها وعلاقتها بالفكر المستقبلي ومفهوم السيناريو ووسائط هذه الدبلوماسية.

ولا نتحدث هنا عن مفاهيم نظرية فقط ولكن نوضح ونجسد هذه المفاهيم من خلال تفاعلات وأحداث تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي في الجزء الأول مع رصدها في إطار أربعة سيناريوهات لهذا الصراع، ونوضح في الجزء الثاني ما يتعلق بصراعات الخليج

العربي السابقة والمستقبلية من أجل التدخل الإيجابي وتحقيق الاستباق وليس إدارة الأزمة فقط عندما تحدث.. ولعل اختيار موضوع السيناريوهات يؤكد الارتباط الوثيق بين ما يحدث على صعيد الخليج العربي ومجريات الصراع العربي الإسرائيلي حيث لا يمكن الفصل بينهما كما كان يردد ذلك البعض في الدوائر الغربية وإلى وقت طباعة الطبعة التجريبية الأولى من هذه الدراسة في عام ١٩٩٩، ولا ننسى هنا مقولة الرئيس الأسبق چورچ بوش (الأب) في خضم تفاعلات حرب الخليج الأولى [ليس هناك ارتباط] (No Linkage).. وهو الأمر الذى حاولت الدوائر الأمريكية الإيحاء به ولكن جاءت أحداث ما سمي بالحرب الجديدة «ضد الإرهاب» لتؤكد عمق الارتباط بين السيناريوهات في الخليج العربي وفي فلسطين وتداعياتها بعضها على بعض بشكل يؤثر في هيكلية جذرية للصراعات وللسيناريوهات المستقبلية كلها.

لقد كان من المهم ونحن بصدد كتابة هذه المقدمة للطبعة الأولى بنهضة مصر أن نوضح أهمية الإبقاء على كل ما ورد من تحليلات وتقنيات في الطبعة التجريبية التي نشرت من خلال دار المعراج الدولية للنشر في الرياض عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩م أى بعد انقضاء ست سنوات كاملة اليوم، وذلك لعدة أسباب حيوية وهي:

١- أن التحليل الاستباقي الذى قدمناه في ثنايا هذه الدراسة عام ١٩٩٩ قد تأكدت صحته مع ما استجد من أحداث لاحقة للتفاعلات التي قمنا بإخضاعها للتحليل.

٢- أننا نؤكد أن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة ليس فقط تحرير وصياغة ووصف مجرد سيناريوهات تنبؤية لمسار هذا الصراع

أو ذاك، ولكن مع ذلك نحاول رصد السيناريو المعياري الذى يحقق المصالح الاستراتيجية لهذه الأمة والعمل على التنبه من الوقوع في فخاخ سيناريوهات ليست في مصلحتنا الاستراتيجية، ولكن الأهم من كل ذلك هو استخدام مادة التفاعل موضع التحليل بهذا الملف أو ذاك لاستخلاص الأدوات التقنية الخاصة بأساليب صياغة السيناريوهات وفهم أنواعها وفهم عملية ارتباطها بمفاهيم تقنية عديدة مثل:

- إقامة وبناء الحجج وتبادلها بشكل علمي راسخ (Argumentation).
- توضيح أساليب الخلل في بناء الحجج (Fallacies).
- توضيح الجزئيات التقنية لبناء الحجة.
- أنواع السيناريوهات والفرق بين السيناريو الحاضن (Nesting Scenario) والسيناريوهات المحتضنة في إطارها (Nested Scenario)
- أسلوب التفكير الاستراتيجي والمرحلي بالسيناريو.
- أساليب المناظرة Debates والإقناع Persuasion المستخدمة في عمليات التفاوض المباشر وغير المباشر والفردي أو الجماعي Collective Negotiation، هذا مع توضيح كيف أن افتقاد مثل هذه الأبعاد التقنية والمهارات المرتبطة بها قد جعلنا نخفق في عمليات إدارة الاختلافات وإدارة العمل الجماعي مما أثر سلبًا على تحقيق العمل المشترك ودرجة التضامن العربي المطلوبة لإدارة وتفعيل السيناريوهات التي تحقق الأهداف الاستراتيجية للأمة العربية الإسلامية وإحباط واحتواء تلك التي يحاول من خلالها البعض استهدافنا ووقف نمونا وتطورنا...

وحيث إن هذه التقنيات والمهارات هي الأساس والهدف الأهم لهذه الدراسة، وكذلك مادة التفاعل التي نستخدمها ماهي إلا لتوضيح وتبسيط هذه التقنيات – فإننا تركنا التفاعلات عبر الملفات التي استخدمناها بما تحويه من التدليل والتوضيح على هذه التقنيات العلمية والمهارات التي نقدمها من منظور لغويات التفاوض والحوار الدولي، وقمنا بإضافة تحليلات مستجدة وسيناريوهات مستجدة بعد تراكم أحداث جديدة ومتسارعة في منطقتنا ولكن بعد توضيح الخط الفاصل بين التحليل الذي قدمناه في الطبعة التجريبية في عام ١٩٩٩! والتي صحت مطابقتها لما حدث في السنوات الست التي تلت عام ١٩٩٩، إلى عام ٢٠٠٧ وقت كتابة هذه الطبعة؛ ومن هنا نقدم التنبؤ من عام ٢٠٠٧ للمستقبل الذى نحدده بخمس إلى عشر سنوات قادمة أخرى بإذن الله تعالى بما نملكه من مؤشرات وعلم مع تأكيد حقيقة أن العلم يأتي من السعي ولكنه في الأساس من عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهو علم مهما عظم قدره فهو قليل في ملكوت وتعقيدات الأمور.. الهدف مرة أخرى أن نحصل على الأدوات التقنية من التحليلات التوضيحية المقدمة ليستخدمها المفاوض في سياقات التفاوض على الأصعدة المختلفة سواء كان التفاوض وأسلوب التفكير بالسيناريو اجتماعيًا أو سياسيًا أو إداريًا أو عبر ثقافي.

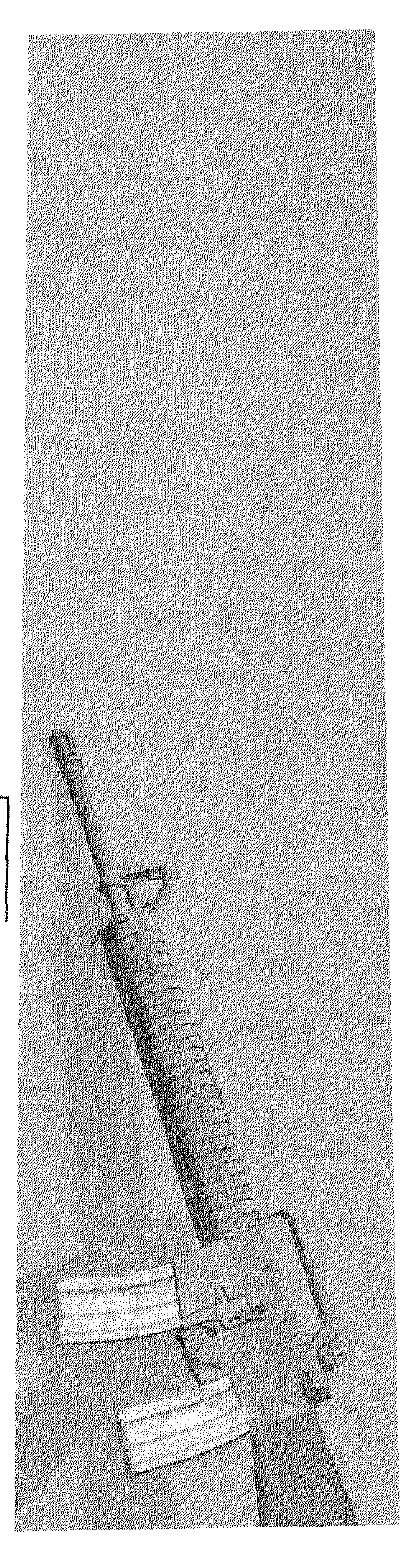
وفي نهاية هذه المقدمة أود أن أتوجه بعميق الشكر والامتنان إلى كل العاملين بهذا الدار العريقة.. التي أتفاءل كثيرًا باسمها وهو «نهضة مصر» وذلك لتفانيهم وآرائهم البناءة وتعاونهم المثمر

لإخراج هذا العمل وغيره على النحو الذى نسأل الله تعالى أن يجعله علمًا ينتفع به من أجل نهضة مصر وعزتها وانطلاقًا إلى الآفاق التي يرجوها كل منتمٍ وغيور.. فمصر هي كنانة الله في أرضه وهي الأمل، وهي المدافع بعون الله عن كل قضايا أمتها العربية الإسلامية.

الجزء الأول

سيناريوهات الصراع العربى الإسرائيلى

منظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثانى من منظور لغويات التفاوض



الفصل الأول

حول مفهوم دبلوماسية المسار الثاني ومنظومة المفاهيم المتعلقة به

أسئلة الجزء الأول من الدراسة :

يهدف هذا الجزء إلى الإجابة عن سؤالين مركزيين هما:

١- ما المقصود بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني (TRACK 2 DIPLOMACY) من منظور نموذج لغويات التفاوض Linguistics of Negotiation [LON Model] وما هي ملامح وسمات أهم المراحل الرئيسية لهذه الدبلوماسية منذ عملية السلام إلى الآن؟... وكيف يفيدنا هذا في تقييم ما حدث ويحدث على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي الممتد وتصور سيناريوهات الحرب والسلام؟

٢- ما هي أهم الاستنتاجات المستمدة من تحليل التفاعلات الرئيسية الخاصة بممارسات دبلوماسية المسار الثاني والتوصيات المقدمة لصانع القرار بشأن إدارة عملية التفاوض على المسارين الأول والثاني؟

ماذا عن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني؟

بداية طرح المفهوم:

إن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني TRACK 2 DIPLOMACY لمن المفاهيم التي كانت ولا تزال من الممارسات في مجال الدبلوماسية بشكل أو بآخر، إلا أن هذا المفهوم قد حظي بشيء من التنظير حديثاً

في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية حين بدأ هذا الجهد الدبلوماسي الأمريكي السفير جوزيف مونتفي JOSEPH MONTVILLE حين عرّف دبلوماسية المسار الثاني بأنها:

«تفاعل غير رسمي يتسم بقدر من الودية بين جماعات لها أجندات وتوجهات متنازعة ومتضادة أو أمم بهدف تنمية وتطوير استراتيجيات معينة في صراع معين لإحداث تأثير معين على الرأي العام وأن من شأن هذه الاستراتيجيات أن تساهم في حل الصراعات...»(١).

ولقد قدم جون بيرتون (JOHN BURTON) تفسيرًا آخر لمفهوم دبلوماسية المسار الثاني حين أفاد بأن:

«دبلوماسية المسار الثاني لابد أن تُفسر على أنها بديل لسياسات القوة (POWER POLITICS) فهو يرفض الافتراضات التي قدمها مورجانثو والتي تؤيد مفهوم سياسات القوة في العلاقات الدولية ويفترض أن تكون دبلوماسية المسار الثاني هي ذلك البديل الذي ينبني على تحليل حاجات الأطراف والمجموعات المتصارعة ونظم قيمها ومصالحها»(٢).

تطوير المفهوم من منظور لغويات التفاوض:

لقد تناول كاتب السطور بالتفصيل مفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور تمازجي بين العلاقات الدولية وعلم اللغويات في عدة سياقات وكان آخرها في بحث بعنوان «نحو هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني: معطيات واستنتاجات تقنية لتدريب الدبلوماسي والإعلامي»(٣)، وإذا كان هذا السياق قد عُنى بما ينبغي أن نستفيد به من معطيات تقنية لتدريب الدبلوماسي والإعلامي من

أجل رفع الأداء العربي على هذا المسار المهم والتنسيق بخصوصه، فإن هذا البحث يتعرض بإيجاز لما نعنيه بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني من أجل أن نصل لتصورات مبنية على هذا المفهوم بخصوص رصد سيناريوهات الحرب والسلام... وما أود أن أقدم له هنا – بإيجاز – هو أن واقع مفهوم دبلوماسية المسار الثاني قد اكتسب خصائص متعددة في ظل الصراع العربي الإسرائيلي، وأصبح من الممكن أن نربط بينه وبين عدة مفاهيم محورية يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (١) «منظومة المفاهيم النظرية المتعلقة بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني» (٤)

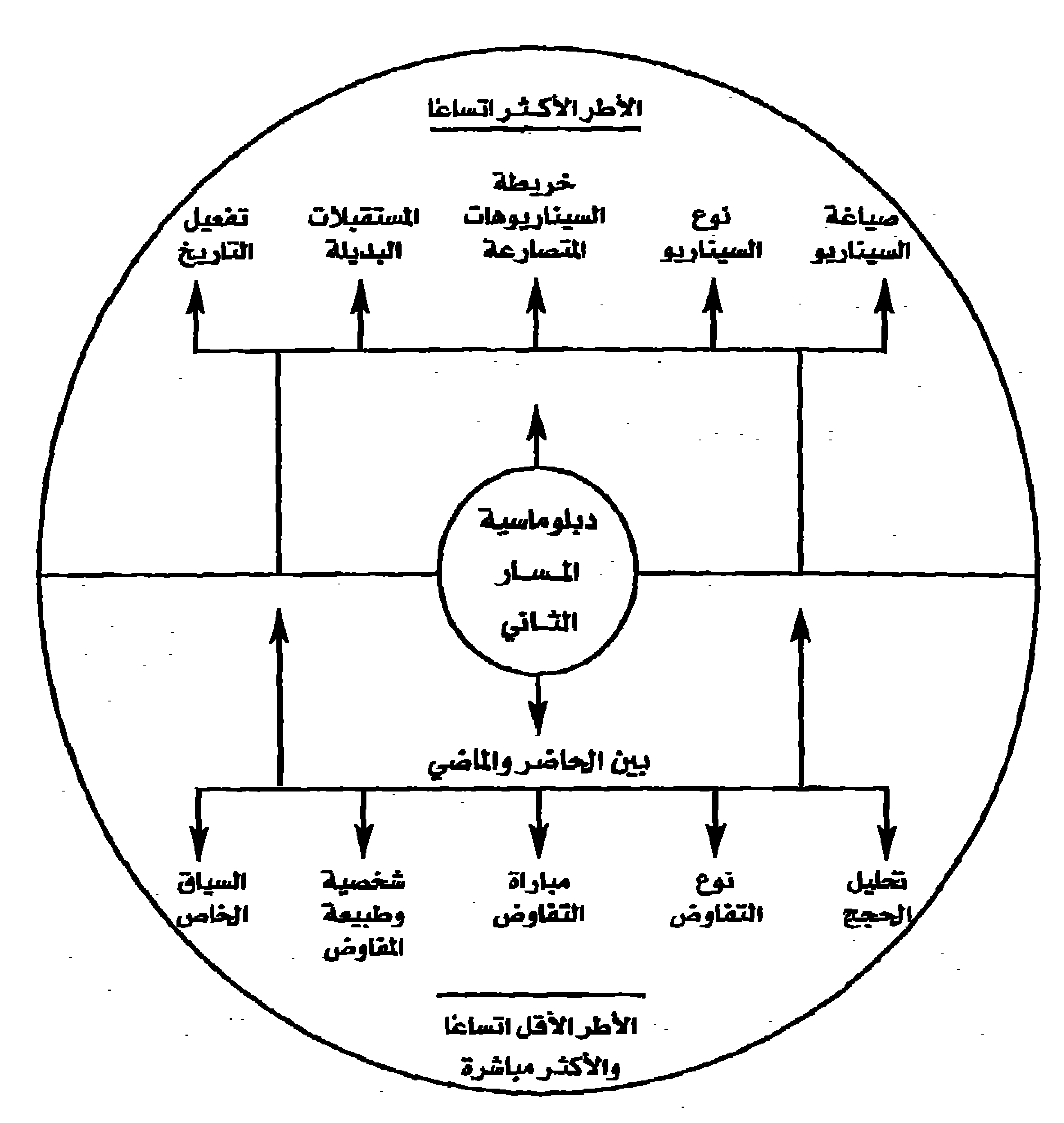
مسميات / مستويات مفهوم دبلوماسية المسار الثاني	نوع المباراة	نوع التفاوض	نوع السيناريو	اللاعب	الوسائل
من الممكن أن نرصد عدة مسميات بل مستويات تندرج في إطار ممارسة دبلوماسية المسار الثاني ومنها المسميات التالية: (١) ما سمي بالدبلوماسية الشعبية PUBLIC DIPLOMACY (٢) دبلوماسية الدعاية PROPAGANDA DIPLOMACY (٣) الدبلوماسية الوقائية PREVENTIVE DIPLOMACY (٤) دبلوماسية الإعلام MEDIA DIPLOMACY (٥) الدبلوماسية غير الرسمية SHORT SLEEVE DIPLOMACY (٦) دبلوماسية البارجة GUNBOAT DIPLOMACY (حين تستخدم المناورات والتحركات العسكرية لتشكيل ذهنية طرف ما نحو هدف ما).	– مباراة غير صفرية (WIN - WIN) – مباراة صفرية (ZERO-SUM GAME) – مباراة تحالف ALLIANCE GAME – مباراة تنازع ADVERSARY GAME – مباراة القائد LEADER GAME (بخصوص تفصيلات عن هذه المباريات، راجع المرجع رقم (٩) بالهوامش).	– تفاوض الاستكشاف – تفاوض الابتكار – تفاوض التطبيع – تفاوض إعادة الهيكلة – تفاوض التأثيرات الجانبية (بخصوص تفصيلات عن أنواع التفاوض الرئيسية وغيرها راجع المرجع رقم (٩) بالهوامش).	– سيناريو قصير المدى – سيناريو بعيد المدى – معياري أو استهدافي NORMATIVE – استطلاعي EXPLORATORY – حدس INTUITIVE ما بين الاستطلاع أو الاستهداف (سيناريو الأنساق الكلية) (FEED BACK MODELS)	– الدبلوماسي – الإعلامي – الداعية – المثقف – مراكز البحث – الجمعيات الأهلية NGO إلخ	– الكتب – الصحف – البرامج التليفزيونية – المقابلات الإعلامية – وكالات صياغة الأنباء – عقد المؤتمرات – عقد الندوات – الأفلام الموجهة – نشرات الجمعيات ذات الاهتمام الخاص – الإنترنت

إذن – إذا ما حاولنا صياغة مجرة المفاهيم التي أوردنا في الجدول السابق لتقديم تعريف إجرائي لمنظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني لقلنا إن هذا التعريف سيتم تقديمه بشكل متكامل في نهاية الدراسة بعد التعرض للأمثلة التوضيحية والتفصيلية المتعلقة بكل مفهوم من منظومة هذه الدبلوماسية، ولكن بشكل أولي نقول بأنه مفهوم وإن أجمع المنظرون بخصوصه على أنه بديل لسياسات القوة، فإن واقع تحليل التفاعلات، خاصة في إطار الصراع العربي الإسرائيلي الممتد على وجه الخصوص يشير إلى أنه مفهوم له تنوعاته وإن كان المرجو من طرحه أن يكون بديلاً لسياسات القوة إلا أنه قد تمت ممارسته بشكل تصارعي حادّ يقترب من مفهوم المباراة الصفرية ZERO-SUM GAME ، ويصاحب هذا المفهوم استخدام أنواع التفاوض الرئيسية، فقد يستخدم في حالة التفاوض الاستكشافي عندما يراد اختبار رد فعل الأطراف الأخرى من خلال الإعلام ووسائله، وقد يوظف لجمع المعلومات – أي من خلال مفاوضات شكلية.. وقد يوظف في إطار – إعادة تفاوض NEGOTIATION FOR REDISTRIBUTION عندما تتطلب الأمور إعادة تشكيل ذهنية الآخرين بشكل جذري – وتفاوض التأثيرات الجانبية SIDE EFFECTS – من أجل الإيماء بشيء معين في ذهنية الطرف الآخر بخصوص تحرك ما... كذلك فإن المفهوم يرتبط عضويًا بمفهوم السيناريو، فهو ما سنوضحه تفصيلاً على مدى الدراسة، أما بخصوص اللاعب الذي يمارس دبلوماسية المسار الثاني، فقد يكون الدبلوماسي صاحب العمل على المسار الأول في عمليات التفاوض، وقد يكون الإعلامي أو المثقف وقد يكون مركزًا للأبحاث بل قد يكون الداعية إذا كان مُدربًا.... أما وسائط هذه الدبلوماسية فهي تتسع لتمثل الكتب

والصحف والبرامج التليفزيونية والأفلام والمقابلات الإعلامية والمؤتمرات والندوات وشبكة الإنترنت، أما المسميات التي تتشابه وتتقاطع مع المفهوم بشكل أو بآخر فهي ما سمي بالدبلوماسية الشعبية PUBLIC DIPLOMACY ، الدبلوماسية الوقائية PREVENTIVE DIPLOMACY ، دبلوماسية الإعلام MEDIA DIPLOMACY ، أو ما يسمى الدبلوماسية غير الرسمية SHORT SLEEVE DIPLOMACY ، وكذلك ما سمي بدبلوماسية البارجة GUNBOAT DIPLOMACY ، كما في حالة القيام بمناورات وتحركات عسكرية أحادية أو تحالفية من أجل إرسال رسائل لخصوم وأطراف معينة...

في النهاية نوضح أن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور علم اللغويات الاجتماعية والسياسية SOCIO-POLITICAL LINGUISTICS وهو المنظور الذي طرحه الكاتب ويطوره أيضًا من خلال هذه الدراسة – هو مفهوم يمكننا من خلاله النظر إلى دراسة الأطر والمستوى الأكثر اتساعًا لعمليات التفاعل المركبة، وهو ما أسميه بالإنجليزية بـ "GLOBAL INTERACTIONAL LEVEL" ، وهذا يتم من منطلق دراسة التفاعلات على المستوى الأقل اتساعًا والدقيق والمباشر والذي يمثل أساس الوصول لفهم أسس ومنطلقات على مستوى الخطاب Discourse بدقة علمية، وكذلك لفهم الخطابات المتصارعة بخصوص قضية أو موضوع ما، وهذا المستوى أسميه بالإنجليزية بـ "LOCAL INTERACTIONAL LEVEL" ويرتبط مفهوم دبلوماسية المسار الثاني هذا بمستوييه الأكثر اتساعًا والأقل اتساعًا بالأمور المنضوية خلالهما بمفاهيم وأنواع التفاوض NEGOTIATION TYPES ونوع المباراة التفاعلية INTERACTIONAL GAMES ، وكذلك

بشخصية المفاوض؛ وإذا كانت الجهود السابقة لكاتب السطور قد حاولت تجسيد هذه المفاهيم على مستوى تحليل التفاعل الماضي والحاضر فإن هذه الدراسة ترصد البعد والمصطلحات المستقبلية التقنية خاصة فيما يتعلق بتحليل الخاصية TREND ANALYSIS ... ومفهوم السيناريو وصياغته ونوعه والشكل التالي يدرج أهم هذه المفاهيم والتي سيتم توضيحها تفصيلاً على مستوى الدراسة وأمثلتها الحية.



شكل رقم (١) : منظومة المفاهيم التقنية المرتبطة بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور علم اللغويات الاجتماعية والسياسية

الفصل الثاني

أهم ملامح وسمات المراحل والمحطات الرئيسية لدبلوماسية المسار الثاني منذ بدء عملية السلام: رؤية من خلال تحليل الخاصية (TREND ANALYSIS)

إن تعرضنا بالتحليل لدبلوماسية المسار الثاني وأدواتها وقنواتها ومفاهيمها في إطار الصراع العربي – الإسرائيلي بحاجة إلى دراسة أخرى تفصيلية، ولكننا سوف نقدم هنا موجزًا يلقي الضوء على عناصر وأدوات هذه الدبلوماسية دون أن ندَّعي إلمامًا بكل الأحداث والحالات. من هنا نقول: إن دبلوماسية المسار الثاني قد تم توظيفها وممارستها مع بداية عملية السلام، واتسمت بأشكال وكثافات مختلفة في مجال الحركة والفعل طبقًا لسياق مراحل التفاوض الرسمي وما استلزمه الأمر على المستوى غير الرسمي أو شبه الرسمي على الجانبين العربي والإسرائيلي، ولعلي أذكر هنا محطات أو مراحل مهمة وذات دلالات خاصة في إطار توظيف هذه الدبلوماسية وهي كالآتي:

١ - حالة السادات - بيجن:

إذا كان هناك تحليلات كثيرة بخصوص خطوة ومبادرة السادات على المحيط العربي، فإن تحليل دبلوماسية المسار الثاني في هذه الفترة وما تلاها هو بحق بحاجة ماسة لدراسة أو دراسات موسعة.. ولعلي أذكر الأمثلة التالية التي توضح مستويات مختلفة لتوظيف هذه الدبلوماسية في أشكال متعددة شهدت مستويات متنوعة من

التناول، فعلى صعيد إظهار الودية من أجل التحفيز تم تصوير الرئيس الراحل أنور السادات في وسائل عديدة في الإعلام الأمريكي والإسرائيلي بصورة القائد الباهر المحنك المنتصر للإنسانية والعابر بها إلى آفاق أخرى، ولكن نفس ذات الإعلام صور موقفه على أنه «معلق في الهواء كمن يعلق في عمود نور» ولن ينقذه إلا المضي فيما شرع فيه وتصوير أي رجوع عن هذا الخط بأنه هلاك له وسقوط... وحتى وإن كان قد أعلن عن سلام عربي شامل، فلا يمكن له أن يحصل إلا على سلام منفرد مع إسرائيل... ففي لقائه بمناحم بيجن في سيناء عام ١٩٨١م خرجت الطائرات الإسرائيلية لتضرب المفاعل النووي العراقي في نفس لحظة ذلك الاجتماع... وجاءت التغطية الإعلامية معبرة للغاية، فصورة الاجتماع مع بيجين كان بجوارها صورة ضرب المفاعل العراقي وكأنه رسالة «دبلوماسية المسار الثاني الإعلامي» التي تقول وترسخ في ذهنية السادات وغيره.... «إن عليك بسلام منفرد وإن ضرب المفاعل العراقي لا ينبغي أن يعني لك شيئًا... أي عليك بسلام منفرد تخرج به من حلقة الصراع العربي الإسرائيلي»! (كذلك كانت دبلوماسية المسار الثاني في غاية الكثافة في توضيح خطورة المفاعل العراقي الكبيرة في الإعلام الأمريكي قبل ضربه).

* من ناحية أخرى اتسم الإعلام العربي وقطاع من الإعلام المصري بمناهضة أي صورة من صور التطبيع مع إسرائيل، بينما اتسم قطاع آخر من الإعلام المصري بـ«التسويق الفعال» للسلام والتطبيع وإلى اليوم نجد مثلاً كاتبًا مثل عبدالعظيم رمضان يصرح جهارًا نهارًا بأن من «يعارضون التطبيع متخلفون عقليًا»... لقد كان

من أهم المقولات التي تغلق أي خيار آخر والتي تم ترديدها بشكل مكثف في تلك الآونة ولها صداها إلى اليوم مقولة «إن حرب أكتوبر/ رمضان هي آخر الحروب العربية الإسرائيلية»... لماذا لم نقل «إن حرب أكتوبر/ رمضان هي بداية الطريق للسلام العادل..»؟ لأن المشكلة تكمن في الفهم الخاطئ للطرف الإسرائيلي وتقلل من ربحية وتوظيف تلك الحرب المجيدة التوظيف الأمثل... وهنا نقول نعم لقد كان من المهم في ذلك الحين أو بعده أن تتم طمأنة الإسرائيليين نظرًا لما شاع عن مفهوم تخطي جدار الحاجز النفسي، واعتبار معطيات إدارة مثل هذا الصراع الشائك والمعقد، إلا أن هناك وسائل وجملاً وعبارات أخرى كان يمكن أن تستخدم لتؤدي معنى الطمأنة والعقلانية ولكنها لا تغلق الاختيارات لنا ولنتركها للطرف الإسرائيلي... فهو الذي بالفعل قام بغزو لبنان فيما بعد، غير مكترث بترديد مقولة: «إن حرب أكتوبر هي آخر الحروب» ولا يزال قادته وجنرالاته تطالعنا بين الحين والآخر بأعنف وأوقع عبارات الحرب(٥)...

إن من ملامح مقولات دبلوماسية المسار الثاني على المستوى الإسرئيلي/ الأمريكي في ذلك الوقت – وما تلاه – كان العمل على كبح أي معارضة لعملية السلام على الجانب غير الرسمي في مصر ومن ذلك ما نرصده من مقولات كمقولة **برنارد لويس** في مقال نشر له في كتاب قديم صدر في عام ١٩٧٨م بعنوان «هل لا يزال السلام ممكنًا في الشرق الأوسط؟» حين يتحدث عن البعد المصري فيقول بخصوص فترة حكم الرئيس **السادات**:

«إن القوى المعارضة لعملية السلام تمتلك موارد مالية هائلة وقد اكتسبت مهارة عظيمة في استعراضها، ولقد أظهرت حكومة مصر في فترة قريبة نسبيًا وعيها للآثار المدمرة لمثل هذا النوع من السفاهة وقامت باتخاذ بعض الخطوات لكبح جماحها... في حين أن مستوى من القذف والشتائم يعتبر أمرًا شائعًا في صحافة الشرق الأوسط، وفي مجالات السياسة، فإن الإسرائيليين تأزموا لذلك... فقد وجدوا أن من الأمور العسيرة أن يمنحوا ثقتهم لمحدثيهم الذين ينعتون رئيس وزرائهم باسم «**شايلوك**» ويتحدثون عن مراسم قدامى صهيون..»(٦).

تحريض ضد الديمقراطية

النقطة هنا أنه في الوقت الذي تدعي وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية تأييدها للديمقراطية وحقوق الإنسان، فإن أي مدّ يعارض سياسة مثل سياسة وأسلوب الراحل أنور السادات فإن المقولة أعلاه تمثل تحريضًا صريحًا ضد الديمقراطية... ولقد كشفت الحملات الإعلامية ضد مصر في أمريكا في عام ١٩٩٦، ١٩٩٧م نفس ذات التوجه... ونعود لنقول إنه بالإضافة إلى أن لحظات تعثر التفاوض الرسمي بين السادات وبيجين كانت بسبب أن السادات قد تمت معاملته وعرقلة ما كان يصبو إلى تحقيقه من سلام رغم كبحه للمعارضين... إلا أنه قد أخذ بـ«ذنب» المعارضين وهنا نرصد هذه المقولة الأخرى **لبرنارد لويس** حين يقول:

«وهناك تطور ثالث لم يتسبب فقط في الإحباط الذي أصاب إسرائيل، وإنما كانت له آثار خطيرة تجاه تشدد بيجين في موقفه، وهو الخط الذي وضعته القاهرة وترددت أصداؤه في كل مكان والذي يمكن تلخيصه في العبارة التالية: «لقد أعطيته كل شيء ولم يعطني

شيئًا» ويبدو أن السادات قد تصور أنه بذهابه إلى القدس وتقديمه الاعتراف والقبول لإسرائيل.. يكون قد قدم تنازلاً كبيرًا، وشعر بأنه لم يتلقَّ شيئًا في مقابله..(٧)

* إنه في حالات التعثر في التفاوض كما في تلك الحالات التي تصورها مقولات برنارد لويس وإحساس السادات أنه أعطى كل شيء ولم يحصل على شيء في تلك الفترة وأنه أوقف القتال وجعل حرب أكتوبر آخر الحروب طواعية من عنده وساهم **كيسنجر** إسهامًا كبيرًا في فك الاشتباكات وفك حصار القوات الإسرائيلية التي كانت في مأزق بالغ في غرب وشرق القناة، وذلك باعتراف **كيسنجر** الذي فك أسرها فعلاً.. وهنا يمكن لقائل أن يقول إن السادات ساهم وتعاون مع **كيسنجر** في أن يجعل موقفه موقف مَنْ يتفاوض وقد انتزع من أمامه خيار أرض المعركة حيث كانت قوات إسرائيل المحاصرة في غرب القناة كفيلة بأن يتمكن السادات من التفاوض من موقع القوة وإملاء شروطه من هذا الوضع القوي، ولكن السادات قد وثق في كيسنجر أكثر مما ينبغي أو ربما أنه قد اقتنع في ذلك الوقت بأن مزيدًا من حمامات الدم قد يغلق الباب تمامًا، ومن هنا شَرع في تنفيذ اتفاقيات فك الاشتباكات على جبهة القناة وكانت البداية لكي تماطل إسرائيل وتتمنع، وهنا قام **السادات** بمبادرته في نوفمبر ١٩٧٧م تحت ما أسماه بهجوم السلام. ولا شك أن هذه محطة تستوجب التأمل والدراسة من زاوية دبلوماسية المسار الثاني... حيث أخبرني السفير أشرف غربال الذي يعتبر من أقرب المقربين للرئيس السادات (وذلك في سياق وجوده بجامعة جورج تاون كأستاذ في الدبلوماسية، وكنت أحضر أحد الكورسات التي كان يقوم بتدريسها)

أن السادات كان يريد بـ(مقولة أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة في أيدي أمريكا) أن يسحب ولو ٢٠٪ من تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل لصالح القضية العربية، وأن نحاول ممارسة التأثير الإيجابي على القائمين على صناعة القرار الأمريكي... بل كان سؤال **السادات لغربال** هو: **كيف ندخل بصورة مختلفة لعقل وبيت كل أمريكي؟** وكان السادات يقول للسفير غربال «إذا وصلت إلى قناعات بخصوص هذه الأمور... خذ الطائرة وعد إلى القاهرة وناقشني وأخبرني...» ويضيف السفير غربال.... «وفعلاً كان يحدث هذا وكان الوقت يطول جدًا ويشعل غليونه ويقول لي أكمل، وكله إنصات واهتمام في كل مرة... ويبدو أن المبادرة كانت تلح على تفكيره وربما رأى أن من بين ما قد تتيحه لنا هو... الانطلاق في إعادة تشكيل ذهنية صُناع القرار الأمريكي وكل الطوائف المؤثرة هناك... بل في إعادة تشكيل ذهنية الإسرائيليين وكشف الزيف الذي يلحقونه بالعرب أمام العالم».

ولقد كان **للسادات** رؤيته في محاولة تشكيل ذهنية المواطن الأمريكي ولكن كانت الدعاية الصهيونية لها رؤيتها المخالفة وإجراءات تنفيذية في مجال الإعلام ووسائله المختلفة... فبعد أن ظهر السادات بشكل إيجابي رأينا محاولات التشويه الخبيثة من خلال ذلك الفيلم – على سبيل المثال فقط – الذي كان بعنوان «**السادات**» والذي أذيع في دور العرض السينمائي وقنوات التليفزيون الأمريكي معًا... والذي صور السادات بالباحث عن السلام بعد أن بكى لموت أخيه **عاطف السادات** في الضربة الجوية الأولى... ولا أنسى أن الفيلم قد زيَّف معظم الأحداث تاريخيًا وزمنيًا... فالمشهد النهائي.... السادات يبكي على موت أخيه (من المفترض عام ١٩٧٣م) ويقول لابد أن

أضع حدًا لهذا، فكانت مبادرته للسلام.. (عام ١٩٧٧م) ولكن في الفيلم فإن الأمر يحدث فورًا! هذا غير الكثير من المغالطات ولكنها توضح شكلاً من أشكال ممارسات دبلوماسية المسار الثاني الصراعية من قبل الطرف الآخر.

٢ - حالة السفير بيتر كونستابل

وبيتر كونستابل هو دبلوماسي أمريكي متقاعد ويشغل منصب السكرتير التنفيذي للجنة المنظمة لمبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط.. وهو يعتبر مجرد مثال فقط لنوعية من الجهود التي قام ويقوم بها الكثيرون من حيث تجسيد أهمية مساعي دبلوماسية المسار الثاني في إحداث وإتمام وتكملة عملية السلام الرسمية... ولقد أوضح نشاط وأدوات اللجنة المنظمة لمبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط في القاهرة في ندوة بعنوان: «أزمة الخليج ومستقبل الشرق الأوسط» في يومى ٢٦ ، ٢٧ إبريل عام ١٩٩٠م وحضرها حشد كبير من السياسيين والأكاديميين والمفكرين(٨)، ولعل من المهم أن نرصد ما يلي مما طرحه السفير بيتر كونستابل الذي كان يدشن مفهوم «دبلوماسية المسار الثاني» كأسلوب مستحدث في حل الصراعات المعقدة والممتدة:

«إن مبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط مبنية على أساس أن حرب الخليج قد تسببت في الكثير من الاضطراب في الشرق الأوسط، الأمر الذي يصعب معالجته من خلال الأنماط القديمة وخاصة أن الاضطراب والغليان والإحباط عادة ما يكون في أوج مستوى له عقب الحرب، وبالتالي فإن هذا يزيد الأمور سوءًا خاصة فيما يتعلق بالصراعات الممتدة الموجودة بالفعل في المنطقة مما يخلق مزيدًا من

المشاكل، ولكن مع كل هذا فإن الحرب قد خلقت فرصًا للقيام بالمبادرات الجديدة، وبالتالي فإن الظروف قد تكون موائمة لتبني منهج شامل لمعالجة قضايا المنطقة التي قد يكون من شأنها كسر حلقة الجمود التي تجسدت في العقد المنصرم». ويضيف كونستابل قائلاً:

وسوف أقدم في كلمتي هذه ما استوحيته من **نموذج هلسنكي** أو بمعنى أدق من «المؤتمر الأوروبي للأمن والتعاون» الذي كان السبب في انطلاقة الآمال الفكرية للأفكار التي سوف أطرحها.

إن هدف مبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط هي خطة لتنمية وتنسيق سلسلة من الأنشطة الخاصة التي تشجع على تبني منهج شامل ومتعدد القنوات يخدم كل من دعم عملية السلام على الصعيد الرسمي وتطوير مستوى آخر غير حكومي يكون نطاق أنشطته وعلاقاته أوسع ويكون من شأنه تدعيم التعاون والأمن في المنطقة. إن المفهوم الجوهري هو تقديم وتشجيع عمليات وطرق مفاوضات مبتكرة وغير رسمية بالمنطقة بحيث تكون مماثلة لتلك التي استخدمت في مؤتمر هلسنكي الخاص بالأمن والتعاون في أوروبا.

ويضيف كونستابل:

ومن وجهة نظرنا، فإن الواجهة البراقة لمؤتمر هلسنكي لم تكن تتمثل في المؤتمر في حدِّ ذاته ولكن في الأسلوب والطريقة الفريدة التي استخدمت فيه، وكانت ذات قنوات وأوجه متعددة وعمليات مفتوحة، تم التوصل من خلالها إلى قرارات بالإجماع، حتى إذا جاء وقت التفاوض الفعلي نرى أن القضايا قد أصبحت واضحة المعالم ومقبولة للأطراف المعنية. إننا يجب أن نذكر أن مؤتمر هلسنكي لم

يكن مؤتمرًا في وقت معلوم فقط إنما كان بمثابة عمليات ذات طابع استمراري استمرت لأكثر من خمسة عشر عامًا وهذا قد حقق وجود إطار لنطاق من المشاركة في أن يدخلوا في الحوار. إن منهج القنوات المتعددة سوف يوجد الميكانيزم اللازم لوضع القضايا السياسية الصعبة في داخل العملية دون أن يتسبب في الوصول إلى الطريق المسدود. فالعمل بأسلوب الأوعية المنفصلة أي معالجة كل أمر على حدة، سوف يؤدي في النهاية إلى الوصول إلى معايير بناء الثقة من خلال قضايا المياه على سبيل المثال وسيكون لهذا أثره الإيجابي على قضايا الأمن بالتالى التي كانت ستصل إلى مرحلة الطريق المسدود بانتهاج مناهج أخرى.

لعل ما طرحه **كونستابل** عام ١٩٩١م في القاهرة في تلك الندوة يوضح أحد الأسس التنظيرية التي تجسدت فيما سمي «بمبادرة كوينهاجن» عام ١٩٩٧م التي سنقدم لها تحليلاً وتقييمًا في نهاية هذه «المحطات» أو الحالات لأنها قد تمت في توقيت وبأسلوب فتح ملفًا من أكبر ملفات الحوار بخصوص الصراع مع الدولة العبرية ودور الوساطات الدولية والتفريق ما بين «المفاوض» و«المثقف» وأدوار كل منهما بشكل واضح.

٣ - حالة أوسلو

تعتبر «محطة» أوسلو من تلك المحطات أو المراحل التي تجسد مثالاً «طريفًا» إذا جاز الوصف لما حدث.. فالبداية هي بيت أحد الأساتذة النرويجيين حين وجد أن زميليه بالجامعة وهما أستاذ فلسطيني وأستاذ إسرائيلي يمكن أن تكون بينهما أرضية مشتركة.. فنظم لهما عدة لقاءات أسرية في منزله بحيث يتناول الجميع العشاء

كل جمعة لعدة أسابيع، وفي النهاية وبعد الاختلافات والتعثر في العلاقات والشد والجذب وجد أن هناك ما يمكن أن يتم التوصل إليه من اتفاق يعبِّر عن اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهنا وعند هذه النقطة انتقلت «دبلوماسية المسار الثاني» إلى مستوى المفاوضات السرية بدعوة السفير النرويجي وعناصر رسمية فلسطينية وإسرائيلية، وبذلك تمثل محطة أوسلو أحد أمثلة دبلوماسية المسار الثاني في جوهرها، ولكنها توضح أيضًا محطة الانتقال إلى التفاوض السري... فلقد تم من خلالها مفاجأة المفاوضين الرسميين الفلسطينيين والإسرائيليين الذين كانوا يتفاوضون في واشنطن... وخرج الاتفاق في شكل اتفاق «نادر الصياغة في مجال العلاقات الدولية» بحيث إنه كان من العمومية بشكل غير مسبوق، ولقد كان تعليقي عليه أثناء كتابتي لكتاب بعنوان «مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي» في عام ١٩٩٤م[٩] حيث كنت أتعرض بالتقييم لما ورد عن **سالكيوز** SALACUSE بخصوص هل نقوم بصياغة الاتفاقات بشكل عام أم محدد، فهنا يقول SALACUSE : إن العوامل الثقافية تؤثر أيضًا في شكل الاتفاق الذي تحاول الأطراف صنعه، فالأمريكيون يفضلون بوجه عام عقودًا مفصلة للغاية، تحاول التنبؤ بكل الظروف المحتملة، ومهما كان ذلك أمرًا غير محتمل فإن السبب هو أن «الصفقة» هي العقد ذاته، ولابد أن يرجع المرء إلى العقد لكي يحدد كيف يعالج موقفًا جديدًا قد يظهر. وهناك اتفاقات أخرى، كالصينية تفضل أن يكون العقد في شكل مبادئ عامة بدلاً من قواعد مفصلة.. لماذا؟ لأنه كما يقال: إن جوهر الصفقة هو علاقة الثقة التي تقوم بين الأطراف، فإذا نشأت ظروف غير متوقعة فعلى

الأطراف أن ينظروا إلى علاقتهم، وليس إلى العقد، لحل المشكلة. وهكذا فإن الأمريكيين يندفعون إلى مائدة المفاوضات في بعض الحالات، للتنبؤ بكل الحالات التي قد تطرأ، وهو سلوك قد يعتبره أشخاص من ثقافات أخرى دليلاً على عدم الثقة في العلاقات الضمنية. ويزعم بعض الأشخاص أن الاختلافات على شكل الاتفاق يرجع سببها إلى قوة مساومة غير متكافئة بين الأطراف وليس بسبب الثقافة، ففى الموقف غير المتكافئ في قوة المساومة، يسعى الطرف الأقوى دائمًا إلى أن يكون الاتفاق تفصيليًا حتى «تغلق» الصفقة في كل أبعادها المحتملة، على حين يفضل الموقف الأضعف اتفاقًا عامًا ليعطيه مجالاً لكي «يتخلص» من الظروف المعاكسة التي لا مناص من أن تحدث مستقبلاً. وهكذا وعلى حد قول SALACUSE فإن الكوميون الصيني باعتباره الطرف الأضعف في مفاوضات مع شركة متعددة الجنسيات سوف يسعى للوصول إلى اتفاق عام كوسيلة لحماية نفسه مما قد يحدث مستقبلاً. ووفقًا لهذه النظرة، فإن البيئة وليست الثقافة هي التي تحدد هذه الخاصية للتفاوض.

ولعل ما ذكره SALACUSE في هذا الصدد له أساسه من الصحة في واقع التفاعلات، ولكن لابد أن نتنبه إلى أنه وفي سياقات أخرى يختلف الأمر، خاصة في مجال التفاوض القانوني سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول، كما يحدث في قرارات الأمم المتحدة، فمثلاً كثير من قرارات الأمم المتحدة قد تمت صياغتها بغموض وبعمومية في العديد من فقراتها وعن عمد حتى تتمكن الهيئة الدولية من إصدارها، على أن يتم التفاوض على تلك العموميات أو النواحي الغامضة فيما بعد.

إطلالة على عمومية اتفاق غزة - أريحا أولاً

في إطار هذه النقطة السابقة الخاصة بشكل الاتفاق من حيث كونه عامًا أو محددًا لابد أن نطرح هنا فقط عدة أسئلة من شأنها إلقاء الضوء على واحد من أكثر الاتفاقات عمومية في تاريخ المفاوضات السياسية. وبالرغم من تعقيدات هذا الموضوع بصفة خاصة حيث يختلط فيها الدافع السياسي بالمنطلقات الثقافية. فإننا نتساءل هنا: هل هذه العمومية الشديدة في الاتفاق ترجع إلى ضعف الموقف التفاوضي النسبي للطرف الفلسطيني؟ إذا ما اعتبرنا تفسير SALACUSE في هذا الصدد، كما في حالة نظرة الصينيين على حسب المثال السابق.. أم أن الاتفاق قد صيغ في ذلك الوقت بهذا الأسلوب العمومي حتى يستغله الطرف الإسرائيلي عند تنفيذ بنوده وتبعاته فيما بعد؟ أم أنه صيغ بهذه العمومية كما سمعنا من بعض الخبراء المتحمسين ليؤكدوا أن الاتفاق هو في جوهره بناء يركز على إيجاد علاقة جديدة وآفاق جديدة؟! ولا شك أن الأحداث التي تلت هذا الاتفاق وتلك القادمة التي هي في علم الغيب سوف تخبرنا عن الإجابة والأصح لهذه الاستفسارات(١٠).. كان ما سبق هو ما سجلته في كتابي عام ١٩٩٤م.

واليوم ونحن في عام ١٩٩٨م يمكننا أن نرى بسهولة أن تلك العمومية لم تكن أبدًا لبناء الثقة وإنما لتسمح باستغلال كامل للطرف الإسرائيلي لهذه العمومية حيث يقدم المفاوض الإسرائيلي تفسيرات بعيدة كل البعد عن روح الاتفاق، وعن أي وعود واتفاقات سابقة وعن جوهر عملية السلام برمتها... بل إن هذه العموميات كانت أسس محاولة تدمير عملية السلام في التوقيت الذي تريده إسرائيل، ولقد كان هذا ما نراه على يد بنيامين نتنياهو الآن.

٤ - حالة شمعون بيريز

وهذه «المحطة» هي محطة المطالبة بالتطبيع الاقتصادي مع إسرائيل التي حقق اقتصادها أعلى معدلات النمو والاستثمارات تحت إطار مظلة عملية السلام، وهي تلك المحطة التي حاول تأسيسها شمعون بيريز كتجسيد لكتابه بعنوان «الشرق الأوسط الجديد»، والذي يجسد في حدٍّ ذاته مثالاً واضحًا وجيدًا على استخدام دبلوماسية المسار الثاني (من وجهة نظرهم) ويطرح فيه تصورًا اقتصاديًا وأمنيًا للمنطقة حيث يرى من خلاله أن حل مشكلة الصراع العربي – الإسرائيلي، وديمومة السلام تعتمد على إدماج الاقتصاد الإسرائيلي في النظام الإقليمي الشرق الأوسطي، وكذا الإدماج الأمني، فهو يرى أن السبب في الصراعات في تلك المنطقة هو سبب اقتصادي أساسًا يرجع إلى تواضع مستويات النمو الاقتصادي والضعف الشديد للتبادل التجاري فيما بين بلدان الشرق الأوسط، وبقيام السوق الشرق أوسطية تستطيع إسرائيل التي تمتلك «العقول» والمشروعات أن تكون رائدة للتنمية الاقتصادية للمنطقة، وبالتعاون بين العرب وإسرائيل تجاريًا واقتصاديًا وعمليًا يمكن النهوض بمستوى المعيشة في المنطقة ونزع أسباب النزاع الاقتصادي وبالتالي تحقيق ديمومة السلام(١١).

الكتاب هنا وما ورد فيه يمثل مقولات من مقولات دبلوماسية المسار الثاني التي تسعى لتشكيل الذهنية العربية بعيدًا عن حُجة «الأرض مقابل السلام»، وحل جذور الصراع الرئيسية بيننا وبين الدولة العبرية، بل أن يستغرق بيريز في أن الأسباب اقتصادية ويطالب بالتطبيع الاقتصادي، فكأنه يردد بشكل غير مباشر ما هو مطروح

ويوضوح اليوم من الجانب الإسرائيلي وهو حُجة «الأمن مقابل السلام»... ولقد تجسدت أفكار بيريز في شكل مؤتمرات اقتصادية كبرى كان أولها في عمان بالأردن، وكان ثانيها في الرباط بالمغرب، وكان ثالثها بالقاهرة، والذي حدث أن تم عقده بعد أن كادت القاهرة أن تلغيه، ولكنها فضلت فتح القنوات وصححت أوضاعًا خاطئة سادت اجتماعي عمان والرباط حين ذكر وزير الخارجية المصري عمرو موسى وقت انعقاد المؤتمر «أن الخطأ الذي حدث في عمان والرباط أن إسرائيل كانت هي الدولة المحورية، ولكن في هذا الاجتماع تأتي إسرائيل مثلها مثل عشرات الدول المشاركة..»[١٢]، ولقد كان هناك وبالفعل تحجيم كبير وتهميش لوجود الوفد الإسرائيلي المشارك؛ الأمر الذي دفعه للعودة بعد وقت وجيز، وخاصة أن السلطات المصرية أعلنت في نفس لحظة افتتاح المؤتمر عن القبض على الجاسوس الإسرائيلي عزام، الأمر الذي يعكس تحركات تنتمي لدبلوماسية المسار الثاني المصرية التي من شأنها تصحيح الأوضاع،واحتواء أدوات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائيلية بشكل آخذ في التصارع... ولعل ما حدث في المؤتمر الاقتصادي الرابع في الدوحة بدولة قطر وعدم مشاركة مصر والسعودية وسوريا ومعظم البلاد العربية يؤكد على تقزيم بل موت مفهوم الشرق الأوسطية ولعله إحدى الضربات العربية الفعالة المقاومة لأهداف إسرائيل التي تريد الحصول على السلام دون ردِّ الأرض المحتلة.

٥ - حالة مؤتمرات حوار الأديان

إن مؤتمرات حوار الأديان بحاجة لدراسة تفصيلية في حد ذاتها، فهناك مؤتمرات تتعامل بإيجابية مع مسماها أي حوار معتنقي

الأديان المختلفة لتدعيم القيم الإنسانية والوقوف ضد غطرسة القوة والمعايير المزدوجة في عالم اليوم وإحقاق حقوق الإنسان في كل مكان، ولكن هناك ولا شك عدد لا بأس به من تلك المؤتمرات التي خرجت عن مسماها، وكانت بمثابة **مجال من مجالات التسييس** لصالح تحركات دبلوماسية المسار الثاني الصراعية لصالح الدولة العبرية وليست الإيجابية التي تكون فيها لصالح المفاوض العربي حيث اتخذت هذه المؤتمرات كمظلة لمحاولة تحقيق التطبيع بين العرب والإسرائيليين وجني ثمار السلام دون الالتزام برد الحقوق وتحقيق السلام العادل ومن أمثلة هذه المؤتمرات ذلك المؤتمر الذي عُقد في إسبانيا وانسحب معظم المشاركين العرب منه عندما وجدوا أنه تم تسييسه يهوديًا وبشكل فج، ولقد كان من هؤلاء الذين أحبطوا الهدف من ذلك المؤتمر ونشروا فور عودتهم مقالات احتجاج وإدانة للمنظمين والداعين لهم الذين اتهموهم بأنهم أعدوا لهم ما يشبه الكمين، فهمي هويدي، صلاح الدين حافظ، د. عائشة عبدالرحمن، وآخرون(١٣).

٦ - دبلوماسية المسار الثاني وحالات خاصة من الإعلام المصري:

كانت هناك حالات خاصة في أداء الإعلام العربي المصري تجسد توظيفًا لحركات دبلوماسية المسار الثاني في شكل تعبئة الرأي العام المصري والعربي إيجابيًا وإعادة ترسيخ ما ينبغي أن يكون من مواقف ثابتة تجاه الدولة العبرية التي لا يؤتمن جانبها فكانت أول مسلسلات من وقائع مباريات جهاز المخابرات المصرية العامة مع جهاز الموساد الإسرائيلي وقصص أخرى مشابهة في التوجه، وقام قطاع الإنتاج بإنتاج فيلم «الطريق إلى إيلات» ليحفظ من خلال هذه

الوسائط حقائق تاريخية صراعية آخذة في الامتداد تحت مظلة السلام في الآونة الأخيرة، وجاء كذلك ما يمكن أن نسميه بتحركات دبلوماسية المسار الثاني ثنائية التوجه أو ما أسميه بالإنجليزية (DOUBLE T2 DIPLOMACY MOVE) والممثلة في مناورة **بدر ٩٦** الكبرى وتغطيتها إعلاميًا بشكل مكثف لتعبئة وطمأنة الرأي العام المصري والعربي من ناحية، وإرسال رسالة قوية رادعة لما تردد من كلمات الحرب وغطرسة القوة الإسرائيلية من ناحية أخرى ولو أنها في المقام الأول مناورة سنوية معتادة يقوم بها الجيش المصري.. ولكن التغطية الإعلامية ونطاق المناورات التي استحضرت سيناريوهات استخدام الأسلحة فوق التقليدية بها كان بمثابة توظيف صراعي لأدوات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني من أجل تحقيق فكرة الردع، ولقد أحدثت هذه المناورة على وجه الخصوص ردود فعل كثيرة على الجانبين الإسرائيلي والأمريكي، فلقد كُتب في الواشنطن بوست مقال بعنوان: «لماذا تقوم مصر بالاستعداد للانقضاض على سيناء؟»، وكانت هناك ردود فعل أخرى مماثلة في الإعلام الإسرائيلي وعلى لسان المسئولين الإسرائيليين، ومثالاً على ذلك ما ورد في «حوارات القدس» التي أجراها عماد أديب مع نتنياهو حين عبر نتنياهو عن قلقه من مثل هذه المناورات من ذات هذا الحجم[١٤] وبهذا المسمى (**بدر**) الذي يعيد للأذهان أول انتصار للمسلمين قديمًا وأول انتصار على اليهود حديثًا، كما حدث في خطة **بدر ١٩٧٣م** التي نفذت في حرب أكتوبر/ رمضان المجيدة.

٧ - حالة نتنياهو وحالة الوسيط الأمريكي

لا شك أن الحالة الصراعية لتحركات دبلوماسية المسار الثاني قد وصلت إلى ذروتها على الجانبين العربي والإسرائيلي بعد انتخاب نتنياهو والذي أوصل الأمور ببناء مستوطنة أبو غنيم إلى حالة الأزمة وأصبح يتردد في الصحافة العربية والعالمية مصطلح «أزمة التسوية في الشرق الأوسط»، ولكن الحقيقة هي أن هذه الأزمة كانت موجودة قبل بنيامين نتنياهو ويصح أن نقول إنها «أزمة مزمنة»، ولكن سياساته هي التي أسرعت بتفاقمها إلى الحد الذي بات يتردد معه كلمة تصفية الصراع بدلاً من تسويته، فالذي فجر الأمور هو بناء مستوطنة أبو غنيم هذه ولكن سياسة الاستيطان هذه لم تتوقف في عهود العمل والليكود، ولعل رقعة تحركات دبلوماسية المسار الثاني في تلك الفترة ومنذ أن تولي نتنياهو السلطة اتسعت واتسعت بالكثافة الصراعية بدءًا من حروب الكاريكاتير والمقالات في الإعلاميْن المصري والإسرائيلي إلى ربط هذا الصراع ورؤيته على امتداد أرض «الوسيط» الأمريكي، فلقد تكررت تلك الصور الإعلامية الكاريكاتيرية التي رُسم فيها وزير الخارجية عمرو موسى وهو يحمل مدفع «آر. بي. جي»، مرة، وهو في صورة الفرعون الذي يطرد اليهود مرة أخرى. وقُدم رسمٌ للرئيس مبارك وهو يقوم بالضغط على جهاز تفجير لتدمير المنطقة بأسرها، وكل هذه الصور الإعلامية ذات التصوير الصهيوني للأمور وأخريات عديدة تعتبر من صور وجهود دبلوماسية المسار الثاني الصراعية التي يوظفها الصهاينة في الإعلام الغربي.. وهناك جانب كبير من هذه الأنشطة الصراعية والحملات يتم تصويبها نحو كل من المملكة العربية السعودية ومصر، ولعل من

المهم هنا أن نسلط الضوء على دافعية ثابتة لمثل تلك الحملات المتكررة ضد العرب وهي تتجسد في المقولة التالية التي أبرزتها روكاش من خلال مذكرات شاريت في كتابها بعنوان «الإرهاب الإسرائيلي المقدس» :

«إن من الأمور العديدة التي خطط لها الصهيونيون في فترة الخمسينيات منع وعرقلة أي صورة من صور التحالف بين الغرب والعالم العربي وخاصة مصر. ولقد كان ذلك ولا يزال هدفًا من أهداف إسرائيل الأساسية، هذا إلى جانب استخدام القوة كطريقة لا بديل لها لأن تصبح إسرائيل القوة المهيمنة على المنطقة العربية بالتعاون مع الغرب كما حدد ذلك بن جوريون...»(١٥).

إن ما ورد أعلاه ليبرر كثيرًا من تحركات دبلوماسية المسار الثاني الصراعية على الجانب الإسرائيلي والتي تهدف إلى عرقلة أي علاقات إيجابية بين الدول العربية والغرب، خاصة إذا اتسمت بضبط معادلات السيادة المتبادلة والتعاون الفعال ولعل ما ذكرناه من شواهد في الحملات الراهنة يستوجب ربطه بالمقولة التي وردت عن روكاش كتعبير عن توجه رئيسي واستراتيجي إسرائيلي – ولعل ما تراه من تكثيف المطالبة بعقاب مصر ومنع أو خفض المعونة الأمريكية لها وتوجيه اللوم لها كعامل وعائق في عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وإلى غير ذلك من الأوصاف التأطيرية التي تعتبر بعيدة عن حقائق الأمور – ولو أنها نيشان على صدر الدبلوماسية المصرية التي تتصدى للحفاظ على الحقوق العربية المشروعة – يمثل تجسيدًا لتفعيل هذا التوجه الاستراتيجي الإسرائيلي الرئيس.... في الجدول رقم (٢) (ص ٩٣) الخريطة الذهنية الكلية التي

تنطلق منها تحركات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائيلية الصراعية خاصة على صعيد الأرض الأمريكية والساحة الغربية بشكل عام.

مفردات وواقع «الوسيط الأمريكي»

إذا كنا قد تعرضنا بإيجاز شديد لما يحدث على الأرض الأمريكية، فمن المهم أن نلقي الضوء على بعض مقولات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني، فمنذ أن بدأت الولايات المتحدة ممارسة دورها في عملية السلام على المستوى الرسمي نجد أنه وعلى الصعيدين الرسمي وغير الرسمي تمَّ وصف هذا الدور الأمريكي بالمفردات التالية:

- السمسار الأمين HONEST BROKER
- العامل المساعد CATALYST
- الوسيط INTERMEDIARY / MEDIATOR
- ميسر أو مسهل الحوار FACILITATOR
- الطرف الذي يقدم قوة الدفع للتفاوض MOMENTUM GIVING PARTY

وإذا كانت هذه المفردات ذات دلالات مشتركة، فإنها تحاول أن تصف الدور الأمريكي بالدور المحايد والوسيط أو العامل المساعد الذي لا يتدخل في التأثير على عملية التفاعل (الكيميائي)، إلا أن الممارسات في أرض الواقع تختلف كثيرًا، فالانحياز الأمريكي خاصة في الفترة الراهنة واستخدام الفيتو الأمريكي مرات عديدة لصالح إسرائيل المنتهكة لكل قواعد ومرجعيات السلام هو انحياز كامل؛ أضف إلى ذلك قرار الكونجرس الأمريكي برصد ١٠٠ مليون دولار لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس في يونية

١٩٩٧م، وكذلك ترك الحبل على الغارب للعابثين على الجانب الإسرائيلي لتدمير كل ما اتفق عليه العالم بعد جهود مستمرة منذ بدء عملية السلام حتى مؤتمر مدريد، والخلاصة هنا، تقول بأننا – ومع ما يحدث على صعيد الممارسة – إذا عدنا لدراسة وتأمل تحركات دبلوماسية المسار الثاني لوجدنا أن تعريفات كل من برتون ومونتقي كونستابل التي أشرنا إليها لتمثل إرساء لقنوات دبلوماسية المسار الثاني البعيدة عن ممارسات أشكال غطرسة القوة POWER POLITICS وأنها محاولات لحل الصراع بطرق إيجابية منطلقة من مبدأ فلنكسب جميعًا، ولا شك أن هناك في داخل الولايات المتحدة من يقتنع بهذه المباراة، ولا شك أنها في حالة الصراع العربي الإسرائيلي أذكى الحلول للطرفين وهي دفع لخسائر ستلحق بجميع الأطراف، ولا شك أننا كعرب يمكننا تحديد العديد من منصات الانطلاق داخل المجتمع الأمريكي لتعظيم دور وفاعلية المؤمنين بهذه المباراة هناك، وعلى مستوى العالم كله لحشد الجهد وإحباط الأجندة العدوانية الموجهة ضدنا، وكذلك فإن علينا أن نعمل بطرق مبتكرة وفعالة لإيقاف التدهور وترك الساحة لمريدي المباراة الصفرية ZERO - SUM GAME الذين يمكن أن يتخلوا عنها إذا كانت لدينا القدرة على إثبات أنها لن تكون صفرية لنا حتى لا يمارسوها، ولعل دراسة تضاريس الأرض الأمريكية الفكرية تتيح لنا تحديد مواقع لمنصات فكرية يمكننا نصبها وتدعيم منصات قائمة قبل أن يأتي عليها أصحاب نظرية المباراة الصفرية في الصراع العربي – الإسرائيلي، ولعل هذا يستحق دراسة تفصيلية أخرى، ولكن بداية نحو بعض مواقع المنصات الفكرية التي تدخل في إطار ممارسة دبلوماسية المسار الثاني بشكل إيجابي نرصد ما يلي:

١ - في مواجهة أربعين مليون يؤمنون بهدم الأقصى ويتغلغلون في نسيج صناعة القرار الأمريكي.

من الذين يضيفون زخمًا وتأييدًا غير مسبوق لحركة التطرف اليهودي ما يزيد على أربعين مليونًا ممن يطلق عليهم «المسيحيون الصهاينة» والذين يتزايد عددهم ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل خارجها عبر أنحاء العالم، وأعضاء هذه الطائفة ممن يؤمنون بأن اليهود هم شعب الله المختار الذي منحه الله الأرض المقدسة، وحيث إن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله سيبارك كل من يبارك اليهود ويلعن كل من يلعنهم، وبالتالي فهم يؤمنون بتأييد كافة ممارسات إسرائيل الدموية والاستيطانية والتوسعية ويشجعون على احتلال المنطقة من النيل إلى الفرات.... أي احتلال خمس دول عربية على الأقل من منطلق تحقيق النبوءة التي يؤمنون بها، وفي سبيل ذلك فإنهم يدفعون بالأمور إلى حد توريط العالم في محرقة نووية، وهنا وطبقًا لهؤلاء المسيحيين الصهاينة، يعود المسيح (عليه السلام) إلى الأرض ثانية وينجو بأعضاء هذه الحركة من الفناء ويصعد بهم دون غيرهم إلى السماء من أرض الناصرة بفلسطين..(١٦).

ولقد كتبت مقالاً رئيسيًا بالأهرام بعنوان «التطرف القادم من الخارج وتوجهه» (١٩/٢/١٩٩٢م)، ولقد رصدت فيه بشيء من التفصيل كيف تمارس هذه الجماعات أنشطتها السياسية؛ والخطورة هنا هي أن العديد من أنصار هذه الحركة آخذون في التغلغل في نسيج صناعة القرار الأمريكي، ولا يخفى أن الرئيس الأسبق رونالد ريجان قد عبَّر عن إيمانه بهذه النبوءة، وكانت في عهده أول أكبر معاهدة استراتيجية تفتح الباب على مصراعيه لإسرائيل من حيث تكنولوجيا الأسلحة والعتاد الحربي...

ولقد بدأت أجراس هذا الخطر تدق من نشاطات «دبلوماسية المسار الثاني» الصراعية والعديدة والتي يمارسها هؤلاء، ومن خلال عشرات المنتديات والكنائس والجمعيات وكلها تستهدفنا في النهاية، ولقد بدأ الإعلام العربي في التنبه لهذا الخطر المحدق وطالعتنا جريدة الحياة بسلسلة من المقالات الخاصة بإبراز هذا البعد ومنها مقالات لجهاد الخازن يعكس فيها مداعبة واندماج صانع القرار الأمريكي مع هذا التطرف، بل لقد رصد مقولات نائب الرئيس الأمريكي الأخيرة التي تعكس أنه والرئيس الأمريكي من المعمدانيين الذين يقرءون النص العبري للتوراة، وأن رأيه في نتنياهو وممارساته الراهنة، أنه يدير السلام بيديه الشابتين النشيطتين، وهو صديقه.. ثم أكد عبرانيته بإنشاد وترانيم عبرية إلى آخره...(١٧).

القضية إذن أن هناك ممارسات على المستوى الرسمي في غاية الخطورة، وهناك ممارسات أكثر خطورة على نطاق دبلوماسية المسار الثاني يتولى إدارة دفتها رسميون وغير رسميين على الصعيدين الأمريكي والإسرائيلي في الوقت الراهن وربما ما نشاهده من إجراءات ما كانت لتحدث على حسابنا بهذا القدر إلا في إطار غياب كبير على ساحة دبلوماسية المسار الثاني الآخذة في أن تكون دبلوماسية ذات طبيعة صراعية حادة، ولكن لابد من مجابهتها وتنظيم صفوفنا وقيادة تحركاتنا بعلم ووعي، وتخطيط وإيمان بنصرة الله لحقوقنا المقدسة وهذا ما سنتعرض له تفصيلاً في الجزء الأخير من هذه الدراسة.

٨ - حالة كوبنهاجن:

لقد فتح ما عُرف بـ«مبادرة كوبنهاجن» أو ما سُمي بـ«التحالف الدولي من أجل السلام» ملفًا كبيرًا للحوار مؤخرًا في واقعنا العربي – ولقد تعاملت مع هذا الملف من خلال دراسة تفصيلية لها سياقها الآخر – ولكن ما يعنينا هنا من استحضار موضوع هذا الملف في إطار هذه الدراسة هو أن محاولة كوبنهاجن هذه تدخل ولا شك في إطار ممارسات دبلوماسية المسار الثاني على الجانبين العربي والإسرائيلي، وهي طبقًا لبعض التصورات قد تكون صراعية جدًا ويشكل غير مباشر من جانب الإسرائيليين الذين يحاولون اختراق جبهة المثقفين العرب وجرهم إلى ما هو أقرب إلى الأجندة الرسمية الإسرائيلية لعملية التفاوض، وقد تكون بمثابة محاولة من جانب المثقفين المشاركين العرب فيها للعمل على دعم اتجاه السلام وحركة السلام الآن وغيرها من طوائف داخل المجتمع الإسرائيلي من تلك التي تميل إلى شرعية الوصول إلى مبدأ الأرض مقابل السلام... وأن المباراة الصفرية القديمة ليست في صالح أحد.

... قد يكون هذا وقد يكون غير ذلك ولكن التحليل الموضوعي يقودنا إلى وجود ظاهرتين سلبيتين بخصوص ممارسة أنشطة دبلوماسية المسار الثاني وهما:

أولاً: غياب التنظيم والإعداد الجيد لمثل هذه الأنشطة مع شيوع ظاهرة اغتصاب عملية التمثيل في واقعنا العربي، ففئة قليلة من المثقفين العرب قد يكون لهم الحق في أن يتحاوروا ويجتمعوا ويمارسوا تشكيل ذهنية العدو في أي اتجاه يتمشى ويتناسب وأجندتنا ومصالحنا الاستراتيجية واسترداد حقوقنا المسلوبة، ولكن

أن يدَّعوا تمثيل كل المثقفين العرب على حين غرة فهذا ما أثار الكثيرين..

* بغض النظر عن وجود شبهات خطيرة حول الإسرائيليين الممثلين ومنهم من له تاريخ أسود في الموساد وإلى غير ذلك فإن ميزة أنشطة دبلوماسية المسار الثاني خاصة عندما تمارس من قبل المثقفين أنها تتيح التحاور مع الآخرين - أيًّا كانوا - بحرية وقوة ودون إعلان اتفاقيات كالتي تتم على المسارات الرسمية وتخرج بهذا الضعف الذي آلت إليه.

سيناريو استنساخ القدس

* إن من مميزات دبلوماسية المسار الثاني أن تطالب بكل ما تريد وتترك الملعب للآخرين بعد أن تكون قد طرحت ما يشكل ذهنيتهم بالشكل الذي قد يجعلهم طواعية يُقنعون آخرين بما طرحته، وهنا نجد الخلل الأكبر فيما حدث في «موقعة كوبنهاجن» حيث وردت عبارات غامضة وضعيفة بخصوص قضية القدس وليس من حق هؤلاء أو غيرهم وخاصة في إطار دبلوماسية المسار الثاني أن يتنازلوا عن أي حقوق خاصة أن ما ورد يقترب من الأجندة الإسرائيلية، وفي توقيت سيئ حيث تدور في الساحة وأروقة السياسة التي لابد أن المشاركين في كوبنهاجن يكونون على وعي بها وهي الخاصة بذلك السيناريو الذي أسميه بـ«سيناريو استنساخ القدس» وهو الذي يتعلق بما يثار عن احتمال إعطاء الفلسطينيين قرية تسمى «أبو ديس» ليسميها الفلسطينيون بـ«القدس الشرعية».

فالأمر إذن قد يصل بهؤلاء المثقفين - دون أن أشكك في وطنيتهم - في أن يتورطوا في تمرير تصفية قضية القدس بدلاً من تسويتها

بشكل عادل أو تعليقها، أوليس الأكرم والأوفى والأذكى أن نقول في مثل سياق دبلوماسية المسار الثاني ما قاله صلاح الدين الأيوبي حينما كان يتفاوض بخصوص القدس، ولا يزال الغرب ينشر مثل تلك المفاوضات، وكيف أن صلاح الدين قد حرر القدس بعد ١٢٠ سنة من احتلال الصليبيين... أليس من باب أضعف الإيمان أن نترك القضية معلقة مع ذكر حقوقنا فيها مهما طال الزمن (بخصوص خطاب التفاوض الخاص بصلاح الدين راجع لكاتب السطور بحث «القدس وإعادة هياكل التفاوض»(١٨)).

ثانيًا: إن الظاهرة السلبية الثانية وهي مع الأسف ظاهرة متكررة هي الانفعال وتوجيه السباب والشتائم والإهانات والتهم والتقوقع في دائرة الإحباط والاتهامات المضادة مع خلط كبير في المفاهيم، ولعل أكبر الخلط الذي وقع هو عن علاقة «المفاوض» بـ«المثقف»، فهذه العلاقة تثار في ملفات تفاعلية عربية عديدة من وقت لآخر، فلقد لاحظنا وجود نوع من الفصل التعسفي الذي لابد أن نزيله ونحن بصدد ما ينقصنا بخصوص مهارات دبلوماسية المسار الثاني، فمثلاً قال الأستاذ فهمي هويدي في مقابلة مع تلفزيون MBC : «إن المثقف ينبغي ويتعين عليه ألا يدخل في آلة المفاوض» (برنامج العالم هذا الأسبوع ١٩٩٧/٢/١٢) وقال محمد سيد أحمد في مقال له في جريدة الأهرام في تفنيد مواقف نفر كوبنهاجن بعنوان: «رب ضارة نافعة» (١٩٩٧/٢/١٢): «إن لقاء كوبنهاجن قد أقيم على التباس وعلى افتراض أنه لقاء بين «مثقفين» بينما باشر عملاً هو أقرب إلى عمل «المفاوضين» وأرى أن التمييز بين الصفتين لا يجوز طمسه أو أن يقع تداخل وخلط على أي نحو، وإلا تعرضنا لمردودات عكسية ذات عواقب وخيمة...».

والنقطة الرئيسية هنا ونحن بصدد الحديث عن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني وأدواته ولاعبيه سواء كان الأمر يتعلق بمبادرة كوبنهاجن أو بغيرها هي أننا بصدد إرساء مبدأ أساسي للتفاعل ومقولة متكررة من أكثر من مثقف ومفكر تقنن الفصل الحاد بين صفة «المفاوض» وصفة «المثقف» وتستدعي أن نأخذها كشيء مسلَّم به، ولكنني أجد من الأهمية أن نختبر هذه المقولة «التقنينية» التي وجدناها بأشكال ومفردات متعددة في تفاعلات: ملف كوبنهاجن وكذلك في ملفات أخرى عديدة سابقة، وهذا يدعونا إلى إجراء مناقشة تحليلية لكل ما يستدعيه أو ما استدعى فصل الصفتين وذلك من أجل فك الاشتباكات الخاطئة وتحرير المفاهيم من أجل تفاعلات أفضل مستقبلاً. والأسئلة التي نحن بصددها حين نختبر هذه المقولة التقنينية هي:

- هل فعلاً أن صفة «المثقف» تختلف عن صفة «المفاوض» خاصة في إطار مفهوم دبلوماسية المسار الثاني؟

وإذا كان ما ورد في تفاعلات ملف كوبنهاجن قد أفادنا برؤية العديد من مثقفينا ومفكرينا لأوجه الاختلاف ووجوب وضرورة الفصل البيِّن بين الصفتين، فما هي يا ترى أوجه التشابه ونقاط الالتقاء؟!

- وماذا عن التعريف الدقيق والتقني لـ«فعل التفاوض»؟ وكذلك لمفهوم «المفاوض» دون اختزال أو تعميم مُخِلّ؟!

سنحاول طرح إجابات واضحة لكل هذه الأسئلة ونحن بصدد تحليل ما ورد في ملف كوبنهاجن بخصوص صفتي «المثقف» و«المفاوض» فيما يلي:

* إذا كنا نتفق مع مقولة الفصل بين الصفتين من حيث إن للمثقف نطاقًا غير رسمي أكثر تحررًا من القيود الدبلوماسية التي يتقيد بها المفاوض الرسمي عادة، وهذا بغض النظر عن مبادرة كوينهاجن بل بصفة عامة.

وإذا اتفقنا أيضًا على أهمية ألا يُدفع بالمثقف في آلة المفاوض فيُبتذل دوره، فلا يتفاعل كما ينبغي أن يكون؛ فإنني من منظور آخر أرى أهمية عدم الفصل بين الصفتين بالشكل الذي ورد في كثير من مقولات ملف كوينهاجن، وأقصد هنا «المثقف» مثله مثل «المفاوض»، فكلاهما يتفاوض ويتعين عليه أن يتفاوض بخصوص ما يراه بمثابة أجندة صالحة للتفاوض من أجل تحقيقها... **ففعل التفاوض هو** فعل يأتي به الجميع تحت كافة الصفات مادام قد انتقل التفاعل من سقف ما نسميه في علم التفاوض بالمبدأ التعاوني "COOPERATIVE PRINCIPLE" حيث تكون هناك هوة كبيرة بين المتحدثين، وتتسم أهدافهم وأجندتهم بالتنازع والاختلاف الحاد الذي يتطلب تسوية ما بين الأطراف أو الخصوم.... وهنا إذا كنا نحرص على انتهاج مبادئ ثقافة التفاوض الإيجابي فعلينا أن ننتهج «المبدأ التنازعي التعاوني» أي علينا أن نتعاون بقدر معقول لحل التنازع والوصول إلى تسوية في أي نوع من أنواع التفاوض وليس السياسي فقط، أما إذا كنا لا نتبنى عناصر ثقافة التفاوض الإيجابي فإننا – وكما يحدث في معظم ملفات تفاعلاتنا – ننزلق إلى معترك «التنازع التناحري» والعياذ بالله.

من هنا نجد من الناحية التقنية أن الفصل بين الصفتين «المفاوض» و«المثقف» هو فصل لا أساس له، فإذا نظرنا إلى ما ورد

من مقولات الفصل بين الصفتين وجدنا قدرًا كبيرًا من التعسف في مثل هذا «التقنين الغريب» فمثلاً يقول محمد سيد أحمد (بالأهرام ١٩٩٧/٢/١٣م):

«إن المثقف يتناول أمورًا لا يتناولها المفاوض، فإنه يتصدى لجذور الصراع، وأسبابه الدقيقة والتنقيب عن الثغرات وكشفها باعتبارها عقبات في وجه تجاوز الصراع»، ويقول كذلك: «إن المفاوض لا يملك الغوص في أعماق الصراع.. وإنما وظيفته ما هو متاح له من فرص، دفاعًا عن قضية الدولة التي يمثلها» ويضيف: «إن المفاوض لا يتحمل شخصيًا مسئولية المواقف التي قد تبدو في رأي قطاع أو آخر من الجمهور تفريطًا ولكن المثقف يتحمل - شخصيًا - مسئولية مواقفه... ومصداقيته يستمدها من استقامة منطقه وقوة حججه إلى آخره»(١٩).

إن مجموع الصفات التي دعت أ. محمد سيد أحمد، وفي الواقع آخرين إلى هذا الفصل ينبغي أن تكون موضع تساؤل واختبار، فعن أي «مفاوض» نتحدث؟! إن كلاً من «المفاوض» الرسمي «والمثقف» المنتمي لابد أن يتحليا بنفس الصفات، فالمفاوض الذي لا يملك القدرة والاستعداد في الغوص في أعماق الصراع والتصدي لجذور الصراع وأسبابه الدفينة وإقامة الحجة القوية والتنقيب عن الثغرات، مثله مثل المثقف لا بد أن يتدرب على ذلك أو يرحل، وألا يمثل الدولة رسميًا إذا كنا بصدد «تقنين» الصفات والأسس والمنطلقات بـ«فكر حر»، وكذلك فإن «المفاوض الرسمي المحترم» يتحمل شخصيًا مسئولية المواقف... وهناك وكما يوجد عشرات المفاوضين الرسميين الذين لا يتحملون المواقف شخصيًا، فإن تاريخ التفاوض مليء

بعشرات الشخصيات الرسمية التي ترى أن تتحمل أو لا تتحمل شخصيًّا.... وأذكركم هنا بموقف وزير الخارجية المصرية الأسبق إسماعيل فهمي الذي رأى تقديم استقالته للرئيس الراحل أنور السادات، وموقف الوزير الأسبق محمد إبراهيم كامل الذي قدم استقالته للسادات أثناء محادثات كامب ديفيد، وكذلك موقف محمد رياض الوزير المصري الذي جاء بعدهما وزيرًا للخارجية، وقد استقال بعد يوم من تعيين الرئيس الراحل أنور السادات له... هذا لأنهم «مفاوضون» رأوا وجوب أن يتحملوا شخصيًا ما يحدث وما يفعلونه. مثلهم في ذلك مثل المثقف الحر المنتمي لإرادة ورؤية وطموحات شعبه أو من يمثلهم، وهذا بغض النظر عن صحة أو عدم صحة ما أقدموا عليه.

إن خطورة الفصل التعسفي الذي أورده أ. محمد سيد أحمد وآخرون وكأننا بصدد «التقنين» هو أن هذا الفصل يؤكد وبشكل تلقائي أن «المفاوض» له الحق في أن يتسم بكل تلك الصفات السلبية التى أظهره بها في مقابل كل تلك الصفات المخالفة التي ينبغي أن يتحلى بها المثقف... إننا ونحن بصدد «التقنين» وإرساء المبادئ لابد أن نوجد الوعي الكافي بأن «المفاوض» الذي يتسم بكل تلك الصفات السلبية لا يصح أن يمثل الدولة أساسًا، أما إذا كنا هنا نتحدث عن «التفاوض» وعن «السياسة» من منطلق مقولة «فن الممكن» فإن لهذا الممكن مساحات متفاوتة... وقد لا يحاول «المثقف أو المفاوض» استغلالها وتوسيعها وقد يحاولان.. وهنا يكمن الفرق بين مثقف وآخر ومفاوض وآخر فـ«فن الممكن» هذا يمكن أن يكون ستارًا للتخاذل والاستسلام كأن نقرأ مقالاً لأحد المثقفين يتحدث باختزال

شديد عن استحالة المواجهة بشكل مطلق مع إسرائيل وآخر يقول إن من يقاوم التطبيع يكون «متخلفًا عقليًّا».... ولكن الفهم الصحيح لـ«فن الممكن» هذا لابد أن يعني أنه «من الممكن» أن ننشئ السوق العربية المشتركة... ومن الممكن أن توجد قيادة عسكرية عربية موحدة لردع كل من تخول له نفسه الاعتداء على الأرض والمقدسات... كل هذا ممكن «ولكن فليتفاوض المتفاوضون العرب لتحقيقه... سواء كان المفاوض هنا (المثقف) أو (المفاوض الرسمي)، فإن النقطة الرئيسية هنا هي أن كلاً من (المثقف) و(المفاوض) يتفاوضان. ولكن الأمر يتطلب أن يكون للمثقف مساحة أوسع، فالمثقف هو المنوط به أساسًا أن يتحمل العبء الأكبر أو يقوم بإدارة أصعب أنواع التفاوض وهو تفاوض إعادة الهيكلة "NEGOTIATION FOR REDISTRIBUTION" لتغيير ذهنية ودافعية وإدراك الكثيرين فيما يتعلق بقضايا تفاوضية في كافة المجالات من تلك التي تتطلب تغيير السلوك نحو الأصوب ونحو المتطلبات التي تتطلبها التغيرات السريعة والتقدم المذهل على أصعدة التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والإداري والسياسي، وفي جهده هذا عليه أن يتفاوض ويدير عمليات التفاوض الجمعي COLLECTION NEGOTIATION بتعقيداتها مستندًا إلى فكر واضح ومبادئ سديدة، وعليه أن يكون قادرًا على استيعاب تقنيات التفاوض وألا يقع ضحية سهلة لعدم إدراكه بهذه التقنيات علمًا وممارسة» وفي هذا الإطار كما أوضحت تفصيلاً وفي سياقات سابقة عديدة... عليه أن يقوض دعائم الفكر الإطلاقي فيما يتعلق بالقضايا النسبية، فليس الأمر كما ينادي البعض في حديثه عن «المثقف» بأنه إذا كان مثقفًا عضويًّا فعليه أن يصطدم بالسلطة وأن يبتعد عن المواقف الرسمية، وهذا فكر إطلاقي،

فالمطلوب هو أن تنضبط حركة المثقف طبقًا لمبادئ واضحة وقد تتوافق مع السلطة تارة، وتتعارض تارة أخرى، وتواجهها إيجابيًا تارة وتواجهها سلبيًا تارة أخرى، فالعبرة في المساهمة الفعالة فيما يراد تحقيقه من خير وانطلاق نحو الأهداف الصحيحة والمطلوب تحقيقها قبل أي شيء آخر... فهذه الإطلاقية المقيتة فيما هو نسبي، هي مكمن الخطر، وعليه أن يتعامل معها لإحداث تجاوز مجتمعي، فالمشكلة التي تواجه المثقف فعلاً هي أن نسبة عالية جدًا من التفاعلات في واقعنا العربي تتسم بتسلط إطلاقي مقيت... فإما أنك معي أو ضدي... إما أنك مخلص أو عميل، إما أنك مُتزلف للسلطة أو أنك مارق عليها.. إما أنك حليفي أو متآمر.. إلى آخره، على منوال: إما أبيض وإما أسود. مع تجاهل كافة ألوان الطيف الأخرى... ولعل نظرة على الكثير من ملفات تفاعلاتنا تعطينا أمثلة تجسد هذه الإطلاقية، ولعل من المهم أن أشير إلى بعض هذه الأمثلة التي لا تزال تهيمن على ساحة تفاعل المثقفين مع الأسف، فلقد ندرت المقالات التي تفند وتقوم وتذهب إلى ما ترى أنه الرأي الأصوب دون تجسيد هذه الإطلاقية في قضايا جدالية بطبيعتها... أما إذا عدنا إلى أمثلة من ملف كوبنهاجن لرصدنا العبارات التالية التي وردت بخصوص المشاركين في تلك المبادرة، فعلى سبيل الانتقاد الحاد جاءت عبارات مثل.... **«إنهم إما في خانة السياسة أو الفهلوة أو الخيانة وإما أنهم من أصحاب الأوهام الدافئة أو أنهم يلعبون دور المراهق المقلد لأبيه»** (الحياة ١٠/٢/١٩٩٧م).

وعلى سبيل المدح جاءت تلك العبارة بخصوص المشاركين في مبادرة كوبنهاجن **«إنهم وطنيون من الدرجة الأولى»** (الأهرام

١٢/٢/١٩٩٧م)، وعلى سبيل «إبداء الرأي الحاد» وردت هذه الجملة التالية: «**إن الذين يعارضون التطبيع متخلفون عقليًا**» (عبدالعظيم رمضان – المصور ١٤/٢/١٩٩٧م).

إن من الجهد التفاوضي ذي النطاق الأوسع والذي يُناط بالمثقف إحداثه في تفاعلاتنا الداخلية أولاً أن نتجاوز كل عناصر الاشتباكات الخاطئة التي يستفيد منها الأعداء والخصوم في المقام الأول، ونخسر نحن بها الكثير. إن على المثقف أن يعمل على تقديم السلبيات وألا يساهم بشكل أو بآخر في تعميق سلبيات التفاعل الشائكة على صعيد التيارات المختلفة الفاعلة.. إن عليه أن يتفاوض من أجل الخروج بهذه التيارات والانتقال بها مما يُسمى في علم التفاوض بـ«دائرة المصالح الآنية والضيقة» (CIRCLE OF IMMEDIATE INTEREST) إلى دائرة التأثير الإيجابي بعيد المدى

. (CIRCLE OF POSITIVE INFLUENCE)

«المفاوض» و«المثقف» وتلك «المظلة الإعلامية»!

لا شك أنه من الأهمية بمكان أن نلقي الضوء هنا على أرضية أخرى وقع فيها الخلط المتعسف من أجل الفصل بين «المثقف» و«المفاوض» وهي ما ورد بخصوص «الحقيقة الوهمية» "VIRTUAL REALITY" ، حيث ورد بملف «تفاعلات كوينهاجن»: «إنه في حالة كوينهاجن من الممكن إساءة استخدام دور المثقف والإيحاء بأن هناك تحالفًا عربيًا/ إسرائيليًا من أجل السلام... وكلمة (التحالف) نوع من المغالطة والخداع، فهذا وصف ترحب به (.C.N.N) مثلاً للإيحاء بأن مثل هذا (التحالف) وارد قيامه، بينما تُحجم

وسائل الإعلام العالمية عن نقل حقيقة ما يجري في الساحات العربية والاستنكارات المتكررة من قبل هيئات عديدة لفكرة وقوع (تحالف أصلاً) وهكذا تصبح الحقيقة الوهمية "VIRTUAL REALITY" التي تذيعها شركات الإعلام هي (الحقيقة) بينما يصبح ما يجري في الشارع العربي هو مجرد ادّعاء!» (الأهرام ١٣/٢/١٩٩٧م).

إن ما ورد أعلاه ليوضح ويصدق ما تفعله وتحاول فعله وسائل الإعلام الأجنبية فهي تترصد وتمارس العديد من ألوان التأطير والاختزال والبتر لصالح أجندات معادية لنا في المقام الأول... ولكن هذا الأمر يتخطى بكثير مبادرة كوبنهاجن على وجه الخصوص، فالأمر يتعلق هنا بمبادرة أكبر حجمًا ومساحة أكثر اتساعًا، فالمظلة الإعلامية الغربية هذه تتساوى مع «المظلة النووية» في إحداث تأثيرات عميقة... فكل من «المفاوض الرسمي» و«المثقف» قد يعانيان كثيرًا من أداء هذه «المظلة الإعلامية» فهي تختزل وتبتسر مقولات المفاوض الرسمي وكذلك «المثقف العربي» سواء كان هذا المثقف من المشاركين في إعلان كوبنهاجن أو ذلك المثقف الذي يعارض ويرى أن ورقة التطبيع هي ورقة يجب أن يُحرم منها العدو إلى أن يتحقق السلام العادل... إن الأمر إذن هو أكبر بكثير من مبادرة كوبنهاجن... والأمر يتطلب دائمًا ألا يكون بأسنا شديدًا فيما بيننا، بل إن على كل من «المثقف» و«المفاوض» بكل ذلك الذي يجمعهما أو بكل ذلك الذي قد يفصل بينهما أن يتعاونا معًا على صعيد العديد من القضايا، وبمناسبة هذه «الحقيقة الوهمية» وتلك «المظلة الإعلامية»، فإن عليهما أن يتعاونا من أجل ترسيخ استراتيجية إعلامية عربية تواجه أو على الأقل تحد من التأثير السلبي والكبير لتلك المظلة

الإعلامية الغربية... إن عليهما أن يتعاونا ويتنسيق حكيم، وعليهما أن يتحليا بكل صفات المفاوض الفعال على النطاقين الرسمي وغير الرسمي، وأن يتحركا من منطلق التعبير عن تجسيد قيم وثقافة الحضارة العربية الإسلامية الأصيلة التي تنطلق من مفهوم ما يمكن أن نسميه «بالأخلاقيات التي ينبغي أن تكون»، أو بالإنجليزية علينا أن نستخدم مصطلح الـ "VIRTUAL ETHICS" في مقابل «الحقيقة الوهمية» "VIRTUAL REALITY" ، فهذا المنطلق ينبغي أن يمثل أحد أسلحتنا الفعالة التي نتسلح بها في لم الشمل داخليًا، وكذلك في المواجهة الخارجية مع حضارات المادة والهيمنة وغطرسة القوة والمعايير المزدوجة.. فليكن التعاون دائمًا فيما بيننا من منطلق أمة تبني الإخاء وترد كيد المعتدين.. والله ولي التوفيق.

٩ - حالة توظيف الأفلام الوثائقية في الصراع العربي - الإسرائيلي من منظور دبلوماسية المسار الثاني

لعل من أهم أدوات الإعلام الحديث في سعيه لصياغة ذهنية الآخرين – استخدام الأفلام الوثائقية. وعادة إذا كان مدير الصراع يريد إظهار الحقائق فهذه الأداة هي وسيلة ليقول للعالم: «ها هي الحقائق تتكلم»، ولكن في حالة الصراع العربي – الإسرائيلي وجدنا أن هذه الأداة تبتذل مع الأسف ووجدناها تجسد مفهوم «تزييف الحقائق» في إطار «أفلام وثائقية إسرائيلية وغربية منحازة»... والمشكلة الحقيقية تكمن في أننا من واقعنا العربي، وفي قنواتنا الفضائية لم ننجح بعد في تقديم أفلام وثائقية تجسد ما حدث بالفعل وتكون الأقرب إلى ذلك ولابد أن تتم في إطار من تصورات السيناريوهات القائمة التي نريد تفعيلها وبعيدًا عن تلك التي يحاول

العدو تفعيل أسوأ ما فيها وهو «سيناريو التفكيك والبلبلة والفتن».
وهذا ما سنقدمه بالتفصيل في الفصل الرابع التالي، ولكن لعلي أقدم هنا ذلك المقال الذي كتبته في صحيفة الأهرام، وأنا أتفاعل مع رؤية واحد من الأفلام التي قدمتها إحدى القنوات الفضائية العربية وكانت كما يلي:

وقفة مع برنامج إعلامي حول إسرائيل في ٥٠ عامًا

أذاعت محطة فضائية عربية الفيلم التسجيلي الذي أعدته الإذاعة البريطانية عن وقائع الصراع العربي – الإسرائيلي بعنوان «العرب وإسرائيل ٥٠ عامًا من الصراع» مؤخرًا.. ومع احترامنا للاجتهادات التي تقوم بها هذه المحطة الفضائية ولأدائها المتميز في عدد من البرامج التي تقدمها... فإن هذا البرنامج يحتاج إلى مناقشة موضوعية وخاصة أن موضوعه يهم كل عربي من الخليج للمحيط وأنه يذاع في توقيت خاص حيث أصيبت عملية السلام بالجمود... ولعلنا نقول أولاً إن البرنامج قد نجح فيما يلي:

١ – أنه رصد وقائع مريرة يعرفها جيدًا كل عربي بشكل أو بآخر بخصوص نكسة/ هزيمة ١٩٦٧م، إلا أنه قد أضاف معلومات عن حجم «المؤامرة الكبرى» التي شارك الاتحاد السوفيتي فيها ضدنا مع تصوير السذاجة الكبرى من حياتنا في الوقوع في فخاخها... ولا نناقش هذا الأمر المأسوي هنا..

٢ – ذكَّرنا هذا البرنامج بشهدائنا وجسامة الخسائر التي ألحقت بنا في ١٩٦٧م.. نعم الأمر بسبب حماقتنا قبل أن يكون لتفوق إسرائيل «التي لا تقهر».. ولكن الفيلم «الوثائقي» مر «بالتصوير البطيء» أمام الهزيمة المؤسفة! أكثر من أي شيء آخر!!

٣ – نجح الفيلم في توضيح تفاصيل في عمليات التفاوض والتساوم التي حدثت في مشاهد عديدة وربما من أطرفها اكتشاف برجينسكي أن مناحم بيجين «مفاوض كذاب» من خلال قصة لها طرافتها.. إلخ.

ولكن ما لم ينجح فيه هذا البرنامج نهائيًا.. بل ما يفسد كل هدف منه يتمثل فيما يلي:

– أنه وفي الوقت الذي ركز فيه على هزيمة ١٩٦٧م، وما أحدثته من خسائر وآثار، فلقد اختزل العديد من الأمور الحيوية التي ما كان لبرنامج عربي في قناة فضائية عربية أن يختزلها بهذا الشكل المتعسف، وهذا يتمثل في الآتي:

– في الوقت الذي يبدأ الجزء الثالث (١٩٩٨/٤/٢٥م) بمقولة هذا المذيع الذي يعلق على صورة فيلمية لجولدا مائير فيقول: «... زارت جولدا مائير قواتها بصحراء سيناء بالقرب من قناة السويس بينما القصف المدفعي يتواصل..»، فيظن المشاهد أن هذه الصورة الشجاعة للعدو ستتوازن بعد حين بأن يذكر الفيلم مثلاً شيئًا عن الشهيد عبدالمنعم رياض على سبيل المثال لا الحصر، الذي استشهد عند حافة قناة السويس وهو يدير أشرس المعارك ضد العدو في حرب الاستنزاف... إلا أن الفيلم اكتفى بـ«شجاعة جولدا» دون أي ذكر لمرحلة حرب الاستنزاف التي استمرت شهورًا طويلة مارست فيها قواتنا الباسلة كل ألوان البطولة بدءًا بتدمير إيلات المدمرة، وانتهاء بتدمير ميناء إيلات الإسرائيلي ثلاث مرات متتالية...!!

– اختزل الفيلم أمر محاصرة ثغرة الدفرسوار الإسرائيلية غرب القناة مع عدم الإشارة إلى أن قواتنا العربية المصرية الباسلة كانت على

وشك أن تبيد هذه الثغرة تمامًا إلا أن تهديدات كيسنجر المباشرة بتدخل البنتاجون في حالة تدميرها والاعتراف للسادات بقدرة قواته على تدمير الثغرة قد حال دون ذلك. هذا بالإضافة إلى ماراه السادات أنها ستؤدي إلى مزيد من حمامات الدماء التي تتعارض ومحاولات الحل السلمي وانتهاجه..... المشكلة هنا تكمن في أن الفيلم وبدلاً من أن يركز على حقيقة ما حدث في الثغرة فهذه فرصة أي فيلم موضوعي عن الأحداث، فإذا به يكتفى بإظهار فيلم عن نشوة شارون بعبور قواته إلى غرب القناة.. (حيث المصيدة)، ويكتفي بإظهار بعض الفلاحين المصريين العزَّل من السلاح غرب القناة ممن رفعوا العلم الأبيض استسلامًا... ثم قفز بعد ذلك إلى مشهد فك الاشتباك وتسليم عشرات الجثث الملفوفة بالعلم المصري لشهدائنا الأبرار!!... أين «على الأقل» التوازن؟!

أين مشهد عشرات الأسرى الإسرائيليين؟! أين جثث موتاهم التي سلمت لهم على مدى تلك الفترة وأثناء تعمير القناة والتي كانت تذكرهم حقيقة ما حدث بل ورؤى العدو نفسه بأن ثغرة الدفرسوار كانت أكبر مأزق وأكبر مصيدة دخلها العدو الإسرائيلي؟!

.. إذا كان البرنامج يدعي في الدعاية القبلية له أنه يذيع أسرارًا لأول مرة فأين ما قامت به قوات الكوماندوز المصرية والجزائرية والمغربية غرب القناة والتي جعلت وجود العدو بغرب القناة جحيمًا لا يطاق؟!

أين المعلومات عن ملحمة السويس ومنع العدو من احتلالها رغم عدم وجود قوات كافية.... بل كانت هناك وحدة قليلة العدد وأغلبها من المقاومة الشعبية؟ لقد رأى الفيلم أن يصور فقط بعض الفلاحين

العجائز والغلابى العزَّل من السلاح؟!! هل هذا برنامج عربي في قناة فضائية عربية؟! لقد تمكن القائمون على البرنامج من إنفاق المال الوفير من أجل حوار مع هنري كيسنجر وغيره في أمريكا.

وكنت أتمنى أن يقرأ معد الفيلم ما كتبه كيسنجر في كتابه بعنوان «سنوات الغليان»، الذي سجل فيه وقائع في غاية الأهمية يعترف من خلالها بالتهديد الذي وجهه للسادات. إذا ما أقدم على تدمير الثغرة... واعترافه بأن السادات قد تمكن من «تشنيج» وتثبيت وقف إطلاق النار ليتمكن من محاصرة الثغرة، وذلك بطلب للاتحاد السوفيتي بالوجود غرب القناة ولأمريكا بالوجود بشرق القناة حتى تحركت القوات السوفيتية استجابة له بعد أن طردها من مصر وكانت تنتظر أي فرصة لتعود مرة أخرى إلى المنطقة فتسبب في إعلان حالة الطوارئ النووية، ولعب على حبال تثبيت القوتين العظميين لبعضهما، خاصة بعد نزول معدات وقوات أمريكية إلى أرض المعركة وقتال قواتنا لمدة عشرة أيام كاملة لهذه القوات... وهو الأمر الذي أغفله الفيلم تمامًا.

.. كنت أتمنى أن يسأل معد البرنامج كيسنجر عما كتبه ليظهره في وجه الدعاية الإسرائيلية السافلة التي زيفت التاريخ وتدوينه وكتبه!!

لقد اشتكى وانتقد تشومسكي عدم وجود رؤية تأريخية مدونة لأحداث الحرب والصراع من وجهة نظر عربية (حوار مع كاتب السطور من أخبار الأدب) (٣/١٠/١٩٩٣م).. وكان مثل ذلك الفيلم فرصة لنا لا علينا!!

٢ – أن النقد الأهم هو أن أي برنامج إعلامي حتى وإن ادعى «أنه وثائقي لا يتدخل!!» فإنه لابد أن يكون له هدف... إن هدف مثل

هذا البرنامج كان لابد أن يدخل في إطار دبلوماسية المسار الثاني التي ينبغي أن تستغلّ، خاصة بعد جمود المسار الأول بتشكيل «ذهنية العدو في اتجاه أهدافنا الاستراتيجية» فهذا العدو عندما نذكره من خلال مثل هذا الفيلم بخسائره وكيف أنه هزم، وكيف أنه عندما صدق كذبه وعاش في أوهامه.. فإنه أفاق على أوضاع تنفجر وهزيمة تلحق به... وإذا كان هناك احتلال وتدنيس للأرض فلقد كان هناك تطهير وتحرير بإذن الله... أين تكثيف هذا البعد في فيلمنا العربي؟! المشكلة الحقيقية أن الفيلم أخفق في استيعاب ما ينبغي أن تكون عليه دبلوماسية المسار الثاني والاستخدام الفعّال لها وأهم معطيات هذه الدبلوماسية التي يأتي الإعلام ومثل تلك الأفلام كأهم أدوات لها. كان من المفترض أن نقدم من خلال مثل هذا الفيلم إجابات للأسئلة التالية المهمة في إطار صراعنا الممتد مع إسرائيل:

١ - كيف صور العدو أحداث الحرب والصراع خاصة انتصار أكتوبر رمضان ١٩٧٣م؟ وهنا سنجد التزييف الكبير للأحداث التي يهدف منها العدو إلى إلحاق اليأس بنا وسحب ورقة أن يهزم ويسحق في المعارك؟ فهل قاومنا هذا التزييف في هذا الفيلم بالشكل اللائق أم تركناه جانبًا؟! مع الأسف لقد تم تصوير نقاط الاختلاف في رؤية وتدوين التأريخ على نحو يقترب من وجهة ومقولات العدو دون أن نشعر!!

٢ - ماذا عن دبلوماسية المسار الثاني التي يوظفها العدو والتي تهدف إلى التأكيد على أن العرب ظاهرة صوتية يتناحرون دائمًا.. لا يمكنهم التوحد على الرأي.. التناقض سمتهم؟... ماذا

فعلنا تجاه هذا الأمر؟! مع الأسف اختزل الفيلم عظمة التوحد التي حدثت في ١٩٧٣م ومحا استخدام سلاح البترول، وأظهر التناقض الداخلي بشكل مؤسف، ولقد ظهرت «بشائر النجاح» عندما أصدر الديوان الملكي الأردني بيانًا يستنكر ما ورد بخصوص الأردن... كنت أتمنى مثلي مثل الملايين الذين شاهدوا الفيلم أن نشعر بأن هناك تصحيحًا للزيف الإسرائيلي والعمل على استفاقة هذا العدو بإظهار حقائق الصراع التي زيفها حتى يتوقف عن استخفافه بنا، وكنت أتوقع أن نظهر أكثر الأوجه الإيجابية المشرقة للتضامن بدلاً من إظهار التناقض وصور الهزيمة، بل وصور تخدم العدو دون قصد طبعًا!!

لابد لإعلامنا أن ينهض ويتحرك ويتغلب على سلبيات الماضي. والله ولي التوفيق. (كاتب السطور – الأهرام ٦/٥/١٩٩٨م).

١٠ - حالة الفيلم الوثائقي «روح شاكيد» «فخ الإعلام» وملف «الأسرى الإسرائيليين»!

السؤال المركب الذي سأتناوله في هذا المقال بشيء من التحليل الأولي يتمثل في الآتي: هل وقعت معظم دوائر الإعلام المصري في فخ الفيلم الوثائقي الإسرائيلي بعنوان «روح شاكيد»؟!

... بمعنى آخر هل أدار الإعلام المصري في رده على ذلك الفيلم الوثائقي ما كان ينبغي وأن يكون بؤرة التركيز الأساسية لديه... وأقصد هنا هل أدار إعلامنا ملف الرسالة الجوهرية التي كان ينبغي أن يديرها، أم أنه تعامل مع أحد أبعاد الرسالة الإعلامية الإسرائيلية فقط وهي الخاصة بـ«سفالة وانحطاط الطبيعة العدوانية الإسرائيلية في حق الأسرى المصريين في نكسة عام ١٩٦٧م»؟!

الإجابة أن معظم دوائر إعلامنا – إن لم يكن جميعها – قد أدارت جانبًا واحدًا من الرسالة الوثائقية الإعلامية الإسرائيلية وحوَّلت الأمر نحو وزارة الخارجية المصرية – وهو أمر مطلوب بلا شك – حيث علت أصوات مطاردة المجرمين... – أي مجرمي الحرب الإسرائيليين – وعلى رأسهم هذه الأيام بمناسبة الفيلم المدعو بنيامين بن إليعازر وزير البنية الإرهابية الإسرائيلية.. وهذا حق يكفله القانون الدولي وتكفله كل المعاهدات الدولية، ولابد من إكمال هذه المسيرة المشروعة بعد استيفاء كل ما تتطلبه من أدلة دامغة... ولكن أود أن أركز في هذا المقال عمَّا أغفلته وسائل إعلامنا في إدارة «أزمة هذا الفيلم الوثائقي»... وكان لها أن تتنبه له من الوهلة الأولى... وهو الأمر المتمثل في التعامل مع ما أسميه بـ«حرب الأفلام الوثائقية». أو «حرب تشكيل الذهنية النفسية في الصراع العربي – الإسرائيلي الممتد» والتي لم تكف إسرائيل عن تخفيض وتيرتها الشديدة العدائية والاستفزازية والتي يغذيها أنصار الترسانة الأيديولوجية الصهيونية التي ترفض الوصول إلى تسوية مع الشعب الفلسطيني، والتي ينادي متطرفوها، كما أورد ذلك عالم اللغويات الشهير نعوم تشومسكي في كتابه بعنوان «المثلث المحتوم»، «بأن تعيد إسرائيل احتلال سيناء وبإلغاء معاهدة السلام مع مصر والتي أخطأت إسرائيل – على حساب كلام أوديد يونين – بتوقيعها مع السادات»، لابد وأن نتعامل هنا مع السياق الأوسع نطاقًا الذي يمثل هذا الفيلم الوثائقي جزءًا صغيرًا منه... وهذا السياق الأوسع – حتى في ظل «السلام» – هو أن تركز إسرائيل على زرع روح ونتائج معارك نكسة ١٩٦٧م التي نعرف جميعًا أننا لم نقاتل فيها العدو الإسرائيلي، وكانت مهزلة معروفة وتغلبنا بعون من الله عليها، وقمنا بشن

حربين لرد الاعتبار والانتقام لشرف الأمة وشرف العسكرية المصرية... كانت الحرب الأولى هي التي شنها الرئيس عبدالناصر وسميت بحرب الاستنزاف والتي يعترف كل المحللين الموضوعيين بأنها كانت «حربًا شرسة» لم يتم تكبيد العدو فيها أكبر الخسائر فقط بل كانت رسالتها الواضحة هي القول وبطريقة عملية «ألف لا» لما قاله موشي ديان وزير دفاع العدو في ذلك الوقت من أن الجيش المصري لن تقوم له قائمة حتى ولو بعد خمسين عامًا، قال ذلك عقب نكسة ١٩٦٧م، حيث كان من نتائج تلك الحرب كذلك إجراء تدريبات عملية على طول الجبهة لقواتنا الباسلة البرية والجوية والبحرية وقوات الكوماندوز المصرية التي أرهقت وأرقت قوات العدو، وكانت تعود بالأسرى من داخل وخلف قوات العدو...

لقد مهدت هذه الحرب المشروعة التي كنا نستعد فيها لتطهير تراب سيناء من دنس العدو إلى الحرب التالية المشروعة بكل المواثيق، وهي حرب أكتوبر/ رمضان ١٩٧٣م التي كان من نتائجها انسحاب العدو من سيناء وتدمير ١١ مستعمرة أو بمعنى أصح «بؤرة احتلال» أقامتها إسرائيل من باب الإقامة إلى الأبد في سيناء، وهنا رد الراحل أنور السادات على مقولات زعماء وأعلام إسرائيل حين قال، وكما ورد في كتاب الراحل الكبير المشير الجمسي، رحمه الله ورحم كل من ساهموا في انتصاراتنا: «إن حرب أكتوبر هى آخر الحروب»، وكان يرد في ذلك على مقولة ديان التي قالها عقب حرب ١٩٦٧م بـ«أن حرب يونيو ١٩٦٧م هي آخر الحروب لأن الجيش المصري لن تقوم له قائمة».

وكان الخطاب السياسي الإعلامي المصري متيقظًا لمفردات ذلك الخطاب السياسي الإعلامي الإسرائيلي... فبعد أن سمَّت إسرائيل حرب

يونيو ٦٧ بـ«حرب الأيام الستة» من باب إضعاف الروح المعنوية لدينا وإعلاء الروح المعنوية لجنودها... أي من باب القول «إننا أفقدناهم توازنهم في ٦ أيام»... هنا يجيء رد القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات عقب عبور قواتنا لقناة السويس وتدمير خط بارليف وتدمير مئات الدبابات والطائرات وأسر جنود وقادة العدو في معارك باسلة سطَّرت أمجد لحظات العسكرية المصرية... قال السادات حينذاك: «لقد أفقدنا العدو توازنه في ست ساعات»، وهي المدة التي عصفت بها قواتنا بكل الحواجز والموانع واحتلت في ٦ ساعات خط بارليف على طول جبهة قناة السويس (١٨٠ كيلومترًا)... ثم جاء بعد ذلك يوم الخامس من يونيو لنختاره ليكون يوم إعادة افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية ولخير الدنيا من أرضية المنتصر المحرر... المشكلة هي أن إسرائيل لا تزال تريد أن تغذي «روح هزيمة يونيو»... وأن تزيف كل نتائج حرب أكتوبر... إنها تريد أن تنسى تلك الأيام بكل طريقة... ففيلم «روح شاكيد» والذي نشر نصه بعد تفريغه يوضح أنه فيلم «ذكريات محاربين» وتحليل النص يوضح أن الهدف المختفي وراء روح النقد الذاتي الظاهرية ما يلي:

١ - إعلاء ذكرى البطولة «الجبانة» لوحدة كوماندوز (شاكيد) الإسرائيلية.

٢ - أن وزير البنية الإرهابية يذكـــــر أن لهذه الوحدة دورًا كبيرًا في إعطاء الأمان لإسرائيل خاصة في حرب الاستنزاف.

كما أن هذا المشهد آخر المشاهد... لماذا لم يتجرأ الفيلم على ذكر دور هـذه الـوحـدة في حـرب ١٩٧٣م المجيدة... الـقضـيـة أن إدارة مباريات الإعلام الإسرائيلي ترمي إلى إعلاء صورة ١٩٦٧م فقط

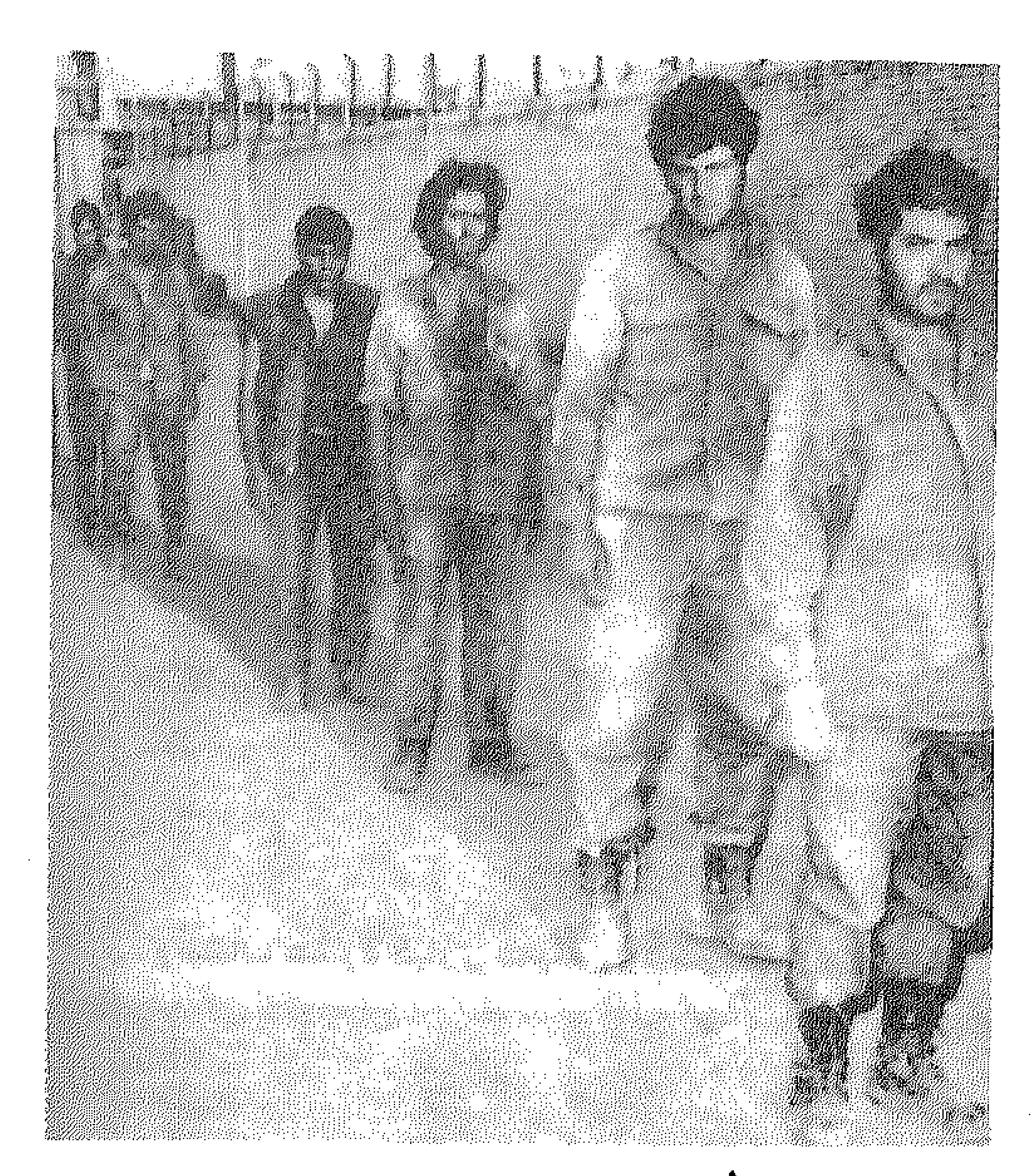
وتزييف أو تجاهل نتائج حرب أكتوبر... وآخر «نكتة إعلامية» كانت على غرار ما حدث في كتاب مثل كتاب الإعلامي المتصهين ج جولد بيرج بعنوان «القوة اليهودية» والصادر في عام ١٩٩٦م والذي يسرد تاريخ الصراع في الشرق الأوسط، فيتذكر التاريخ حتى يونيو ١٩٦٧م، وبدلاً من تزييف نتائج حرب أكتوبر قرر الكاتب هذه المرة أن ينسى أن هناك حاجة اسمها نصر أكتوبر/ رمضان ١٩٧٣م من أصله؛ السؤال الموجه لمعظم دوائر إعلامنا خاصة لتلك الصحف التي نشرت صفحات من صور مهينة للأسرى المصريين مضخمة على نصف صفحة أو صفحة كاملة... هل وقعتم في فخ النظرة الأحادية التي أراد أن يزرعها الفيلم الوثائقي؟!! هل وقفتم على المريع الذي تريده الدعاية المعادية – دون قصد بالطبع –؟ وهي زرع روح اليأس والهزيمة!!

لو كنت رئيسًا لتحرير هذه الصحف لكنت فعلت ما يلي: نعم كنت سأقدم المضمون الغاضب المصري المشروع لكل قطاعات الشعب ولكل تفاعلات مجلس الشعب الغاضبة والمشروعة... ولكنني كنت سأقوم بنشر صفحات أكبر لمشاهد الأسرى الإسرائيليين.... لمئات الأسرى من الطيارين والقادة والجنود، وكنت سأعيد صورة تسليم نقطة حصينة ينزل فيها القائد الإسرائيلي علم إسرائيل ويؤدي تحية عسكرية للقائد المصري بينما يرتفع العلم المصري وينزل العلم الإسرائيلي من على بقعة طاهرة من أرضنا.

كنت استعدت لحظة تسليم عساف ياجوري الذي دمرنا كل قواته المدرعة التي حاولت رد قواتنا من شرق القناة... عشرات وعشرات الصور التي من شأنها أن تؤكد على أهمية استخدام حرب أكتوبر

كأداة من أدوات الردع الاستراتيجي... وكان الرد الأمثل هو تلك الصورة التي حكى عنها أحد الأسرى الإسرائيليين عندما اقتحم ضابط مصري نقطة حصينة واختبأ قائد الوحدة الإسرائيلية وأخرج من مخبئه صورة له ولزوجته ولطفليه وطالب بعدم قتله ليعود لأسرته، فما كان من الضابط المصري إلا أن يستجيب لنداء الاستسلام الإسرائيلي... جاء هذا في اعترافات أسير إسرائيلي ظهر على التليفزيون المصري منذ سنوات طويلة... كان ينبغي لدوائر إعلامنا التذكير بما تحاول إسرائيل أن تمحوه من الذاكرة لرفع معنويات جنودها الذين هزموا في حرب لبنان، وحرب أكتوبر واهتزت ثقة المؤسسة العسكرية بنفسها فحاولوا رفع معنوياتهم وتصدير صور اليأس لدينا؛ علينا أن ننتبه وأن نسارع إلى كل ما يؤدي إلى إنهاء الاحتقان وطرد «روح شاكيد» ومعها «روح يونيو ١٩٦٧م» والحفاظ على روح أكتوبر/ رمضان ١٩٧٣م على كافة الأصعدة. والله ولي التوفيق.

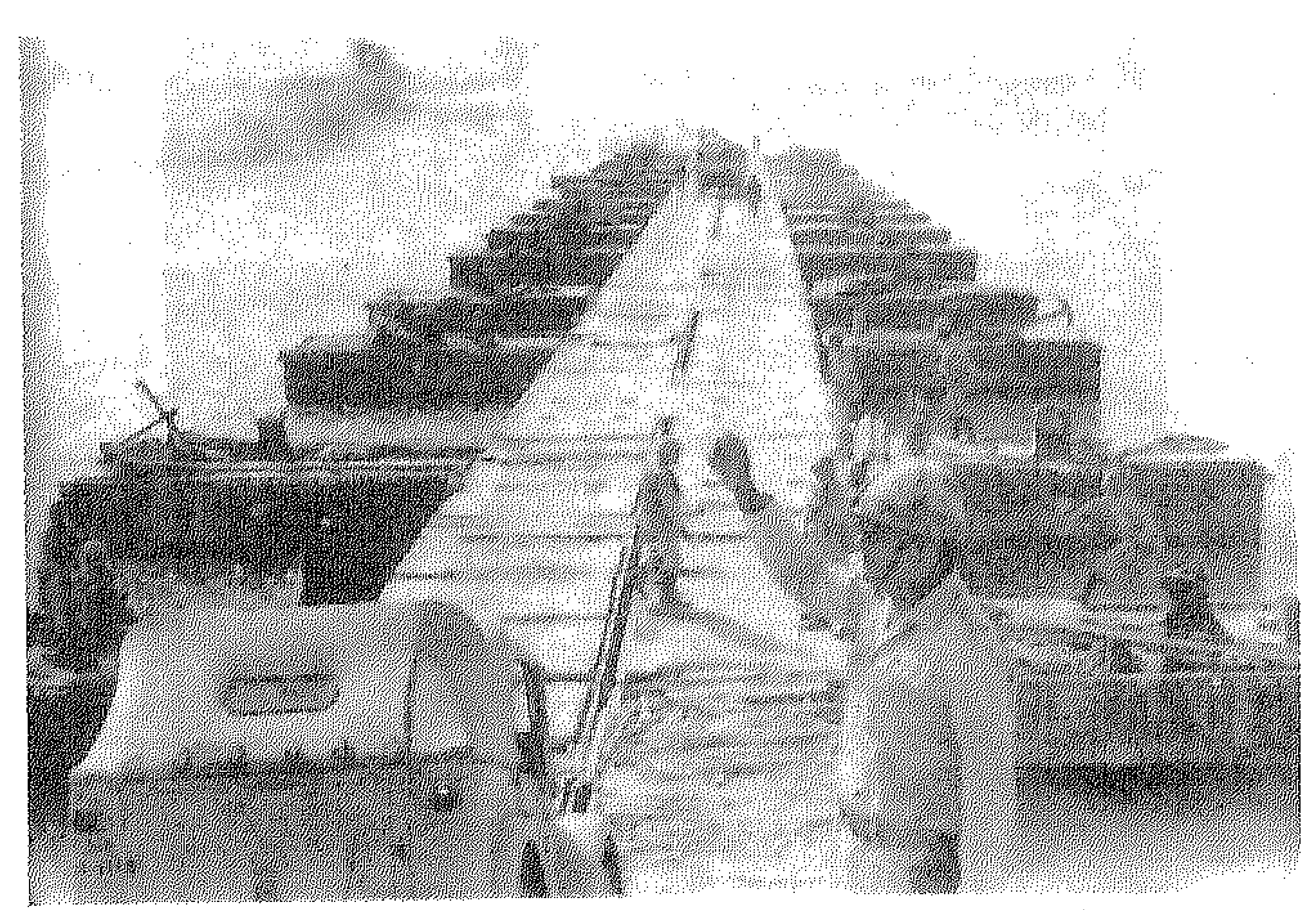
* * *

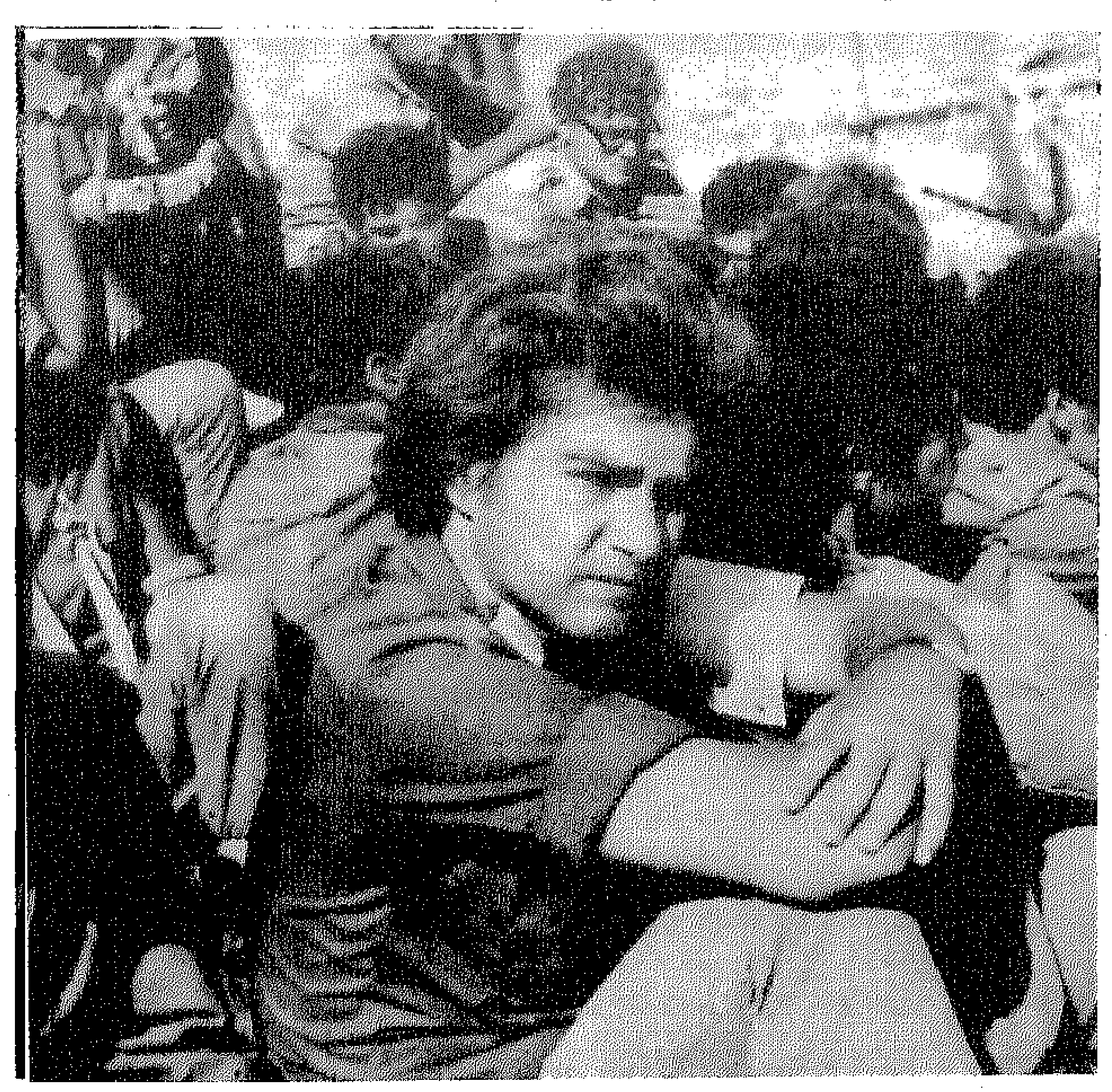


الأسرى الإسرائيليون من الحرب



... وأخيرا وافقت القيادة على أن نسلم أنفسنا عن طريق «الصليب الأحمر» - ملازم ناحوم بن زيون


.. وأنشأت عشرة كباري ثقيلة ، وعشرة كباري مشاة


... وتحولت قوات العدو إلى رهينة نضغط بها على إسرائيل



وفي الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرًا في أيدي قواتنا.

١١ - حالة انتفاضة الأقصى واندلاع العنف

مقال للكاتب بعنوان: بين انتفاضة الأقصى وحرب أكتوبر

(الأهرام ٩/١٠/٢٠٠٠)

استدعت تلك اللقطات المفجعة التي توضح بجلاء الطبيعة الإجرامية والهمجية لإسرائيل في تعاملها مع انتفاضة الأقصى بعد أن دنسه المسمى شارون وبصحبته الآلاف من الجنود المدججين بالسلاح – صورًا عديدة في ذهن كل متابع لهذا الصراع الممتد.

إن الصورة التي أفجعتنا جميعًا في الوطن العربي والعالم الإسلامي، بل وفي كل أنحاء العالم كانت هي صورة الطفل الفلسطيني محمد جمال درة (١٢ عامًا)، والتي وردت في شريط مصور نقلته أغلب تليفزيونات العالم بعد أن التقطه مصور محطة فرانس ٢ التليفزيونية الفرنسية.

ولقد كانت محل تعليقات الكثير من زعماء وشخصيات دولية، ولعل خير تعبير عنها ما قاله الرئيس حسني مبارك حين ذكر: أنا أتابع التليفزيونات العربية والعالمية منذ يوم الجمعة، ورأيت رجلاً يحتضن ابنه ويقول لا تطلقوا النار وفجأة الولد أصيب بطلقة ومات ووالده أغمى عليه؟ وأضاف سيادته قائلا: هذا شيء مؤثر وفظيع، تخيل أنك تحتضن ابنك ويصاب بطلقة وهو في حضنك!!

لقد استدعت هذه الصورة صورًا عديدة من ماضي هذا الصراع المرير مع هذا الكيان العبري.. وأجد من أهم تلك الصور التي ينبغي استحضارها للتدليل على طبيعة الصراع الحضاري الممتد بيننا وبينهم، هو ما جاء على لسان أحد الضباط الإسرائيليين الذين تم أسرهم بعد سقوط خط بارليف وسقوط نظرية الأمن الإسرائيلية تحت

أقدام جنودنا وضباطنا البواسل في حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣م، والتي نسوا أو يتناسون ما حدث لهم فيها، إلا القليل منهم، وهنا يقول هذا الضابط الإسرائيلي عند سرده لذكرياته عن تلك الحرب:

عندما اقتحمت القوات المصرية الموقع الذي كنت به سارعت بالاستسلام وأشهرت صورة لزوجتي وأولادي وقلت لقائد القوة المصرية المهاجمة لا تقتلوني من أجلهم... ولم أصدق استجابته الفورية وكان بإمكانه قتلي بكل بساطة في أجواء تلك الحرب.

ويعبر الضابط الإسرائيلي عن احترامه لإنسانية قائد القوة المصرية المنتصرة ولا ينساها بعد أن انتهت الحرب.

أسترجع هذه الصورة من حرب رمضان/ أكتوبر المجيدة والتي كانت بين قوات مسلحة وأخرى مسلحة مثلها وفي حالة حرب، وأقارن بينها وبين الصورة التي أشرنا إليها وفي ظل ما يسمى بعملية السلام لذلك الطفل الفلسطيني الشهيد في حضن أبيه والذي لم يظهر صورته للجنود الإسرائيليين... بل كان لحمًا ودمًا في حضن أبيه الذي كان يطلب عدم إطلاق النار عليه وهو أعزل من أي سلاح أو أي ساتر، وفي سياق غير متكافئ بالمرة، فماذا فعل الجنود الجبناء؟!

لقد أخذوا يستهدفون رأس الطفل بوابل من الرصاص بكل خسة وبكل ما أوتوا من قوة وسفالة منقطعة النظير، ولذلك لم يستطع الكثيرون وصف هذا المشهد المفجع إلا بأنه جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد، ولا يمكن أن تترك سدى!... ولقد كتب روبرت فيسك في صحيفة الإندبندنت البريطانية عن أن ما شاهده له معنى واحد، وهو أن الإسرائيليين قد قتلوا بريئًا فإذا كان شريط الفيديو الذي أوضح حالة الوحشية والبربرية التي توجه إلى الفلسطينيين، هو

بمثابة حالة واحدة تم تصويرها، فماذا عن ٦٢ شهيدًا إلى الآن منذ بداية انتفاضة الأقصى منذ أيام؟! وماذا عندما نتذكر مذابح صبرا وشاتيلا؟ وماذا عن دير ياسين؟ وماذا عن قانا؟ وعن مذبحة باروخ جولدن شتاين للمصلين في المسجد الأقصى؟ وماذا عن الجرائم في حق الأسرى المصريين في عام ١٩٦٧م؟ إنها كلها جرائم لا تسقط ولن تسقط بمرور الزمن...

وإذا كان لنا أن نستدل من المقارنة بين الصورتين المذكورتين على أهم منطلقات وخلفيات إدارة الصراع الحضاري الممتد، والذي لاتبدو لها نهاية في الأفق؛ نقول إن الصورة التي استشهدنا بها من وقائع حرب أكتوبر تفيد بأن منطلقاتنا كانت وستظل من عمق نظام القيم العربية الإسلامية التي ستظل جذوتها مشتعلة إلى أن تجد دائمًا طريقها من خلال جهودنا وعملنا الشاق والتعلم من دروس الماضي والحاضر، وستظل تعتمد على مفهوم الفتح الذي نحرر من خلاله مقدساتنا دون جرائم القتل والإبادة الهوجاء التي يستند إليها مفهوم الغزو البربري والقمع العشوائي، وستظل قيمنا هي قيم ذلك الضابط المصري الذي عبر قناة السويس وانتصر،وعندما استرحمه الضابط الإسرائيلي نفذ قول الله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، ستظل منطلقاتنا لا تعرف التعصب العنصري الجاحد وستظل مهمتنا شاقة تتطلب منَّا جهودًا ضخمة في إعادة الكثير من المواقف، وفي جهود بناء القوة بمعانيها المتعددة في المجالات كلها... ولكن لابد من النظرة العملية والدقيقة لمن نتعامل معهم هنا، ستجدهم يتسمون بما يلي:

١ - إنهم لا يفهمون إلا لغة القوة ولا يعترفون بحقوقنا المشروعة ويطالبوننا بالتنازلات فقط، ومن ثم لابد أن يجبروا على العودة إلى الحق والعدل لأنهم لا يؤمنون بمثل هذه المفاهيم... فلا بد لنا من بناء القوة بكل أشكالها.

٢ - إنهم نسيج مهجن مصطنع وزائف وبأسهم شديد بينهم، فلابد أن نعمل على تأكيد وجودنا المناقض للتوحد والالتفاف حول قيادتنا والسعى الدءوب إلى عودة الصف العربي والإسلامي وأن نحبط كل عمليات ومحاولات التفتيت التي يسعون لها لتكون في واقعنا... فتتحقق أهدافهم العدوانية من سوء الأداء لدينا، فلابد أن نفوت عليهم ذلك ليكون الهدف هو العكس.

٣ - إنهم مجتمع وصل إلى درجة عالية من التقدم العلمي والتكنولوجي، ولكن على درجة عالية من الترهل والوهن الأخلاقي والثقافي والحضاري، وهذا يحمل دائمًا بذور فناء فوائد التقدم التكنولوجي والعلمي لتحقيق عزة الإنسان وكرامته، من هنا لابد من تفعيل قواعد انطلاقاتنا الحضارية والثقافية والأخلاقية الضاربة في عمق نظام قيمنا منذ آلاف السنين، مع تحقيق الدرجة الأعلى علميًا وتكنولوجيًا، وهذا بُعد لا يمكن ولا ينبغي أن يغيب عن وعينا وتحركاتنا الفعالة نحو هذه الاتجاهات لتحقيق الغلبة في نهاية هذا الصراع الحضاري الممتد.

٤ - إنهم يستهدفون الأقصى ويريدون بناء المعبد في موقعه في نهاية المطاف ولا يعرفون إلا كل الكراهية البغيضة والعنصرية الجاحدة لنا، ولا يملكون أن يكوِّنوا مجتمعًا مدنيًا يتعايشون فيه في وئام، وبالتالي مع الشعب الفلسطيني أو مع جيرانهم.. ويقول

حاخاماتهم إن مليون عربي لا يساوون ظفر يهودي واحد وعشرات من المقولات المماثلة التي نرصدها في أدبيات عديدة، ومنها ذلك الكتاب المهم لكاتبه لوستيك بعنوان «من أجل الأرض والرب»، والذي يذكر على لسان أصحاب الفكر الصهيوني الأصولي المقولة التالية: إن أفعال الأكرويات والحركات المسرحية التي يقوم بها أشخاص من العرب حتى وإن كانت بنية جيدة وحسنة سواء من السياسيين أو من أساتذة العلوم السياسية، فإنه يبدو ألا حل في الأفق إلا فرض الأجندة الإسرائيلية فقط. (راجع كتاب لوستيك ص ١٤٤)، وأن على العرب أن يؤمنوا بمنطلقات الثورة الثقافية الإسرائيلية وأهم منطلقاتها ما يلي وبالنص: إن أعداءنا ينبغي أن يقبلوا قيم التوراة حتى تحدث لهم ثورة في عقولهم وفي طريقة تفكيرهم... فهذا هو الطريق الوحيد لسلام دائم ومستمر، وهذا يستتبع قبول وحي التوراة الذي نزل على أرض سيناء (راجع كتاب لوستيك ص ١٤٨)، وراجع كتابًا تفصيليًا يحلل أحدث الأدبيات عن الصراع العربي الإسرائيلي والبعد الديني للصراع لكاتب السطور بعنوان «الدبلوماسية الجديدة في مواجهة الاختزال العلماني والتطرف الصهيوني» إصدار مكتبة العبيكان بالرياض لعام ١٩٩٩م.

٥ – إنهم يتسترون خلف عملية السلام ويفرغونها من مضمونها، فكلما سرنا خطوة حدث تراجع خطوتين، هم يريدونها ليوهموا العالم بغير ما يخفون، فعلينا أن ننتبه وأن نكشف للعالم وأن نجبرهم على السلام العادل الذي هو في جوهره ومتطلباته غير الاحتفالات وتوقيع الاتفاقات مع وسيط غير نزيه لا يعنيه سوى

تنفيذ وتطبيق الوصاية الصهيونية التي أطبقت عليه وتمكنت منه مع كل الأسف.

لابد إذا كان لنا أن نحقق السلام الذي نبغيه أن نعيد صياغة أمور كثيرة لصالح أجندتنا الوطنية ولصالح مستقبلنا ومستقبل أجيالنا من بعدنا، ولا ينبغي أن نستكين أو نيأس أو نتخلى عن التعلم من دروس تجاربنا ولا تقل ضاع الرجاء فلن تعيش للظلم دولة... إن للباطل جولة، والله المستعان وهو ولي التوفيق سبحانه وتعالى.

* * *

١٢ - حالة السياق الحرج لفريدمان الأخير!!

(مقال للكاتب - الأهرام ٢٠٠٠/١١/٩)

لا تتسع مساحة هذا المقال للخوض في نظريات ونماذج التحليل، التي يعنى بها علم اللغويات بصفة عامة، ولغويات التفاوض بصفة خاصة، فيما يتعلق بمفهوم السياقية (CONTEXTUALITY)، فتحديد معنى الأحداث والأفعال، كلمات كانت، أو عبارات، أو نصوصًا أو تفاعلات، لا يمكن أن يكون خارج السياق! ذلك المفهوم الذي يتدخل في تحديده إما نص أو نصوص وفي حالات تقويم الأحداث السياسية وغيرها يتسع الأمر للفهم الدقيق للظروف الدولية والمحلية والمناخ السائد... إنه وفي إطار مفهوم السياق العلمي المعني بفهم الحدث طبقًا لظروفه الحقيقية، وليست المقحمة عليه، نحاول أن نلقي ضوءًا على كاتب فريدمان الأخير، مع تقديم قراءة لعدد من مقالاته أتعرض إليها تفصيلاً في بحث آخر، عن الحوار والتفاوض فيما يتعلق بالإسلام والغرب.. وكتاب فريدمان هذا جاء بمناسبة مرور عام على أحداث سبتمبر ٢٠٠١م وعنوانه خطوط الطول والمواقف: استكشاف عالم ما بعد ١١ سبتمبر.

ومع الأسف لم أحصل على هذا الكتاب لكي أقرأ ما به، ولكنني رصدت موجزًا له، وكذلك تعليقًا عليه.. يقول الموجز المنوه عنه في النيويورك تايمز: إنه كتاب جديد لكاتبه فريدمان، يرصد ويجمع فيه مقالاته وتقاريره عن أحداث سبتمبر وأسبابها وتأثيراتها، كما أن الكتاب يتضمن يومياته التي كتبها بمعايشته للأحداث والتي عنونها بعنوان السفر في عالم بلا حوائط أو أسوار، كذلك مجموعة الأعمدة التي كتبها عن أحداث سبتمبر على مدى عام كامل.

أما التعليق الذي وجدته عن الكتاب، فهو لمارك ميموت وهو أحد كتَّاب جريدة (يو. إس. توداى) بتاريخ ٢٠٠٢/٩/١٢م، ينتقد فيه كتاب فريدمان فيصفه بأنه مليء بالحشو والتكرار، وهذا كان غير متوقع من كاتب مثله، حيث يشير إلى الملل الذي يحدث للقارئ حيث إن هناك ١٥ عمودًا كتبها وكلها تتمحور حول نفس الموضوع الخاص بأن اللوم يقع على الدول العربية، فيما يتعلق بزوايا بعينها قد أدت إلى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.. ويقول مارك: إذا لم يلاحظ القارئ هذا التكرار الشديد عند فريدمان في أعمدته، فإن نفس القارئ سيلاحظ ذلك بشدة عندما تتجمع الأعمدة في كتاب واحد... وأن الكتاب في نهاية الأمر لم يقدم تحليلاً جديدًا... وبعد هذه المقدمة أقول إن الأخطر بكثير من التكرار والملل – وطبقًا لقراءة تحليلية لكاتب السطور في أعمدة فريدمان في إطار البحث الذي انشغل به عن مفهوم السياقية في تفاعلات ما سمي بالحرب ضد الإرهاب، وفي تفاعلات الصراع العربي الإسرائيلي كذلك – هو عدم العلمية والاختزال الواضح في رصد السياق الدقيق أو الحرج لإحداث محورية في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بخصوص الموضوع، الأول في الإعلام الأمريكي عن كل من الحرب ضد الإرهاب، وعن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي... ففي عمود لفريدمان تحدث فيه عن موضوع السياق الحرج تحديدًا (CRITICAL CONTEXT) بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٧م ذكر ما يلي:

إن السيد بوش قد أدان عرفات أكثر مما أدان شارون، لأنه يدرك أن العرب قد تجاهلوا سياقًا محددًا وهو أن شارون لم يأت من الفراغ الخارجي... حيث انتخبه الشعب الإسرائيلي بعد أن انصرف عرفات

من كامب ديفيد الثانية، تاركًا بذلك أفضل فرصة تاريخية غير مسبوقة لإنشاء الدولة الفلسطينية، وهي التي جاءت فيما عرف بخطة كلينتون.... لقد رفض عرفات الخطة وفضل اختيار الضغط العسكري بدلاً من الدبلوماسية واللاعنف للحصول على المزيد من إسرائيل، ولذلك لجأت إسرائيل إلى شارون لكي تنتقم... هذا هو السياق الحرج الذي رفض جورج بوش أن يتجاهله... انتهى كلام فريدمان... وخطورة الأمر أن هذا العصر يسمى ضمن مسمياته العديدة بـ«عصر الصحافة» و«عصر التاريخ الصحافي».. أي أن الصحفي يعتبر المؤرخ.. برصده لوقائع الأحداث وتفاصيلها.. والأمر الأخطر هو ما يتعلق بالتاريخ الصحفي إذا جاز التعبير، الذي يستخدم ويوظف كإحدى المرجعيات في عمليات التفاوض وإدارة الصراعات.. وبالرغم مما تضمنه مقال فريدمان من مغالطات عدة ومفردات متجاوزة للحقائق، فإنني أود التوقف هنا عند مفهومه بخصوص تجاهل السياق الحرج... ولعلي لا أقدم هنا تفنيدًا مباشرًا لمفهوم السياق الحرج عند توماس فريدمان.. بل أجد من المهم أن نعرض لمفهوم استدعاء السياق الحرج ومحاولة رصده من خلال توماس آخر.. وهو توماس جيفرسون، الذي كتب مقالاً بعنوان «من الذي جلب الإرهاب؟» ٢/٥/٢٠٠٢م في جريدة ARABNEWS ما نصه:

إنه وبينما يتحدث رئيس وزراء إسرائيل الحالي عن الإرهاب، يتناسى البعض البحث عن السؤال المحوري التالي: مَنْ بدأ الإرهاب في المنطقة في السنوات العشر الأخيرة.. إنه وفي ٢٥ فبراير عام ١٩٩٤م أي منذ أقل من ستة أشهر بعد المصافحة التاريخية بين عرفات ورابين دخل باروخ جولدشتاين إلى الحرم الإبراهيمي وقتل

خمسين من المصلين بالمسجد، ولقد كان باروخ عضوًا في «كاخ» وفي «عصبة الدفاع اليهودي» المؤسسة من قبل مائير كهانا في نيويورك في الستينيات... إن كاخ المرتبطة تمامًا بشارون تعد من المنظمات المرصودة على قائمة المنظمات الإرهابية في قائمة وزارة الخارجية الأمريكية... ويضيف توماس جيفرسون قائلاً: إنه بذلك الإرهاب اليهودي بدأت حلقة العنف مرة أخرى في الأراضي المقدسة، التي لم تنته إلى اليوم.. لقد جاء هجوم باروخ جولدشتاين في الوقت الدقيق، عندما بدأ كل من عرفات ورابين تطبيق مقررات اتفاقية أوسلو، التي تم فيها إقرار مبدأ إنشاء الدولة الفلسطينية في عام ١٩٩٨م.. إنه وبعد ضربة جولد شتاين في الحرم الإبراهيمي بشهرين، نفذت حماس أولى عملياتها الانتحارية... ويضيف جيفرسون قائلاً: إن عرفات في ذلك الوقت، قد قاد حملة كبيرة ضد الإرهاب الذي أراد ضرب تحالف رابين وعرفات.. إلا أن ما قضى على ذلك التحالف لم يكن من الجانب الفلسطيني، بل جاء من أحد أعضاء اليمين المتطرف اليهودي، الذي قام باغتيال رابين في ٤ نوفمبر عام ١٩٩٥م.. وهو الذي وصف رابين الحاصل على جائزة نوبل للسلام حينذاك بالخائن..

ويضيف جيفرسون في رصده للحقائق التي نعتبرها رصدًا لمفهوم السياق الحرج الذي تغافله فريدمان، قائلاً: إنه وبعد مرور عام على تولي باراك للحكم، قام شارون بإحداث أكبر الأزمات بدخوله وقيادته لعملية انتهاك الحرم الشريف في ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠م... وفي هذا ما يؤكد ما قاله يوسي ساريد في هآرتس في

٢٠٠٢/١/٣م بأن ما يخيف شارون حقيقة.. هو أي بادرة للاعتدال.. فإذا ما هدأت الأوضاع.. وعادت الأطراف إلى مائدة التفاوض.. فإن مثل هذه الأوضاع تخيف شارون.. ويضيف ساريد قائلاً:

إن ما يخيف شارون ليس المتطرفين بل المعتدلين الذين يعتبرهم أعداءه.. فحربه مع الإرهاب (كما يدعي) هي حرب سهلة.. أما الحديث مع المعتدلين فهو ما لا يملك مهاراته، ويعتبر أمرًا خطيرًا يجب تجنبه.

ويختتم جيفرسون طرحه قائلاً: إن هدف شارون هو وجود قوة فلسطينية رافضة ليتعامل معها، ويمكنه من خلال ذلك أن يقول للعالم: انظروا.. إننا لا نستطيع التعامل مع الفلسطينيين.. إنهم كلهم من الإرهابيين.. وإنه عليه التصدي للإرهاب!!

خلاصة القول: إن مفهوم السياق الحرج يتمثل في وجود ممارسات قوة احتلال قمعية ووحشية، خربت الاقتصاد وصادرت الأرض وحاربت الفلسطينيين في كل أوجه وأبسط شكل من أشكال الحياة الإنسانية، وإن حماس والمنظمات المماثلة لم توجد إلا بعد حرب ١٩٦٧م لاسترداد الأرض ومقاومة المحتل... ولقد كان ومازال السياق الحرج الحقيقي هو الاحتلال وممارساته القمعية اللا إنسانية، وبداية نهاية حلقة العنف التي نراها اليوم، والتي تروع الآمنين تبدأ من وقف الاحتلال وانسحاب قواته، ورفع كل أشكال التنكيل والحصار المفروض على الشعب الفلسطيني، والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان.

* * *

١٣ - حالة: سيناريوهات نهاية «خارطة الطريق»

(مقال للكاتب - مجلة السياسة الدولية -

العدد الرابع والخمسون بعد المائة أكتوبر ٢٠٠٢)

تتخلل عمليات التفاوض عمومًا وفي إدارة الأزمات خصوصًا عدة أنواع من المعضلات والمآزق، ومن أهمها ما يسمى «معضلة الثقة والتعاون» والتي يقصد بها التغلب على معضلة عدم التعاون الحقيقي، وهو الأمر الذي يطيح بأي فرص إيجابية للأطراف المعنية في أن تصل إلى الحد الأدنى المطلوب من الثقة المتبادلة في نوايا كل طرف لحسم الحلول بتبادل التحركات والتفاعلات التعاونية. والملمح الرئيسي في هذه المعضلة هو: إذا ما تعاونتُ ومنحتُ الطرف الآخر شيئًا فكيف أحصلُ على المقابل في غياب هذا الحد الأدنى من الثقة، وإذا كانت لهذا النوع من المعضلات صعوبات خاصة في سياقات التفاوض وإدارة الأزمات، فإنها في إطار الصراع العربي الإسرائيلي، ومع تراكم حالات الإخفاق على مدى مشروعات السلام السابقة، نقول إن الأمر قد انزلق إلى شبه أزمة مستعصية على الإدارة خاصة بعد انفلات حالات العنف والاغتيالات والتهديد الإسرائيلي الأخير بطرد أو اغتيال الرئيس عرفات - حتى كتابة هذه السطور - فإذا أردنا في هذه الدراسة أن نقترب أكثر من فهم مستويات وحجم أزمة الثقة والتعاون بهدف الإمساك بخيوط منع المزيد من الانفلات والوصول إلى السيناريوهات الأسوأ... والسعي إلى إدارة تبتعد بنا عن تعميق اتجاهات الخلل في هذا الصراع الممتد، فإن علينا أن نتعامل مع سؤالين محوريين وهما:

أولاً: ماذا عن مستويات الخطابات المهيمنة على ساحة الصراع من حيث تأثيراتها المباشرة على إدارة معضلة الثقة والتعاون بشكل تراكمي ومتى وكيف كان التأثير سلبًا أم إيجابًا؟

إن أهمية تقديم تحليل موجز للكشف عن خصائص هذه الخطابات فيما يتعلق بتأثيراتها على معضلة الثقة والتعاون يعتبر الخطوة المنهجية الأولى لإدارة الغموض الراهن استراتيجيًا، فهذه الخطوة تمكننا من التركيز على تحديد مواطن الخلل والسعي للتعامل معها في إطار من الصورة الذهنية الكلية لتفاعلات هذه الخطابات فلا يكون التركيز على مستوى بعينه والإخفاق في إدراك التأثيرات الأخرى. وفي هذا ما يمكننا من الإمساك بالخيوط اللازمة لإدارة الأزمة الراهنة حتى لا تنزلق إلى أزمة إقليمية أكثر استفحالاً واستعصاءً على إدارتها. وفيما يلي خصائص هذه الخطابات:

١ - الخطاب الأمريكي وأزمة «الثقة والتعاون»:

إن التحليل الموجز لخاصية هذا الخطاب يتمثل في أهمية التعرف على مواقع النجاح – حتى وإن كان نسبيًا – ومواطن الخلل والإخفاق... ونبدأ فنقول إن تحليل مسميات «الوسيط الأمريكي» عبر عملية السلام الممتدة يعتبر مؤشرًا مهمًا، وهنا نقول إنه وفي البداية كان مسمى «العامل المساعد» الذي يكون محايدًا ولا يتأثر أو ذلك الدور الوظيفي الذي قدمه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وليام روجرز للسادات في بدايات عملية السلام، وتعجب واعترض عليه السادات قائلاً: أي عامل مساعد هذا الذي يعطي إسرائيل من الطائرة الفانتوم إلى رغيف العيش.

وطالب أمريكا بممارسة الضغط اللازم على إسرائيل والقيام بدور وسيطي متوازن، ولكن ينبغي أن يكون ضاغطًا على حليفه الاستراتيجي، وكان بعد ذلك أن ظهر الرئيس كارتر بمسمى «السمسار الأمين» الذي يسعى لتحقيق مصلحة الطرفين معًا - ومصلحة السمسار كذلك - فكانت معادلته المعروفة باسم (S3) أو حروف (S) الثلاثة من الكلمات الإنجليزية «الأمن» SECURITY في مقابل السيادة = SOVEREIGNTY تسوية SETTLEMENT حيث كان «الأمن» هو المطلب الرئيسي لإسرائيل، وكانت «السيادة» على كل سيناء هي المطلب الرئيسي لمصر.. فكان ذلك بتمركز القوات المصرية الرئيسية غرب قناة السويس ووجود قوات طوارئ دولية فتحقق للطرفين في آن واحد أهدافهما الرئيسية، وحقق بذلك تسوية ممكنة ونجح في التعامل إلى حد كبير في إدارة معضلة الثقة والتعاون بين الطرفين، ولكن ظلت مصر تمارس كل الجهود لتؤكد أن جوهر الصراع هو حل المشكلة الفلسطينية والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، فكان هذا واضحًا من سمات الخطاب المصري الذي سنوضحه فيما يلي من خطابات.. فكان بعد ذلك مسمى جورج بوش الأب للوسيط بأنه «الطرف الدافع للسلام» حيث تبنت إدارة بوش القرار رقم ٢٤٢ كأساس ومبدأ «الأرض مقابل السلام» وحثت كافة الأطراف على الاعتدال في مواقفهم للبدء بعملية السلام، وأبلغ وزير الخارجية جيمس بيكر إسرائيل على وجه الخصوص بأهم عناصر التفعيل الصحيح الذى يمكن أن يؤدى إلى التغلب على معضلة الثقة والتعاون فأكد:

«بأن هذا هو أوان التخلي نهائيًا عن التصور غير الواقعي لإسرائيل الكبرى. ويمكن التسوية على أساس القرار ٢٤٢ الذي يصون

مصالح إسرائيل في الضفة الغربية وغزة وأمنها... وأضاف موجهًا رسالة واضحة لإسرائيل قائلاً: ... انبذوا الضم. أوقفوا النشاط الاستيطاني. دعوا المدارس تستأنف عملها. مدوا أيديكم إلى الفلسطينيين بوصفهم جيرانًا جديرين بالحقوق السياسية...»(٢١).

وهنا بادر رئيس الحكومة الإسرائيلي حينذاك «إسحاق شامير» إلى وصف هذا الخطاب بأنه «عديم الجدوى»(٢٢).

وفي عام ١٩٩٠م تولد شعور بالإحباط لدى إدارة بوش الأب بسبب رفض إسرائيل الاشتراك في عملية السلام، وشروعها في برنامج غير مسبوق لإقامة المستوطنات... فندد بيكر علنًا بهذا التعنت الإسرائيلي قائلاً: «اتصلوا بنا عندما تفكرون جديًا في السلام»(٢٣).

ثم كان بعد ذلك وقف القروض الأمريكية من قبل بوش الأب كي تُجْبَر إسرائيل على وقف نشاطها الاستيطاني.

ثم تحول دور الوسيط الأمريكي إلى مسمى «الميسر للعملية السلمية» في عهد كلينتون، وكانت كامب ديفيد الثانية التي يطول الحديث عنها إلا أنها لم تنجح لعوامل عديدة ولم ينجح الوسيط في توفير وسائل التغلب على معضلة الثقة والتعاون، وسمع العالم لأول مرة مفاهيم مثل «السيادة فوق الهدف» فيما يتعلق بالحرم للفلسطينيين و«السيادة تحت الحرم للإسرائيليين» في أغرب أنواع لغة المراوغة وقلب حقائق تفاعلات كثيرة عكس التي يروج لها البعض من أنها كانت فرصة أطاح بها عرفات!... وتحول دور الوسيط الأمريكي إلى حالة من الغموض السلبي في بداية تولي جورج بوش الابن على لسان كونداليزا رايس «بترك الأمور في المنطقة للقوى

الفاعلة بها» وكان ذلك بمثابة الضوء الأخضر لعمليات الاستيطان وحلقة العنف، مما كان سببًا في تعميق معضلة «الثقة والتعاون» سلبًا والإسهام في انزلاقها إلى حالة الأزمة.. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لتضيف حالة أعمق من الغموض السلبي، حيث نجح اليمين المتطرف في كل من الولايات المتحدة وإسرائيل فى تحميل سيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي على سيناريوهات ما سمى «الحرب الجديدة ضد الإرهاب» وجرى ترديف ياسر عرفات بأسامة بن لادن، الأمر الذي ضرب مفهوم «الثقة والتعاون في مقتل» حيث تحول الجانب الفلسطيني إلى خانة الإرهاب بينما تم تجاهل إرهاب الدولة الإسرائيلي المتمثل في الاحتلال والاغتيالات وتجريف الأرض وبناء المستوطنات ومصادرة المزيد من الأراضي.. إلى آخره(٢٤) . وبعد غزو العراق، كان لابد من مراعاة توازنات معينة، فطرحت الإدارة الأمريكية في إطار اللجنة الدولية الرباعية «خريطة الطريق».... ونود هنا أن نقدم تقييمًا لمشروع خريطة الطريق من واقع تفاعلات محللين أمريكيين يمثلهم في سياقنا هذا ميلتون فيروست الذي يقول:

«لقد فهم جورج بوش الأب الحقائق، فكان التزامه بعملية السلام بعد حرب الخليج ١٩٩١م واضحًا ومؤثرًا بالرغم من كل المخاطر السياسية.. أما فيما يتعلق بجورج بوش الابن، فإن التزامه للسلام ما هو إلا أداة لكسب التأييد لحرب خليج ثانية... وجذور هذا الالتزام ذات أساس ضعيف وضحل... فالفرق بين بوش الأب والابن كبير جدًا في هذا الصدد، فلقد تعامل الأب مع شامير على كونه «إرهابيًا سابقًا» وأحد قادة التوسع... فعامله على كونه خصمًا يملك أمريكا، ووضع الخطوط

الحمراء له... فاستخدم الضغوط على إسرائيل ومنها المالية، وكانت معادلته، تتمثل في أنه وبالرغم من أن إسرائيل وبقاءها مهم لأمريكا، إلا أن شامير ينبغي أن يعامل على أساس أنه خصم، أما بوش الابن فإنه تعامل ولا يزال مع شارون على كونه «رجل سلام»... هذا اللعب الذي لا يشارك بوش فيه إلا قليل جدًا من الإسرائيليين أنفسهم(٢٥).

يقول ميلتون فيروست: «إن التنازلات المؤلمة التي يتحدث عنها شارون غامضة للغاية، فهو لا يعترف بالالتزام بالقرار رقم ٢٤٢ مثلاً الخاص برد الأراضي المحتلة. وفي ديسمبر ٢٠٠٣م قال إن الانسحاب إن حدث لن يزيد عن ٤٢٪ من الضفة الحديثة. وإن خطته هي حكم ذاتي فلسطيني، وليس دولة مستقلة... وفي فبراير ٢٠٠٣م أعلن أن كل الاتفاقيات السابقة التي أبرمتها إسرائيل حتى في كامب ديفيد، وكذلك فيما يتعلق باتفاق طابا.. أصبحت غير صالحة(٢٦).

ويضيف فيروست «إن قناعات الرؤساء الأمريكيين السابقين من جونسون إلى كارتر إلى ريجان (الذي جنح لليمين الإسرائيلي) والمتمسكة بمبدأ الأرض مقابل السلام وقيام دولتين أصبحت مهددة بفعل الجناح اليميني خاصة الممثل في بول وولفويتز وريتشارد بيرل في عهد بوش الابن... الذي انسحب من معاهدة كيوتو وخرج عن التزاماته بخصوص معاهدة الصواريخ البالستية التي تهدف إلى كبح أي حرب نووية... وهي كلها تغيرات جذرية، ومنها أن بوش الابن يشارك شارون في أن عرفات هو الوحيد المسئول عن العنف».(٢٧)

ويضيف فيروست «أنه بالرغم من إعلان بوش عن اهتمامه بتخفيف المأساة على الفلسطينيين وإدانته من وقت إلى آخر القتل الإسرائيلي الزائد عن الحد» وتأييده للقرار ٢٤٢ بقيام دولة فلسطينية

مع أخرى إسرائيلية في يونيو ٢٠٠٢م. وأنه في ديسمبر من نفس العام تطور الأمر إلى تشكيل اللجنة الرباعية الدولية، وإعلان «خريطة الطريق» وأنها ملزمة للجميع - ولا تفاوض بشأنها بل مجرد التنفيذ-... إلا أن شارون عبر عن تحفظاته.. وأخفق بوش في التعامل الحاسم مع شارون لإخضاعه لتنفيذ التزاماته في الخريطة.[٢٨]

ويتطرق فيروست لقناعات جورج بوش الدينية في مسألة الصراع العربي الإسرائيلي فيقول: «إن بوش الابن هو أول رئيس أمريكي يخفض الحاجز بين الدين والسياسة في أمريكا بطريق غير مألوفة... في المجتمع السياسي الأمريكي...»[٢٩] ويخوض فيروست في تحليل البعد الديني الذي أثر، ولا يزال، على جورج بوش فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي منذ كان حاكمًا لتكساس.. وقناعاته الراسخة لقربه من أقطاب المسيحية الصهيونية ورؤيتها لموقع إسرائيل، في إطار النبوءات وهو الذي أطلق تعبير «الدولة اليهودية» التي أثارت الكثير من ردود الفعل والمناقشات المحتدمة، ويخلص فيروست إلى أن خريطة الطريق لم تكن في الأصل في قناعات بوش الحقيقية بل جاءت بدافع من توني بلير حليفه الأول وللتخفيف عن الضغوط التي يتعرض لها الأخير، خاصة بعد غزو العراق، الأمر الذي يعتبر بمثابة المراوغة المعتادة، وأن غموض عدم حسم بوش والضغط على إسرائيل جديًا يؤكد أن الأمر بمثابة تحركات تفاوضية مرادفة بلا مضمون وفعل حقيقيين، بل إنه يختم دراسته قائلاً: «إن فقدان الإرادة الرئاسية لتفعيل خريطة الطريق، من شأنه أن يؤخرها ويضعها في النهاية في سلة القمامة ضمن رؤى السلام السابقة في الشرق الأوسط»[٣٠].

من هنا كان للخطاب دوافع الممارسة الأمريكية أكبر الأثر السلبي على تحول «الثقة والتعاون» من كونهما معضلة إلى أزمة مستفحلة ومستعصية.

٢ - الخطاب الفلسطيني الإسرائيلي:

بإيجاز نقول إنه خطاب يلخصه أسلوب المفاوض الإسرائيلي واستراتيجيته تمتد من شامير إلى شارون، ويتلخص هذا الأسلوب في مقولة شامير التالية بعد هزيمته في انتخابات يونيو ١٩٩٢م: «كنت سأجري مفاوضات حول الحكم الذاتي لمدة عشر سنوات يتم خلالها استيطان نصف مليون يهودي».[٣١]

إن الأمثلة على لغة المراوغة واستخدام مفهوم التفاوض لحالات من اللاتفاوض الفعلي، بل استخدام لغة الحرب والتهديد أثناء المفاوضات، وخارج نطاقها كثيرة، ولقد تعرضنا لهذا الموضوع في مقالات سابقة عديدة[٣٢] وخطورة ممارسات هذا الخطاب على مفهوم «الثقة والتعاون» بالغة السلبية، خاصة عندما يتبنى المفاوض الإسرائيلي لغة الدعاية التي تظهر الفلسطينيين بصورة الإرهابيين المعتدين، ويقوم بقلب وعكس المنطق والصورة التي فضحها كل ذوي العقول المنصفة، أمثال تشومسكي وبول فيندلي والعشرات من أعلام المحللين الموضوعيين، فالحقائق والإحصائيات تقول إنه وفي يناير ٢٠٠٢م كان عدد الضحايا من المدنيين الفلسطينيين ٢١٦٦ قتيلاً مقابل ٤٥٤ من المدنيين الإسرائيليين، وذلك منذ بداية الانتفاضة في ٩ ديسمبر ١٩٨٧م، أي بنسبة من ٥ إلى ١، كما أن استخدام إسرائيل للذخيرة الحية في تعاملها مع الفلسطينيين المدنيين قد تسبب في جرح وإصابة ١٨٧٦١ فلسطينيًا في مقابل ٤٢٧ جريحًا إسرائيليًا.[٣٣]

يمكننا كذلك الرجوع إلى السياق الحرج لانفجار العنف عند زيارة شارون للمسجد الأقصى وقبلها اغتيال رابين على يد يهودي متطرف.. إلى سياقات تجري عملية تزييفها في الوعي الغربي[٣٤] إن لم تكن محاولات تزييفها في الواقع العربي كذلك تمارس في كتابات بعينها على الساحة العربية ذاتها.

إن المشكلة الأساسية هنا أنه وفي ظل الدعاية والمراوغة الإسرائيلية ومحاولاتها استخدام أشكال المراوغة والاختفاء وراء مسميات إيجابية نجد أن الجانب الفلسطيني والعربي لم ينجحا في الوصول إلى الرأي العام الغربي، ولم يفعلا القوة البحثية الفلسطينية والعربية المؤهلة للقيام بهذه المهمة على مساحة الغرب وأمريكا خاصة، بل لقد استمعت إلى مسئول فلسطيني كبير، وهو يتحدث بالإنجليزية فيقول: «إن على الفلسطينيين أن يقوموا بحملة «دعاية» لتوضيح الحقائق».

واستخدم كلمة «الدعاية» بالإنجليزية (PROPAGANDA) بكل معناها السلبي لدى المتلقي الغربي بدلاً من المفردات الأخرى البديلة والمتاحة والتي تساعد على إيصال المعنى الحقيقي الذي يريده بالإنجليزية الصحيحة، فكم من فرص لم نستغلها، وعندما تلوح أي فرصة، فكأننا نعمل على الإطاحة السلبية تمامًا بها، مع كل الأسف. هذا رغم وجود عدد هائل من الفلسطينيين من أصحاب الأداء الإعلامي اللغوي الرفيع، ولكن ليس الشخص المناسب في المكان المناسب كعادة عربية، تبدو وكأنها أصيلة مع الأسف.

٣ - الخطاب الفلسطيني - الفلسطيني:

لا شك أن «معضلة الثقة والتعاون» وتحولها إلى أزمة مزمنة كان

ولا يـزال بسـبب الإخـفـاق في إدارة خـطـابـات الـداخـل الـعـربـي والفلسطيني، ولم يتعلم العرب من دروس الماضي وملف العلاقات بين «أبو عمار وأبو مازن» والتي حللها الكثيرون، توضح حجم هذه المعضلة في واقع تفاعلاتنا العربية، فالأمر يعود إلى هيمنة الأحادية والفكر التسلطي وافتقاد القدرة على تفعيل طاقات العمل الجماعي الخلاق، وتلعب إسرائيل وكل خصومنا وأعدائنا على هذه الحال، وهذا الملف بحاجة إلى دراسة مفصلة ولكن لابد من الاعتراف بهذا البعد وتـأثيراتـه السلبية للغاية على إدارة الصراع العربي الإسرائيلي بمجمله وأهمية أن تكون هناك «نوبة صحيان أخيرة لصالح الأمة كلها».

٤ - الخطاب المصري وإدارة مفصلة لأزمة الثقة والتعاون:

يحتاج هذا الخطاب لدراسة تفصيلية، ولكن بإيجاز نقول إن أهم ملامحه ومنذ خطاب السادات في الكنيست يركز على أن القضية الفلسطينية في جوهر الصراع. وأن السلام العادل يعني الانسحاب من الأراضي المحتلة واسترداد الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة وإقامة دولته وعاصمتها القدس الشريف، ولعلنا نعود لخطاب السادات في الكنيست الذي لم يأخذ حقه في التمهيد الموضوع في جوانب بعينها خاصة فيما يتعلق بمحصلة الثقة والتعاون، فنرصد ما قاله فيما يلي من نقاط تعد مرتكزات الخطاب المصري في هذا الصدد وهي: أن المشكلة الفلسطينية هي الجوهر، حيث يقول السادات: «لقد جئت إلى هنا لا لكي أبحث عن سلام جزئي، ووقف للأعمال الحربية في هذه المرحلة، لنترك المشكلة برمتها لمرحلة لاحقة».

وعن نظرية الأمن الإسرائيلي وعقلية الجدار قال:

- «إن هناك جدارًا عملاقًا حاولتم بناءه على مدى ربع قرن من الزمان، وقد تم تدميره في عام ١٩٧٣م. لقد كان جدارًا للحرب النفسية المستمرة التي أخذت في التصاعد والتدهور».

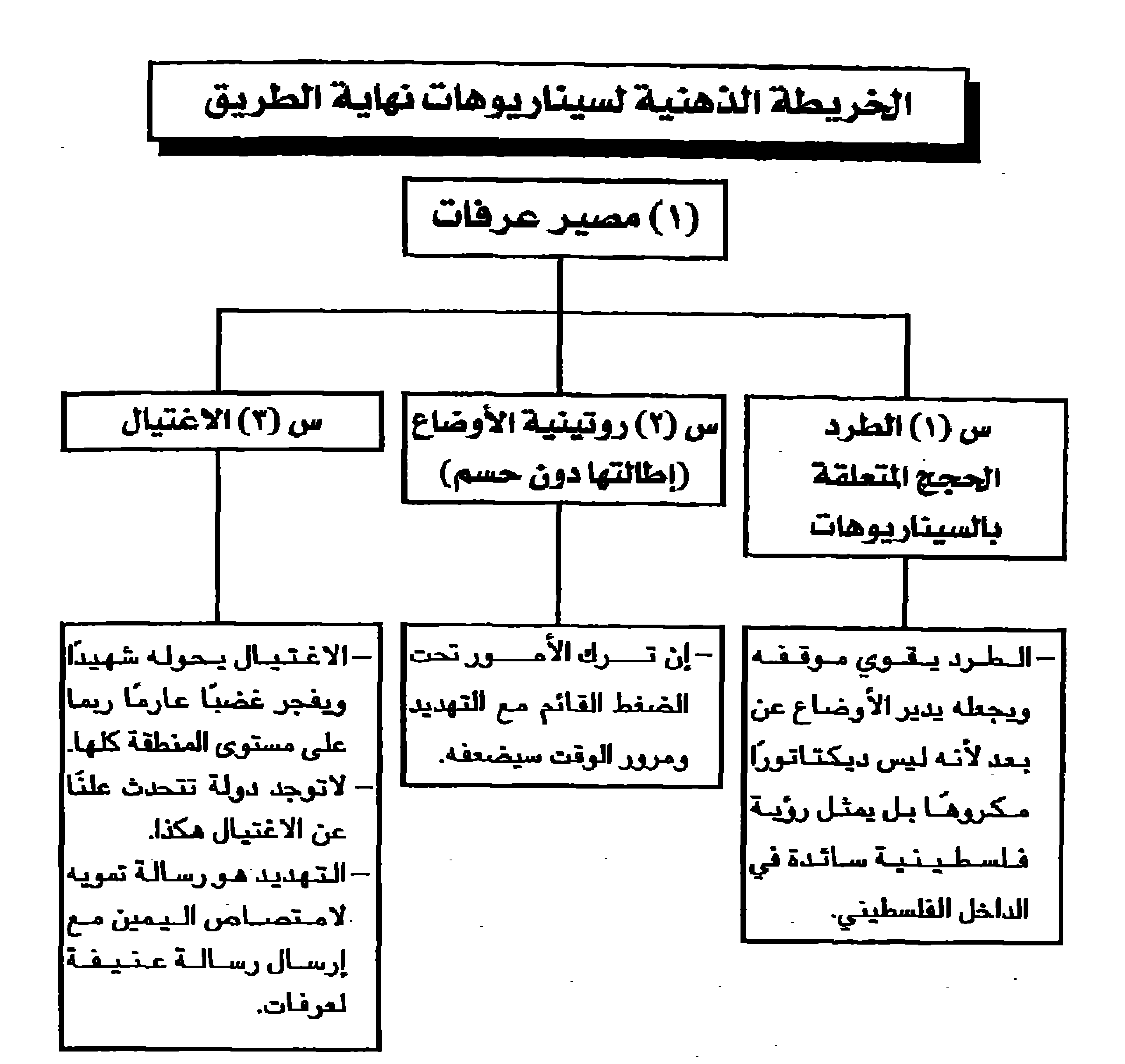
- «لقد كان جدارًا للاستعداء...».

- «لقد كان جدارًا يزعم أن الأمة العربية قد أصبحت جثة هامدة، لدرجة أن بعضكم قد تنبأ أن الأمة العربية لن تنهض إلا بعد خمسين عامًا أخرى».

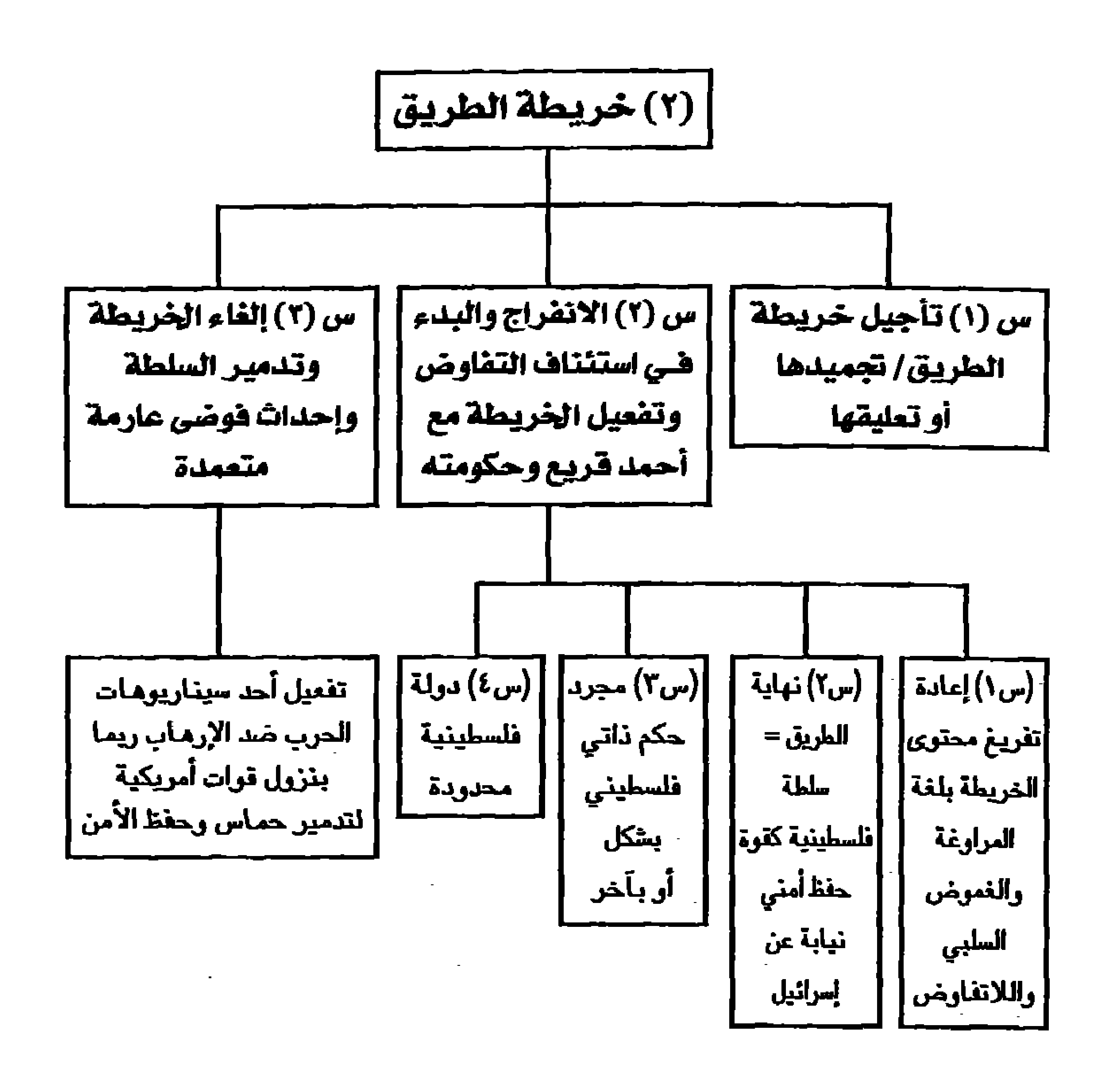
- «دائمًا باستخدام اليد الطولى القادرة على الوصول إلى أى مكان فى العالم العربى، لقد كان جدارًا يهددنا بالدمار إذا ما حاولنا استخدام حقنا الشرعي لتحرير أرضنا المحتلة».

- «يجب علينا الآن أن نعترف معًا بأن هذا الجدار قد سقط، وقد تم تدميره في عام ١٩٧٣م، ولكن ظل هناك جدار آخر، هذا الجدار الآخر يشكل حاجزًا نفسيًا مركبًا بيننا إنه حاجز صفة الشك والاشتباه.. إنه حاجز العدائية، إنه حاجز الخوف من الخداع، إنه حاجز من الشك تجاه أي فعل أو قرار، إنه حاجز التفسيرات الخاطئة لكل حدث، ولكل بيان...».

- إن هذا الحاجز النفسي هو ما أقصده... إنه الحاجز الذي يمثل سبعين بالمائة من المشكلة...»[٣٥].



الخريطة الذهنية لسيناريوهات نهاية الطريق
(١) مصير عرفات
س (١) الطرد الحجج المتعلقة بالسيناريوهات
س (٢) روتينية الأوضاع (إطالتها دون حسم)
س (٣) الاغتيال
- الطرد يقوي موقفه ويجعله يدير الأوضاع عن بعد لأنه ليس ديكتاتورًا مكروهًا بل يمثل رؤية فلسطينية سائدة في الداخل الفلسطيني.
- إن ترك الأمور تحت الضغط القائم مع التهديد ومرور الوقت سيضعفه.
- الاغتيال يحوله شهيدًا ويفجر غضبًا عارمًا ربما على مستوى المنطقة كلها.
- لاتوجد دولة تتحدث علنًا عن الاغتيال هكذا.
- التهديد هو رسالة تمويه لامتصاص اليمين مع إرسال رسالة عنيفة لعرفات.


(٢) خريطة الطريق
س (١) تأجيل خريطة الطريق/ تجميدها أو تعليقها
س (٢) الانفراج والبدء في استئناف التفاوض وتفعيل الخريطة مع أحمد قريع وحكومته
س (٣) إلغاء الخريطة وتدمير السلطة وإحداث فوضى عارمة متعمدة
(س١) إعادة تفريغ محتوى الخريطة بلغة المراوغة والغموض السلبي واللاتفاوض
(س٢) نهاية الطريق = سلطة فلسطينية كقوة حفظ أمني نيابة عن إسرائيل
(س٣) مجرد حكم ذاتي فلسطيني بشكل أو بآخر
(س٤) دولة فلسطينية محدودة
تفعيل أحد سيناريوهات الحرب ضد الإرهاب ربما بنزول قوات أمريكية لتدمير حماس وحفظ الأمن

إن ما يثار ويحدث اليوم على أرض الواقع يتمثل في استمرار تكرار أخطاء الماضي فيما يتعلق بالعقلية الإسرائيلية، فها هو الجدار قد دمر في ١٩٧٣م (بارليف) لأن التوسع على حساب الغير لا يجلب الأمن مهما طال الأمد.. وها هي العقلية تتجسد في الجدار العنصري الفاصل الجديد والذي يبلغ طوله في المرحلة الأولى ١٤٨كم ويصل ارتفاعه إلى ٨ أمتار... وهذا بدوره يعمق الحاجز النفسي ويعيق أي فرصة حقيقية لأي نوع من بناء الثقة.... يقول براون في كتابه بعنوان «الحملة الأخيرة»، إنه وبعد أن أثبت العرب استعدادهم الحقيقي للسلام فإنه لابد من تغيير رؤية العقل الإسرائيلي ونزعاته بخصوص الصراع مع العرب، وينادي بتفهم مقولات السادات المتكررة بأن السلام سيتعرض للانهيار في وقت ما إن لم يكن شاملاً وعادلاً في نهاية المطاف... ويطالب براون «إن من ضرورات السلام أن يتم التحرر من عقدة الأمن المستعصية في العقل الإسرائيلي...»[٣٦]

ويقول الباحثان «ستيفن كوهين وإدوارد عازار» في دراستهما بعنوان «من الحرب إلى السلام» واللذان قاما بتقييم الفترة الانتقالية من حالة الحرب إلى السلم بين مصر وإسرائيل – إن المصريين يؤكدون أن عملية الأمن والإحساس به لابد أن تكون متبادلة، والأمن للمصريين يتخطى الحدود ويصل إلى أهمية إحقاق الحقوق الفلسطينية، ويضيف الباحثان: إن المصريين يرون أن الإسرائيليين يتسمون بقصر النظر وضيق الأفق ولم يرتفعوا لمستوى مبادرة السادات[٣٧]، ويضيفان: إن الإسرائيليين على خطأ كبير نتيجة فهم لفكرة السلام المنفرد وإن إسرائيل قد حرمت نفسها من جني ثمار قبولها عندما أوضحت أنها انسحبت من سيناء حتى تدعم وجودها في الضفة والأراضي المحتلة الأخرى، ومن ثم لم ير المصريون أية

علامات أو إشارات تفيد بأن إسرائيل قد غيَّرت من مفهومها للأمن المبني على التوسع(٣٨).

من هنا نرى ويرى الباحثون الموضوعيون مكمن الخلل الكبير في موضوع معضلة «الثقة والتعاون» التي لم يتعامل معها الإسرائيليون على قدر الفرص التاريخية لصنع السلام في هذه المنطقة، كما أن الخطاب الأمريكي الراهن لم يساعد في نفس هذا الاتجاه، بل ساهم في تحول المنطقة إلى حالة من الغليان وحلقات من العنف.

ثانيًا: ماذا عن الخريطة الذهنية الكلية لسيناريوهات نهاية الطريق، خاصة بعد التهديد بطرد عرفات أو اغتياله.

انطلاقًا من هذه النقطة نتناول رصدًا للخريطة الذهنية لسيناريوهات «نهاية الطريق» باعتبار سيناريوهات مصير عرفات كسيناريوهات حاضنة يتمخض عنها سيناريوهات أخرى (انظر الرسم المرفق).

ثالثًا: إدارة الغموض:

تعتبر دراسات تحليل الغموض من أهم الدراسات التمازجية الحديثة من منظور لغويات التفاوض والتواصل عبر الثقافات، ولقد حاولنا في هذه الدراسة تقديم رؤية أولية للخطابات المتصارعة التي أثرت على معضلة الثقة والتعاون، ولا شك أن محاولة إدارة هذه الخطابات المتصارعة، يتعلق مباشرة بإدارة الغموض. ويمكننا تحليل خطابات إدارة الصراع العربي الإسرائيلي من خلال مستويين رئيسيين للغموض وأنماطه وآلياته، أحدهما على مستوى أفعال القول ونصوص التفاعلات المختلفة والقرارات الدولية الخاصة بأحداث الصراع المنفصلة والمتراكمة، وما يدخل هنا في إطار «لغة المراوغة» تارة وفكرة «الغموض البناء» التى تم تبنيها بتحرير مآزق

عديدة في حينها ثم التوقف لاحقًا أمام غموض لم تتم إدارته نحو حلول حاسمة، ولعل اتفاقات أوسلو كانت أكثر النصوص غموضًا واتساعًا في تاريخ الاتفاقيات، وقد «أبدع» المفاوض الإسرائيلي في استخدام لغة «الغموض السلبي» وهو الأمر الذي يحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلاً، وبعد ذلك وصلنا إلى خريطة الطريق التي أفرغها المفاوض الإسرائيلي بتفاعلات الغموض السلبي أيضًا.

فمثلاً جاء قرار قبول رئيس الوزراء الإسرائيلي لخريطة الطريق غامضًا، حيث قبل شارون «خطة خريطة الطريق» مع الالتزام بالتحفظات الإسرائيلية عليها (١٤ تحفظًا) ومنها «التأكيد على الدولة اليهودية وعدم القبول بحق العودة لا آنيًا أو مستقبليًا رغم تصريحات باول وبوش بأن خريطة الطريق هي للتنفيذ وغير قابلة للتفاوض... ثم أعلنت حكومة شارون تفكيك بعض المستوطنات العشوائية لتكريس الإيحاء بوجود مستعمرات قانونية وأخرى غير قانونية، وكأن قرارات سلطة الاحتلال تمتلك الحق القانوني في التصرف في الأراضي الفلسطينية، فجعل قضية الاستيطان موضوعًا تفاوضيًا دون الإقرار بمبدأ تفكيك المستوطنات. ولقد جاءت صيغة الموافقة التي جاء بها بيان الحكومة الإسرائيلية في ٢٥ مايو ٢٠٠٣م في إطار آليات وتنوعات الغموض من أجل المخادعة والمراوغة وتمرير أجندة إسرائيلية لا تراعي الطرف الآخر، فلم يوافقوا صراحة على خريطة الطريق بل صادقوا على بيان رئيس الوزراء الذي أعلنه في ٢٣ مايو ٢٠٠٣م «بأن إسرائيل توافق على قبول الخطوات المحددة في خريطة الطريق استنادًا إلى بيان الإدارة الأمريكية الصادر بنفس التاريخ، الذي تتعهد به الولايات المتحدة لمعالجة ملاحظات إسرائيل على خريطة الطريق بجدية عند تطبيق

الخريطة».. وهذه الملاحظات تفكك أسس الخريطة وتفرغها ككل... وإذا كان فيما سبق ما نعتبره أمثلة على مستوى من الغموض التكتيكي، فإن مستوى إدارة الغموض الكلي الاستراتيجي يتمثل في النظر إلى دراسة خريطة السيناريوهات الخاصة والمحتضنة آنفًا والتي توضح سمات الخطابات المتصارعة وحجم الانزلاقات المحتملة والمترتبة على فقدان التعامل الجدي مع معضلة الثقة والتعاون، وبالتالي مع عملية بناء السلام العادل التي أشرنا إليها وهو الأمر الذي يوضح حجم المجهود المطلوب لإدارة الغموض الراهن، وعلى المفاوض العربي أن يحشد كل الطاقات للإمساك بخيوط أفضل السيناريوهات واحتواء الصور الأكثر سوءًا، بل ينبغي على المفاوض العربي أن يجتهد في إيجاد صيغ ومعادلات عربية إقليمية ودولية جديدة أكثر جدية وموضوعية للتحول نحو السلام العادل، وأن يطالب بالتعامل العملي والإنساني مع متطلبات مسألة الثقة والتعاون - خاصة فيما نملكه - أي على أصعدة الخطاب الفلسطيني - الفلسطيني والعربي - العربي، ومنع عملية تحميل سيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي على سيناريوهات الحرب ضد الإرهاب التي يسعى لها اليمين المتطرف في كل من إسرائيل والولايات المتحدة.. ولعل ما ننوه إليه هو خطر «روتينية الصراع» وهو التآلف مع الغموض السلبي وانتهاج سيناريو النعامة من منطلق الإحساس الوهمي باللجوء إلى منطقة أمان وهمية وقتية، فهذا الذي قد يحدث نفسيًا في خضم تشابك السيناريوهات وتعقيداتها وخطورة تبعاتها، وفي هذا فلتشحذ الهمم وليجتهد المجتهدون وليأخذوا بكل الأسباب.

١٤ - حالة: حرب لبنان ٢٠٠٦ وسيناريوهات الأزمة الإقليمية

(مقال للكاتب - الأخبار: ٢٠٠٦/٨/١٠م)

نحاول في هذا المقال أن نقدم عددًا من سيناريوهات الأزمة الإقليمية الناتجة عن حدث الحرب السادسة في الصراع العربي الإسرائيلي وأن نقدم تفسيرات أولية عن أثر كل سيناريو على حركة أحداث الأزمة وناتجها المتوقع.. ويمكننا تصنيف هذه السيناريوهات إلى فئتين هما:

أولاً: سيناريوهات المجرى الرئيسي للأزمة وهي:

١ - «حرب لبنان معدة سلفًا لتدشين أجندة الشرق الأوسط الجديد»، وهي الخطوة الأولى في سلسلة صراع ممتد ذي طبيعة تدخلية سافرة في شئون المنطقة في محاولة أمريكية إسرائيلية لصياغة ما يسمونه بـ«الشرق الأوسط الجديد» (الهباب).. وصياغة أسلوب هذا السيناريو لاتختلف عن عمق محتواه الذي يؤكد على مقولات صدام الحضارات وتفعيل مقولة فوكوياما عن أهمية منازلة ما أسموه بالفاشية الإسلامية Islam Fascism، كما حدث مع ألمانيا النازية والتي لم يكن التعامل معها ممكنًا بل الخلاص منها كان هو الحل الوحيد!! ويأتي هذا التوجه موضحًا لحجم البربرية وقتل المدنيين في لبنان بالقسوة والسفالة التي نراها.. وهذا يجعلنا نتوقف أمام مقولة المفكر الاستراتيجي الأمريكي المعروف بريزنيسكي - مستشار الأمن القومي السابق - الذي وصف الحرب على لبنان بقوله: إن ما يفعله الإسرائيليون اليوم في لبنان يمثل قتل الرهائن الأبرياء.. فعندما تقتل إسرائيل المئات من المدنيين الأبرياء

ممن ليس لهم أي علاقة بحزب الله فإنهم يفعلون ذلك بتعمد ولا مبالاة فيما يبدو لاستفزاز لبنان كله واستفزاز كل طوائف الشعب اللبناني. ويعلق بريزنيسكي قائلاً: ولكن هذا سيجعلهم في غاية الغضب والحنق وسيحولهم إلى أعداء دائمين لإسرائيل... ولكنها رسالة الهيمنة وماأسموه بصراع الحضارات وما تمخض عنها من مصطلحات. يمثل «الشرق الأوسط الجديد» (الهباب) أحدها.. هذا السيناريو وماشابهه يحتل مكانة كبيرة في التفسيرات التي نراها لأشكال السيناريوهات المطروحة التي يمكننا صياغتها ورصدها، وفي هذا الإطار يوجد سيناريو تفسيري آخر يقول:

«إن سيناريو الحرب على لبنان كان معدًا سلفًا وكان ينتظر أي ذريعة، ولقد ذكر أحد القادة العسكريين الإسرائيليين حالتوس أن الجيش الإسرائيلي تدرب بالفعل على العملية قبل حوالي شهرين، وأن نصر الله كان يعرف على وجه اليقين أن الحرب ستندلع ولابد له من خطوة استباقية تفسد على إسرائيل عنصر المفاجأة، فقام بأسر الجنديين ودارت العجلة.. وتقول بعض التحليلات إن إبطال عنصر المفاجأة لدى العدو الإسرائيلي ورفع كل درجات استعداد المقاومة قد أسهم في ظهور هذا الأداء القتالي البطولي والمهاري العالي والذي ينم عن قيادة وسيطرة ميدانية مرتفعة المستوى... فكان أن قام الإسرائيليون بالضرب الهمجي للمدنيين لمحاولة إخفاء الإخفاق وإذلال الجيش الإسرائيلي فكان في الخطة الموضوعة أن العمليات العسكرية لن تستمر إلا لبضعة أيام يتم فيها القضاء التام على حزب الله!

٢ – حرب لبنان هي ملعب صغير لمباراة تدور في ملعب أكبر بين إيران والولايات المتحدة بخصوص الصراع حول ملفها النووي...

وهذا السيناريو يتبناه البعض كالسيناريو الرئيسي، ويمكننا النظر إلى ذلك السيناريو من أكثر من زاوية إحداها أن حزب الله هو حزب لبنانى فى المقام الأول ونشأ كرد فعل للغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م وهو يشارك في الحكم ولا يجمع العالم مع وجهة النظر الإسرائيلية والأمريكية بأنه حزب إرهابي... وكحزب مقاوم كان له أن يحصل على الأسلحة من كل من يمده بها... فهذا وارد وأمر طبيعي في ذلك السياق وهذا لا يعوق فكرة لبنانية الحزب ولبنانية المقاومة.. أما الزاوية الثانية التي ينظر بها البعض لهذا السيناريو فترى أن حزب الله – أراد ذلك أم رفض – فهو يخدم الأجندة الإيرانية – السورية في إدارة صراعهما مع الولايات المتحدة الأمريكية... وهذا وارد بالطبع وأن بعض المحللين يرى أن قذف الحزب لشمال وعمق إسرائيل بالصواريخ هو ليس فقط للردع أو للرد على ضرب إسرائيل للعمق اللبناني، بل هو سيناريو تجريبي «بروفة» لمسرح عمليات محتمل ومستقبلي أكثر عنفًا وتدميرًا قد يحدث سواء من خلال حزب الله أو غيره من القوى الإقليمية، ويقصد هذا إيران لتدمير العمق الإسرائيلي وتدمير المفاعلات النووية الإسرائيلية في حالة ضرب المفاعلات النووية الإيرانية، هذه هي المباراة الكبرى فيما قد نراه من وراء أحداث الحرب السادسة الراهنة... وهذا ينسجم مع التهديد الخطير الذي يوجهه الرئيس أحمدي نجاد بإزالة إسرائيل والذي يدخل في خطابة صراعية غير موفقة من الجانب الإيراني لأنها تقوم بتعبئة عالمية شديدة الضراوة ضدها... فلا يلتفت أحد لحقها المشروع أو لحقوق إعادة النظر في الملف النووي الدولي كله، وفي قضية منع انتشار الأسلحة النووية وكل أسلحة الدمار الشامل والوضع ذي المعايير المزدوجة القائمة على الصعيد الدولي... كان هذا هو

الأجدى... وهذا في رأيي خلل مستمر في العالم الإسلامي لفكرة التركيز الدولي الإيجابي الذي يحشد أنصار المنطق والحقوق ويقفل الباب في وجه الحملات الجائرة التي تريد أن تضع العالم العربي الإسلامي كله على مربع العداء والكراهية والعنف.. وهو ما يعطي الغطاء اليوم للضرب الهمجي للبنان.

ثانيًا: سيناريوهات انزلاق الأزمة:

أخطر ما في هذه الأزمة هو إمكانية انزلاقها حيث ترى بعض الدوائر الغربية أنها إذا ما انزلقت فقد تنزلق إلى حرب إقليمية شديدة الوطأة قد تتحول إلى حرب عالمية أخرى.

والانزلاقات الإقليمية قد تحدث في شكل السيناريوهات التالية:

١ – عدم قدرة المجتمع الدولي على صياغة قرار عادل خاصة في حالة عدم الأخذ بما توصل إليه مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بيروت مؤخرًا.. وبالنقاط السبع للرئيس السنيورة فهذا يعني أنه إذا ما تم تنفيذ القرار فقد يتحول إلى رفض ومقاومة للتنفيذ أو يتحول الأمر إلى انقسام داخلي لبناني لا نتوقع حدوثه.. ولكنه وارد تحت الضغوط الإنسانية والقصف الهمجي.

٢ – أن ينتصر تخلف المتخلفين بفهم كل هذا الصراع المعقد والكبير على أنه محاولة هيمنة فارسية ذات أطماع إمبراطورية موجهة أساسًا للعالم العربي.

وفي هذا السياق يحاول البعض عن جهل أو قصد تغذية ما يسمونه في إطار «الحرب ضد الإرهاب» و«الشرق الأوسط الهباب» بـ«الصراع السني الشيعي»، وهذا باب من أخطر أبواب انزلاقات

الأزمة الراهنة، وهنا تصدى لهذا الباب «الباطل» عدد من القيادات الدينية الواعية كفضيلة مفتي الديار المصرية د. على جمعة وشيخ الأزهر د. طنطاوي والعالِم يوسف القرضاوي ودعاة وقيادات فكرية أخرى في كل أنحاء العالم العربي.. في محاولة لوقف هذا الباب لأن الصراع ليس في جوهرة سُنة وشيعة بكل الاعتبارات، ولكن حملات إدخال العالم العربي الإسلامي في الفتنة تريد لنا ذلك... فعلينا ألا ننزلق إلى ذلك الفخ المدمر.

٣ – سيناريو التفتيت من الداخل:

انسجامًا مؤسفًا مع سيناريو «سُنة وشيعة» هناك أيضًا سيناريوهات معلن عنها بأهمية تفتيت أعمق للأمة بكل طوائفها وهو سيناريو لابد لنا أن نتصدى له بحزم وعزم... خاصة أن البعض قد ينزلق إلى اتجاهه بشكل مقصود وبانفعالات الموقف غير المدروسة... وهنا كنت أتصور أن ينادي المرشد العام للإخوان المسلمين بكل ما يدعو للتصدي للعدوان الإسرائيلي الغاشم فهذا طبيعي وتلقائي ومطلوب من الجميع، ولكن أن يؤكد سيادته على تكوين جيش من عشرة آلاف مقاتل فمن حقنا جميعًا أن نسأل... أين؟ وكيف؟!.. ألا نرى أن ذلك سيفسد فكرة وجود دولة متماسكة ويفتح الباب أمام آخرين من كل حدب وصوب أن يشكلوا ميليشياتهم أو جيشهم وتصبح مصر مسرحًا يعيدها إلى عصر ما قبل الملك مينا «موحد القطرين» فتتحول مصر إلى ما لا يحمد عقباه... ويمنعنا من الهندسة المدروسة لعمليات الاستعداد الجماعي لكل احتمالات الموقف المتفجر وندخل في متاهة نحن في غنى عنها.

... يتسع التحليل المقدم لسيناريوهات أساسية وفرعية أخرى تطرقنا لبعضها في مقالنا السابق، وسنستكمل تلك الخريطة المركبة لأنها أداة مهمة ينبغي أن نشكلها جميعًا بجهودنا المنهجية والوطنية لحسابات الاختيارات والتحركات المدروسة بعيدًا عن الانفعالات فقط، فأخطر الأمور التي ينبغي أن نتجنبها كدرس من دروس أزماتنا الراهنة والسابقة هو أهمية ألانستقبل الأحداث في دائرة النطاق العاطفي فقط، فتظل في هذا الإطار ولا يتم استدعاء دائرة النطاق الحسابي العقلاني فتنتقل الانفعالات فقط إلى دائرة التحرك فيكون قاصرًا وخاطئًا... إن انتصارات وأمجاد هذه الأمة كانت في تلك اللحظات التي كانت تحركاتها تمر بالنطاق العاطفي حيث يتم التعامل مع عاطفة الأزمة لتتحول إلى طاقة غضب إيجابي مدروس وعقلاني، وهنا تدخل الأمور إلى دائرة تحرك مدروس ندعو الله أن يوفقنا ويوفق الجميع في هذه الأمة إلى الوصول إليه في هذه الأزمة الممتدة وفي كل تفاعلاتنا... والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان.

* * *

١٥ - حالة المطلوب عربيًا للتعامل مع «المشكلة التفاوضية» بعد القرار ١٧٠١ (١)

(سلسلة مقالات للكاتب بالأخبار: ٢٠٠٦/٨/٢٤)

مفهوم تعريف المشكلة التفاوضية Problem of Negotiation

هو مفهوم معقد بطبيعته في أي مفاوضات أو أزمات.. وكثيرًا ما يفقد هذا المفاوض أو ذاك تأثيره الإيجابي على مجريات التفاوض أو إدارة الأزمة بسبب الفشل في التعريف الدقيق للمشكلة التفاوضية والإمساك بالخيوط الصحيحة لاتخاذ القرار الصائب لحلها. وأنواع المشاكل التفاوضية التي تعرف عليها الخبراء في ذلك المجال هي ثلاثة أنواع رئيسية:

(أ) مشكلة يسهل تشخيصها وبالتالي يسهل علاجها.

(ب) مشكلة صعبة التشخيص – ولكن يتم تشخيصها بعد جهد جهيد ولكنها تتطلب تكيفًا وإعادة هيكلة للمواقف والقرارات للتمكن من إدارتها وحلها إيجابيًا.

(جـ) مشكلة يصعب تشخيصها وتنزلق مع الإدارة الفاشلة للأزمة الأولية إلى مجموعة أزمات ومجموعة مشكلات تحتاج إلى جهود جبارة وملف الصراع العربي الإسرائيلي بين (ب) و(جـ) والجهد التفاوضي المطلوب اليوم عربيًا ودوليًا هو منع الوصول إلى المرحلة (جـ) المرشحة بقوة مع كل الأسف إذا ظلت الأمور كما هي عليه الآن، فهناك مشاهد تجمعت كلها في ساعات أثناء ذروة الأزمة توضح الحالة (جـ) التي قد تصل إليها الأمور وتنزلق بشدة وهي كما يلي:

* مشاهد المجازر الإسرائيلية في قانا وغيرها وجريمة ضرب البنى التحتية والمدنيين في لبنان دون أي مبالاة بالقوانين والشرعية الدولية.

* وجه غير بشوش يدعو بسذاجة وعدائية، كالسيد بوش، إسرائيل للدفاع عن النفس ومنع مجلس الأمن للتدخل لوقف المجازر.

* أوساط أوربية متخاذلة تدعو إسرائيل إلى عدم الإفراط في استخدام القوة.

* الوجه غير البشوش مرة أخرى يطلع على العالم بمصطلح عنصري وإرهابي هو مصطلح «الفاشية الإسلامية» فيثير جموع الملايين من المسلمين.

* ويظهر علينا السيد أيمن الظواهري في شريط متلفز يعلن عن أن القاعدة ستتدخل للتصدي للعدوان الإسرائيلي.. «يا هلا!!».

كانت هذه هي المشاهد التي جسدت المرحلة الأولى من الأزمة التي تقبع على أنفاس الجميع، أما المرحلة الثانية لمشاهد الأزمة فتجسدت في المشاهد التالية.

١ - يتحرك مجلس وزراء الخارجية العرب إلى بيروت في محاولة عربية لدفع المشكلة إلى حدود النوع (ب) بدلاً من الحالة (جـ) ويتم بذل جهد تفاوضي في آخر لحظة قبل الإصدار النهائي للقرار ١٧٠١ .

٢ - مشاهد الصمود المذهلة للمقاومة اللبنانية الباسلة لقوات حزب الله التي أدارت مجموعة كبيرة من المعارك لا شك لأي منصف في العالم فى أن يقول بأنها نصر عسكري.

٣ - هذه المشاهد في رقم «٢» كانت هي.. وهي فقط التي دفعت الصهيوني المتصهين «بولتن» والوجه العابس المكفهر لرئيسه أن يحركا مجلس الأمن لوقف الخسائر الإسرائيلية المتزايدة.

٤ - مشهد الأسد الجريح ومحاولة إنزال إسرائيلي في بعلبك تنتهك القرار ١٧٠١ وتوضح حجم الالتباس الخطير في لغة القرار وردود الأفعال الدولية الباهتة.

٥ - مشهد التحقيق الإسرائيلي في الحرب وأخطر ما فيه ليس إقالة البعض أو المناداة بإسقاط حكومة أولمرت عن إسرائيل ولكن مناداة المتطرفين الأكثر تطرفًا في إسرائيل بالنداء إلى القيام بجولة أخرى بعد الخسارة الكبيرة لهيبة «جيش الدفاع»، وخيبة أولمرت وعمير.

٦ - ظهور الوجه العابس علينا مرة أخرى ليتحدث عن سعيه لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن يختص فقط بمسألة «نزع سلاح حزب الله».

٧ - تتحول القاهرة إلى عقد ما يشبه مؤتمرًا للقمة حيث التقى الرئيس مبارك بالعديد من الزعماء العرب.

خلاصة المطلوب عربيًا والذي حاولنا رصده من خلال ما سبق؛ أن يتم إحداث توافق عربي لا غنى عنه لاحتضان لبنان وقضايا المنطقة لوقف المرحلة الثالثة وتدهور المشكلة التفاوضية إلى التعريف «ج» المنزلق الذي قدمنا له، وعناصر الأجندة العربية الجماعية لصالح الجميع بلا استثناء تمثل في الآتي:

١ - الكف عن استخدام الحجج الواهنة الخاصة بلغة المحاور التي يبثها أصحاب «الشرق الأوسط الهباب» وكل ما يدعو للتناحر والتفرق.

٢ - التعامل مع موضوع «نزع سلاح حزب الله» بمسئولية.. فنزع هذا السلاح بالأسلوب الأمريكي الإسرائيلي هو جريمة في حق العدل والتكافؤ والشرعية الدولية.. وجائزة للعدوان لابد من رفضها.

٣ - إحباط مخطط كل من يحاول تركيب الصراع العربي الإسرائيلي على منظومة حرب وصراع الحضارات والحروب الدينية التي يروج لها المتطرفون في هذا العالم.

٤ - إحباط كل فتاوى الفرقة والتناحر ورد «طرد الفتنة» بكل أشكالها من حيث سنة وشيعة وأقباط ومسلمون إلى آخره من ملفات لابد للجميع من الترفع عن الوقوع في فخاخها الفجة والرخيصة.

٥ - إدارة العرب لحساب مثلثات مهم لصالحهم ولصالح هذا العالم أجمع وأقصد مثلثات عديدة كـ«المثلث الذهبي» القاهرة - الرياض - دمشق - وإعادته للعمل، التفكير في إدارة مثلث مهم بحكمة وانفتاح للتوازن الدولي فهو مثلث مصر - سوريا - الرياض مع مثلث العرب والأتراك والإيرانيين يكون الهدف منه حل الملفات الملتهبة في المنطقة وفي العالم لصالح مباراة للسلام والاستقرار والتقدم يكسب منها العالم أجمع، وهي مباراة تحتاج إلى فرض السلام العادل.. ولهذا سياق قادم.

والله ولي التوفيق فهو وحده المستعان.

* * *

المطلوب عربيًا للتعامل مع «المشكلة التفاوضية» بعد القرار ١٧٠١ (٢)

(سلسلة مقالات للكاتب بالأخبار : ٢٠٠٦/٨/٣١)

نستكمل في هذا المقال الحديث عن أهمية تعريف حدود المشكلة التفاوضية بعد القرار ١٧٠١ ، والمطلوب عربيًا لإدارتها، وفي هذا الإطار سنقدم في هذا المقال رصدًا لجزء مهم من تفاعلات نخبة من المفكرين والكتّاب والباحثين والدبلوماسيين والإعلاميين المصريين الذين اجتمعوا معًا في الإسكندرية مؤخرًا في لقاء عقده منتدى حوار الثقافات بالهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، وجاء بعنوان «الإنسان العربي وتحديات العدوان الإسرائيلي على لبنان».. وفيما يلي نقدم رصدًا تحليليًا لما ورد في ذلك اللقاء الفكري والذي يمكننا وصف تفاعلاته في إطار حجج وأسئلة محورية دار النقاش حولها. وهي كما يلي:

* **أولاً: هل انتهت الحرب اللبنانية الإسرائيلية الأخيرة بهزيمة إسرائيل وانتصار المقاومة اللبنانية؟**

أجمعت أغلب المداخلات على أن ما تحقق هو نصر لبناني ينبغي الانتصار له واستخدامه عربيًا لصالح الأجندة والتحرك العربي، وأضاف د. سمير نعيم أستاذ الاجتماع بأن أهم ما في هذا النصر أنه قد بعث الروح في الجسد العربي.. أما الدكتور مصطفى الفقي فقال إنه مع كل من يطلق طلقة مؤثرة على إسرائيل التي تجاوزت بعدوانها كل الحدود في التعامل مع جيرانها في المنطقة وإن حزب الله كان وراء ظهور حالة من الارتباك والفوضى في الجيش الإسرائيلي بسبب الأداء المرتفع لمقاتليه.. ومع ما طرحه كل من د. الفقي ود. سمير نعيم.. طرح البعض الآخر – وهم ليسوا الأكثرية في المداخلات – الطرح

القائل بأن لبنان خسر بتدمير بنيته التحتية، وهناك من قيَّم أداء حزب الله في عمومه بالسلب، وأرى من وجهة نظري - أنها تعبر عن مجافاة للتحليل المتوازن والدقيق - وخطورتها أنها تعبر عن وجهة نظر تتسم ولو عن غير قصد بالالتقاء مع عناصر التطرف الإسرائيلي الأمريكي في التقييم الدعائي لنتائج الحرب.

* **ثانيًا: ماذا عن الرؤية القانونية والشرعية الدولية وطبيعة السياق الدولي وتداعيات ذلك على إدارة المشكلة بعد الحرب؟**

ولقد تصدى لهذه النقطة د. نور فرحات وكذلك د. نبيل حلمي وأجمعا ومعهما قدر كبير من الحاضرين على أننا بصدد أن أحداث لبنان قد أكدت كشف واقع عربي وعالمي بائس وخطير جدًا، وعن فشل إعمال القانون الدولي، وكشفت كذلك عن الدور المفاجئ والهائل لحزب الله، ولشعب لبنان العظيم الذي تأكد له وللشعب العربي وَهْم العدالة والأخلاق واحتراق قواعد القانون الدولي بالقنابل الغبية الإسرائيلية الأمريكية، وعدم تجريم العدوان وانتهاء حقبة الأسس التي كان يستند إليها نظام القانون الدولي الذي عهده العالم في العقود المنصرمة.. حيث إن قانون الغابة البديل يسير وفق قواعد مغايرة تنتهك سيادة الدول.، وتعليقًا على ما دار عن هذا البعد القانوني، نقول إن هذا البعد كان بحاجة إلى جلسة منفصلة ولقاء آخر.. حيث إن اللقاء قد طرح في مجمل محاوره أوصافًا للأوضاع.. ولكن ما نحتاجه اليوم حقيقة لإدارة المشكلة التفاوضية بعد الحرب هو «كيف وأخواتها» بمعنى كيف نتعامل مع الأبعاد القانونية وغير القانونية المستجدة وكيف نتجاوز إلحاق الخلل بالآخرين فقط دون أن نرصد دروس الإخفاق العربي في هذا البعد.

*** ثالثًا: ماذا عن البعـد الإسـرائيلي الأمـريكي في إدارة اللعبة أو المباراة السياسية في الشرق الأوسط؟**

اقتصر التعامل مع ذلك السؤال عن بعد لا أراه مفيدًا أو مهمًا.. حيث طرح د. مصطفى الفقي في عرضه لمسألة أن إسرائيل تحرك أمريكا.. واستطرد في ذلك بينما عارضه د. سمير نعيم ليذهب إلى عكس ما قاله د. الفقي وأن أمريكا هي التي تحرك وتستغل إسرائيل والعالم معًا.. وربما تدخل هنا بنقطتين هما:

١ – أن أمريكا بالفعل قد استخدمت إسرائيل بأسلوب خاص اعترفت به واعترضت عليه نائبة إسرائيلية في الكنيست لتنفيذ مخططات أمريكا في الشرق الأوسط الجديد «الهباب» ولكن ليس ما حدث في لعبة لبنان يمثل قاعدة مطلقة.

٢ – أن الاستغراق العربي في التنظير والتحليل لسؤال من يحرك من.. إسرائيل أم أمريكا.. لا يخرج في الحقيقة عن عقم جدال «البيضة أم الفرخة».

*** رابعًا: ماذا عن البعد الإيراني وصورة إيران لدى العرب والغرب؟..** أشار د. مصطفى الفقي لخطورة ما يروج من صورة خاطئة عن صورة إيران في الإعلام الغربي وخطورة انتقال نفس هذه الصورة للعالم العربي، حيث استطرد في هذا البعد وكان من أهم الأبعاد الإيجابية لهذا اللقاء، وذكر أن بإيران مجتمعًا متقدمًا وأن الملالي يدرسون العالم ويعرفون لغاته وأن المرأة الإيرانية تنعم بحقوق كبيرة وحذر من نغمة التفرقة الأمريكية «الشيعة والسنة».

*** خامسًا: ماذا عن كامب ديفيد والدعوة إلى إلغائها أو إبقائها؟..**

تطرق أ. جورج إسحاق إلى وجوب اتخاذ قرار بإعادة النظر في اتفاقية كامب ديفيد وهنا نرصد ما يلي:

١ – أنه وكما أشار د. نور فرحات في تعليقه على هذه النقطة إلى وجوب دراسة الوضع بكليته اليوم.. وأضيف أنه كذلك ومن خلال كامب ديفيد ذاتها فإن هناك بنودًا تتيح إعادة التفاوض على بنود المعاهدة التي تستحق ذلك طبقًا لتغير الظروف.. والخلاصة أنه ومع الأهمية بالإمساك بالخيوط السليمة لإدارة المشكلة التفاوضية لتعظيم قوة الطرف العربي، لابد أن يطرح الأمر لمزيد من النقاش حول كل ما يتعلق بكامب ديفيد وغيرها من اتفاقات سلام تم توقيعها بعد مأزق العدوان الهمجي على لبنان الشقيق.

* **سادسًا: ماذا عن «متطلبات الأمن القومي» ومراعاة تأجج الشعور الشعبوي في خضم هذه الأزمة؟**

تعامل مع هذا السؤال الدكتور جهاد عودة، وحاز في مداخلته على تراشق فكري من أ. فريدة الشوباشي، والنقطة التي يذهب إليها د. جهاد: أن دوائر الأمن القومي ينبغي أن تتعامل مع متطلبات هذا الأمن بأسلوب فوقي مستحق لا ينزلق إلى مستوى التعامل مع العواطف الشعبوية المتأججة.. وبالرغم من صحة ما يذهب إليه د. جهاد عودة فإن ما ينبغي أن ننظر إليه من طرح مثل هذا السؤال المهم والحيوي هو الآتي:

١ – كيف نحقق معادلة أكثر تواضعًا وإنصافًا للجميع؛ أي وبكلمات أخرى كيف نحقق متطلبات الأمن القومي في إطار من المشروعية الجماهيرية.

٢ – كيف نتعامل مع العقلية الانفعالية بترشيد انفعالاتها وتحويلها إلى طاقة إيجابية.

* * *

المشكلة التفاوضية
ودلالات لغة القرار ١٧٠١ (٣)

(سلسلة مقالات للكاتب بالأخبار ٢٠٠٦/٩/٧)

تحدثنا في المقالين السابقين عن طبيعة «المشكلة التفاوضية» بعد القرار ١٧٠١ وماذا على العرب أن يتخذوه من خطوات لإدارة تبعات وجوانب هذه المشكلة التفاوضية التي قمنا بتعريف أولي لها.. وأثرنا بعض جوانبها ومستويات النظر إليها، وفي هذا المقال نستكمل جانبًا مهمًا وحيويًا بخصوص هذه المشكلة.. وهو المتمثل في تقديم قراءة للغة ودلالات القرار ١٧٠١، وكذلك تقديم بعض الأمثلة التفاعلية التي دارت في الصحافة والإعلام العربى بخصوص التعامل والتفاعل حول هذا القرار وإدراكه عربيًا وذلك بهدف تقديم رؤية نقدية ودروس مستفادة لإدارة توابع ما خلقه هذا القرار على أرض الواقع.. ونقدم هذه القراءة النقدية والمتفاعلة مع كل من نص القرار وتعاملات للإعلاميين والكتّاب في كل من الواقعين العربي والغربي.. ونركز في هذا المقال على الجانب العربي أساسًا فيما يلي:

١ – كان من الخطأ الكبير أن يستخدم في «لغة القرار» تعبيرات غير دقيقة أو منطقية مثل «خطف حزب الله لجنديين إسرائيليين..» وهو «تعبير ردده جورج بوش»، وفي الحقيقة أنه قد تم أسر الجنديين في معركة عسكرية مشروعة لمقاومة المحتل وعلى أرض محتلة يحق للمقاومين الذين احتلت ديارهم أن يقاتلوا عليها هذا العدو، لقد وجدت في نص مسودة القرار «الكارثية» الأولى وقبل أن يتم تعديلها في النسخة النهائية تعبير الخطف الذي جاء بالإنجليزية THE ABDUCTED ISRAELI وخطورة هذا

التعبير أن مصطلح «الخطف» هو مصطلح يستوجب التجريم القانوني.. خاصة أن ما وصف في القرار بخصوص الأسرى اللبنانيين هو تعبير «السجناء»، الأمر الذي يبرر إمكانية استمرارهم في السجن طبقًا للإرادة الإسرائيلية وتقنينها لأنهم لو كانوا «أسرى» فإن إمكانية تبادلهم والإفراج عنهم أقرب إلى المنطق القانوني.

المشكلة التي تعرفت عليها من خلال قراءة أولية لكل من نص المسودة والنص النهائي للقرار.. أنني لم أجد في النص الأخير والذي تمت الموافقة والمصادقة عليه بعد تدخل الوفد العربي.. أنه لم يرد به تعبير «الجنديين المختطفين».. كذلك فلقد استخدم كتاب غربيون مثل آلن جريش في مقاله على سبيل المثال التعبير المنطقي والحقيقي القائل بأن الجنديين قد تم أسرهما من قبل حزب الله ولم يختطفا. جاء ذلك في مقال جريش بعنوان «الشرق الأوسط – ماذا بعد الخراب» ٢٠٠٦/٨/١٧ في حين أن بعض الإعلاميين في إعلامنا العربي لا يركز على الفرق بين الاختطاف والأسر بشكل واضح، ففي عمود بالأهرام بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٣ لأحد الكتّاب الكبار ورد هذا الخلط عن «الاختطاف والأسر».. وفي الحلقة النقاشية التي دارت في الإسكندرية وعقدتها الجمعية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية الأربعاء ٢٠٠٦/٨/٢٣ والتي أوردنا بعض تفاصيلها في المقال السابق جاء نقد أحد القانونيين المشاركين للقرار ١٧٠١ لأنه قد ورد به تعبير «الاختطاف» بدلاً من الأسر، ونفس النقد وجهه القانوني محمود المبارك في مقال له بجريدة الحياة بعنوان «لماذا خسر لبنان قضيته في مجلس الأمن»؟ ٢٠٠٦/٨/٢٦ .. والمشكلة في مداخلة كل من هذا

الكاتب ومداخلة القانوني المصري أن كليهما قد قدم تحليله لمسودة القرار.. بعد صدور القرار النهائي، أي أنهم المتحدثون عن القرار، ولكن ليس على صورته التي خرجت للعالم في نهاية الأمر.. ويمكن الحصول على النسختين بسهولة ويسر من على الشبكة العنكبوتية.

إن هذا التعديل الذي حدث هو تعديل عارضه نص الواقع الفعلي على الأرض، أي أن المسودة الأمريكية الإسرائيلية لم تتمكن من أن تفرض علينا «نصًا مكتوبًا» عن واقع مختلف على الأرض.. فلقد حقق حزب الله ردًا يمثل نصرًا ولو محدودًا بخضوع العدو لهذا الواقع.. وأكبر دليل أن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان قرر أن يكون الوسيط بين الطرفين في تصريح بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٤ .. على أن يوفد مفاوضًا سريًا لكي يتم من خلاله إدارة تفاوض غير مباشر بين حزب الله وإسرائيل لمبادلة الأسرى بينهما وهو ما قاله الأمين العام للحزب حسن نصر الله، حيث فرض الواقع نفسه على الأرض على هذا العدو المتغطرس الذي ظل مع بوش وبولتن وأولمرت وغيرهم يرددون مع «النص الأممي الوهمي» مقولة «الإفراج غير المشروط عن الجنديين الإسرائيليين المختطفين».

٢ – استكمالاً للنقطة السابقة فإن نص القرار ١٧٠١ في دلالاته قد أكد وهمية إطلاق تعبير «الإرهاب»، و«الإرهابيين» على حزب الله.. وبطلان هذا الزعم.. وهذا فرض آخر لنص الواقع على نصوص الإعلام الغربي وتصريحات سياسية أمريكية وإسرائيلية متطرفة، ولا تتعامل مع الواقع الحقيقي.

ونستكمل في الأسبوع القادم هذه القراءة النقدية إن شاء الله.

* * *

المشكلة التفاوضية
ودلالات لغة القرار ١٧٠١ (٤)

(سلسلة مقالات للكاتب بالأخبار: ٢٠٠٦/٩/١٤)

استكمالاً لتحليل لغة القرار ١٧٠١ وكيف تم إدراك أو عدم إدراك دلالات لغة القرار ١٧٠١ قانونيًا ومجتمعيًا وإعلاميًا من العالم العربي والغربي، واستكمالاً لما ذكرناه في ذلك المقال السابق الخميس ٢٠٠٦/٩/٧ نفيد بأن القرار هو إجماع دولي على وهمية إطلاق تعبير «الإرهاب» و«الإرهابيين» على حزب الله.. وبطلان هذا الزعم.. وهذا فرض آخر لنص الواقع على نصوص الإعلام الغربي وتصريحات سياسية أمريكية وإسرائيلية متطرفة، ولا تتعامل مع الواقع الحقيقي.

أخفقت الجهود الإسرائيلية الأمريكية في فرض مسألة التعامل مع لبنان من خلال الباب السابع «لميثاق الأمم المتحدة» لشريعة الغاب وأقصد الباب السابع الخاص باستخدام القوة الدولية المسلحة لفرض ما يراه مجلس الأمن مطلوبًا لصالح السلم والأمن في هذا العالم وهو الباب الذي فتحت أبوابه على العراق.. ويستخدم كسيف مصلت من قبل الإرادة والإدارة الأمريكية. ولكن نص الواقع على الأرض في لبنان قد ألغى الباب السابع وتم استخدام الباب السادس الذي سمح بنشر قوات اليونيفيل فهي قوات لا تتحرك لفرض أي أجندة بالقوة ولكنها موجودة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية فقط، ويمكنها الدفاع عن نفسها.. ولا يوجد في القرار ١٧٠١ ما يجعلها تتمركز على الحدود السورية اللبنانية ولكن هذا المطلب أيضًا مطلب أمريكي إسرائيلي وتفسير خاص بهما أساسًا.

من الإخفاقات العربية التفاوضية بخصوص القرار إذ لم يوجد بهذا القرار ما يدين الاستخدام المفرط للقوة الإسرائيلية أو ما يسمى Disproportion of Response في الرد على مجرد عملية عسكرية مشروعة ضد عدو محتل.. والإخفاق هنا لا نتحدث عنه في نص القرار فقط.. ولكننا نتحدث عن إخفاق الوفود المتفاوضة العربية في أن يسجلوا ذلك الأمر رسميًا.. أخفق التفاوض العربي في أن يسجل ذلك إدانة واضحة لجرائم الحرب الإسرائيلية في لبنان وهي كثيرة ومدونة ومشهود عليها عالميًا.. فلماذا كان ذلك القصور الشديد؟! فبينما سجل بعض العرب مواقفهم الواضحة في هذا الصدد في الإعلام والفضائيات إلا أننا لم نجد ذلك على المسار الرسمي سواء في أداء الوفد العربي لمجلس الأمن أو في أداء الوفود الرسمية العربية بشكل فوري وواضح سوى تأييد لما أقرته لجنة حقوق الإنسان في هذا الصدد.. ولا يزال الأمر قابلاً لمزيد من التحرك لإدارة ذلك القصور الواضح.

يفيد القانوني العربي محمود المبارك في مقاله بالحياة ٢٠٠٦/٨/٢٦ .. بإدانته الواضحة لأداء وخطابات المندوبين العرب في جلسة مجلس الأمن رقم ٥٥٠٨ التي عقدت في ٢٠٠٦/٨/٨ حيث يقول : إن هذه الخطابات اتسمت بالكلمات السياسية الفضفاضة دون كلمات قانونية محددة مثل «قصف المدنيين»، «جرائم الحرب»، «جرائم الإبادة»، وخلو هذه الخطابات من هذه المفردات وأقول خلو كلماتهم من «إدانة إرهاب الدولة الإسرائيلية»، كل هذا – وفي كلمات المبارك – قد مثل جهلاً من قبل المندوبين العرب بالجوانب القانونية لعمل مجلس الأمن.. المجلس أقرب ما يكون إلى محكمة دولية، يصدر

أحكامًا بحسب ما يعرض عليه من المدَّعِي والمدَّعَى عليه، ويخلص محمود المبارك إلى مقولة مهمة حيث يقول: «إذا كان المدعِي جاهلاً بأهمية الجوانب القانونية الدولية وفاته عرضها على القاضي، فليس له أن يتوقع حكمًا منصفًا، وإن كانت قضيته واضحة، فالمحكمة حين تصدر قراراتها إنما تأخذ في حسبانها ما عرض في ساحتها بغض النظر عما وقع فعلاً.. وخلص المبارك في نقده إلى القول بأن المشكلة الكبرى هي.. مطالبة الوفود العربية بوقف فوري لإطلاق النار دون أي شجب للمجازر الإسرائيلية، وعند التعرض إلى القضية اللبنانية فقد تم اتهام المقاومة اللبنانية ضمنًا بـ«الإرهاب» حين تحدث عن رد فعل الإرهابيين في حالة عدم اتخاذ إجراء حاسم من مجلس الأمن.

واستطرد المبارك يوضح تفسيراته ولكنه ختم مقاله بأن معركة القرار ١٧٠١ كانت معركة رابحة بيد أنها كانت في يد محام فاشل، وأضاف أنها ليست مجرد قضية رابحة عند محام فاشل، وإنما قضية قاض مجحف ومحام متآمر.. يظل الاسترسال في رصد دلالة لغة القرار ١٧٠١ والتفاعلات بشأنه من الأمور المهمة والمطلوبة لفهم كيف نقوم بإدراك مشاكلنا التفاوضية بشكل غير منهجي، وبالتالي لا نتعامل معها بما يستوجب علينا القيام به.

* * *

١٦ - حالة الحوار مع رئيس الوزراء الهولندي السابق

حضر إلى مصر مؤخرًا البروفيسور فان أخت، رئيس الوزراء الهولندي السابق بهدف الافتتاح الأولي لمركز التقارب بين العرب والغرب الذي تحمس لفكرته ورأى – ومعه حشد من الشخصيات العامة المصرية – أهمية أن يكون له دور إيجابي في سد الفجوة الكبيرة بين العالم العربي الإسلامي والغرب والقائمة اليوم والتي تحتاج إلى جهود كبيرة لاحتوائها ومنع تفاقمها والسعي لعبورها لآفاق أفضل.. ولا شك أن هذا سعي حميد إلا أننا ونظرًا للمستجدات المتلاحقة التي أرى أنه لم يتعلم المتسببون فيها من دروس الماضي، إننا بحاجة إلى عشرات المراكز من هذا النوع – على أن تقوم بهذه المهمة بحرفية ومهنية وهدف واضح لا تحيد عنه أو أن تسقط في فخاخ بعيدة من ذلك الهدف السامي..وهذه مهمة كبيرة وشاقة وتحتاج إلى تكاتف كل الجهود المخلصة.

لم تكن زيارة رئيس الوزراء السابق فقط لكي يضغط على زرار في جهاز الكمبيوتر من ساقية الصاوي التي استقبلته ومعه عدد من الشخصيات العامة المصرية، كي يفتتح موقع مركز التقارب العربي الغربي، أو أن يدشن المرحلة الأولى من هذا الافتتاح إلى أن تستكمل باقي الجهود والمتطلبات اللازمة، ولكن قام السيد فان أخت بإلقاء محاضرات مهمة في كل من جامعة القاهرة – بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وبالجامعة الأمريكية، كما كان له لقاءات وحوارات مع أطراف كثيرة معنية بمهمته حيث التقى بالقيادات الدينية في مصر وبوزير الخارجية السيد أحمد أبو الغيط وآخرين..

ولقد كان لي في اللحظات الأخيرة من زيارته حوار معه رتب له الدكتور هولسمان كورن ليوسي الصحفي الهولندي المعروف ومدير مركز التقارب بين العرب والغرب.. وكان ذلك مفيدًا للتعرف على أهم دلالات زيارته وآرائه التي وجدت الكثير من الارتياح والقبول ممن تحدث إليهم في مصر. وقبل أن أقدم مضمون ودلالات وقائع ذلك الحوار للقارئ الكريم، أذكر سريعًا أهم ما يتعلق بهذه الشخصية الثرية فيما يلي:

* الانطباع الأول لمن يتحدث مع فان أخت يجده وبالرغم من تقدمه كثيرًا في العمر فإنه في غاية الحماسة والوضوح الحاد.. لغته لا تحتمل المعاني الثنائية ويتجنب أسلوب المراوغة أو مسك العصا من المنتصف كما يحدث كثيرًا في لغة الدبلوماسيين.. عندما أجريت معه الحوار كان يرتدي جاكت زهريًا شبابيًا «روش طحن» وكان غاية في الشبابية والحماسة وكذلك البشاشة.
* يؤمن فان أخت بالأخلاق في السياسة وأهمية تبني المعايير العادلة في العلاقات الدولية كأساس للتعايش السلمي في العالم أجمع ويتطبيق هذه المعايير خاصة فيما يتعلق بمنطق الشرق الأوسط.
* ينتمي إلى جمعية دبلوماسية تضم عددًا كبيرًا من الرؤساء السابقين والشخصيات الدولية ومنهم الرئيس الأسبق جيمي كارتر على سبيل المثال، وهذا الحشد من هذه الشخصيات يهتم بنشر مفاهيم السلام الدولي العادل والحفاظ على بيئة كوكب الأرض حتى لا يصل الأمر إلى حالة من التدهور البيئي «المحتمل تمامًا» والتي قد تجعل من الحياة على هذا الكوب مكانًا يصعب على

الآدميين العيش فيه، ولقد أكد هذا البعد الأمير تشارلز في زيارته الأخيرة أيضًا في مصر قائلاً: «نعم علينا الاهتمام بالبعد البيئي.. لأنهم لم يكتشفوا لنا كوكبًا آخر للانتقال إليه إلى الآن!!».

* يؤمن فان أخت إيمانًا واضحًا بحق الشعب الفلسطيني في أن تكون له دولته المستقلة وسيادته عليها، وكذلك بحقه في المقاومة المشروعة للاحتلال الذي وصفه بأنه «احتلال وحشي» BRUTAL OCCUPATION.

* يعتبر أمريكا دولة مارقة "ROUGH STATE" وخارجة عن الشرعية الدولية طبقًا لذات التعريف الأمريكي لهذا المصطلح، وينادي بألاً تتواجد قوات هولندية في العراق، وبأن تسارع في الانسحاب ليس من باب تجنب تعرضها للمخاطر القائمة في العراق، ولكن من باب التوقف عن المساهمة في الاحتلال غير المشروع للعراق والذي أقدمت أمريكا عليه خارج نطاق الشرعية الدولية.

كان ما سبق معلومات موثقة على شبكة الإنترنت، أما مضمون الحوار الذي أجريته معه ودلالاته فتتمثل فيما يلي:

١ - بخصوص انطباعاته عن مصر، وخاصة فيما يتعلق بعلاقات المسلمين والأقباط التي تستحوذ على قدر مهم من اهتمامات الزائرين لمصر من كثرة ما يروج من معلومات - كثير منها خاطئ - في وسائل الإعلام الغربية، قال فان أخت إنه رأى علاقات نموذجية وإنه بعد لقاءاته الكثيرة في مصر، تأكد له الانطباع بأن أحداث ما يسمى بالفتنة الطائفية لا تخرج عن كونها في معظم حالاتها أحداثًا فردية وأن انطباعاته في السياقات الأخرى عن مصر إيجابية.

٢ – بخصوص سؤالي عن الموقف الراهن، وخاصة الموقف الأوروبي الذي أوقف معوناته عن الشعب الفلسطيني بسبب صعود حماس للسلطة وتقييمه للوضع برمته بدأ بالقول: «إنني أشعر بالخجل الشديد بأنني أوروبي».. فقطع المعونة عن هذا الشعب فيه ظلم كبير وموقف غير إنساني، وكذلك ينم عن معايير مزدوجة.. حيث طالبنا الفلسطينيين وغيرهم بالديمقراطية في بلادهم.. وبعد أن وضح للعالم أجمع وتحت أعين كل المراقبين دقة التنفيذ للتعبير عن رأي الشعب الفلسطيني في الانتخابات الأخيرة الذي أتى بحماس إلى السلطة.. فإن العقاب الذي حدث هو شيء مخزٍ ولا ينبغي أن يكون!!

وتطرق إلى القول بأن الطرف الذي ينبغي أن يلام من قبل المجتمع الدولي هو إسرائيل واحتلالها للأراضي الفلسطينية والسؤال هو: من الذي أفسد كل محاولات السلام التي تمت؟! إسرائيل تريد اعتراف حماس بها.. والسؤال الأهم: ماذا فعلت إسرائيل عندما اعترفت بها منظمة التحرير الفلسطينية؟ النتيجة معروفة، لم تصل السلطة الفلسطينية في ظل الاستجابات إلى المطالبة الإسرائيلية إلا إلى نقطة الصفر التي رأيناها قبل صعود حماس.. الأمور ينبغي أن تكون في نصابها وعلى المجتمع الدولي التدخل الإيجابي وليس لحصار وتجويع الشعب الفلسطيني.. فهذه مأساة كبرى!!».

لقد أكد فان أخت مواقفه التي أعلنها منذ سنوات، ففي ١٤ إبريل قال بالنص الموثق على شبكة الإنترنت «إن كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل قد انتهكتا القانون الدولي وبصورة خطيرة وقال إن التأييد المطلق من قبل بوش لإسرائيل هو فعل غير عادل وغير مسئول!!».

٣ – بخصوص سؤال عن كيفية التعامل مع السؤال الكبير عن «السياسة والأخلاق» في العلاقات الدولية المعاصرة يحتاج الأمر إلى سياق تفصيلي آخر، ولكن الخلاصة هي «أنه بدون أخلاق ومعايير متسقة في العلاقات الدولية.. فإن العالم يحفر قبره!! والعياذ بالله». لقد أعجبتني آراء السيد ثان أخت في مجال الأخلاق والسياسة ورأيتها تعبر عن حقيقة النبض الإنساني السوي، ولا شك أن هناك الكثيرين من أمثال ثان أخت في أرجاء العالم، ولكن ماذا عن أغلبية السياسيين الانتهازيين في هذا العالم؟! عندما طالبته بإرسال بعض ما كتبه وما تم إصداره من خلال جمعية الرؤساء السابقين التي أشرنا إليها.. قال ببشاشة سأرسل لك ذلك بالفاكس.. فبادرت ولماذا لا ترسل لي هذه الأوراق بالبريد الإلكتروني؟ فهذا أوفر.. فأجاب قائلاً: «مع الأسف أنا لا أنتمي لتفاعلات هذه الشبكة الإلكترونية».. وقال ساخرًا: «أنا أنتمي للعصر الحجري».

فهل الآراء التي أدلى بها تعبر عن ذلك.. على القارئ الكريم أن يتأمل هذه المقولة الأخيرة.

وللحديث بقية والله ولي التوفيق.

* * *

١٧ - مرحلة ما بعد غبار حرب يوليو ٢٠٠٦ ورؤية غربية لنتائج الحرب اللبنانية الإسرائيلية!

(مقال للكاتب - ٢/١١/٢٠٠٦)

عكفت العديد من الدوائر ومراكز الأبحاث المعنية بالصراع العربي الإسرائيلي وتطوراته - ولا تزال - على استخلاص الدروس من أحداث هذا الصراع الممتد، ومن أهم هذه الأحداث المستجدة تأتي الحرب اللبنانية الإسرائيلية الأخيرة في المقدمة. فلقد أخفقت الأطراف العربية - مع كل الأسف - في استثمار أحداث هذه الحرب ونتائجها لصالح الأجندة اللبنانية ذاتها، وأجندة كل الأطراف العربية هي أجندة تطالب بالسلام العادل ومنع المزيد من التوتر والاضطراب في إقليم الشرق الأوسط.. ولكن الأجندة العربية المعلنة لم يواكبها الحد الأدنى المطلوب من التحرك العربي الفعال في أثناء أحداث الحرب اللبنانية الإسرائيلية الأخيرة.. بما يجيز تفعيلها وفرضها، فالسلام العادل في ظل كيان عدواني بالمنطقة، لا يطلب بل يفرض فرضًا بإرادة عربية جماعية. ولكن الأطراف العربية - بما في ذلك العديد من ممثلي النخبة المثقفة في الوطن العربي - لم تتكاتف لاستثمار الأحداث ونتائج الحرب وإظهار الدروس المستفادة بمايخدم الصالح العام، بل انزلقت - مع الأسف - نحو رؤية تبتعد تمامًا عن الرؤية الاستراتيجية الصائبة لصالح هذه الأجندة العربية العادلة، وبدأنا نرى سيلاً من الكتابات التي أقل ما توصف به أنها تعبر عن رؤية مناورة ضيقة في بعض الأحيان كأن تدخل هذه الأطراف في جدال عقيم على غرار.. هل انتصر حزب الله أم انهزم؟..

وفي بعض الأحيان الأخرى وجدنا كتابات تدعو للرثاء وتسبب الغثيان كالتي كانت تؤكد على ترسيخ كل عناصر العديد من المقولات الإسرائيلية والأمريكية الجائرة والافتعالية والتي ستؤدي إلى التوتر المستمر وإلى خراب المنطقة إذا لم يتم التصدي لها بعقلانية «راشدة» وجريئة وحسم وإرادة واحتواء، وأخطر هذه المقولات تتمثل في السعي إلى تحويل الصراع في المنطقة إلى صراع سني – شيعي مع إبراز النعرات الطائفية التي تدخل في سيناريو «تفتيت المنطقة»، فبينما تم دفن مشروع الشرق الأوسط الكبير والذي أصر على تسميته بمشروع الشرق الأوسط «الهباب» تم دفن هذا المشروع في ركام الدمار «الفسفوري» الذي دفع ثمنه كل الشعب اللبناني الشقيق، ولكن بعزة وكرامة وتضحيات كبيرة، لا يمكن أن يبخسهم حقهم فيها إلا كل موتور، حتى وإن غلف رؤيته بمسوح «العقلانية» المرادفة للخضوع التام والرؤية غير السوية والمسارعة إلى تبني أسلوب سيناريو النعامة التي تدفن رأسها في الرمال في لحظات الخطر، ظنًا منها أنها بذلك قد تجنبت الخطر!! وذلك بدلاً من استخلاص الدروس الموضوعية التي تؤسس لتحرك عربي توافقي بحده الأدنى من أجل منع «سيناريو التفتيت» بعد أن انتاب هذا الصراع التحرك من «الأرض مقابل السلام» إلى «السلام مقابل الأمن» إلى «جمود وموت عملية السلام».. وهي الخطوات المتدهورة التي مرت بها المنطقة التي أصبحت اليوم أمام «سيناريو التفتيت»..
من هنا وبعد هذه المقدمة الضرورية أسلط الضوء على رؤية غربية مبنية على دراسة قام بها المحلل المعروف كووردسمان وأخرى قام بها كل من كروك وبيري.. والتي جاءت بعنوان «كيف هزم حزب الله إسرائيل؟» HOW HEZBOLLAH DEFEATED ISRAEL? والتي نشرها

«منتدى الصراعات من أجل السلام بلندن ومن المهم أن نعرف كاتبي الدراسة، فالباحث CROOK هو مستشار سابق للاتحاد الأوروبي ولغافيير سولانا وشارك في تحقيقات دولية عديدة، والباحث PERRY هو محلل عسكري ومتخصص في الشئون الخارجية بواشنطن.. ودراسة الباحثين تتكون من ثلاثة أجزاء ومنشورة على الموقع التالي http:www.times.com ، والجزء الأول جاء بعنوان «الحرب الاستخباراتية»: وملخصه أن الحكومة الإسرائيلية قد انتهكت مبادئ الحرب عندما اكتفت باحتقار العدو - دون دراسة جادة - وبالتالي كانت المفاجأة في حملتها العسكرية في يوليو الماضي كبيرة واستراتيجية ومفجعة في نتائجها، فلقد أخفقت الحملة الجوية تماما في تدمير حزب الله - خاصة وأن تقديرات الخبراء الإسرائيليين العسكريين كانت خاطئة تمامًا عندما تصوروا وأعلنوا إنهاء وتدمير حزب الله في ٧٢ ساعة من بدء الحملة الجوية - وهنا تلاشى مفهوم «النصر الإسرائيلي جوًا»، ومن هنا اضطرت إسرائيل إلى خوض الحرب البرية التي حاولت تجنبها لما تكبدته من خسائر في معاركها السابقة والتي أدت إلى انسحابها من الجنوب اللبناني مسبقا.

والجزء الثاني من الدراسة جاء بعنوان «الحرب البرية»، وهنا يذكر الباحثان بأن إسرائيل قد اضطرت إلى استدعاء الاحتياطي، وكان في ذلك دليل واضح بأن ضرباتها ضد حزب الله كانت غير ناجحة.. ويذكر الباحثان اللذان قاما باستقصاء الحقائق على الأرض اللبنانية، وفي الأروقة السياسية والعسكرية الغربية المطلعة، بأن إسرائيل قد اختلقت العديد من البيانات العسكرية المزيفة بأنها احتلت هذه البلدة أو تلك في الجنوب، وعن «معارك كسبتها»، بل كل ما فعلته حقيقة هو استخدام أسلحة محرمة فسفورية وعنقودية،

ويخلص الباحثان في هذا الجزء التفصيلي من الدراسة إلى قولهما «بحساب الصواريخ، والمركبات والمدرعات أو عدد القتلى في صفوف العسكريين، فإن حزب الله قد انتصر انتصارًا حاسمًا»، أما الجزء الثالث من تلك الدراسة والذي جاء بعنوان «الحرب السياسية»، فيخلص الكاتبان إلى القول «بأنه ويعد انتهاء الحرب اللبنانية الإسرائيلية، فإن نتائجها ستظل قائمة على أرض الواقع لسنوات قادمة، وليس لمجرد شهور، وأن هذه الحرب كانت نقطة تحول في سياق إعادة رسم الخريطة السياسية للشرق الأوسط وليس فقط على المستويين اللبناني والإسرائيلي فقط، كما يخلص الكاتبان إلى تنبؤ مفاده: إذا ما استمرت غطرسة القوة الأمريكية الإسرائيلية وسعت إلى الهجوم على إيران فإن النتيجة ستكون خسارة أخرى لهذه الغطرسة.

يبقى القول بأن دافع الكاتبين كما يحددانه هو «السعي إلى تحدي الزيف الإعلامي والسعي لإظهار حقائق الأمور بعيدًا عن الإدراك السياسي الخاطئ وغير الدقيق لواقع الأمور، خاصة في الشرق الأوسط، وأهمية تدشين حوار حقيقي يضم كل الطوائف، خاصة الطوائف ذات الصبغة الإسلامية دون إقصائها، بل السعي إلى إدماجها في حوار سياسي خلاق يساعد على الاستقرار وبناء السلام والابتعاد عن الصراعات السلبية؛ غطرسة القوة والتطرف».. أتصور أن ما عبر عنه الكاتبان جدير بأن يكون توجهًا إيجابيًا ينبغي أن يتعمق على الصعيد الدولي، خاصة في آفاق الانزلاق السلبي الذي يسعى له البعض «الصدام الحضاري» والذي يراد له أن يتلامس مع تعقيدات «الصراع العربي الإسرائيلي»، وهذا الأمر يحتاج إلى جهد عربي خلاق ومتوافق في المقام الأول للتعامل مع الصراعين القائمين اليوم بعيدًا عن هذه النظرة الضيقة والقطرية والافتخار بأوهام لا حقائق لها.

* * *

١٨ - محطة مؤتمر الخريف ٢٠٠٧ ولغة الغموض والمصطلحات المراوغة!

(مقال للكاتب - الأخبار- ٢٠٠٧/١٠/٤)

ينعقد في شهر نوفمبر المقبل ما يسمى بـ«مؤتمر الخريف للسلام» أو ما سمى بـ«مؤتمر الولايات المتحدة» أو ما سمى باسم المدينة «مؤتمر أنابوليس» بالقرب من واشنطن العاصمة.. وتشارك في هذا المؤتمر ما يقرب من ٣٦ دولة.. وهو عدد كبير من الدول.. ولكن يأتي هذا المؤتمر في مسلسل مؤتمرات ولقاءات ما سمى بعملية السلام ليحمل في إطار «المفاوضات القبلية» أو الترتيبات الخاصة به، نفس أسئلة التحفظ والقلق التي سبقت مؤتمرات ولقاءات سابقة في إطار الصراع العربي – الإسرائيلي الممتد والتي لم يحالفها النجاح في تحقيق السلام العادل الذي ينبغي أن تنشده كل الأطراف لأن المصالح الحقيقية لا تتحقق إلا بهذا «السلام العادل».

إن أجندات الأطراف المختلفة تحمل تقريبًا نفس الفجوات التي كانت ولاتزال قائمة في أطر عمليات أو محاولات السلام السابقة.. ولكن الجديد في المؤتمر هو مجموعة المصطلحات المراوغة التي يمكن أن نضيفها إلى قائمة كبيرة من المصطلحات المراوغة ولغة الغموض السلبي في سجل الصراع العربي – الإسرائيلي الممتد ونتأمل من ملف تفاعلات الإعداد للمؤتمر ما يلي:

١ - مفهوم «الواقعية»:

قام الكثير من المنظرين من الشخصيات الدبلوماسية المعروفة أو من شخصيات علمية من مراكز الأبحاث الاستراتيجية بالتحدث عن

أن السياسة هي «فن الممكن» ولم تختف هذه المقولة من مقولات كيسنجر وجيمس بيكر وغيرهما.. ولم تخل هذه المقولات من مقولات أساتذة الواقعية السياسية في المراكز الاستراتيجية «التبريرية» خاصة في واقعنا العربي حينما كان يخرج علينا هذا الخبير أو هذا الباحث أو ذاك لينتقد العقلية العربية الإطلاقية ويقدم لنا دروسًا في الفرق بين «المأمول» و«المراد» و«الواقع» و«القيود».. إلخ.. ولا بأس في أن نقبل مقولة السياسة هي «فن الممكن».. ولكن علينا أن نحلل ذلك «الممكن» لأن «الممكن» – وأي ممكن – له مساحات وليس مساحة محددة تتمثل في قبول ما لا يمكن قبوله.. نأتي للأمثلة المحددة من ملف مؤتمر الخريف لنتوقف أمام تصريح لوزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني التي علقت على تصريحات الرئيس الفلسطيني عن أهمية طرح أجندة القضايا الحقيقية مثل القدس والمستوطنات والحدود واللاجئين والأمن والمياه وهي التي أشار إليها اتفاق أوسلو بطريقة العموميات الغامضة والتي آن لها أن ينقشع عنها هذه «العموميات الغامضة» لتحقيق مفاوضات سلام حقيقية.. علقت وزيرة الخارجية الإسرائيلية على «أجندة عباس» بأن دعته إلى التحرك «بواقعية» نحو السلام. ورد محمود عباس على «واقعية» ليفني بقوله «إن الواقعية هي أن نتحدث عن قضايا المرحلة النهائية وإلا فما معنى الواقعية؟». وتدخل اختلافات الأجندات في متاهة اللغويات السياسية كالعادة ليتساءل عباس مستطردًا عن معنى «الواقعية» التي تفهم بها ليفني الأمور فيقول «هل معناها أن نذهب إلى أنابوليس ببيان عام؟» ويخلص إلى أن ذلك غير مقبول وغير مفيد ويشكك في نتائج المؤتمر طبقًا لمعنى «الواقعية الإسرائيلية» ويقول: نريد مؤتمرًا ناجحًا يتعامل مع قضايا

الوضع النهائي وبدون هذا يكون مصير المؤتمر الفشل كغيره من المحاولات السابقة الفاشلة.

الإعلام الإسرائيلي يشن حملات إعلامية توضح لنا معنى «الواقعية الإسرائيلية» حين تحذر هذه الحملات من «عواقب توقعات مبالغ فيها».. وتفيد هذه الحملات بأنه من المهم التأكيد على أن تناول قضايا الصراع الجوهرية «القدس» و«اللاجئين» و«الحدود» في المؤتمر ليس واردًا ولا واقعيًا حتى إذا كان الثمن فشل المؤتمر!! هكذا تقول حملات الإعلام الإسرائيلي في جوهرها.

٢ - مصطلح التطبيع والمفاهيم المغلوطة:

مرة أخرى تصر إسرائيل على وضع «العربة أمام الحصان» فهى تريد تطبيعًا دون مقابل حقيقي يذكر.. فالواقعية الإسرائيلية يتضح أن معناها التطبيع بالمجان وقيام السلطة الفلسطينية بدور رجل شرطة لصالح إسرائيل وربما عنوان المدينة «أنابوليس» بالباء المخففة من الطرافة التعيسة والمؤسفة التى وكأنها تعلن عن أجندة المؤتمر الحقيقية باسم المدينة الغربي ينطبق بالعربية بمعنى «أنا» «بوليس»!!!

٣ - معنى الوسيط:

تحدثنا في سياقات عديدة عن معنى «الوسيط» في عملية السلام وعملية سلام في صراع ممتد كالصراع العربي – الإسرائيلي تحتاج إلى وساطة موضوعية ومحددة وعلى أساس «المكسب للجميع»؛ لقد كان كارتر يلعب هذا الدور في بداية عملية السلام في المنطقة، أما اليوم فلا يوجد سوى رأي منحاز لإسرائيل، وبالرغم من أن جورج

بوش هو أول رئيس أمريكي يقول بدولة فلسطينية مستقلة قابلة للعيش والاستمرار.. فإن «الواقعية العملية على أرض الواقع» لاتزال بعيدة أميالاً وفراسخ عن هذا الأمر!!

الفصل الثالث

دبلوماسية المسار الثاني والسيناريوهات الأربعة للصراع العربي الإسرائيلي

تقديم:

إذا أريد لدبلوماسية المسار الثاني أن تنجح وتكون فعالة فلابد أن تكون مرتبطة برؤى استراتيجية قادرة على تصور سيناريوهات محددة بخصوص صراع ما، وهناك مستويات عديدة يمكن النظر إليها وتكوين رؤى استراتيجية وسيناريوهات مستقبلية على المدى البعيد أو القريب، ووضع خطط وإجراءات تنفيذية بخصوصها على صعيد الممارسة، وإذا قلنا إننا ينبغي أن ندير ممارسات دبلوماسية المسار الثاني بعلمية وتخطيط ورؤى استراتيجية على عدة أصعدة خاصة فيما يتعلق بهذا الصراع الممتد مع الدولة العبرية، ولعل ما استوقفني حديثًا في هذه الآونة هو خطاب آل جور نائب الرئيس في واشنطن (١٩٩٧/٤/٦م) حيث ورد عنه قوله:

«إننا ونحن في هذا الاجتماع نتذكر ثيودور هيرتزل والمؤتمر الصهيوني الأول في بال، وكتاب هيرتزل «الدولة اليهودية» وكيف أنه توقع قيام هذه الدولة خلال ٥٠ سنة، وأصاب، فقامت «حديقة غناء وسط الصحراء» على حد قوله، وحد قول الدعاية الصهيونية[٣٩].

ومع الأسف هناك الكثير مما قيل ووضعت له الرؤى الاستراتيجية وتم تنفيذه بنجاح على الصعيد الإسرائيلي، ولايزال هذا الجانب حريصًا ويعمل بجد حتى وإن كانت توجهاته ضالة وعدوانية، ولاشك

أن توقعات هيرتزل وبن جوريون وغيرهما لم تكن مجرد توقعات، وإنما هي رؤى استراتيجية تبعتها أدوات ومفاهيم تم ترسيخها في الوجدان اليهودي، وعلى أصعدة التأثير الأوروبي والأمريكي وبعض ضعاف النفوس على الجانب العربي على صعيد الممارسة الفعلية، فلا عجب أننا «نُفاجأ».. فلقد «فوجئنا» بحروب إسرائيل المباغتة «وفوجئنا» بجيش صدام يحتل دولة عربية شقيقة «وفوجئنا» بنتنياهو وأفعاله!... إلخ... ثم «نفاجأ» بأن ما يقوله هؤلاء الصهاينة يتجسد في كثير من تحركات إسرائيل وأمريكا معًا وعلى الصعيد الرسمي.

تلك المظلة الإعلامية!

بالإضافة لتلك المظلة النووية التي تمتلكها إسرائيل، فهي تمتلك مظلة أخرى ليست أقل تأثيرًا؛ وهي المظلة الإعلامية، وفي إطار المظلتين تتحرك بهوس وزخم أيديولوجي عقائدي وتطرف خاطئ لابد أن تدفع إسرائيل ثمنه غاليًا في نهاية المطاف، إلا أنها لا تدخر أي جهد في محاولة الإمساك بالأسباب والأخذ بها، فهي تفتخر، مثلاً، بحقيقة أن عدد المراسلين الأجانب لديها يفوق أي عدد موجود في أي دولة أخرى من دول العالم ماعدا واشنطن، ويمتلك الإسرائيليون مهارات التعامل مع وسائل الإعلام، ونتنياهو لا يفارق أجهزة الإعلام، وفي يوم واحد عقب إعلان اتفاق الخليل سجل ١٦ حديثًا، ولقد كان لاتفاقيات السلام مع مصر والأردن ما أفاد هذا الوجود الإعلامي للمراسلين بهذا القدر، حيث إنهم يمكن أن يتنقلوا بسهولة أكثر في أرجاء المنطقة، هذا بالإضافة إلى امتلاك اليهود لأهم مراكز وشبكات الإعلام في العالم ومهاراتهم في الدعاية، والحركة السريعة

خاصة في إيقاع عالم اليوم حيث أصبح التسلحف شأن البعض والسرعة الباهرة إيقاع البعض الآخر إلى الحد الذي تغير فيه المثل الإنجليزي القديم الذي كان يقول: «البقاء للأصلح» "SURVIVAL FOR THE FITTEST" ليصبح «البقاء للأسرع» "SURVIVAL FOR THE FASTEST" في إطار هذه المقدمة، وإذا كان لنا أن نحاول القيام بهندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني فعلينا أولاً أن نرصد هنا تلك السيناريوهات الراهنة القريبة والبعيدة المدى من أجل دفع آليات عديدة وتدشين قنوات لدبلوماسية المسار الثاني، وتدريب الدبلوماسيين والإعلاميين بخصوص المهارات اللازمة لإنجاح هذه الدبلوماسية لصالح إحقاق الحقوق العربية والإسلامية المشروعة، ومواجهة هذا الصراع الممتد بكل ثقة وإيمان بالله تعالى والأخذ بالأسباب.

تعريف السيناريو

ولعل من المهم وقبل أن نرصد تلك السيناريوهات أن نذكر وبإيجاز ما يهمنا هنا في إطار فهم وتعريف وسمات «السيناريو»، وهي بإيجاز ما يلي:

- أن السيناريو ليس موقفًا استاتيكيًا ثابتًا.
- أن السيناريو يعني رصدًا جيدًا للظواهر الراهنة.
- أن السيناريو قد يكون قصير المدى أو بعيد المدى، ولكنه دائمًا يصف مخارج بديلة لموقف ما قد يحدث مستقبلاً. ومن صياغة السيناريو السليم أن نقوم بعرض النتائج المحتملة والمتعددة التي يمكن أن تحدث نتيجة أفعال محددة.. ووجود تصور لمثل هذه السيناريوهات بشكل جيد يمكن الطرف المعني من التفكير في

المستقبل بطرق مختلفة. إن السيناريوهات الجيدة تعتمد في صياغتها وتكوينها على تحليل وتفسير جيد للخواص الراهنة بخصوص موضوع ما. ولذلك، فإن السيناريو ما هو إلا أداة للتخطيط الاستراتيجي. ومن خلاله يمكننا أن نحدد ما الذي ينبغي أن نقوم بعمله لتأمين الهدف أو النتائج التي نريد أن نحققها.

إن السيناريو يعني أن المستقبل وما سيحدث فيه ليس بالشيء الثابت – ولكن بعد عون الله وأمره جل علاه – يمكن أن نتدخل فيه من خلال ما نتخذه اليوم من قرارات سواء كان الأمر على مستوى الأفراد أو المنظمات أو المؤسسات أو الدول.

ومن الممكن أن نقول إن السيناريوهات قد تستخدم لتحقيق مايلي:

* تجنب أن نؤخذ على حين غرة وبمفاجأة في غير صالحنا.
* إن من شأن الصياغة الأمنية لسيناريوهات يمكن أن تحدث – أن نتحدى الخرائط الذهنية التي اعتدنا على وجودها في إطار متغيرات تعمل على إحداث مواقف معينة في المستقبل... أي وبكلمات أخرى أن نتدرب على كيفية صياغة السيناريو بتحرر من الافتراضات المسبقة (PRESUPPOSITIONS) .
* إن السيناريوهات تمكننا من ملاحظة علامات ومحطات التغير والتغيير.
* إن السيناريوهات تمكننا من اختبار استراتيجيتنا تجاه التعامل مع موضوع ما، والعمل على إيجاد تلك الاستراتيجية التي تتعامل مع نفس الموضوع في إطار تغيرات محتملة في المستقبل.

* إن تكوين وصياغة السيناريوهات تحتاج إلى ما يلي:

- وجود خبراء في مجالات مختلفة على مستوى متميز يمكنهم فهم الحاضر وما يحدث به جيدًا.
- أن تكون لديهم قدرات تحليلية استراتيجية (GLOBAL DISCOURSE ANALYSIS SKILLS) بحيث تمكنهم أن يرصدوا سمات وخواص وعناصر يمكن التنبؤ بشكلها وتأثيرها في المستقبل(٤٠).
- تحديد مجالات الغموض والصعوبة بخصوص موضوع أو صراع ما.
- اقتراح مخارج ممكنة لموقف متأزم في المستقبل يأخذ كل وجهات النظر المتنازعة والمختلفة والمتضادة بعين الاعتبار.

من هنا يمكننا أن نربط بين عناصر السيناريو التقنية السابقة هذه وبين مفهوم دبلوماسية المسار الثاني، بحيث يمكننا توجيه أدوات وقنوات دبلوماسية المسار الثاني في إطار من أفكار وعناصر مفهوم السيناريو خاصة تلك التي تفيد بتحريك توجهات الأطراف الأخرى وتوجهاتنا لإحداث ناتج مستقبلي ما في صراع أو موضوع ما(٤١).

أهم أنواع السيناريوهات

موضوع السيناريوهات وأنواعها وارتباطها بطرق تقنية ومفاهيم لغة الخطاب وتفاعل الخطابات وهو موضوع محل دراسة تفصيلية أخرى يقوم بها كاتب السطور، ولكن من المهم أن نشير هنا بإيجاز شديد لأهم أنواع السيناريوهات الرئيسية وهي كما يلي:

١ - النمط الحدسي INTUITIVE PATTERN

هو استشراف يتسم بالذاتية أي أنه لا يستند إلى قاعدة موضوعية من البيانات والإحصاءات، بل ينبثق من رؤية حديثة يقوم بها من يمتلك الرؤية بشكل فطري (VISIONARY MEN) ، وهذا النمط يعكس ذاتية البحث وخبراته المتراكمة. وحسه بالأشياء والأحداث هو أقرب إلى النظرية الاستدلالية DEDUCTIONISM وما يتمخض عنها من نظريات تسمى أحياناً «بنظريات الكرسي الهزان» أي أن الذي يفكر في السيناريوهات بهذه الطريقة كأنه في وضع تأمل عميق وكأنه يستمتع بالتركيز الذي يشعر به وهو جالس على كرسي هزاز ومستغرق في الفكر.

٢ - النمط الاستطلاعي أو الاستكشافي

EXPLORATORY PATTERN

وهو ذلك الاستشراف الذي يبدأ بالوضع الراهن مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات التاريخية ذات الصلة، ثم نقوم بعد ذلك بمحاولة التعرف على البدائل المستقبلية أو المستقبلات البديلة (ALTERNATIVE FUTURES) لاختيار ما نريد أن نقوم بتفعيله

وتوجيه التفاعلات نحوه. وهذا النمط يعتمد على قاعدة موضوعية من البيانات والمعلومات الصحيحة على أن نقوم بتحليل كمي وكيفي لها، للتأكد من الافتراضات التي بنينا عليها «المستقبلات» لكي ننقيها من احتمالات الذاتية التي عادة ما تصاحب تكوينها عند الشروع في صياغتها.

٣ - النمط الاستهدافي أو المعياري NORMATIVE PATTERN

وعلى عكس النمط الاستطلاعي، يبدأ الاستشراف الاستهدافي برسم صورة المستقبل المستهدف تحقيقه، ثم نقوم باتخاذ سلسلة من القرارات الخاصة بتنفيذ الهدف. وهذا النمط يحتاج إلى عناية كبيرة بمفاهيم ويعد «الإرادة البشرية؛ حيث إنها التي تصيغ الأحداث وتدفع إلى توجيهها إلى اتجاه نتدخل فيه طبقًا لإرادتنا... وهذا النمط هو الأقرب لجوهر ثقافتنا الإسلامية وما يدعو إليه ديننا الحنيف؛ فهو أكثر المفاهيم ارتباطًا بمفهوم «تفاوض إعادة الهيكلة»..

٤ - نمط «أو نموذج» الأنساق الكلية FEED BACK MODELS

وهذا النمط يعني في واقعه التوفيق بين النمطين الرئيسيين وهما: الاستطلاع والاستهداف والجمع بين مزايا كل منهما.

وهو يستلزم تجميع أكبر قدر من المعلومات وحساب ودراسة تداخل النصوص وسياقاتها ذات المستويات المتعددة.

إن من الضروري الآن أن نرصد ويعد التعريف التقني للسيناريو... أهم سيناريوهات الصراع العربي – الإسرائيلي المتصورة والحجج والمفاهيم الحاكمة التي نستند إليها في إطار ممارسات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائيلية أساسًا، وذلك من خلال الجدول التالي رقم (٢).

جدول رقم (٢) «سيناريوهات الصراع العربي - الإسرائيلي ودبلوماسية المسار الثاني»

السيناريوهات	تفعيل المفاهيم الرئيسية وترسيخها في ذهنية المتلقي عبر قنوات دبلوماسية المسار الثاني: على الصعيد العربي	على صعيد الغرب وساحاته المختلفة
سيناريو رقم (١) **الحجة الرئيسية/ «المفهوم الحاكم: الأرض مقابل السلام»** **توصيف:** مرجعية مدريد - قرارات الشرعية الدولية - المباراة غير الصفرية كأصلح مباراة لصالح جميع الأطراف - فتح مجالات للتنمية للجميع إنهاءً للصراع. **سيناريو رقم (٢)** **الحجة الرئيسية/ «المفهوم الحاكم: السلام مقابل الأمان»** **توصيف:** سلام الردع - تصفية القضية بدلاً من حلها - «استنساخ القدس» في أحسن الأحوال! - استمرار عملية التوطين.	*** إظهار القوة العسكرية الرادعة بأشكال وصور متعددة** - ترويج أخبار صفقات السلاح. - ترويج صور التعاون الاستراتيجي غير المحدد مع الولايات المتحدة. - تسريب معلومات عن طبيعة وعدد الرءوس النووية مع استمرار الإنكار الرسمي - ترويج أخبار عن تسرب الإشعاع من مفاعل ديمونة في إطار تكثيف إحساس العرب بأن السلام النووي الإسرائيلي هو سلام مسلط عليهم.	*** اختزال وتشويه الأحداث في العالم العربي والإسلامي لخدمة صور معينة:** * تزييف تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي على كافة المحاور (راجع مقالاً لكاتب السطور بملحق الدراسة بعنوان «مصر ٥٦ ودبلوماسية الثقافة الوقائية» (الأهرام ٢٠/٦/١٩٩٦م) و«المفاوض العربي والقوة الاستراتيجية لنصر أكتوبر» (الأهرام ٤/٣/١٩٩٣م) و«دروس المستقبل للصراع الممتد» (الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦م). * ترويج خطاب معاداة السامية ومحاكمة كل من ينتقد إسرائيل. * تقليب أوضاع الجاليات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة والغرب وترويج مفاهيم مثل: «الخوف من الإسلام (Islamophobia) » و«الغواصات البشرية المختفية».

سيناريو رقم (٣)

الحجة الرئيسية/ «المفهوم الحاكم: تجميد عملية السلام

توصيف»

طبقًا لمعطيات الموقف من حيث توازن القوى، ضعف وانحياز دور الوسيط يكون من الأفضل تجميد عملية السلام كأفضل الحلول بدلاً من اندلاع الحرب التي قد تستخدم فيها أسلحة دمار شامل.

سيناريو رقم (٤) المفهوم الحاكم:

«تفتيت المنطقة العربية ثم التوسع على حساب البلدان العربية (البلقنة)»

توصيف: تكثيف الصراعات الداخلية في الوطن العربي تمهيدًا لتفتيت المنطقة مع استغلال أوضاع عالمية تسمح بمزيد من التوسع لإنشاء إسرائيل التوراتية حينما تسنح الفرصة.

* إظهار حاجة إسرائيل إلى الطمأنة من جيرانها وعدم ممارسة أي تهديد لها وإلا فإنها توظف نظرية الدولة المجنونة.
* المسارات المنفردة في التعاون والسلام.
* التطبيع كمطلب في كافة الأحوال.
* تدعيم مفهوم «الشرق أوسطية» بحيث يكون على حساب النظام العربي.
* تعميق فكرة نزع أسلحة الدمار الكيمياوية والبيولوجية أولاً (وآخرًا).
* إقامة تحالفات (عملاء) في الوطن العربي تساعد إسرائيل في الترويج لما تسعى إليه.

* الترويج لخطاب المحرقة لابتزاز الغرب والعالم مع تعميق فكرة الخطر العربي المدمر الذي يتوجب حشد الطاقات ضده (راجع مقالاً لكاتب السطور «إلى متى تظل أكذوبة الهولوكست تسيطر على كتابات الغرب وأعماله») (البيان ١٩٩٤/٩/٨م).
* بناء الجسور القوية مع المسيحية الصهيونية Christian Zionist (راجع مقالاً لكاتب السطور بعنوان «التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه») (الأهرام ١٩٩٢/٢/١٩م).
* الالتفاف حول ومحاولة تشويش أي علاقات إيجابية بين الغرب والولايات المتحدة والعرب بصفة عامة (راجع مقالاً لكاتب السطور بعنوان «بين لغة الدعاية والحقيقة في مثلث العلاقات المصرية الأمريكية») (الأهرام ١٩٩٥/٢/٢٨م).
* الترويج لمشروعية توطين اليهود في أرض الميعاد وإغلاق أي باب أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين حتى في أحسن الأحوال والسيناريوهات.

وبإيجاز نفصل ما ورد في الجدول رقم (٢) فيما يلي:

السيناريو رقم (١):

إن الحجة الرئيسية أو المفهوم الحاكم هنا أن يتم ومن خلال التفاوض مقايضة الأرض بالسلام، وفي هذا استناد إلى مرجعية مدريد وقرارات الشرعية الدولية، ورغم التعثرات والتفسيرات المختلفة إلا أن هذا السيناريو تؤيده كمنطلق أساسي؛ بعض قطاعات الرأي العام الإسرائيلي، وحاول أن يوظفه كل من بيريز ورابين بشكل أو بآخر في إطار الوصول إلى تسوية تعتمد على عدم ممارسة المباراة الصفرية ليس من منطلق قناعة عميقة، ولكن من منطق أن هذا السيناريو يحقق مصالح إسرائيل الاستراتيجية ولا ينفي مطالب العرب المشروعة، ولكن هذا السيناريو وهو ما سعت الأطراف العربية من خلال جهود عديدة ومحطات مهمة منها حرب أكتوبر/ رمضان ١٩٧٣م والانتفاضة إلى تشكيل ذهنية إسرائيل في اتجاهه ولكنه سيناريو قد تعثر بمقتل رابين وتولى نتنياهو السلطة. وبفعل تداعيات أخرى.

السيناريو رقم (٢):

ومفهومه الحاكم «السلام مقابل الأمن»، وهو الذي بدأ في تجسيده نتنياهو بعد تقويض المفهوم الحاكم للسيناريو وينطلق من الحجة القائلة: «الأمن مقابل السلام» وهي كما يلي:

* يوضح نتنياهو هذه الحجة بقوله: إن «الأمن مقابل السلام» ينبغي أن يطرح الآن بعد «تنفيذ» مبدأ الأرض مقابل السلام، فهو يدعي بأن إسرائيل قد نفذت فعلاً قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لأن انسحاب إسرائيل من سيناء يعتبر «الانسحاب من أراض احتلتها

طبقًا لنص ٢٤٢، وهذا القرار يدعو إلى وقف جميع التصريحات المتعلقة بالحرب أو حالات الحرب والاعتراف بالسيادة والسلامة الإقليمية والاستقلال السياسي لجميع دول المنطقة ويحقها في العيش في سلام ضمن حدود آمنة معترف بها، ويقول: إن إسرائيل تعترف بكل ذلك وينبغي على الدول العربية أن تنفذ ما نص عليه القرار ٢٤٢ من التزامات!! أضف إلى ذلك أن إسرائيل بمقتضى اتفاق الخليل وتنفيذه قد تركت مزيدًا من الأرض!!

* إن من حق إسرائيل أن تقيم المستوطنات وأن تبنيها في أي مكان وخاصة القدس، وهذا لا يمثل انتهاكًا لأي قرارات، فالقدس هي العاصمة الأبدية والموحدة لدولة إسرائيل!!

إن من وجهة نظر نتنياهو أن العرب لا يفهمون إلا لغة القوة والإجبار، وأنهم يكتفون بترديد الرفض والتهديد بالكلام الأجوف واللجوء إلى أطراف أخرى للضغط كالأمم المتحدة أو محاولة طلب ذلك من الوسيط الأمريكي الذي يفهم ويقر بأن أسلوب الضغوط خارج إطارات التفاوض المباشر بين الإسرائيليين والفلسطينيين أسلوب مرفوض ويزيد الأمور سوءًا. (ومن ثم فهذا الوسيط يستخدم الفيتو من أجل عدم إدانة إسرائيل ويقف في صف إسرائيل في مواجهة الجميع.

* إذن فإن مفهوم الأمن مقابل السلام هو مفهوم حاكم لسياسة نتنياهو وإنه من وجهة نظره معقول يتماشى مع فكرة سلام الردع التي يؤمن بها.

* أما النقطة الأخيرة بخصوص هذا السيناريو فهى أن تتم تكملة تصفية القضية الفلسطينية بدلاً من تسويتها، وطبقًا لهذا فالمطروح هو عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين وإقامة ترتيبات على أن يتم

استيعابهم في الدول التي يعيشون فيها عربية كانت أو أوروبية، وهذا يتم الترويج له منذ فترة طويلة في كتب وكُتيبات صدرت ويروج لها خاصة في واشنطن، كذلك إذا كان لا بأس من المضي قدمًا فليُعط الفلسطينيون قرية تسمى «أبو ديس» ليسموها بالقدس الشرقية مع بعض التنازلات الطفيفة الأخرى في الضفة الغربية بحيث لا يكون هناك أي اتصال بين المناطق الفلسطينية حيث تقطعها المستوطنات اليهودية... وبهذا يكتمل سيناريو «الأمن مقابل السلام» ويتم تصفية ملف القدس والقضية الفلسطينية برمتها.!!

السيناريو رقم (٣):

ويستند مفهومه الحاكم إلى حجة تجميد عملية السلام، ولقد أورد هذا السيناريو ريتشارد هاس (HASS) مستشار الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في مجلة الشئون الأجنبية FOREIGN AFFAIRS الصادرة في سبتمبر ١٩٩٦م.

ويرى هاس أن التسوية النهائية تتطلب تنازلات حقيقية من الأطراف المتصارعة وهي بالنسبة للأطراف كلها تعتبر تنازلات تتخطى ما يمكن قبوله أو احتماله.

ويضيف هاس قائلا: إننا بصدد وضع قلق عرضة للانهيار، وإذا ما انهار، فقد تتعرض المنطقة برمتها لمخاطر ضخمة «فليس هناك ما يقطع»، في حالة نشوب حرب، بأن تظل معاركها مقصورة على الأسلحة التقليدية... إننا بصدد ظرف لا هو بحرب ولا هو بسلام، ولابد أن تكتشف الدبلوماسية وسيلة لتكييف هذا الظرف الجديد، مع اعتبار أنه ظرف سوف يستمر، مع ما ينطوي عليه من «هشاشة» و«أخطار مهولة»...

ويضيف هاس قائلاً: إن السيناريو الأفضل الوارد تصوره مستقبلاً لا يتمثل في إنجاز تسوية شاملة (كما في السيناريو رقم (١) المبني على مرجعية مدريد و«الأرض مقابل السلام»، أما السيناريو الذي كان الجميع يقولون بأن يتجمد الحال وتتجمد عملية السلام على أنها تساوي الرجوع إلى المربع رقم (١)، فهو بالنسبة لها – من منطلق الظروف الراهنة يمثل حاليًا السيناريو الأفضل.. أي أن يتجمد الحال كما هو عليه وأسوأ سيناريو أن يتدهور إلى حد نشوب حرب قد تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل).. .

ويضيف هاس قائلاً: إن الأمور في الوقت الراهن تتخطى شخص نتنياهو، فمن وجهة نظره أنه على الأرجح أن تكون الأطراف كلها قد اكتشفت أن مصلحتها تقضي بإبقاء الأوضاع على ما هي عليه بدلاً من مواصلة مسيرة تتطلب تنازلات متبادلة غير مقبولة لكل طرف.

ومن ثم، فإن من متطلبات هذا السيناريو (كأفضل السيئ) أن تتكيف الأطراف على التعايش مع هذه الحالة المتجمدة دون الوصول بها إلى نقطة الانهيار التام. أي وطبقًا لريتشارد هاس تجنب الأسوأ لا اللهاث وراء هدف غير واقعي ووهمي ومجرد سراب.

ويقترح هاس ثلاثة مداخل للتخفيف من وطأة الوضع الحالي وهي:

١ – أن تنسحب إسرائيل مثلاً من جنوب لبنان، بغض النظر عما تفعله سوريا... من منطلق أن هذا يجنب إسرائيل مشكلات ويحرج سوريا ويترك الكرة في ملعبها للرد بإيجابية على هذه الخطوة.

٢ – اتخاذ الأطراف إجراءات لبناء الثقة بدلاً من ترك الأمور تتدهور نحو ما هو أسوأ. كأن تنفذ حكومة نتنياهو بعض إن لم يكن كل

عمليات الانسحاب المقررة بمقتضى اتفاقات أوسلو (٢).

٣ – الاتفاق على آليات للإنذار المبكر المتبادل تجنبًا لمفاجآت هي نتاج تصاعد الموقف على غير ما تريده الأطراف.[٤٢]

السيناريو رقم (٤):

ومفهومه الحاكم هو سعى إسرائيل إلى تفتيت المنطقة العربية وتقويض النظام العربي، وهو سيناريو مبالغ فيه ويفترض أن الأطراف العربية لن تنتبه إلى أهمية العمل الجماعي العربي واحتواء الصراعات العربية – العربية وإقامة سوق عربية اقتصادية وقيادة عسكرية مشتركة لردع إسرائيل والاحتفاظ بالحد الأدنى من مستوى الفعل المطلوب، ولقد أثار مثل هذا السيناريو في الثمانينيات المفكر السياسي وعالم اللغويات نعوم تشومسكي حين ذكر في كتابه المثلث المحترم:

«إن هدف إسرائيل هو ما يمكن تسميته بعثمنة المنطقة العربية OSOMANIZATION، والمقصود بذلك هو الرجوع إلى نظام الإمبراطورية العثمانية (بشكل مغاير)، أي إيجاد مركز قوي يهيمن على المنطقة بعد إضعافها. وتقسيمها إلى أجزاء وجماعات دينية وعصبية، ومن المفضل أن تكون هذه الجماعات في حالة عداء دائم بعضها للبعض ليسهل على مركز القوة («إسرائيل» الآن بدلاً من تركيا أيام الدولة العثمانية) مباشرة السيطرة التامة عليها».[٤٣]

– وفي إطار الحديث عن سيناريو التفتيت أو «البلقنة» أو «العثمنة» فإن هناك ما يتردد ويتفق مع هذا السيناريو وهو ما عرف بنظرية الكيانات الصغيرة والكنتونات، وهنا نلاحظ أن مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني (الصراعية) قد جسدت مفاهيم مثل:

- «الكونفيدرالية» في المنطقة العربية كأحد المفاهيم التي صاحبت ترويج مفهوم الشرق أوسطية كأن تقوم كونفيدرالية أوسع نطاقًا بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل والأردن لتكون هذه الكونفيدرالية هي محور التحرك الشرق أوسطي الجديد، بحيث يكون تكتلاً تسيطر عليه إسرائيل.
- مع هذا التكتل الكونفيدرالي الذي يعكس وجود تكتل شرق أوسطي يتم - طبقًا لهذا السيناريو - محاولة بلقنة بلدان عديدة وتحويلها إلى كيانات صغيرة والبداية هي تقسيم العراق بحيث تكون هناك دولة للأكراد في الشمال، وثانية للشيعة في الجنوب وثالثة للسنة في الوسط لتتجمع في كونفيدرالية عراقية!
- تقسيم السودان إلى دولتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.
- أما مصر فينبغي طبقًا لهذا السيناريو - أن تكون ثلاث دول. (والعياذ بالله)، مسلمة ومسيحية ونوبية تجمعها كونفيدرالية، ولعل مؤتمر ما عُرف بمؤتمر الأقليات في مصر قد فتح النقاش حول هذا الأمر.(٤٤)

وهناك تصورات طبقًا لسيناريو التفتيت هذا لن تكون أي دولة عربية قائمة اليوم بعيدة عنه..

- ولقد أفاد مؤرخ إسرائيلي يُدعى مارتن فان كويفيلد (في حوار مع مجلة نيوزويك ١٧/٤/١٩٩٥م(٤٥) فيما يتعلق بحروب القرن القادم فقال:

«إنها حروب يتم خوضها الآن كما نشاهد في البوسنة والصومال وأنجولا وكردستان ولبنان وسريلانكا، إنها حروب لا تمارس بين

«دول» وإنما تـزاولها نوعـيـة أخـرى من «الكـيانـات»، وهناك ما يقرب من ثلاثين حربًا من هذا النوع»، وذكر... «أن الحروب القادمة لن تمارس بالجيوش النظامية ولن تستعين بالأسلحة شديدة التقدم... وإن الذي يحل محل «الدولة ذات السيادة» هو كـيانـات فـوق الـقـومـيـة مـثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والنافتا وما إلى ذلك... وفي المقابل مئات ومئات من الكيانات دون القومية»... وقد لا تحمل الكيانات فوق القومية صفة أن الناس تدين لها بالولاء... وإن ولاء أغلب الناس يذهب إلى كيانات دون القومية.. وقد يكون لهيئات اقتصادية أو لقبائل أو لعصبيات، وبذلك أصبحت «الدولة» معرضة لضغوط من أعلى ومن أدنى.

«..ولعل من الكيانات دون القومية اليوم ما ينعكس في ولاء البعض للجماعات الإرهابية العديدة المنتشرة في عالم اليوم».

الفصل الرابع

أهم الاستنتاجات الخاصة بتحليل تفاعلات وممارسات دبلوماسية المسار الثاني في إطار الصراع الممتد

* إننا بحاجة ماسة إلى هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني، حيث إن معظم تفاعلات الصراع العربي - الإسرائيلي وغيره من صراعات تقع في إطارها.. خاصة في هذه الآونة التي تعاني فيها عملية السلام على المسار الرسمي الأول مأزقًا كبيرًا إن لم يكن انهيارًا.

* إننا بحاجة ماسة إلى التدرب على التقنيات والمهارات اللازمة للممارسة الفعالة لهذه الدبلوماسية، وهذه المهارات تتعلق بإتقان مهارات أنواع التفاوض الرئيسية والمتعددة مثل: تفاوض الاستكشاف، وتفاوض إعادة الهيكلة وتفاوض التأثيرات الجانبية والتفاوض الإعلامي. وإدارة الأزمة في إطار هذه الدبلوماسية وصياغة السيناريوهات والتدخل بالتنسيق واستخدام الأدوات والسياسات المتعددة لتحريك الأحداث نحو السيناريو المفضل لأجندتنا... وهناك سياقات تفصيلية أخرى تتعلق بهذه المهارات لكاتب السطور(٤٦).

* لابد من إغلاق ملفات التناحر وعدم التقوقع في تفاعلات يستفيد منها الخصوم، وعدم الخروج خارج إطارها بالسرعة المطلوبة ومواجهة الأمور الملحة التي ينبغي لنا مواجهتها بحسن

تدبير وعلم وإيمان بالنصر.. فلقد أوضحت هذه الدراسة أهم مراحل دبلوماسية المسار الثاني منذ بدء عملية السلام ورصدت أهم سلبيات محطات هذه الدبلوماسية.. وهو الأمر الذي يستدعي تلافي الأخطاء الكبيرة التي صاحبتها، نتيجة لغياب التنسيق والإجماع على المفاهيم والمنطلقات سليمة التوجه من ناحية، وافتقاد أمور تقنية في أداء دبلوماسية المسار الثاني من الناحية الأخري وهو ما أوضحته هذه الدراسة تفصيلاً.

* رصدت هذه الدراسة أهم سيناريوهات الحرب والسلام في إطار الصراع العربي – الإسرائيلي، وأوضحت عناصر كل سيناريو ونواحي التغذية القائمة والمحتملة لفرض وتحريك أسوأ السيناريوهات وهو ما أسميناه «سيناريو التفتيت»، ولا شك أن بأيدي العرب احتواء أسوأ هذه السيناريوهات بالتخطيط والتنسيق والفعل ولابد أن يُؤدَّى بكوادر مدربة في مجالات الدبلوماسية والإعلام أساسًا سواء على صعيد طرق ووسائل تدعيم التضامن العربي والإسلامي أو على صعيد إيجاد منصات فكرية فعالة على أرض الواقع الأمريكي والغرب بصفة خاصة من شأنها تشكيل الذهنية لصالح أجندتنا أو على الأقل تحييد وتفريغ القوى المضادة لنا والآخذة في النمو والسيطرة بسبب غياب المواجهة الصحية والفعالة لها.... كذلك لابد من التعامل مع الإعلام الغربي بشكل أفضل واستخدام المتاح من قنوات بما يخدم مصالحنا مع تعظيم تفعيل الشبكات الفضائية العربية القائمة والتي إن أُحسن توظيفها قامت بدور أعظم بكثير من الدور الحالي الذي لايزال يتسم بالقصور الشديد ولا يزال بحاجة إلى تحديث وصقل دوره وفاعليته.

ولعل من أهم ما ينبغي تعلمه من دروس هو درس الخلل الاستراتيجي الذي حدث في أزمة خليج ١٩٩٠م التي كادت أن تتكرر بشكل آخر في سيناريوهات الأحداث التي رأيناها في ١٩٩٨م ومحاولة ضرب العراق (التي تحولت إلى غزو كامل).

* * *

مراجع وهوامش
الجزء الأول من الدراسة

(1) MONTVILLE, JOSEPH "THE ARROW AND THE OLIVE BRANCH: A CASE FOR TRACK-TWO DIPLOMACY," IN CONFLICT RESOLUTION: TRACK 2 DIPLOMACY, 5 TH ED., ED. BY JOHN W. MCDONALD, JV., & DIANE B.. BENDORHMRANE, FOREIGN SERVICE INSTITUTE WASHINGTON, D. C, 1987.

(2) BURTON, JOHN W. "TRACK TWO: AN ALTERNATIVE TO POWER POLITICS," IN JOHN W. MCDONALD, JV. AND DIANE B BENDORHMANE (EDS).

PERSPECTIVE ON NEGOTIATION, FOREIGN SERVICE INSTITUTE; WASHINGTON, D.C. 1987.

(٣) حسن وجيه، «نحو هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني» دراسة مقدمة للمعهد الدبلوماسي بوزارة الخارجية بالمملكة العربية السعودية، ندوة الاتجاهات الحديثة في التدريب الدبلوماسي – الرياض، مايو ١٩٩٧، أيضًا في إطار هذا السياق راجع المرجع التالي:

HASSAN, M. WAGEIH HASSAN, A LINGUISTIC ANALYSIS OF MECHANISMS UNDERLYING POWER IN INTERNATIONAL POLITICAL NEGOTIATIONS, A P I A. DISSERTATION, GEORGETOWN UNIVERSITY WASHINGTON D. C. 1989.

بخصوص تفصيلات الجدول رقم (٤) راجع الدراسة المشار إليها أعلاه (٣).

(٤) راجع المرجع التالي:

KALYAN, KOOSUM, "WHAT SCENARIOS MEAN," "IN THE MONTFLEUR SCENARIOS" A HAND OUT, WORLD FUTURE SOCIETY MEETING WASHINGTON D. C. 1996.

(٥) مجلة المصور «قضية الساعة – المثقفون والتطبيع» العدد رقم ٣٧٧٥–١٤ فبراير ١٩٩٧.

(٦) لويس، برنارد «هل لا يزال السلام ممكنًا في الشرق الأوسط؟» كتاب مترجم، الهيئة العامة للاستعلامات (كتب مترجمة رقم ٧٣٣) المجلد السادس والستون رقم ١ ، يوليو ١٩٧٨م.

(٧) انظر المرجع رقم (٦) أعلاه ص ٦٢،٦١ .

(٨) كونستابل، بيتر، «نحو السلام في الشرق الأوسط بعد حرب الخليج» في كتاب «أزمة الخليج ومستقبل الشرق الأوسط»، تحرير د. سعد الدين إبراهيم/ د. حسن وجيه، مركز ابن خلدون ودار سعاد الصباح ١٩٩٢م.

(٩) حسن، محمد وجيه حسن «مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي» عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٩٠ ، الكويت ١٩٩٤م.

(١٠) السابق ص ١٣١ ، ص ١٣٢ .
(١١) بيريز – شمعون كتاب «الشرق الأوسط الجديد».
(١٢) (حديث لوزير الخارجية المصري عمرو موسى مع المراسلين الأجانب في مقر المراسلين بفندق سميراميس – القاهرة – قبل انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادي في نوفمبر ١٩٩٦م).
(١٣) عن مؤتمرات «حوارات الأديان» هناك دراسة يقوم بها كاتب السطور بعنوان «آليات وأسئلة التفاوض في حوارات الأديان: ما يحدث وما ينبغي أن يكون..» (في طور الكتابة).
(١٤) أديب، عماد الدين، حوارات القدس، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، عدد يناير ١٩٩٧، (ص ١٦٥).
(١٥) راجع المرجع التالي:

ROKACH, LIVIA ISRAEL'S SACRED TERRORISM AAUG PRESS MASSACHUSETTS U.S.A. 1986 (P. 45).

ترجمة لهذا النص في سياق بحث كاتب السطور بعنوان «مستقبل الصراع العربي– الإسرائيلي» المجلة العربية للدراسات الدولية، شتاء ١٩٨٧م واشنطن د. سي.
(١٦) بخصوص موضوع المسيحيين الصهاينة راجع لكاتب السطور «مستقبل الصراع العربي – الإسرائيلي» المجلة العربية للدراسات الدولية، العدد رقم ١ خريف عام ١٩٨٧م.
(١٧) الخازن، جهاد: «عيون وآذان» ١٩٩٧/١١م.
(١٨) حسن، محمد وجيه حسن، «القدس وإعادة هيكلة التفاوض» دراسة منظور النظريات الحاكمة للتفاوض الدولي، أبحاث ندوة القدس، ماضيها ومستقبلها، جامعة الأزهر ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٩٥م.
(١٩) أحمد، محمد سيد، «رب ضارة نافعة» مقال بالأهرام ١٩٩٧/٢/١٣م.
(٢٠) النص الكامل في وثيقة للخارجية الأمريكية ١٩٨٩م،

vol. 89, no. 2148, Summer 1989

(٢١) راجع مقال دافيد بوردر بالواشنطن بوست في ١٩٨٩/٥/٢٤م.
(٢٢) راجع مقال توماس فريدمان بالنيويورك تايمز في ١٩٩٠/٦/١٤م .
(٢٣) لمزيد من التفصيل بخصوص مستويات غموض أزمة الحرب الجديدة ضد الإرهاب، راجع لكاتب السطور: حروب اليهودية ٢٠٠٢م، ومستقبل التفاوض مع الغرب، المكتبة الأكاديمية – القاهرة.
(٢٤) ميلتون فيروست «خريطة الطريق إلى حيث لا ندري»:

Milton Viorst, "The Road Map to Nowhere"
The Center four Strategic and International Studies, The Washington Quarterly, 26:3 pp 177-190 summer 2003.

(٢٥) فيروست، السابق، ص ١٧٩ .
(٢٦) فيروست، السابق، ص ١٨٢ .
(٢٧) فيروست، السابق، ص ١٨٢ .

(٢٨) فيروست، السابق، ص ١٩٢ .
(٢٩) فيروست، السابق، ص ١٨٩ .
(٣٠) كلايد هبرمان، جريدة النيويورك تايمز٢٧ يونيه ١٩٩٢م.
(٣١) راجع على سبيل المثال «دلالات لغة خطاب العدوان الإسرائيلي على لبنان» لكاتب السطور، الأهرام ١/١/١٩٩٣م.
(٣٢) راجع بحثًا صادرًا عن معهد أبحاث السياسات والتنمية.
(٣٣) لتفاصيل هذه السياقات راجع لكاتب السطور مناظرة لطرح فريدمان بخصوص هذه السياقات الحرجة بعنوان «كتاب فريدمان الأخير والسياق الحرج».
(٣٤) من نص خطاب الرئيس السادات بالكنيست الإسرائيلي في ١٠ من ذي الحجة ١٣٩٧هـ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧م.
(٣٥) راجع المرجع التالي: William Brown, "The Last Crusade: Nelson Hall, Chicago, 1980".
(٣٦) راجع: Stephen Cohen and Edward Azar "From War to Peace", Journal of Conflict Resolution, vol. 25, No. 1, March 1981, p. 68.
(٣٧) السابق ص ١٠٢ .
(٣٨) راجع نفس المرجع رقم (١٨). (جهاد الخازن).
(٣٩) بحث في طور الكتابة لكاتب السطور بعنوان «اللغويات والمستقبليات: ومهارات التفاعل التكاملية» (بالعربية والإنجليزية).
(٤٠) راجع لكاتب السطور المرجع المشار إليه في (٣) أعلاه.
(٤١) راجع المرجع التالي: HASS, RICHARD, FOREIGN AFFAIRS, SEPT. 1996.
(٤٢) راجع المرجع التالي:

CHOMSKY, NOAM, THE FATEFUL TRIANGLE, BOSTON M A : SOUTH END PRESS 1983 (P. 456).

(٤٣) راجع ملف الأقليات الذي أثارته ندوة «الأقليات في مصر» التي نظمها مركز ابن خلدون بالقاهرة، وأثارت ردود فعل غاضبة لدى معظم التيارات الفاعلة في مصر في منتصف ١٩٩٥م.
(٤٤) راجع الملف التالي::

CREEFIELD, VAN MARTIN, NEWSWEEK 17 TH OF APRIL 1995.

(٤٥) بخصوص المهارات التقنية المشار إليها راجع لكاتب السطور ما يلي:

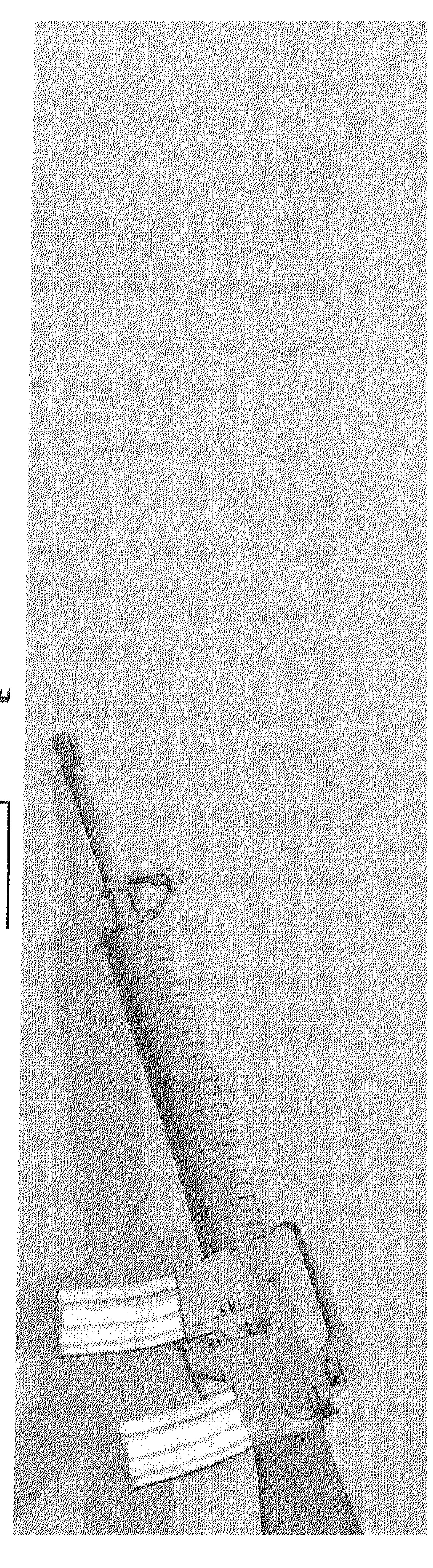
* أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي، دار سعاد الصباح، الكويت ١٩٩٢م.
* مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي، عالم المعرفة، الكويت، الكتاب رقم ١٩٠، ١٩٩٤م.
* التفاوض وإدارة المقابلات، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.

الجزء الثاني

سيناريوهات الخليج العربي

من أزمة ١٩٩٠م إلى أزمة ١٩٩٨م

(دراسة تحليلية من منظور لغويات التفاوض)



تمهيد:

لكي نصل إلى تصور دقيق بخصوص سيناريوهات الحرب السلام فيما يتعلق بمنطقة الخليج، حتى نتمكن من كل ما يؤدي إلى تفعيل سيناريوهات السلام العادل والاستقرار في منطقتنا وتفويت الفرص وإغلاق المنافذ التي تؤدي إلى سيناريوهات الحروب التي تحقق أهداف الفوضى الهدامة لصالح خصوم وأعداء والعياذ بالله، فإن علينا أن نرصد - ومن وجهة النظر التقنية - الأمر من بدايته الحديثة، وأقصد هنا أزمة خليج ١٩٩٠م التي فتحت أبوابًا ينبغي أن نحرص جميعًا على إغلاقها تمامًا مع التدخل الإيجابي لمنع تكرارها بأي صورة من الصور. من هنا فإن هذا الجزء من هذه الدراسة يتعرض لما يراه الكاتب على أنه الأساس التفاعلي الاجتماعي والسياسي الذي أدى إلى عدم السيطرة على أزمة خليج ١٩٩٠م وإلى تفاقمها والوصول بها إلى مرحلة الحسم العسكري، وهنا أعيد إنتاج أجزاء من تلك الدراسة التي قدمتها في فترة اندلاع وإدارة أزمة خليج ١٩٩٠م، وكانت بعنوان «أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي» حيث كنت أركز - ومازلت - على هذا البعد التقني المفتقد التوظيف في تفاعلاتنا. فهذا البعد يتعلق بالعمل على إشاعة روح ومفاهيم ثقافة التفاوض الإيجابي على أساس علمي حيث إن مثل هذه الثقافة وشيوعها كبديل عن ثقافة التسلط وأحادية الرأي والتناحر والتعسف وغلبة الأجندات المتفجرة لهي من أهم السُّبل التي تمكننا من تفويت الفرصة على الأعداء والخصوم وتمكننا من سد الثغرات التي اعتادوا أن ينفذوا منها لينفذوا مخططاتهم.

وهذه الأجزاء من تلك الدراسة التي أجريتها عام ١٩٩٠م تقدم لنا، ليس فقط صورة تفصيلية لبعد هام من أبعاد أزمة خليج ١٩٩٠م

ولكن التداعيات الخطيرة لهذه الأزمة إلى يومنا هذا وهذا البعد وهو المتمثل في أوجه الخلل في الخطاب التناحري الذي أدى إلى انفلات الأزمة، وكذلك الأوجه التقنية المفتقدة فيما يتعلق خاصة بعمليات إقامة الحجج ARGUMENTATION والتي تحتاج من المفاوض ومن المتحدث أو الكاتب أن يكون على دراية علمية بها لكي تؤدي الغرض الإيجابي من إقامتها على أساس الوصول إلى أصوب الحلول ومنطلقات العمل الجماعي البنَّاء، فهي الجزء المكمل للأخلاقيات وكل من الأخلاق والعلم مما دعا إليه ديننا الحنيف ورسول الله المصطفى ﷺ ووجهنا إليهما، ويتضمن هذا القسم فصولاً خمسة تعكس البعد والرؤية التقنية أساسًا والتي كنت قد قدمت تصورًا عمليًا لها من وقائع تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠م في وقت حدوث تلك الأزمة.

وفي نهاية هذا الجزء نقدم ملخصًا لسمات خطايا الحوار التفاوضي تمهيدًا للجزء الثالث الذي نقدم من خلاله تحليلاً لأهم تفاعلات ما يمكن أن نسميه بأزمة خليج ١٩٩٨م وما سُمي في وسائل الإعلام بالأزمة العراقية - الأمريكية تارة وبالأزمة بين العراق والأمم المتحدة تارة أخرى.

ونحاول أن نشير هنا إلى الجوانب الإيجابية التي طرأت على إدارة أزمة ١٩٩٨م من الجانب العربي الذي وقف في وجه توجيه ضربة عسكرية للعراق، ونشير أيضًا إلى مازال قائمًا من سلبيات التفاعل مقارنة بأحداث ١٩٩٠م المؤسفة من أجل إظهار أهمية وأوجه التغلب عليها وتجاوزها.

* * *

الفصل الخامس

مدخل عام لأطر تحليل النص ولغة الحوار

يقدم هذا الفصل منظورين أساسيين يمكن من خلالهما إلقاء الضوء على ديناميكيات لغة الحوار. و**المنظور الأول** هو منظور التحليل العلمي للنص وديناميكيات لغة الحوار (المطارحات/ الخطاب) وهو ذلك المنظور الذي يمثل مدخلاً عامًا نتعرف من خلاله على الأطر العامة لتحليل النص والحوار، وهو المنظور الذي تنبثق عنه هذه الدراسة.

أما **المنظور الثاني** والذي وجدنا أهمية تقديم عرض موجز له فهو المنظور التربوي (التعليمي) والديمقراطي للغة الحوار والذي يمثل بعدًا آخر له أهميته الكبيرة عند النظر بشمولية للمشكلة موضع الدراسة.

المنظور الأول: التحليل العلمي «للنص» وديناميكيات لغة الحوار.

أولاً: إشكالية التعريف:

يرتبط تعبير «تحليل النص» TEXT ANALYSIS (T.A) وتحليل «ديناميكيات لغة الحوار»، وبمعنى آخر مما قد نسميه بالمطارحات DISCOURSE ANALYSIS (D.A) ببعضهما البعض بطريقة متداخلة وكثيرًا من الأحيان ما يستخدم بعض المتخصصين التعبيرين تبادليًا (على سبيل المثال انظر تنين TANNEN ١٩٨١م، وشيكوريل CICOUREL ١٩٧٥م).

ولكنه في واقع الأمر يظل لتعبير المطارحات معنى اصطلاحي

خاص في علم اللغويات، فهذا التعبير يشير إلى مرحلة بداية السبعينيات حيث بدأ اهتمام خاص من قبل علماء اللغويات بتحليل يتخطى مستوى الجملة "SENTENCE LEVEL" الذي كان سائدًا في النماذج والنظريات السابقة – إلى تحليل على مستوى المطارحة بأكملها "DISCOURSE LEVEL" ليشمل ذلك تحليل المقولة المكتوبة أو المنطوقة والجدليات ARGUMENTATION الموجودة بها في شموليتها (انظر براون ويول BROWN & YULE ١٩٨٣م، مايكل ستبز MICHAEL STUBBS ١٩٨٣، وبولينجر BOLINGER ١٩٧٩م)، ولقد ارتبط تعبير «تحليل المطارحات» (D.A) ارتباطًا وثيقًا بتعبير التفاعل الحواري CONVERSATIONAL INTERACTION أكثر من ارتباطه بتحليل النص المكتوب الثابت. فإننا إذا ما نظرنا إلى كتاب كولثارد بعنوان «تحليل المطارحات»: ١٩٧٧م نجده ليس سوى تحلل للمحادثات.

وإذا ما تأملنا تعبير «تحليل النص» TEXT ANALYSIS نجد أنه هو الآخر قد ارتبط ارتباطًا كبيرًا بتعبير «تحليل المضمون» أو (C.A) CONTENT ANALYSIS ، ولقد شاع تعبير «تحليل المضمون» في مجال العلوم السياسية وكذلك في النقد الأدبي وإن اختلفت طرق التحليل في كليهما. ويعرف تحليل المضمون بأنه «أسلوب في البحث لوصف المحتوى الظاهري للاتصال وصفًا موضوعيًا منظمًا وكميًا (برلسون ١٩٥٢م)(DISCOURSE ANALYSIS) .

بينما شاع تعبير «تحليل المطارحات» (D.A) في مجال اللغويات وعلم الاجتماع أكثر، ويعنى بمعالجة المعاني الكامنة للكلمات والأفكار (DEEP STRUCTURE) وكذلك بالعمليات الوظائفية اللغوية

التي تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو ما يسمى بـ"DISCOURSE" ومن هنا بدأ فريق من علماء اللغويات يهتم بوضع آجروميات ليست على مستوى الجملة كما كان العهد بالآجروميات التقليدية، ولكن بوضع آجروميات على مستوى المطارحة (DISCOURSE RULES) وآجروميات المطارحات (DISCOURSE GRAMMAR) انظر على سبيل المثال بيكر ١٩٨٤م، وبراون ويول (BROWN & YULE) ١٩٨٣م، ومايكل ستبز (STUBBS) ١٩٨٣م.

ولتوضيح حقيقة معنى تعبيري «تحليل النص» (T.A) و«تحليل المطارحات» (D.A) نجد أن البعض لا يستخدمهما استخدامًا تبادليًا كما ذكرنا آنفًا، بل يستخدم تعبير تحليل النص (T.A) كجزء من الكل.. والكل هنا هو تعبير «تحليل المطارحات» (D.A) انظر بيكر (BECKER) ١٩٨٤م.

وإذا كانت هناك إشكالية على الصعيد العربي في التفريق بين «تحليل النص» (T.A) وبين ما أطلق عليه «تحليل الخطاب» كترجمة اصطلاحية لتعبير (DISCOURSE ANALYSIS) والذي يُفضل ترجمته إلى تعبير «تحليل المطارحات» فإن هذه الإشكالية ترجع إلى وجود كلمة DISCOURSE باللغة الإنجليزية والتي تعبر عن كافة الأشكال والصيغ والوسائل اللغوية المختلفة المكتوبة والمنطوقة، بينما لايوجد بالعربية مرادف موازٍ لها، ومن هنا كانت كلمة «المطارحات» أقرب الكلمات تحقيقًا لمعنى الكلمة الإنجليزية. وإن كانت المطارحات و «الخطاب» لا يمكن اعتبارهما منفصلين ولكنهما يمثلان شكلين لعمق واحد يُعنى بمحاولة التعرف على طبيعة الرسائل والمنظومات المختلفة في طبيعتها وأهدافها...

فالمطارحات المكتوبة هي «نص» TEXT تمامًا، كما قد تصبح الكلمات المنطوقة في الحديث نصًا هي الأخرى، وبالتالي يمكننا اعتبار أن تعبيري «المطارحات» و«النص» كلاهما يتداخل مع الآخر تداخلاً كبيرًا وإن عبرت كلمة المطارحات عن شمولية أكبر وعن طبيعة أكثر ديناميكية من كلمة «النص».

ثانيًا: طبيعة الدراسات الحديثة لتحليل «النص» و«المطارحات» / «الخطاب».

إن عمليات «تحليل النص» و«تحليل المطارحات»[1] لم تعد موضع اهتمام فريق من المتخصصين دون غيره، فهذه الموضوعات حيوية لكافة التخصصات بكل تأكيد، ولذلك فإن اهتمام العلماء بهذا الأمر في العقدين الأخيرين والذي صاحبه مزيد من البرامج التكاملية في علم اللغويات (INTERDISCIPLINARY LINGUISTIC PROGRAMS) قد اجتذب العديد من المتخصصين في معظم المجالات في إطار هذه البرامج التكاملية، وأصبح ناتج هذه البرامج يصب في محاولات الإجابة على أسئلة مركزية تهتم بها النظرية اللغوية الكبرى "THE GRAND LINGUISTIC THEORY" وهذه الأسئلة تتعلق بالنقاط التالية:

١- كيف تستخدم التركيبات النحوية والدلالية والوظيفية، (SYNTACTIC, SEMANTIC & PRAGMATIC STRUCTURES)

(١) بينما يوحي كل من تعبيري «تحليل النص» و«تحليل الخطاب» بكون الأمر ثابتًا وإستاتيكيًا يوحي تعبير «تحليل المطارحات» بمعنى الديناميكية في السياق المكتوب أو المنطوق وهو المقصود أساسًا بالتعبير الأصلي DISCOURSE ANALYSIS، كذلك فإن كلمة الخطاب في اللغة العربية تفهم عادة على كونها خطابًا بمعنى الخطاب السياسي أو الاجتماعي أساسًا، بينما هناك أشكال لغوية أخرى مثل المحادثة العادية والمقابلات الرسمية بأشكالها والمقال المكتوب والرسائل والتي تمثل كلها وسائل أخرى تعبر عنها كلمة «المطارحات» أكثر من كلمة الخطاب.

لتحقيق هدف اتصالي ما سواء كان في سياق اجتماعي [على سبيل المثال انظر "LABOV" ١٩٧٢م، جمبرز "GUMPERZ" ١٩٨٢م] أو سياق قانوني [انظر شاي "SHUY" ١٩٨١م، وفولر "FOWLER" ١٩٧٩م أو سياق تعليمي] انظر كولثارد "COULTHARD" ١٩٧٧م، "HASSAN-WAGIEH" ١٩٨٧م (١٩٩١م) [أو سياق طب نفسي] انظر تشايكا "CHAIKA" ١٩٧٤م [أو سياق أدبي] انظر تنين :"TANNEN" ١٩٨٨م، وهايمز "HYMES" ١٩٨٠م] أو سياق لغويات الكمبيوتر – وهي الخاصة بالترجمة ولغات الكمبيوتر ودراسات الذكاء الصناعي – [انظر على سبيل المثال موليري "MALLERY" ١٩٨٧م، ودفي "DUFFY" ١٩٨٨م] وفي السياق الديني/ انظر فيرجسون "FERGUSON" ١٩٧٦م، وسامرين "SAMARIN" ١٩٧٦م] ... إلخ..

٢ – ما طبيعة ووظائف عمليات المطارحات المختلفة DISCOURSE PROCESS ومبادئها وأثرها في عمق تماسك واتساق النصوص "COHERENCE OF TEXTS"، وما وسائل اكتشاف الأنماط الكامنة عبر «النصوص»؟

٣ – بالإضافة إلى تعميق المناهج والطرق العلمية التي يهتم بها اللغويون، فالمجال يهتم أيضًا بالبحث في الظواهر اللغوية المتعلقة بالجماليات "AESTHETICS"، وبالتالي بالبحث عن تلك القوى الغامضة التي تزحف عبر الكلمات والأفكار والصور والعواطف والتي لا تتضمنها الكلمات المفردة بذاتها.

من هذه المنطلقات زخرت قاعات المؤتمرات الدولية الحديثة بالدراسات التكاملية ومن خلالها التقى العديد من الخبراء من كافة

التخصصات في العلوم الاجتماعية المختلفة. فإذا ما نظرنا إلى صعيد دراسات تحليل النص والمطارحات بالوطن العربي لوجدنا أهمية وجوب تفاعل المتخصصين في العلوم الاجتماعية المختلفة، ولوجدنا نقصًا في عدد الدراسات والبحوث في معظم مجالات تحليل المطارحات في السياقات القانونية والطبية والنفسية ولغويات الكمبيوتر والسياق السياسي؛ فلقد اقتصرت الأدبيات الموجودة في العالم العربي على تحليل النص في السياق السياسي ولكن من منظور مدارس تحليل المضمون "CONTENT ANALYSIS" المختلفة عن طبيعة المطارحات "D.A"، كما سبقت الإشارة، وكذلك على السياق الأدبي والذي تهيمن على مناهجه مدارس تحليل النقد الأدبي كـ«البنيوية» "STRUCTURALISM" ومدارس ما بعد «البنيوية» أو ما يسمى بـ "POST-STRUCTURALISM" ومدرسة «البناء المناقض» أو التفكيكية "DECONSTRUCTION" ومدارس ما عرف بالنقد الجديد (NEW CRITICISM).

إن أهمية وجود أبحاث تكاملية في المجالات المذكورة أعلاه في الوطن العربي تعتبر من الأمور المطلوبة والمهمة حيث إن نتائج هذه الأبحاث على صعيد الخصوصية الثقافية العربية سوف تثري المحاولات المتعمقة لفهم الأسئلة المركزية المتعلقة بظواهر الاتصال والتفاعل المذكورة آنفًا وتقديم قراءة تحليلية أفضل للنصوص في سياقاتها المختلفة.

المنظور الثاني: الديني والتربوي والديمقراطي

في الوقت الذي يتسم فيه المنظور الأول بالجوانب التقنية لديناميكيات الحوار، فإن هذا المنظور الذي يمكن تسميته بالمنظور

التربوي الديني والديمقراطي يختص بتعميق آداب الحوار العامة؛ وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا المنظور يُعنى أساسًا بالحاجة إلى اللباقة والكياسة العامة وتجنب الألفاظ الخارجة والابتعاد عن الانفعالية والعصبية والتوتر عند مخاطبة الآخرين ووصفهم بما ليس بهم والتحلي بأخلاقيات التخاطب العامة. والمصادر التعليمية الخاصة باستنباط قواعد السلوك العام توجد بقدر كبير من التفصيل في بطون كتب الحكمة والتراث من ناحية، ومن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأديان السماوية من الناحية الأخرى، فعلى صعيد كتب الحكمة والتراث على مستوى الذيوع العالمي نجد كتاب لجون هيدر "JOHN HEIDER" (١٩٨٥م) بعنوان «استراتيجيات لعالم جديد» والذي بيع منه ملايين النسخ والذي يقدم ترجمة لمقولات أحد حكماء الصين المعروفين وهو لاوتوزتا وتشنج ذلك الحاكم السياسي المحنك الذي ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد والذي أصبحت أدبياته ومقولاته من الكلاسيكيات التي تنتشر إلى يومنا هذا ويستعين المتحدثون بمثل هذه الحِكم لتدعيم مواقفهم وتصرفاتهم في السياقات المختلفة، ومن أمثلة حكمه المشهورة «رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة» و«السهل الممتنع» و«العنف يولد العنف»، ويتحدث الكتاب أساسًا عن طرق القيادة وحكم الآخرين وتعليمهم في ظل التآلف مع القوانين الطبيعية..

وعلى صعيد الخصوصية الثقافية نجد العديد من الكتب التي يستنبط منها كبسولات عديدة تتعلق بالتحلي بالآداب العامة في الحوار والحكمة فيه، فنجد على سبيل المثال ابن خلدون: الشفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق أغناطيوس خليفة عبدالرحمن

(١٩٥٦م)، وكتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي، تحقيق محمد مرسي (١٩٧٠م)، وتلك الكتب التي اهتمت بإيقاظ البعد الإيحائي السلوكي في النفوس على سبيل المثال لا الحصر انظر السلوك الاجتماعي في الإسلام، لحسن أيوب (١٩٧٠م). وهناك من الكتب التي عالجت أمر الخلاف والاختلاف وآدابهما من منظور المنهجية الفقهية للسلف والضوابط التي كانوا يقيمونها لعمليات الاجتهاد والاستنتاج وضبط الرأي لتحقيق الغايات والمقاصد الشرعية، انظر على سبيل المثال كتاب آداب الاختلاف فى الإسلام، لطه العلواني (١٩٨٧م)، والحوار نافذة من نور للأميري (١٩٧٥م).

وفي إطار استنباط آداب الحوار من الكتب السماوية تجدر بنا الإشارة هنا إلى العديد من آيات القرآن الكريم التي تدعونا إلى أهمية مراقبة ما نقوله والحرص على التحلي بآداب الحوار فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن الرسائل بين المرسل والمستقبل تحتاج إلى عملية وصول وتوصيل، وهذا الأمر يتضمن معاني التسلسل المنطقي الواضح البين الذي لا يحمل في طياته غموضًا أو لبسًا أو شوشرة... وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ وقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .. و﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهناك العشرات من آيات القرآن الكريم، ومن الكتب السماوية الأخرى التي تحدد بجلاء إطار آداب الحوار والاختلاف وهو من الأمور التي يجب أخذها بعين الاعتبار بكل تأكيد. وهناك العديد من الأدبيات العربية التي تندرج تحت إطار هذا المنظور، ولكن في إطار هذا

المنظور وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ والذي مثل للإنسان دعوة واضحة لتعميق التأمل في السؤال المتعلق بحيثيات الكيفية دائمًا وجب النظر إلى الجانب العلمي والموضوعي للمنظور الديني والتربوي والديمقراطي لطبيعة ديناميكيات الحوار، وهنا نجد مفتقدات واضحة على الصعيدين الإعلامي والتعليمي. فعلى صعيد الفهم الحقيقي للحوار الديمقراطي وجب إدخال العديد من المكونات الخاصة بهذا الأمر سياسيًا وتعليميًا بما يناسب طبيعة الأمر وطبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية. فسياسيًا وجب اتخاذ الخطوات الواعية لمزيد من الديمقراطية على مستوى العالم العربي بأكمله، فلا مناص من هذا الأمر لمصلحة الجميع، فلقد أصبح تحقيقه بمثابة حتمية تاريخية خاصة بعد أحداث أزمة الخليج العربي وما فجرته من جدليات حوارية، وكذلك سقوط الشمولية والدكتاتورية والقمعية في دول المعسكر الشرقي وما حدث أخيرًا في الاتحاد السوفيتي (سابقًا) وسرعة انتقال المعلومات وتشابك وسائل الإعلام التي تتيح للجميع معرفة كافة ما يدور في أي مكان من الكرة الأرضية، الأمر الذي فجر ميكانزمًا دوليًا خاصًا لا يمكن الابتعاد عن بؤرة تأثيراته. فعلى صعيد هذا المحور الخاص بالفهم الحقيقي لطبيعة الحوار الديمقراطي وجب في الوقت الذي تنادي به القيادات التعليمية في العالم العربي إلى ما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم (أي جعله ديمقراطيًا) أو ما يسمى "DEMOCRATIZATION OF EDUCATION"، وهو الخاص بإتاحة العدالة في الفرصة التعليمية – وجب أيضًا إدخال المكونات

التعليمية الخاصة التي تتيح الفهم الحقيقي والصحيح للحوار الديمقراطي سياسيًا واجتماعيًا، وبما يناسب طبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية أي أنه وجب إعطاء نفس الاهتمام لنفس المفهوم الخاص بعملية ديمقراطية التعليم مع عكس ترتيب مفردات ذلك المفهوم ليكون «تعليم العملية الديمقراطية» "THE EDUCATION OF DEMOCRATIZATION"، وهنا وجب الأخذ بعين الاعتبار سلبيات الممارسات السابقة والحالية بالوطن العربي عند النظر للمستقبل كأسلوب تربوي علاجي حيوي وبالتالي وجب الالتزام بالآتي:

(أ) تأصيل المفاهيم الديمقراطية الحقيقية المختلفة في العملية التعليمية منها.

(ب) معالجة ظاهرة ابتذال المسميات والازدواجية بين القول والفعل بحيث تواكب هذه العملية التعليمية المزيد من محاولات التصدي للخارجين على الأسلوب الديمقراطي من ناحية، وكذلك التصدي لهؤلاء الذين يسعون إلى تقنين الأساليب السلطوية الاستبدادية من خلال مسميات مختلفة تربط العملية الديمقراطية بالشكليات الروتينية المعقدة والتي تمثل أسوأ الصور القمعية الحديثة والتي لم ينتج عنها سوى مزيد من فقدان الطاقات، وكذلك فقدان الشرعية ومزيد من تعميق تهميش الأمة العربية بأكملها على المستوى الدولي.

إن هذه الأنماط السلطوية والاستبدادية هي في الواقع ومازالت وليدة ممارسات تعليمية تلقينية جامدة لم تسمح بالفرصة لظهور الملكات والمهارات وخلق المواطن المتطور الذي يستطيع أن يتعامل

مع الآخرين بديناميكية صحية فيتقبل النقد البنّاء ويستطيع القيام به، ويستطيع بالتالي التغيير والتكيف مع إيقاع العصر المذهل في سرعته. لقد أدت هذه الأنماط السلطوية الاستبدادية والتي تتنوع صور وجودها بالمجتمع العربي إلى كوارث قومية كبرى نعاني من آثارها إلى الآن وأبسطها هو ذلك الوقت الكبير المستهلك في تلك الاختلافات على البديهيات المتعلقة بأسس صناعة القرار السليم والمشاركة التنظيمية الفعالة والعمل بروح الفريق الواحد والحرص على معطيات الثقافة الجامعة التي تشكل اللبنة الأولى والحيوية لكل عمليات التنمية. ولعل هذا النمط الاستبدادي الذي يتجسد من خلال آليات تفاعلية متعددة ومتنوعة هو أهم الأسباب التي أدت إلى كوارث قومية كثيرة كان أفدحها كارثة الخليج ١٩٩٠م وكان غزو العراق هو الأفدح إلى لحظة كتابة هذه الدراسة.

* * *

الفصل السادس

خريطة تفاعلات أزمة الخليج
وموقع الدراسة عليها (حالة تطبيقية)

إذا كانت عمليات المساومة والتفاوض & BARGAINING) NEGOTIATION) من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية وتناولها الكثيرون بالدراسة العلمية من زوايا ومجالات متعددة (على سبيل المثال لا الحصر انظر FRASER ١٩٨٤، DIESING & SNYDER ،١٩٨٨ HABEEB ،١٩٦٩ GOFFMAN AHSSAN ،١٩٨٢ (ALY)، MONTVILLE ،١٩٨٧ IKLE ،١٩٧٧ ١٩٨٩) فلقد كان لأزمة الخليج تعقيدات فريدة من نوعها. فإذا كانت صفة «المفاوض العربي» في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة والتي حدثت في إطار نظام عالمي يهيمن عليه قطبان BIPOLAR SYSTEM تتضمن أساسًا مواجهة مع مفاوضين من غير العرب، فإن «المفاوض العربي» أثناء هذه الأزمة يمثل «المفاوض العربي» في مواجهة «مفاوض عربي آخر» من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب – كل بطريقته – من الناحية الأخرى، وفي هذا الفصل سنقدم تحديدًا لخريطة تفاعلات الأزمة وبمعنى آخر التركيبة الهيكلية العامة للموقف التفاوضي الذي اتسمت به هذه الأزمة، وسوف تحاول هذه الدراسة التركيز على جزئية من هذه الخريطة وهي الخاصة بالإشكاليات الأساسية في عملية التفاوض الدولية العربية والعربية – العربية من منظور «لغويات التفاوض» (المكون رقم ٦ في شكل رقم (١)).

فكاتب السطور يرى أن إشكاليات التفاوض التي قذفت بها تفاعلات هذه الأزمة لم تكن وليدة أحداث هذه الأزمة فقط، ولكنها تمثل في واقعها ناتج تلك الأزمة المزمنة التي كان ولايزال يعاني منها العالم العربي سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأي العام، وتظهر أعراض هذه الأزمة المزمنة من خلال هذا الكم الهائل من السلبيات التي ترسخت في أنماط واستراتيجية الحوار التفاوضي اليومي في العالم العربي وبنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة. ولا ترجع هذه السلبيات إلى وجود أزمة أخلاقية فقط كما يرى ذلك غالبية الباحثين وأعضاء النخبة العربية، ولكن الأمر يرجع أساسًا إلى افتقاد التآلف مع تقنيات وديناميكيات التفاعلات الحوارية التفاوضية المعقدة بطبيعتها على المستويين الاجتماعي والسياسي التي يهتم العالم المتقدم بالتعامل معها من خلال العديد من المجالات التكاملية الحديثة التي يمثل عدم وجودها في برامج الدراسات العليا في مجالات العلوم الإنسانية ومراحل التعليم بمستوياتها المختلفة (بعد تبسيطها) في العالم العربي في الوقت الراهن قصورًا بحثيًا وتعليميًا. (انظر حسن وجيه: (١٩٨٤)، (١٩٩٠)، (١٩٩١).

الافتراضية المقدمة في هذه الدراسة هي أن عمليات التفاوض على المستوى الاجتماعي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها، وإن زادت الأخيرة في حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها وإن لكل من نوعي التفاوض تعقيدات بالغة الضخامة ينبغي النظر إليها بأسلوب شامل في إطار نظام القيم الاجتماعية والثقافية لأفراد مجموعة ثقافية ما، وكذلك

في إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر اتساعًا وتعقيدًا. وبالتالي فإن نجاح التفاوض الاجتماعي والسياسي يستلزم من المتحاورين التدرب على اكتساب قدرات خاصة بكفاءة التواصل الحواري والقدرة على التعامل مع أساليب التناول المختلفة وإقامة الحجج وتفنيدها واختبار اتساقها واكتساب وتنمية المهارات التفاوضية الأساسية التي تمكن من توظيف أنسب الاستراتيجيات الحوارية الملائمة لسياق ما بعد الفهم الكامل والعميق للموقف التفاوضي وطبيعته والقراءة السليمة لما يتعلق به من أحداث (أو نصوص).

أزمة الخليج من منظور لغويات التفاوض:

إذا كنا بصدد تقديم تحليل لملف التفاعلات الأساسية لأزمة خليج ١٩٩٠م من منظور لغويات التفاوض فلابد وكإجراء أساسي طبقًا لهذا المنظور الذي نقدم له، أن نرصد سياق التفاعل context of interaction وسياقات التفاعل هي التي نشير إليها هنا من خلال الشكل التالي (رقم ٢).

والشكل السابق (رقم ١) يوضح الإطار العام لخريطة تفاعلات الأزمة أو بمعنى آخر «رحم تفاعلات» هذه الأزمة منذ بدايتها.

إن الهدف من عرض هذا الشكل رقم (١) ليس تقديم تحليل لعناصر موضوعات التفاوض الرئيسية المتمخضة عن تحركات أطراف الأزمة والمتضمنة به، فهذا له سياق تفصيلي آخر، ولكن الهدف هو – كما ذكرنا – توضيح الرؤية الشمولية لتفاعلات الأزمة وطبيعتها وتحديد لموقع هذه الدراسة التي تُعنى بالمكون رقم ٦ بالشكل رقم (١)، وهو المكون الذي يتعامل مع مجموعتين من الإشكاليات، الأولى

شكل رقم (٢)

تركيبة موضوعات التفاوض المتمخضة عن تحركات الأطراف

(INTERACTIONAL TOPICS)



تُعنى بإشكاليات التفاوض العربية العربية، الأمر الذي سوف نتعرض له بالتفصيل فيما يلي ونكمله بما يلي من فصول: وكبداية لتناول هاتين المجموعتين من الإشكاليات نقدم النقاط التالية في هذا الفصل كمدخل عام لمجموعتي الإشكاليات بالفصل الرابع:

أولاً: خصوصية أزمة الخليج في ظل أدبيات الأزمات الدولية السابقة:

ينطبق على أحداث الخليج ١٩٩٠م تعريف الأزمة: كما يقرها خبير العلاقات الدولية «وليام كوانت» حيث يقول:

«إن الأزمات بطبيعتها تطرح افتراضات سائدة عن الواقع بطريقة خاصة وحادة. وعندما تتم مواجهة القائمين على صناعة القرار السياسي بهذا الواقع بطريقة مفاجئة تتسم بوجود خطر داهم وعدم يقين بما سوف يحدث، يبدأ هؤلاء القائمون على صناعة القرار بمعالجة الأوضاع على أساس المفاهيم السابقة لديهم لذلك الواقع. ولكن عندما لا يتطابق هذا الواقع مع الصور الذهنية السابقة لديهم للأمور المختلفة وجب على صنَّاع القرار ويسرعة بالغة وفي ظل أحداث متلاحقة سريعة أن يقوموا بإعادة صياغة الصور الذهنية للأوضاع السابقة لما قبل الأزمة.. فإذا ما انفرجت الأزمة بنجاح يستمر تواجد هذه الصور الذهنية الجديدة للأوضاع، وكذلك لأطراف الأزمة وتستوعب الدروس الخاصة بما حدث وينبثق إطار جديد للتحركات السياسية المستقبلية». (كوانت ١٩٧٧:١٦٥)

تصنيف هذه الأزمة:

صُنفت الأزمات الدولية إلى نوعين رئيسيين، الأول تلك الأزمات التي حدثت في نظام دولي تهيمن عليه عدة قوى دولية وهي ما سميت بأزمات عالم الأقطاب المتعددة "MULTIPOLAR CRISES" كتلك التي حدثت في مستهل هذا القرن، والنوع الثاني يشمل تلك الأزمات التي حدثت في إطار النظام الدولي الذي هيمنت عليه القوتان العظميان في عالمنا المعاصر وهي ما سميت بـ «أزمات عالم القوتين» BIPOLAR CRISES وكان أهمها الأزمة التي ترتبت على حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣م، أما أزمة الخليج (١٩٩٠م) فنصفها فيما يُعرف بـ«أزمات عالم الأقطاب المتعددة الجديد» (NEW MULTIPOLAR CRISES) (انظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧م). ويتلخص الفرق بين نوعي الأزمات الرئيسية في الآتي:

١ - أنه عادة ما يسمح النوع الأول (أزمات عالم الأقطاب المتعددة بوجود اعتبارات للتكيف والتنسيق مع الأوضاع (ALIGNMENT CONSIDERATIONS) أكثر من المطلوب في النوع الثاني (BIPOLAR CRISES)، وهذا يرجع إلى حدوث مكثف لنوعين من المساومات أحدهما يسمى بـ«مساومات المتنازعين» (ADVERSARY BARGAINING) وهذا يعني وجود مباراتين على الساحة «مباراة التنازع ومباراة التحالف». وتتداخل أفعال الأطراف في اللعبتين، ولكن تختلف طبيعة ذلك التداخل، ففي «مباراة التنازع» (ADVERSARY GAME) تتسم طبيعة التداخل بمقدار الأذى الذي قد يلحقه طرف ما بالخصم ويتوافق هذا الأمر على درجة حدة صراع المصالح، وكل طرف في هذه الحالة

يحاول أن يجبر الخصم على الرضوخ لمطالبه، وتكون هناك إذن عملية تقييم مستمر للمصالح مع الاستعداد لإيقاع الأذى والسوء بالآخر، ويتمخض عن ذلك توقعات بخصوص قوة عزم الطرف الآخر ومدى حسمه في الأزمة، وعملية المساومة هنا عادة ما تتضمن محاولات السيطرة على قدرة الآخر على الحسم من خلال التهديد وإلا فإن تقديم الحلول الوسط بشأن الصراع وتقديم التنازلات هو الخيار الآخر لهذا الطرف أو ذاك.

أما في «مباراة التحالف» (ALLIANCE GAME) فإن التداخل يرجع إلى القدر الذي يحتاج فيه المتحالفون وأشباه المتحالفين بعضهم لبعض، وهذا يعني مدى حاجة كل من المتحالفين واعتماده على مؤازرة بعضهم لبعض لمواجهة التهديدات التي يرسلها الخصم.

٢ – أن التحالف في حالة النظام الدولي الثنائي (BIPOLAR CRISES) عادة ما يكون مجرد تسجيل للمصالح العامة لأعضاء التحالف، فالمصالح كامنة في تركيبة القدرة لهذا النوع من النظام الدولي، وهذا هو ما كان سائدًا في فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة و«الاتحاد السوفيتي» سابقًا. أما التحالف في حالة «أزمات النظام الدولي المتعدد القوى» (MULTIPOLAR CRISES) عادة ما يخلق مصالح مستجدة لم تكن موجودة من قبل.. ففي هذه الحالة يعكس أمر التحالف عدم وجود دولة تمتلك القوة الكافية بمفردها لمجابهة التهديدات التي قد تأتي بها مراحل الأزمة.

٣ – أما الفرق الثالث بين نوعي الأزمات فهو كما حدده روبرت أزجود OSGOOD أنه في حالة أزمات النظام الثنائي

(BIPOLAR CRISES) فـإن المصـالـح تـكـون مـتـجـانسـة (HOMOGENEOUS) ، وفي حالة أزمات النظام المتعدد القوى (MULTIPOLAR CRISES) تـكـون المصـالـح غير مـتـجـانسـة (HETEROGENEOUS).

لمزيد من التفاصيل في شأن الفروق (انظر سنيدر وديزنج١٩٧٧).

وفي ضوء ما ذكر يمكن القول بأن أحـداث الخليج ينطبق عليها ما يميز نوع «الأزمات التي تحدث في عالم تعدد الأقطاب الجديد» الذي تضطلع الولايات المتحدة فيه بالدور الرئيسي، إلا أن العراق في هذه الأزمة قد وقف وحيدًا وقد تحالف معه بقدر أو بآخر ويتأرجح بعض القوى غير ذات الوزن في النظام الدولي، حركهم في ذلك إدراك مستقبلي وهمي (ILLUSIONARY PERCEPTION) بإمكانية تحقيق قدر من المغانم أو رفع شعارات مغلوطة وغير عقلانية، وهذا يكفي المراقب بأن يصف موقف العراق والذين أيدوه بأنهم ذوو أهداف متجانسة وأن العراق كان هو سيد هذا التحالف. وفي مقابل العراق كان هناك إدانة الغزو العراقي للكويت وضم الكويت ممن رفعوا شعار الشرعية الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة التي اتخذت العديد من القرارات لإدانة العدوان والمطالبة بعودة الحكومة الشرعية للكويت وفرض العقوبات الاقتصادية والحصار البري والبحري على العراق إلى أن اندلعت الحرب وحقق التحالف ما أراده وفرض أجندة الموضوعات التي أعلنها في بدء صراع الأزمة.

* * *

الفصل السابع

خطايا الحوار التفاوضي في الواقع العربي

إذا كنا قد استعرضنا فيما سبق تركيبة الموقف التفاوضي لأزمة الخليج كأزمة لها سمات الأزمات العالمية من ناحية ووجود صور ذهنية قد استجدت للأطراف عند بداية الأزمة، وبالتالي فلقد حاولت جميع الأطراف أن تتعامل مع هذه الصور المستجدة في ظل عدم اليقين بما سوف يحدث، وفي هذا الفصل سنوضح ذلك البعد التركيبي الآخر للموقف التفاوضي للأزمة والذي قد زاد بلا شك من تعقيدات التعامل مع هذه الأزمة ويتمثل هذا البعد في تلك التركيبات والإشكاليات الإثنية الثقافية المتعددة والمعقدة التي أحاطت بالأزمة. وهذه الإشكاليات التركيبية تتلخص – كما ذكرنا – **في حدوث هذه الأزمة في سياق أزمة أخرى مزمنة يعاني منها العالم العربي في تفاعلاته التفاوضية اليومية وعلى مستوى النخبة قبل أن يكون الأمر على مستوى الجماهير.** ونحاول من خلال هذا القسم من الدراسة تقديم تقييم للمقولات التي تتعلق بهذه الأزمة المزمنة وتسليط الضوء على تلك الأنماط الحوارية التي تسبب شيوعها في مزيد من تأزم التفاعلات الحوارية في العالم العربي وبالتالي فشلت المحاولة بعد الأخرى في إنجاح عملية التفاوض العربي العربية التي كان الهدف منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت. ولقد أدى «الخطاب المتأزم» وعدم إدراك ما يحدث على الساحة الدولية إلى أن تكبد العالم العربي خسائر فادحة كان في غنى عنها بكل تأكيد.

دراسات «العقل العربي» : أوجه الوصف وأوجه الخلل :

ولقد تناول العديد من المتخصصين في العلوم الاجتماعية العرب وغير العرب تعقيدات الأوضاع الثقافية العربية للأزمة المزمنة ولعلنا نجد في مفردات بعض هذه الدراسات الرئيسية مؤشرًا واضحًا على كينونة الواقع الثقافي العربي، فغليون قد قدم دراسة بعنوان **اغتيال العقل العربي** (١٩٩٠م) أوضح فيها أن علاقة العرب بثقافتهم علاقة معقدة ومتناقضة إلى أبعد الحدود. فبعضهم يرى العلاقة سببًا في التخلف والآخرون ينظرون إليها كخشبة الخلاص. ولقد حاول غليون من خلال كتابه أن يبين كيف أن محنة الثقافة العربية ليست إلا مظهرًا لمحنة الذات العربية وتشتتها بين التأكيد الشكلي للذات، والرفض السلبي للآخر.

وانتقد الجابري العقل العربي في كتابيه بنفس العنوان لعامي (١٩٨٤، ١٩٨٦)، وفي كتابه بعنوان (العقل السياسي العربي) في عام ١٩٩٠م، أما هشام شرابي فيقدم تحليلاً سياسيًا اجتماعيًا للثقافة العربية وينتقد فيه عوامل الشلل والجمود التي تعوق حركة التغيير من وجهة نظره في كتابه بعنوان البنية البطركية (١٩٨٧م)، وإذا كانت هذه الأعمال تصف الوضع العربي بمسميات مختلفة فإن السيد ياسين قد وصف الواقع العربي بأنه «أزمة» عندما تحدث عن «خطاب الأزمة» (١٩٨٩م)، وكان يعني بذلك تلك الخطابات المتصارعة في الوطن العربي، ورغم أن تعريف «الأزمة» في ظل التفاعلات الدولية كما ورد ذكره في الفصل الثالث من هذه الدراسة (كوانت ١٩٧٧م) يختلف عن استخدام تعبير «الأزمة» بمعناها المجازي المتمثل في وصف عنف تصارع الخطابات في العالم العربي من دينية وعلمانية

وخلافه، إلا أن المتأمل في هذا الوصف المجازي يجد وكأنما كان هذا الاستخدام ينبئ باستمرارية الأمور في اتجاه طريق الأزمة الحقيقية الكبرى التي نعيشها الآن، ولابد أن نشير هنا، إلى أهم الندوات العربية التي تعرضت بالنقد للأوضاع الثقافية العربية المعاصرة والتي كان عنوانها «أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي»، ومن سخريات القدر أنها عقدت بالكويت عام ١٩٨٤م، وكان دافع مجموعة الباحثين البارزين من المثقفين العرب لعقد تلك الندوة في ذلك الوقت هو «حالة التشرذم الذي وصل إليه العالم العربي وظهور جوانب الضعف الجسيمة في بنائه مما جعله أرضًا مستباحة للعدوان بأشكاله وصيغه المتعددة» (السيد ياسين ١٩٨٩م).

إن معظم الدراسات التي عنيت بأمر الوضع الثقافي في العالم العربي هي دراسات وصفية من منظور نظري فلسفي واستقرائي "DEDUCTIIVE" وليس من منظور إمبريقي استدلالي INDUCTIVE / EMPIRICAL أو دائري ABDUCTIVE كما في حالة استخدام منظور لغويات التفاوض الذي قدمنا تفصيلاً له في الفصل الثاني من هذه الدراسة. وسوف نستعرض في هذا الجزء أكثر الأنماط سلبية في التفاعلات التفاوضية العربية في سياق الأزمة المزمنة، وكذلك ما حدث منها أثناء أزمة الخليج. وسوف نسلط الضوء أولاً على تلك الإشكاليات الخاصة التي عادة ما تصاحب الأزمات الدولية عمومًا ثم نستعرض إشكاليات الأزمة المزمنة في العالم العربي وكيف أنها أضافت بعدًا غاية في التعقيد للتركيبة الهيكلية للموقف التفاوضي الخاص بأزمة الخليج ١٩٩٠م. إذن فإن الإشكاليات التي سنتعرض لها في هذا القسم من الدراسة تنقسم إلى مجموعتين من الإشكاليات

المجموعة الأولى تبحث في عناصر الأزمات الدولية، والثانية تبحث في عناصر الخصوصية الثقافية للأزمة والإشكاليات المتمخضة عن تلك الخصوصية، وهذا ما سوف نتناوله في إطار ما أود أن أسميه بـ«الخطاب المتأزم» كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

* * *

أولاً : المجموعة الأولى من إشكاليات التفاوض:

الإشكالية الأولى: حدة تنافس الأطراف لتكوين الصورة الذهنية لدى الآخرين بما يؤثر في ناتج الأزمة (IMAGE & SCHESMOGENSIS)

من الممكن النظر لموضوع تنافس الأطراف لتكوين صورة ذهنية لدى الآخرين تساهم في ناتج الأزمة من خلال مستويين، الأول يتعلق برؤية الأطراف بعضهم لبعض بصفة عامة بعيدًا عن أزمة الخليج، والثاني يتعلق بكيفية رؤية الأطراف بعضهم لبعض في سياق الأزمة ذاتها. ويتعلق المستوى الأول بصراع المنافسة الحادة بين الأطراف من حيث توظيف أساليب الحسم والدفاع عن المبدأ والقوة وعدم الرضوخ أو المهادنة في لحظة ما من لحظات الأزمة، وانتهاج كافة العمليات التفاوضية التي تبقي على حدة الصراع وهذا هو ما يعرف بما يسميه خبراء اللغويات الاجتماعية (LINGUISTIC SCHESMOGENSIS) (انظر BATESON ١٩٧٧م).

وإذا كان لاعتبار الصورة الذهنية للآخرين أمر مهم في تحديد مسار العديد من الأزمات الدولية السابقة التي لم يكن العرب أطرافًا فيها، فإن أمر اعتبار الصورة الذهنية لدى الآخرين في هذه الأزمة كان له قدر كبير من الاعتبار؛ لأنها لم تمثل فقط صراعًا بين طرفين يهتم كل منهما بالصورة التي يريد أن ينقلها للآخر والتي تمكنه من الخروج فائزًا أو على الأقل متعادلاً بعد الأزمة والتي تعتبر فرصة أي زعيم لتأكيد ذاته أمام شعبه وأمام العالم.

الإشكالية الثانية: اختلاف الثقافات وأثر ذلك على إدارة الأزمات:

إن الأمر في أزمة الخليج قد مثل صراعًا بين ثقافتين يعرفهما

البـاحـثـون في مجال الـلـغـويـة الـعـرقـيـة (ETHNOLINGUISTICS) والإنثربولوجي بـ«الثقافة العليا» و«الثقافة الدنيا» HIGH & LOW) (CULTURES ، فـأفـراد «الـثـقـافـة الـعـلـيـا» الـتـي صـنـفـت في إطـارهـا الثقافة العربية يهتمون بشكل الصورة التي يريدون أن ينظر إليهم بها الآخرون ويضعون ذلك الأمر فوق الأولويات كافة والاعتبارات الخاصة بنظام القيم لديهم، بينما لا يضع أفراد «الثقافة الدنيا» (LOW CULTURE) نفس القيمة لهذا الأمر في ترتيب نظام القيمة لديهم وهذا يجعلهم أكثر قدرة على التكيف بطبيعة الحال. (للفروق بين نوعي الثقافة انظر تينج تومي TING-TOOMY ١٩٨٥م)، وهنا يظهر سبب مقنع في تفسير «عناد» صدام حسين للنهاية ومحاولة تصوير نفسه بالبطل المنقذ الذي يستطيع أن يتحدى أعتى القوى في العالم بل يستطيع أن يتحدى العالم أجمع دون أن يرضخ مهما كانت النتائج، ويستحيل عليه أن يتراجع أو يتكيف سريعًا مع الأحداث مـادام أن هـذا يـتـعـارض مـع الصـورة الـذهـنـيـة الـتـي اقـتـنـع هـو أنـهـا الصورة الوحيدة التي يريد أن ينظر إليه من خلالها الجميع.. ولذلك فإن تصويره في الغرب في بداية الأزمة بأنه «هتلر، وموسوليني، وناصر، وصلاح الدين، وروبين هود، وكابون» (كما ورد في نيوزويك ١٢ أغسطس ١٩٩٠م) – قد زاد من إحساسه بالصورة الذهنية التي أراد أن يُنظر بها إليه، فعلى الرغم من عدم دقة هذه الأوصاف عليه خاصة بوصفه صلاح الدين أو حتى عبدالناصر – وفي هذا ما يعكس الرؤية التأطيرية للعالم الغربي التي تتسم هي الأخرى بالمغالطات الـتـاريـخـيـة والموضـوعـيـة في كـثـير مـن الأحـيـان والـنـظر للعرب والمسـلـمين والإرهـابـيين بمعـنـى واحـد – فـإن مـا وحـد بين هـذه الشخصيات أنه يتوافر فيها عامل الحسم والقوة، وهو ما قد أقنع

صدام حسين بالاستمرار في عناده بالقدر الذي أتاح للغرب تسديد الضربة التي رأوا ألا يتراجعوا عن تسديدها له، ولذلك وُصف بأنه ذلك المفاوض العنيد (نيوزويك ١٢ أغسطس ١٩٩٠م)، الأمر الذي ولَّد لديه إحساسًا بالثقة الظاهرية والاستمرار في عناده، فهذه الصورة التي أوحى له الغرب بها قد أكدت له نجاحه ولو لحين، فوصفه بالمفاوض العنيد أو بالإنجليزية BULLY NEGOTIATOR والمعنى هو المفاوض العنيد المتحكم فيمن هو أضعف منه والذي يجد المتعة في إجبار الآخرين على أن يفعلوا دائمًا ما يريدهم أن يفعلوه. ولقد عرف ماتسبوره MATSBURAH ١٩٨٨م هذه النوعية من المفاوضين بأنه:

«ذلك المفاوض الذي يُعرف باستخدام مبدأ العين بالعين ولا يهادن أبدًا».

وإذا كانت هذه صفة تفاوضية لها مزيتها في بعض الأحيان إلا أنها ليست بالتأكيد أفضل صفات التفاوض. والمزية الأساسية لهذه الصفة إذا لم يُسأ استخدامها وتوظيفها هي الحصول على أكبر قدر من الفوائد من العملية التفاوضية وعدم تحمل أي نوع من الاستجابة من الطرف الآخر، هذا ولا يستريح هذا النوع من المفاوضين إلا في حالة تعاون ومهادنة الطرف أو الأطراف الأخرى تمامًا (MATSBURAH ١٩٨٨:٨).

وفي مقابل صدام أكد بوش هذه الصورة الذهنية لصدام لاستدراجه في مستنقع لم ينج صدام منه، وذلك عندما ذكر في حديث له «أنه قد تعلم منذ طفولته أن يقف إلى جانب المظلوم والمستنجد به، وكما أنه يراعي الأخلاق وصفات المسيحي الطيب، إلا أن تربيته في مؤسسة واسب المسيحية (WASP) قد مكنته من أن يرد الشخص العنيد الذي يسيء استخدام قوته BULLY» (نيوزويك ٢٠ أغسطس ١٩٩٠م).

ومن الأمثلة الشيقة التي حدثت أثناء تفاعلات الأزمة والتي توضح صراع الثقافتين العليا والدنيا، واللتان أشرنا إليهما آنفًا، واللتان يحدث في إطارهما تفاعلات كلٍّ من صدام وبوش، هو ما حدث أثناء المحادثات التي أجراها وزيرا الخارجية العراقي طارق عزيز ونظيره الأمريكي جيمس بيكر في جنيف في بداية شهر يناير ١٩٩١م أي قبل انتهاء المهلة الدولية للعراق للانسحاب من الكويت. ففي نهاية المحادثات رفض طارق عزيز مجرد أن يحمل رسالة خطية من الرئيس بوش إلى صدام لمجرد أنه يخاطبه فيها بـ«صدام مجردًا»!! وكأنما جورج بوش أهم شيء لديه تجريد صدام من لقبه «المهيب الركن»، رفض وزير الخارجية العراقي حمل الرسالة وحاول إفهام بيكر عبثًا: إذا ما كان بوش يعتزم سلامًا حقيقيًا فعليه أن يتأدب في الخطاب!! ولقد وقف الرئيس بوش بعد ذلك بساعات قليلة أمام كاميرات التليفزيون وهو يقسم بأن الخطاب كان في منتهى الأدب وأنه كان مباشرًا وقصيرًا ومختصرًا!!.. وبالفعل ففي الثقافة الأمريكية يكون الحوار أكثر قربًا بين أطراف الحوار إذا لم تكن الألقاب سائدة. أما في ثقافتنا العربية فإن اللغة الفخمة مطلوبة، فتفاعلاتنا غنية بالألقاب وعبارات التكريم، فالعربي البسيط عندما يخاطبه أي شخص فإنه عادة لا يستمع إلى الكلام بقدر ما ينصت إلى الأسلوب الذي سيق به هذا الكلام، فما بالنا إذا كان المخاطب رئيس دولة.

وإذا كان ما سبق ذكره يلقي بالضوء على طبيعة أمر صراع الشخصية في عمليات التفاوض العربية والدولية، فإن صراع الشخصيات المحورية في سياق الأزمة على مستوى عملية التفاوض العربية العربية نجده في صراع شخص الرئيس مبارك والرئيس صدام حسين.

ولقد كان لهذا الصراع الأثر الحاسم في تحديد ناتج أزمة الخليج، وكان أول آراء النخبة في هذا الصدد ما أورده الدكتور سعد الدين إبراهيم بعد أيام قليلة من غزو العراق للكويت على صفحات جريدة الأهرام بإيجاز يمثل تصارع الشخصيتين وما تمثله كل منهما من أنماط في عمليات التفاوض العربية العربية، ونورد هنا هذا الرأي بنصه الذي نشر بالأهرام في ١٦/٨/١٩٩٠م تحت عنوان «مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية».

«لا شك أن الأزمة التي أحدثها صدام حسين باجتياحه للكويت الشقيق، يمكن أن تتحول إلى كارثة مدمرة بالنسبة له وللعراق والخليج وبقية الوطن العربي. وشأن هذا الرجل هو شأن الشخصية التراجيدية في الأساطير الإغريقية، يرى الكارثة قادمة أمام عينيه مثل كتاب مفتوح، ولكنه بوعي أو بغير وعي يقذف بنفسه إلى قلب الكارثة كما لو كان يستجيب لقدر محتوم. وقد قيل الكثير حول فقدان الرجل لرشده السياسي واختلطت عليه «الأزمنة» وقوانين الحركة في النظام العالمي. ويتصرف صدام حسين الآن كما لو كان يؤمن بأنه استثناء فذ لقوانين التاريخ والاجتماع، بينما كل الشواهد تشير إلى أنه نشاز صارخ لهذه القوانين.

وفي مواجهة هذه الشخصية التراجيدية الناشزة يقف الرئيس المصري حسني مبارك بثبات وشجاعة وعقلانية يحاول أن يمنع تحول الأزمة إلى كارثة ويؤمن أن «الإنقاذ» ممكن وأن الكارثة حتمية. وقد عبر عن ذلك كله في خطابه إلى الأمة يوم الأربعاء ٨/٨/١٩٩٠م، ثم أمام مؤتمر القمة يوم الجمعة ١٠/٨/١٩٩٠م، وأثبت مبارك أنه زعيم قومي عاقل ورجل دولة مسئول وكبر بمصر

وعقلاء العرب، وكبرت معه مصر وعقلاء العرب. وكان واضحًا أن الرجل يعرف «مكانه» و«زمانه» وقوانين عصره وعالمه بكل الشفافية والوضوح.

وبين شخصية صدام التراجيدية النشاز، وشخصية مبارك رجل الدولة العاقل، يتأرجح حاضر ومستقبل الأمة العربية بأسرها. أحدهما يستثير أحط غرائز الغوغائية العربية، والآخر يستنفر أسمى مبادئ الأمة العربية. والمقابلة أو المقارنة هنا ليست بين شخصين أو رئيسين وإنما هي بين ظاهرتين، وبين نزعتين، وبين اتجاهين. ظاهرة البقاء في مقابل ظاهرة الفناء، نزعة عقلانية في مواجهة نزعة خرافية، اتجاه نحو المستقبل واتجاه نحو الماضي، وسواء يدرك الرجلان ذلك بوعي أو لا يدركانه، إلا أنهما في لحظة الدراما القومية هذه يجسمان كل جدليات التاريخ والاجتماع العربي.

ولأننا مع «البقاء» و«العقلانية» و«المستقبل»، فلا يمكن ولا ينبغي أن نترك رجلاً واحدًا في قطر عربي واحد يقرر مصير مائتي مليون عربي، خاصة إذا كان هذا الرجل شخصية تراجيدية ناشزة، تجسم نزعات «الفناء» و«الخرافة» و«الماضي». لذلك لابد أن يقف العرب مع مبارك ومع مصر ومع قوات السلام العربية في الخليج، ولابد من دعم ما يمثله هذا الرجل من نزعات البقاء والعقلانية والمستقبل بالمال والسلاح والرجال، ففي أمتنا من لديهم فيض من الرجال وفيها من لديهم فيض من المال والسلاح، ولابد من المزاوجة بين الرجال والمال والسلاح بلا وهن أو تردد. فإذا فعلنا ذلك بحسم وجدية، فلابد للأزمة أن تنتهي دون أن تتحول إلى كارثة عربية.

لقد كلفت الأزمة التي خلقها صدام حسين لنفسه وللعراق وللخليج والوطن العربي في أسبوعين فقط ما يوازي عشرة مليارات دولار وعشرات المليارات بعد ذلك ذهبت هباءً منثورًا، غير كل الآلام الإنسانية والبشرية لشعب الكويت والعرب والعالم، وهي آلام لا تقدر بمال. ولعل في هذه الحقيقة نفسها أحد مؤشرات ما كان ينبغي لنا أن نفعله في الماضي. وبالقطع فهي مؤشر لما ينبغي أن نفعله في المستقبل مباشرة بعد احتواء الأزمة ونقصد بذلك نظامًا عربيًا جديدًا أكثر تكافلاً بين عرب اليسر وعرب العسر؛ منعًا لانفجار أحقاد مكبوتة، نظام عربي أكثر ديمقراطية؛ منعًا لظهور المستبدين المغامرين من أمثال صدام، نظام عربي أكثر قوة من داخله وعماده مصر؛ منعًا لالتهام أقطارنا الصغيرة بواسطة أشقاء جشعين أو أجانب طامعين. ومهما كانت كلفة هذا النظام العربي الجديد - الأكثر تكافلاً وديمقراطية وأمنًا - فإنها بالقطع ستكون أقل من تكاليف إهدار المال والبشر والأمن والكرامة لكل الأمة كما رأينا في الأسبوعين الماضيين.

الإشكالية الثالثة: إشكالية تفاعل الشخصيات والأنظمة المتصارعة:

إذا كانت دراسة تصارع الشخصيات بطبيعتها المختلفة تتم من خلال بعض النظريات والنماذج التي تعنى بتحليل الأزمات والتفاعلات الدولية. (انظر على سبيل المثال كالدويل دان CALDWELL كيسنجر شخصيته وسياسته ١٩٨٣م) وكتاب BARBER JAMES (خواص الرؤساء، ١٩٨٥م)، فإن هناك منهجًا آخر لتحديد دراسة الأزمات من خلال تحليل الطبيعة التفاعلية للنظم المتصارعة وعملية صناعة القرار بها (على سبيل المثال انظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧م)، فإن النظر من خلال هذا المنظور الأخير يوضح أن أحد عناصر الهيكل

التركيبي لعملية التفاوض التي ينبغي اعتبارها في تقييم تفاعلات الأزمة هو وجود صراع بين نظام ديكتاتوري يوظف ما يسمى بالدبلوماسية الشمولية من ناحية وعدة نظم دولية توظف أغلبها تفاعلات تتماشى مع ما يسمى بالدبلوماسية الديمقراطية (بخصوص هذه التصنيفات انظر NICOLSON ، ١٩٨٨م).

ولقد تجسدت ملامح هذا الصراع بين نوعي الدبلوماسية في سياق أزمة الخليج ١٩٩٠م في نقطتين رئيسيتين هما:

(أ) إن النظام الشمولي في بغداد استطاع من خلال إجراءاته وآلياته ومفاهيم سخرة الفرد أن يصمد في وجه العقوبات الاقتصادية لفترة أطالت من أمد الأزمة، ولقد تنبأ بطول هذه الأزمة منذ الأيام الأولى للأزمة د. مايكل هدسون أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جورج تاون حين ذُكر على لسانه في مجلة نيوزويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠م قوله: «إن هذا النظام لديه القدرة على أن يستخلص من الشعب أكبر قدر من المعاناة. كذلك فإنه نظام يتسم بدرجة عالية من النظام والانضباط، ولذلك فبإمكانه أيضًا استغلال الرقعة الزراعية لديه تحت وطأة الأزمة لزيادة إنتاجه من الأساسيات مع الالتزام بإجراءات تقشف حادة». (نيوزويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠م).

(ب) إن النظام الشمولي بطبيعته يستطيع القيام بحملات دعائية مركزة تكون لها نتائج حاسمة في عقول الجماهير على التمييز بين الحقيقة والدعاية فيها، ومن هنا يمكن تبرير استجابة جموع كبيرة من الجماهير العربية في شكل مظاهرات تأييد للعراق أثناء الأزمة.

ولعل من الأمثلة الشيقة التي أفرزتها هذه الأزمة في هذا الصدد هـو استخدام أجهزة الدعاية العراقية لتعبير «الحملة الصليبية CRUSADE» فعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية قد طلبت دخول القوات الأمريكية للسعودية بعد غزو صدام للكويت وتهديد أوضاع قواته الهجومية بغزو السعودية، إلا أن العراق قد وصف القوات الأمريكية والدولية الموجودة بالمنطقة بأنها «حملات صليبية جاءت لتحقيق مطامعها الخاصة بها»، وقد وجدت هذه الترجمة لتعبير "CRUSADE" وللأحداث المعبرة منه تأييدًا في العديد من البلدان العربية، وسوف نتناول هذا الأمر بالتفصيل في الفصل العاشر في معالجتنا للنمط الحادي والعشرين.

* * *

ثانيًا : المجموعة الثانية من الإشكاليات:
«خطايا الحوار التفاوضي»

- «مدخل عام للخطاب المتأزم»

لا شك أن إشكاليات لغة التخاطب المزمنة التي يعاني منها العالم العربي في عمليات التفاوض الاجتماعي والسياسي سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأي العام – قد وصلت إلى حد لم تصل إليه من قبل بغزو العراق للكويت. وبطبيعة الحال، فإن هذه **الإشكاليات الحوارية لم تكن وليدة حدث بعينه ولكنها نتيجة تراكمات اجتماعية وسياسية وتعليمية عميقة ترسخت في أنماط واستراتيجيات الحوار اليومي في العالم العربي بنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة.**

إن سوء الفهم والتفاهم المستمر وعدم الانسجام والتآلف بين أعضاء الأسرة العربية باتساعها كان ومازال في حالة تدهور بسبب عدم التعامل مع هذه الإشكاليات على نحو علمي، إن العالم المتقدم يهتم بدراسة التفاعلات الحوارية في سياقاتها المختلفة من خلال نتائج دراسات علم اللغويات الاجتماعي والنفسي والسياسي. فما هو الحال بمعاهدنا وكلياتنا المتخصصة؟!.. الواقع يقول إنه لا يزال معظم خبراء علم اللغويات عندنا يتناولون في برامج التدريس والأبحاث النظرية النحوية أساسًا لعالم اللغويات نوم تشومسكي والذي لا جدال حول مكانته العلمية الرفيعة، فلقد أحدثت نظرياته ثورة في علم اللغويات وكان لها آثارها العميقة على بعض العلوم الاجتماعية الأخرى. ولكن أين الاهتمام بالنظريات الحديثة التي جعلت تشومسكي نفسه يتخلى – ويتواضع وموضوعية العلماء – عن

الكثير مما ذهب إليه في النظريات التي طرحها بذاته؟! كذلك مازالت قضية اللغة واللهجات وظاهرة الازدواجية بين الفصحى والعامية – التي ظهرت معظم الأبحاث الرئيسية الخاصة بها في الستينيات والسبعينيات، والمعروفة بظاهرة الـ DIGLOSSIA (وهي ظاهرة في العربية واليونانية والألمانية والعبرية، وإن اختلفت طبيعتها بين هذه اللغات) – تحتل موقع الصدارة في اهتمامات العديد من خبراء اللغويات عندنا. إنني أرى أن الوقت قد حان لتناول قضية، يجب أن يكون لها الأولوية في البحث والتدريس، وأعني بذلك أن نفتح «ملف قضية لغة التخاطب»، وأكرر هنا الدعوة إلى أهمية تدريس مادة تسمى بـ«تقنيات لغة التخاطب» ليس فقط في الكليات المتخصصة، ولكن أيضًا في المدارس بمراحلها المختلفة (وهذا النداء موجه لكل القائمين على تحديث التعليم في الوطن العربي) حتى يتسنى لنا معالجة إشكاليات الحوار المزمنة من الأساس وبطريقة علمية. فهذه الإشكاليات المزمنة التي نحاول التعرض لها في هذه الدراسة، نجدها واضحة في سياق التحدث بالفصحى وبالعامية وحتى في سياق التحدث باللغة الأجنبية إذا ما استخدمت في حوار ما.

ما المقصود بإشكاليات لغة التخاطب بصفة عامة؟

لتوضيح هذه النقطة نتعرض في هذا المدخل العام لبعض الأسس المعيارية البسيطة التي غالبًا ما تنتهك في الحوار اليومي رغم بداهتها، وهذه الأسس مثل تلك الأسس التي سماها أحد علماء اللغويات باسمه وهي ما تعرف باسم معايير جرايس GRICE وهي معايير الكمية والكيفية والاتساق والسلوك. وتتعلق هذه المعايير بالآتي:

١ - حجم المعلومات التي يتطلبها الحوار، فعلى المتحدث أن يشارك في الحوار بالقدر المطلوب طبقًا لسياق الحدث ذاته، وعليه أن يتجنب الإسهاب وأن يكون مركزًا.

٢ - على المتحاور ألا يفرض نفسه أو يناقض ما يقوله أو ما يتعهد به وعليه أيضًا تجنب الغموض والالتباس في حواره.

٣ - على المتحاور أن يجعل مشاركته في الحوار متسقة مع الواقع ومع عناصر الحجة التي قد يكون بصدد إقامتها.

إن مراعاة هذه المعايير وطريقة التعامل معها هي التي تشكل الأساس فيما يعرف بأسلوب الحديث لمتحاور ما. كذلك يتعلق بأمر هذه المعايير علاقات «القدرة POWER» في الحوار، والمقصود بهذه العلاقات هو ما يملكه المتحاورون من القدرة أثناء الحوار، فهناك حوار الرئيس والمرءوس والرجل والمرأة والطبيب والمريض والمذيع وضيفه والمتهم والقاضي، إلى آخره، وتختلف هذه العلاقات باختلاف سياق الحديث من رسمي إلى شبه رسمي إلى ودي أو شبه ودي، وكذلك ترتبط هذه العلاقات ببنية النظام الاجتماعي والسياسي لثقافة ما.

*** «فاولات» كأس العالم وإشكاليات الحوار اليومي على المستويين الاجتماعي والسياسي:**

إن إحدى إشكاليات الحوار اليومي الرئيسية في الوطن العربي هى عدم إدراك الكثيرين لما قد يحدث أثناء الحوار، وعدم تحديد نوع الإشكالية بدقة، وهنا نعود بالذاكرة إلى مشاهد «كأس العالم التي كانت توضحها بجلاء تلك الكاميرات «العجيبة» التي زودت بها أرض الملاعب». فقد كانت توضح وبالتصوير البطيء مدى حجم

الانتهاكات الكبيرة لقواعد اللعبة التي كان يمارسها بعض اللاعبين سواء عن قصد أو غير قصد، وكان من الصعب حتى على حكام المباريات، في كثير من الأحيان، أن يدركوا كل وحجم هذه الانتهاكات، والآن، فإن نفس الأمر ينطبق على عمليات الحوار اليومي، فكثير من «الفاولات» الكلامية والمكتوبة لا يمكن أن يرصدها المراقب العابر، بل تحتاج في رصدها إلى كاميرات دقيقة وعادة ما تمر هذه «الفاولات» دون حساب، وكذلك دون إدراك حقيقي لما حدث من انتهاك لقواعد لعبة الحوار، وبالتالي دون التعرف على أسباب حالات عدم انسجام المتحاورين أو وصولهم إلى حالة تصارعية حادة. فهناك حالات حوار تصارعية نتجت وتدهورت بسبب أن نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئًا ما يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى أدت فيها تقلصات وجه المتحدث وحركة يديه إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يرسل رسائل تتسم بالتهديد والتحدي والعداء أو الاستهتار بالآخر، وفي أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعًا وحماسيًّا، فتصور الطرف الآخر أن المتحدث انفعالي ويريد أن يستأثر بالحوار، هذا في الوقت الذي ثبت فيه، بالدراسة، أن هذه الحالات كانت لا إرادية ولم يقصد المتحاورون فيها أي عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث، ولكنهم لا يشعرون بوقع ما يقومون به على الآخرين وحجم الانزعاج الذي يتسببون فيه. كذلك فإن هناك إشكاليات ذات طبيعة أكثر تعقيدًا حين يتصارع المتحاورون لفرض «أجندة موضوعاتهم» على ساحة النقاش وما يصحب ذلك من استراتيجيات حوارية متعددة تتعلق بأساليب بناء الحجة وتفنيدها واستخدام

الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة في الحوار، كذلك ترجع نسبة كبيرة من إشكاليات الحوار إلى اختلاف في فهم وتفسير النصوص السابقة والمتعلقة بحوار ما، وهذه من أكبر إشكاليات الواقع الحواري في العالم العربي على وجه الخصوص.

إن تحليل الحوار (المكتوب والمسموع) وتحديد موقع الخلل الذي أدى إلى حدوث عدم الفهم أو التفاهم لمن الأمور التي تحتاج إلى دراسة وممارسة وتدرب، فهذه الأنشطة هي بمثابة «كاميرات ملاعب كأس العالم» التي أشرنا إليها سابقًا، وهي التي توضح إلى أبعد الحدود حجم انتهاكات أو «فاولات» الحوار وتحدد أين وقع الخطأ ولماذا، ومن هنا يبدأ علاج ذلك الواقع الحواري الفوضوي الذي نعاني منه جميعًا وإلى أبعد الحدود.

★ «القنبلة» وإنهاء الحوار!

إن خطورة ترك إشكاليات الحوار دون التعرف على طبيعتها ومحاولة التعامل الإيجابي معها قد يؤدي إلى حدوث مزيد من «الفاولات» غير المقصودة أو المقصودة، والخطورة الأكبر هي حدوث هذه «الفاولات» في الأوقات الحرجة لعلاقة ما سواء كانت بين أفراد أو دول، فيكون وقعها كوقع قنبلة الدمار الشامل التي تنهي الحوار والعلاقة برمتها.

إن استخدام تعبير «القنبلة» ليس استخدامًا مجازيًا، فمن الدراسات الطريفة التي وردت في دراسة لعالم اللغويات الإيطالي امبرتو ايكو، أنه عند تحليل الوثائق الخاصة بإلقاء القنبلة الذرية على اليابان، قامت الولايات المتحدة، وقبل اتخاذ آخر الخطوات لتنفيذ عملية ضرب اليابان ذريًا، بمحاولة للتأكد من إمكانية استسلام

اليابان دون استخدام القنبلة، وهنا استعانت الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتي ليقوم بجس نبض اليابان بخصوص الاستسلام الكامل والنهائي، إلا أن رسالة اليابانيين التي نقلها السوفيت اتسمت بظاهرة حوارية يابانية حيث تضمنت استخدامًا متعددًا لأدوات النفي مع أفعال التوقع والاستنكار والاستثناء التي فهم منها طرف من توظيف هذه الظاهرة الحوارية القبول بالاستسلام مع التفاوض وليس الرفض.

إن هناك أمثلة أخرى عديدة لتوضيح الآثار المدمرة على علاقة ما نتيجة لسوء الفهم أو التفاهم بين المتحاورين من ثقافات مختلفة، وقد يحدث نفس حجم سوء الفهم أو التفاهم بين أفراد الثقافة الواحدة ويكون في هذا مأساة أكبر وأسف أشد، وما أكثر الأمثلة المؤلمة في واقعنا العربي وما أكثر الأمثلة الحديثة جدًا التي ولّدتها أزمة الخليج.

من منطلق هذا التقديم لطبيعة الإشكاليات الحوارية أستعرض في هذا الجزء من الدراسة الإشكاليات الحوارية التي تمثلت في كم من الأنماط الحوارية السلبية التي يتداخل بعضها في بعض. ولكن على سبيل توضيحها لتعميق الإحساس بها سأسردها بصورة جزئية من خلال الأنماط التالية بالفصل الثامن.

* * *

الفصل الثامن

أنماط الحوار التفاوضي السلبية في الوطن العربي: مدخل للتقويم

النمط الأول: «حوارات المباراة الصفرية»:

المقصود بهذا النمط الحواري هو وصف تلك الحالات الصراعية غير المتعاونة في الحوار والتي قد تصل درجة حدتها إلى منطق تعامل مفاده «لابد أن أجعل الطرف الآخر يخسر كل شيء وأن أكسب أنا كل شيء»، وهذا ما يطلق عليه أصحاب نظريات مباريات التفاوض GAME THEORISTS في علم العلاقات الدولية «مباراة محصلتها صفر» "ZERO-SUM GAME" ، وطبقًا لقواعد هذه المباريات فإن المتحاورين يؤمنون بأن إدارة الصراع الاجتماعي والسياسي لا تحتمل حلولاً وسطًا – أي أن الأمر ينبغي أن يكون إما رفضًا مطلقًا أو قبولاً مطلقًا «إما قاتلاً أو مقتولاً»، وممارسة هذه النوعية من المباريات تعتبر من أسوأ أنماط إدارة الحوار التفاوضي اجتماعيًا وسياسيًا، فمفهوم المنافسة والمسابقة طبقًا لهذه النوعية من المباريات لا يكون عادة من خلال الاستعداد واللياقة والسعي للفوز بطريقة شرعية، بل إن الفوز يتحقق أساسًا من خلال تدمير وتشويه الآخر. والمؤسف حقًا أنه في الوقت الذي لم تعد الجماعات والشعوب المتحضرة متقبلة لمباراة «المحصلة صفر»، وبعد أن أصبح يسود معظم قطاعات هذا العالم المتقدم قواعد مباراة أخرى تسمى بـ«اكسب وأكسب»، أو ما يسمى «بعكس» (اسم المباراة الأولى) «المحصلة ليست صفرًا» (NON-ZERO GAME) نجد أن المباراة الأولى أي «المحصلة

صفر» هي التي لاتزال شائعة بين أعضاء النخبة والعامة في العالم العربي.

ولقد تجسد هذا النمط من خلال كتابات ومواقف كثيرة لأعضاء النخبة العربية أثناء المراحل المختلفة من الأزمة؛ أي أن «الخطاب النخبوي» من ناحية قد جسد هذا النمط، وكان من الواضح أن «خطاب السلطة» أيضًا قد جسده، فعلى سبيل المثال أصر العراق على أن يلعب هذه المباراة الصفرية من ناحيته، وأن يصر عليها في كافة مراحل الأزمة إلى أن خسر في إدارتها. فلو أدار الأزمة بسلوك غير سلوك «المباراة الصفرية» واستجاب لنداء العقلانية وانسحب من الكويت بعد هذا الكم الهائل من المبادرات التي قام بها عدد كبير من زعماء العالم وهيئاته لكان ناتج الأمر مختلفًا تمامًا ولفضح على الأقل موقف المتربصين، إذا كان السياق تحكمه نظرية المتربصين والمتآمرين!!!.

النمط الثاني: حوارات «التأطير» FRAMING

والمقصود بـ«نمط التأطير» هو عملية تصنيف المتحاورين بعضهم لبعض أثناء التفاعل الحواري.

ولقد وجد كاتب هذه السطور – من خلال تحليل كم كبير من التفاعلات الحوارية المنطوقة والمكتوبة – أن هذا النمط يمثل واحدًا من أكثر أنماط الحوار شيوعًا وسلبية ويوظفه المتحاورون من كافة التوجهات التي تمثل «الخطابات» (المطارحات) المتعددة والمتصارعة في العالم العربي، سواء كانت هذه «الخطابات» «يمينية»، «إسلامية»، «علمانية»، «مستقلة» أو فاشية (أو سمها ما شئت)، ونجد أن أكثر الأمثلة التي تعكس الطبيعة التناحرية بين هذه

الخطابات هو ذلك القول المتبادل بأن «هذا عميل» وهذا «عنصر مندس» وذلك «متطرف» وهذا «رجل قوال أو هؤلاء قوالون».. إلخ.

والملاحظ أن الإشكالية في هذه التصنيفات رغم أنها قد تكون صحيحة في سياق ما في بعض الأحيان - إذا وجد الدليل الواضح عليها - فإن التفسير الذي أستطيع تقديمه بخصوص ما يتعلق بتوظيف «التأطير» في الحوار، ويعد تحليل العديد من المواقف التفاوضية على المستويين الاجتماعي والسياسي يرجع إلى الآتي:

١ - أن يكون المتحاور قد عزم النية على تشويه الآخر من خلال وضعه في قالب ما لا يكون موضوع استحسان من الأغلبية رغم إدراك ذلك المتحاور لما يفعله.

٢ - أن يكون المتحاور حسن النية ولكنه يستخدم أسلوب التأطير من منطلق فهمه وإدراكه الطبيعي للأمور، ولقد أثبت التحليل، أنه في أغلب الأحيان يكون المتحاور تحت تأثير «نظرية المؤامرة» التي تكون قد ولدت لديه قنوات وأوعية ذهنية مفادها أن هناك دائمًا «مؤامرة» وهناك دائمًا «متآمرين» على مستوى التفاعل الإداري الاجتماعي والسياسي، وبالتالي فإن كل شيء «مرسوم» و«متوضب» وليس هناك هامش للحركة بصيغة فاعلة. وهذه النوعية التي تمكنت منها «النظرة التآمرية» للواقع الاجتماعي والسياسي قد فقدت القدرة على التعامل الإيجابي مع الواقع وتكون مساحة الإدراك لديها لإمكانية وجود «ميكانيزمات» عديدة غير وارد ولو حتى بنسبة ضئيلة. كذلك وقد أوضح تحليل البيانات موضع الدراسة افتقاد هذه النوعية للقدرة على إقامة الدليل الواضح والصحيح لما تذهب إليه من تفسيرات،وكذلك

وجود خلط كبير لديها في تفسير الشواهد والنصوص. كذلك فإن لغة هذه النوعية من المتحاورين تتسم باستخدام مكثف للمبني للمجهول «دُبِّر»، «رُسِم»، «خُطِّط»... إلخ. والأفعال التي لايتحدد معها الفعل (PROCESS VERBS) ، مثل «سيحدث»، «سيتم».

٣ – أن يكون سبب استخدام أساليب «التأطير» هو خليطًا من ١ ، ٢.

وللتأطير أساليب متعددة وأكثرها شيوعًا هو إخراج الكلمات والعبارات بل والنصوص برمتها عن سياقاتها الأصلية عمدًا أو سهوًا، وهذا ما يسميه خبراء علم اللغويات الاجتماعي بـ DECONTEXTUALIZATION. وهناك أسلوب آخر يتم من خلاله استخدام الألفاظ والعبارات التي تترك أطيب الأثر لدى المتلقي لها لتحقيق أهداف غير أخلاقية تتعارض ودلالة المفاهيم المستخدمة في حقيقتها، وطبقًا لذلك فقد تكون «حرب التحرير»، حرب غزو دنيئة في واقعها، و«الإجراءات الديمقراطية» قد تكون إجراءات قمعية، و«كشوف البركة» قد تكون في واقعها «كشوف الرشوة»، وهذا ما يطلق عليه خبراء علم اللغويات الاجتماعي SOCIOLINGUISTS بما يسمى بـ"LINGUISTIC FRAMING"، وإذا كان نمط «التأطير» من أكثر الأنماط الحوارية سلبيةً وشيوعًا في المجتمع العربي، فهذا لا ينفي عالميته واستخدام أفراد وجماعات الثقافات الأخرى له خاصة في الصراعات السياسية، ولهذا الأمر سياق تفصيلي يندرج تحت ما أسماه خبراء علم اللغويات الاجتماعي بـ«لغويات أورويل» ORWELLIAN LINGUISTICS ، وهذا التعبير مستوحى من أشهر روايات الكاتب البريطاني المعروف جورج أورويل بعنوان «١٩٨٤م»، وفي هذه الرواية يتصور أورويل وجود مدينة غير فاضلة "UTOPIA NEGATIVE" تمارس فيها أشكال التأطير المختلفة.

لقد تبنت أجهزة الإعلام العراقية منهج «لغويات أورويل» هذا إلى أبعد الحدود عند إدارتها للأزمة، فقامت بتغليف الممارسات العراقية البغيضة بمسميات رأت القيادة العراقية أنها ذات وقع إيجابي على الجماهير العربية مثل: إن الغزو قد جاء لمساندة حكومة الثورة في الكويت.

ثم الانتقال إلى القول بأن هذا الأمر جاء أيضًا لتوزيع الثروة وإقامة العدل الاجتماعي بين الدول الغنية والفقيرة، وأن ما قام به العراق هو نوع من مقاومة ما فرضه ذلك المقص الاستعماري الذي ساهم في قطع الكويت عن العراق و«حجة الحق التاريخي»، ولقد أكدت أجهزة الدعاية العراقية على محاولة تثبيت أفعال القول «التأطيرية» هذه من خلال تحركات حوارية تمثلت في إرسال تهنئته لألمانيا بمناسبة الوحدة (أثناء الفترة الأولى من الأزمة) سعيًا في تأكيد تشبيه العراق بضم الكويت بالوحدة الألمانية. كذلك نجد هذا الأسلوب التأطيري فتجسد في تعبير «ضيوف العراق» على الرهائن إلى آخره. أما على صعيد تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة التي تزخر بعشرات الأمثلة فتجسد من خلالها أساليب التأطير في الحوار، نستشهد بمقال للكاتب ثروت أباظة بعنوان:

أقتل وبهتان؟

حيث يقول: سأل شاب من شهود ندوات المعرض واحدًا ممن كانوا ينتسبون إلى الإخوان المسلمين، ثم أصبح ينتسب إلى المتطرفين «لماذا قتلتم النقراشي؟» فإذا بالمتطرف يجيب في ثقة إن النقراشي كان عميلاً للإنجليز. كبرت كلمة تخرج من أفواههم أبهذا يأمر الإسلام؟.. أيأمر الإسلام بشهادة الزور ورمي الناس بالباطل والاعتداء على تاريخ الكرام بهذه السهولة وهذا اليسر. النقراشي الذي

وضع رأسه على يده هو وزميله أحمد ماهر واتهما بتهم خطيرة، منها أنهما كانا يقتلان الإنجليز وقدما إلى القضاء وكادا يفقدان حياتهما، هذا النقراشي كان عميلاً للإنجليز؟

النقراشي الذي وقف في هيئة الأمم المتحدة يصيح بالإنجليز في مواجهتهم: اخرجوا من بلادنا أيها القراصنة. فتدوي صرخته في العالم أجمع، فهي صرخة لم يسمعها المحتلون طوال حياتهم ولم يقلها قائل لهم قبل النقراشي. النقراشي كان عميلاً للإنجليز. فماذا جمع من هذه العمالة، وكان ما كان في جيبه حين قتلتموه ثلاثة جنيهات والله وحده يعلم كيف كان يعيش كموظف ليس له من دخل إلا مرتبه. النقراشي كان عميلاً؟!

أيها القاتل السفاك المزور: لقد حدثت في مصر في عام ١٩٥٢م ثورة، وقد حاولت بقضها وقضيضها أن تعصف برجال الحكم الذين كانوا قبلهم، وتكونت المحاكم في شتى الأوقات وبشتى الأسماء؛ منها محكمة الثورة ومنها محكمة الغدر وغيرهما وغيرهما، ما استطاع الببغاوات من الضباط الذين وضعتهم الثورة على كراسي القضاء المقدس أن ينالوا من الشرف الوطني لواحد ممن حاكموهم، وكم أساءوا إلى رجالات مصر، وكم تهجموا عليهم بالباطل. ولكن الثورة بممثليها وقواتها وقضاتها الذين لم يكونوا قضاة لم يستطيعوا أن يمسوا وطنية شخصية واحدة من الشخصيات التي حاكوا حولهم ما حاكوا واختلفوا عليهم ما اختلفوا، لم تستطع الثورة بكل جبروتها الذي نعرفه أن تدعي أن بين رجال مصر عميلاً واحدًا. وبين رجال مصر لم يسمع عن سياسي أنه كان على صلة مريبة بالإنجليز إلا أمين عثمان، وأنا لا أعرف الرجل ولكن أعرف من يعرفونه ويقولون

عنه إنه كان مصريًا صميمًا، ولكنه كان يرى أنه مع المحتل الذي يملك ما يملك من قوة عسكرية وجنود وحشود لا سبيل إلا تحسين العلاقات حتى تنال منه حقوقك ولو بالتدريج مادمت لا تستطيع أن تنالها بالقوة في حرب ولا تستطيع أن تنالها جميعًا في دفعة واحدة.

وهذا رأي يقبل النقاش. وإذا نظرنا إلى تاريخنا مع الإنجليز نجد أننا نلنا حقنا كاملاً على مراحل بدأت بتصريح ٢٨ فبراير الذي تمكن منه ثروت باشا رحمه الله ثم مشينا مع المحتلين الهوينى حتى تم الجلاء. ومع ذلك فقد عادوا في عام ١٩٥٦م إلى حرب يريدون بها أن يستردوا ما تركوه.

فرأي أمين عثمان ليس مرفوضًا جملة وتفصيلاً وإنما كان رأيًا جديرًا بالمناقشة. وعلى كل حال فأمين عثمان قتل ولم يشهد الثورة.

ومصر ترفع رأسها في فخر وعزة إلى السماء أن ليس بين رجالها خائن واحد لها، ففيم إذن عدوانك هذا الآثم على النقراشي بعد أن قتلتموه، أما يكفيكم قتله وتريدون أيضًا أن تعتدوا على سمعته وكرامته. كبرت كلمة تخرج من أفواهكم أهذا هو الإسلام؟ هل قرأتم القرآن أم على قلوب أقفالها. هل قرأت قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، أولم تقرأ قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

لا والله ما كان النقراشي عميلاً بل كنتم أنتم قومًا بورًا ظالمين ومازلتم.

وإن كان هذا رأيكم في النقراشي فقتلتموه، فما وضعكم للقنابل في دور السينما تنفجر فتصيب من تصيب لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين عجوز وطفل ولا فرق بين من يؤيدكم وبين من يعارضكم.

إن كان هذا رأيكم في النقراشي فما قتلكم الخازندار القاضي الذي حكم على واحد منكم حكمًا لم ترضوا عنه؟

لماذا أعدت إلى الحياة ما ينبغي أن يظل بعيدًا عن الذاكرة وما سيظل سبة سوداء في تاريخكم الغاشم الظلوم في تاريخ الإنسانية جمعاء. إنما هو عدم التوفيق.. أوقعكم فيه الله لأنكم لستم من أهل الله.. فلو كنتم من أهله ما استحللتم دم البشر ولا كرامات الناس.. والله سبحانه هو المولى وهو نعم الوكيل..

بقلم ثروت أباظة

الأهرام ١٩٩٢/١/٢٧م

النمط الثالث: حوارات «تضخم الإحساس بالذات»

والمقصود بهذا النمط أن يقوم المتحاور بتوظيف أساليب المبالغة التي تعكس درجات متعددة من الانفعالات غير الموضوعية التي يسيطر عليها إحساس بتضخم الذات والاستخفاف الفعلي بالآخر والانعزال عن رؤية الحقيقة المجردة. ويرجع شيوع استخدام هذا النمط إلى عدة عوامل اجتماعية وسياسية وتعليمية، ومنها على وجه الخصوص هذه العوامل التي شهدتها فترة تعبئة الوطن العربي في حقبة الستينيات بطموحات كبيرة لم يتم تدريجها ومواكباتها بالإنجاز... فالإحساس بقدرتنا وحضارتنا وقيمنا وقيمتنا في العالم أمر مهم، ولا شك أن له أهمية خاصة في شحذ الهمم، وهنا أتذكر أننا في أثناء فترة ابتعاثنا بالخارج، وكمجموعة من الدارسين المصريين (في الغربة) كنا نختلس بعض الدقائق معًا عند قرب أوقات امتحانات درجة الدكتوراه لنستمع إلى أغنية عيون مصر؛ «لأنها

كانت ولا تزال تمثل إحدى صعاب الأمور، ومكانتها واختلافها كمجرد أغنية ترتبط في أذهاننا بنمط مفتقد للغاية في الوطن العربي، وهو أننا حين كنا نستمع إلى كلماتها الهادئة والقوية للغاية في نفس الوقت كانت مصر جيشًا وشعبًا ومؤسسات تترجم كلماتها القوية والمعبرة عن إرادة مصر وشموخها إلى واقع فعلي بعبور قواتنا الباسلة إلى الضفة الشرقية للقناة وتطهيرها لأرض مصر الغالية من دنس المعتدين واستعادة الكرامة لمصر وللعرب. إذن فإن الإحساس بالذات في سياق الإنجاز الحقيقي لمن الأمور الطبيعية لدى البشر عمومًا، إلا أن تضخم الإحساس بالذات، خاصة إذا صاحبه الفشل في تحقيق إنجاز فعلي، ليمثل أبشع الصور سلبية في مجتمعنا العربي. لقد فقدت المعاني دلالتها على الصعيد العربي بسبب توظيف هذا النمط في الكثير من تفاعلاتنا، ومن الأمثلة التي استوقفتني في الفترة الماضية تشبيه أحد معلقينا الرياضيين لتعادل الفريق المصري مع بعض الفرق العالمية في مسابقة كأس العالم بإيطاليا، بأنه انتصار ولم يتوان هذا المعلق عن الإسراع بسؤال لكابتن الفريق القومي قائلاً لمن تهدي هذا الفوز؟!!» وإذا كان هناك الكثير من الأمثلة على صعيد التفاعلات الحوارية الاجتماعية، فإن جذور هذا النمط قد تجسدت بصورة صارخة للغاية في تفاعلات أزمة الخليج السياسية، فالعراق رغم أنه وصل إلى أن يكون إحدى القوى العربية الرئيسية والتي فقدناها بسبب رعونة أداء النظام العراقي وعدم جديته، فإنه كان يصور للجماهير العربية بـ«أنه قادر على إنزال الهزيمة المؤكدة بالقوات المتحالفة كلها» وعلى الحرب لأكثر من ألف عام وأن «صدام» هو السبب في استقالة مارجريت تاتشر وشيفرنادزة، وما إلى ذلك من المقولات.. الأمر الذي كان يرثي له من

يعرف حقائق الأوضاع. لقد كان لعمق تأصل نمط تضخم الإحساس بالذات العربية في العقود السابقة، وخاصة في فترة ما قبل حرب ١٩٦٧م، أن نجحت القيادة العراقية في استغلال هيمنة هذا النمط وما أثبته؛ ذلك أنها استطاعت أن تستقطب لمقولتها أعدادًا كبيرة من الشارع العربي خاصة أثناء فترة الأزمة.. ولعل من الأمثلة الشيقة في هذا الصدد مثال «كويتنام».. فلقد ظهر جنرال أمريكي سابق على شاشات التليفزيون الأمريكي يتحدث عن مخاطر الحرب في الخليج ويعيد إلى الأذهان ذكرى أليمة لدى الأمريكيين وهي ذكرى فيتنام، واستخدم تعبير «كويتنام» على سبيل التحذير. إن الموقف في الخليج قد يكون بمثابة «فيتنام» أخرى، وهنا التقطت وسائل الإعلام العراقية التعبير وردده صدام حسين إلى الدرجة التي صدّق معها صدام بأن هذا الأمر قد يحدث وأن الوجود العراقي في الكويت لابد وأن يستمر وليكن اسم الصمود والتصدي إذن هو «كويتنام» وأن فيتنام أخرى تنتظر أمريكا في الخليج، وكان بداية الفعل نحو تحويل الخليج إلى فيتنام هو الاسم فقط!! أي كويتنام. وبهذا تجاهل صدام العراق القيام بالحسابات الدقيقة والاعتبارات الجادة لكل تعقيدات الموقف مأخوذًا أساسًا بموسيقى اللفظ الضخم مرة أخرى؛ ليضيف إلى أمثلة الإحساس بتضخم الذات الكثيرة في واقعنا العربي أسوأ وأبشع الأمثلة.

النمط الرابع: حوارات «رد الفعل المتأخر»

DELAYED REACTION

يرتبط هذا النمط الحواري بآخر يمثله تناقض القول والفعل والقول والقول، والأمر ليس أخلاقيًا فقط ولكنه يرجع إلى فقدان

القدرة على استيعاب الموقف ووضوح الرؤية والتدرب على سرعة تكوين الرأي الصائب والثابت عند التفاعل أثناء الوقت الفعلي لحدث ما "REAL TIME INTERACTION"، فكثيرًا ما يخالف المتحاورون في العالم العربي ما قد اتفقوا عليه في جلسة ما بخصوص موضوع ما بسبب أجواء الحسابات «البطيئة» أو «البليدة» بعد الجلسة وعدم القدرة على الرؤى الصائبة والمتسقة في وقت الحدث. وهؤلاء يعانون من ظاهرة رد الفعل المتأخر DEALYED REACTION . وهذا ما جسده أداء بعض أعضاء الأسرة العربية في تفاعلات الأزمة، وأوضح مثال على ذلك هو إدانة البعض للغزو العراقي في قمة القاهرة في ٨ أغسطس (١٩٩٠م)، ثم مفاجأتهم للجميع بتكوين رأي آخر بعد الرأي الأول له معطيات أخرى تتناقض مع محاضر المؤتمر والموقف الذي سجلوه أثناء تفاعلات محاضر المؤتمر. وإذا ما استرجع كل منا شريط أحداث التفاعلات اليومية التي مر بها لوجد حتمًا العديد من الأمثلة التي تجسد نمط «رد الفعل المتأخر» في الحوار التفاوضي، وهذا النمط السلبي مازال يتسبب في إحداث إعاقة رئيسية لأبسط صور الوصول إلى حد أدنى من الاتفاق المبدئي ذي الطابع الاستمراري والذي لانجده بالطبع مفتقدًا في تفاعلات العالم المتقدم.

ولعل أحداث مؤتمر السلام بمدريد وما تلا ذلك من خطوات قد ألقى بالضوء على هذا النمط والذي تجسد حين قال أحد أعضاء الوفود العربية: إننا نفعل الآن ما كان يطلبه السادات منا، ولكن بعد أكثر من عقد من الزمان. لقد امتلأت الصحف العربية بعناوين من المقالات العديدة التي تلقي بالضوء على نمط «رد الفعل المتأخر» دون الإشارة إلى هذا النمط بعينه، بل من خلال الإشارة إلى تبعات تأصله في

التفاعلات العربية، وهذا ما ينعكس جليًا في عناوين مقالات كثيرة مثل «قبل ضياع الفرصة» انظر على سبيل المثال لا الحصر أحمد نافع الأهرام ٢٦/٨/١٩٩٠م «قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة» إحسان بكر الأهرام ١٤/٨/١٩٩٠م... وكأن هذه النوعية من المقالات تمثل إرسال نداءات للأطراف العربية بالتخلي عن القيام برد فعل بعد فوات أوانه.

النمط الخامس: حوارات «المؤامرة الكبرى»

«الأصابع الخفية»، و«الأيدي الخفية» هذه بعض من تلك التعبيرات التي كثيرًا ما نسمعها في تعاملاتنا الاجتماعية والسياسية، وكذلك تلك المنطوقات التي تبدأ «هناك من يهمه... إلخ» و«هناك من يتآمر»... أو بأفعال المبني للمجهول المختلفة، ولاتعرف من المتحدث ومن هؤلاء في كثير من الأحيان.. وفي إحدى الندوات وكانت عن طه حسين ومستقبل الثقافة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ووقع في يدي بحث عن الثقافة العربية لباحث أردني من جامعة اليرموك كان ضيفًا على جامعة القاهرة، ولعلي أبدأ تحليل نمط المؤامرة بالاستشهاد بتعبيرات وقعت عيني عليها في الصفحة الأولى من بحثه الذي ألقاه عام ١٩٨٩م وهي:

«إن أخطر ما في الأمر أن الوطن العربي قد أُقحم إقحامًا وزُج به زجًا بلا شفقة عليه أو رحمة به، وبلا متسع لديه من الوقت كي يلتقط أنفاسه، وقد أدخل في دنيا جديدة لا يعرف لها أول من آخر.. ما الذي يُراد به؟ وما الذي أصابه أو حدث له في هذا المعترك الجديد...

هل هذا الهامش الضيق الذي مُنح للوطن العربي يتسع لكي يتحرك فيه بإرادة وحرية...

أبو العدوس ١٩٨٩:١ »

إن هذه المقولة أعلاه تتسم بكثافة أفعال المبني للمجهول والأدوات اللغوية التي تتجنب صيغ الفاعل وتؤكد على المفعول به وتعكس أدوات نمط المؤامرة بجلاء شديد وتعكس صورًا أساسية يتكرر سماعها من أغلبية من ممثلي النخبة العربية الذين تسيطر على مقولاتهم ملامح نظرية وسيناريو المؤامرة... بصورة شعورية أو لاشعورية. لقد تأصل هذا النمط في الفكر العربي على مدى سنوات التدهور والتخلف، وإذا كان العديد من أعضاء النخبة قد تشبعوا بهذا السيناريو التآمري الذي تسلط على تفكيرهم فما بالنا بحجم الإشكالية على مستوى العامة؟.. لقد كانت ساحة العقل العربي مهيأة للغاية لتفسير ما حدث في أزمة الخليج على أنه في المقام الأول مؤامرة جبارة قد رُسمت كل تفاصيلها بعناية بالغة من قبل الأعداء، وبأنها مؤامرة صليبية أو صهيونية أو الاثنتان معًا... وأنها استمرار أكيد لسيناريو التآمر على العرب والمسلمين منذ قرون طويلة. إن **الكارثة تكمن في هذا التبسيط الشديد للأمور والذي أدى إلى فقدان كل عوامل الصيغة الفاعلة التي تتعامل مع تعقيدات الأمور بنوع من الاقتدار بدلاً من هذا السقوط في براثن فكرة التآمر السلبية.** وهذا لايعني أنه ليس هناك مؤامرة، ولكن هناك دائمًا «أجندات» مختلفة بكل تأكيد للمتصارعين والمتنافسين معنا وهم بطبيعة الحال يريدون فرض «أجنداتهم» كلما سنحت لهم الظروف بذلك... ولكن الإيمان بأن ذلك «الآخر» المتآمر علينا على هذا القدر من الجبروت

كي «يخلق» كل الظروف لتحقيق أهدافه، فهذا أمر مُبالغ فيه وينقصه الفهم الحقيقي للأمور والطبيعة العلمية للتفاعلات الدولية من ناحية، وكذلك تنقصه القراءة المتأنية للجوانب المشرقة والإيجابية لتاريخ العرب والمسلمين الأوائل الذين واجهوا «أجندات الآخرين» بصيغة فاعلة كانت تقطع الطريق دائمًا على ذلك التآمر بدلاً من الشكوى الاستسلامية بشأنه، كذلك فإن المتصارعين أو المتنافسين معنا هم بالدرجة الأولى سياسيون، والسياسة هي فن الممكن واستغلال أنماط تفاعل الآخر وليست عملية «خلق من جديد» لظروف أو لديناميكيات معينة، ولكنها دائمًا وأبدًا استغلال لما هو مسموح به وقابل للتحقيق. ولقد كان هذا الاختراق أو حجمه وتحجيمه أو تعميقه دائمًا مرتبطًا بما تصنعه مكونات هذا النظام في الشرق الأوسط، وذلك بالقائمين على إدارة الصراع وقدراتهم المتباينة وتوجهاتهم. ولمزيد من التفاصيل في هذا الصدد (راجع كتاب كارل براون بعنوان: «السياسة الدولية والشرق الأوسط» ١٩٨٤م). ولو عدنا بعد هذا السرد النظري لتفاعلات أزمة الخليج لوجدنا أن نمط المؤامرة يحدث عادة مع مجموعة أخرى من الأنماط، وأكثرها هو نمط التأطير من أجل التشويه. والمراقب للأحداث يجد كمًّا كبيرًا للغاية من أطراف الخطابات المتصارعة في العالم العربي - سواء كانت سلطوية أي معبرة عن الأنظمة أو كانت معارضة داخلية يتهم بعضها بعضا بالعمالة أساسًا.

وقد يكون الأمر ليس من قبيل تشويه الآخر العربي أو الإسلامي، ولكن تكون المباراة الصفرية في العديد من الحالات هي المحركة لمنهج التفاعل. وكذلك تلعب حدود الإدراك لبعض الأطراف الدور

الرئيسي في الترجمة التآمرية للأحداث. ولقد تنوعت أطروحات التآمر في تفاعلات أزمة الخليج، فلقد رأى الكثيرون أن الأمر كله مجرد فخ أمريكي قد نُصب لكل من العراق والكويت، وأن أمريكا قد حرضت كل أطراف النزاع الرئيسية؛ أولاً على الغزو ثم على رد الفعل تجاه هذا الغزو، بحيث لا يوجد أي مساحة لدى أصحاب العقلية التآمرية ليتصوروا حدوث الأمر بطريقة أخرى، أو لأسباب رئيسية أخرى مثل جهل وحماقة واستبداد بعض الأطراف.. في المقام الأول!! أو تفويت الفرصة على التآمر بذكاء واقتدار.

النمط السادس: حوارات «المواربة» أو اللامباشرة

INDIRECTNESS

ونمط المواربة أو اللا مباشرة من الأنماط التي تستخدم من قبل المتحاورين لطرح موضوع ما بصورة غير مباشرة بحيث يقع دائمًا على المتلقي للكلام عبء فهم ما المقصود به. فعلى سبيل المثال حين يقول متحدث ما لصديقه في حوار «الساعة الثانية عشرة الآن!» ويتصور المتحدث أن على المتلقي أن يفهم أن المعنى هو «ليس إشارة لمجرد تأخر الوقت، وإنما المقولة تعني شيئًا مثل «دعنا نعود إلى منازلنا» أو «ليس من المناسب الذهاب لصديق ثالث الآن» أو «حان الآن موعد الدواء!»»، أو كثيرًا من المعاني الأخرى التى تحددها خلفية سياق الحديث وطبيعة علاقة المتحاورين... ويلاحظ المراقب أن استخدام هذا النمط يتردد كثيرًا في لحظات التفاعلات الحوارية التي قد تتطلبها بعض المواقف في السياقين الاجتماعي والسياسي، إلا أن سوء توظيف هذا الأسلوب وكثرة استخدامه حين لا يكون مناسبًا يعد من أكثر سلبيات تفاعلاتنا الحوارية في الوطن العربي، ففي الوقت

الذي ينبغي فيه المصارحة والوضوح وينبغي أن يكون ما يقترح واضحًا دون موارية، نجد أن الكثيرين يوظفون نمط «اللا مباشرة» هذا بطريقة تسيء إلى صحة العلاقة بين المتحاورين وعلى حساب تحديد الأمور مما قد ينتج عن ذلك مشكلات في عملية التواصل الحوارية قد تؤدي إلى سوء فهم. وهناك العديد من الدراسات في مجال اللغويات الاجتماعية وعملية الاتصال عبر الثقافات قد تعرضت لهذا النمط، ولمزيد من التفصيل (راجع TANNEN ١٩٨٦م وحسن وجيه ١٩٨٩م).

حوار جلاسبي الشهير!

في سياق الأزمة بالخليج نورد في هذا الجزء من الدراسة ذلك الحوار الشهير بين الرئيس العراقي والسفيرة الأمريكية إبريل جلاسبي. وأهمية هذا الحوار هو أنه قد تمت ترجمته وتفسيره من قبل العراق على أنه بمثابة الضوء الأخضر من الولايات المتحدة للعراق لغزو الكويت، وإذا كنا نريد تسليط الضوء على ميكانيزم «الموارية» كما يتضح من حوار جلاسبي وصدام، فإننا سوف نقدم تحليلاً موجزًا لهذا الحوار بناءً على النص الذي تداولته أجهزة الإعلام الدولية من خلال ثلاثة ميكانيزمات وهي:

(١) اللا مباشرة. (٢) المؤامرة. (٣) طبيعة التفاوض والتساوم.

لقد كان الجزء المهم من حوار جلاسبي وصدام الذي حدث يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٠م، والذي اعتبر بمثابة إعطاء الضوء الأخضر لغزو الكويت كما يلي:

جلاسبي لصدام: «الرئيس جورج بوش، شخصيًا، يريد أن يطور ويعمق العلاقات مع العراق... وإننا لسنا لدينا ما نقوله بخصوص

الاختلافات العربية/ العربية مثل موضوع حدودك مع الكويت.. وكل ما نأمل فيه أن تحل هذه الأمور سريعًا».

[التايم ١/١٠/١٩٩٠م]

إن هذا الجزء من الحوار قد يفيد أن أبريل جلاسبي قد تيقنت من أن نمط اللا مباشرة أو «المواربة» هو نمط المقترحات المفضل في كثير من التفاعلات الاجتماعية العربية، وبالتالي إذا كان في نيتها الإيحاء بإعطاء الضوء الأخضر لصدام فإنها قد تمكنت من توظيف نمط المواربة واللا مباشرة الحوارية، الأمر الذي كان بمثابة الطعم الذي ابتلعه صدام دون احتراز من جانبه، ويكون بذلك قد صدق أن أمريكا ليس لها رأي، فيما يتعلق بالاختلافات العربية/ العربية مثل موضوع الحدود بين العراق والكويت... كذلك يكون صدام قد افتقد الفهم الصحيح والإدراك لطبيعة الفرق بين «التفاوض» و«التساوم» NEGOTIATION & BARGAINING فعادة ما يتسم التفاوض بالرسمية والإعلان عن أجندة للتفاوض ويتعرض لكل تفاصيل الأمور التي يجب أن تنتهج من قبل طرفي التفاوض حتى وإن كان سريًا، في حين أن المساومة(BARGAINING) تتمثل في التحركات والمقولات التي تكون عادة غير مباشرة وغير رسمية وتكون غير معلنة في بعض الأحيان، ومن أمثلة ذلك (الخط الأحمر في لبنان بين إسرائيل وسوريا) فالطرفان يفهمان وجوب عدم تجاوزه، ويحدث ذلك في الواقع دون وجود اتفاق تفاوضي صريح بذلك. إن المشكلة تكمن في أن «صدام» يصور حوار جلاسبي على أنه عمل صريح ومباشر من جانب أمريكا لإعطائه الضوء الأخضر لغزو الكويت (أي إنه بمثابة تفاوض سري مثلاً)، وهذا يوضح افتقاد صدام لفهم

طبيعة التفاعل التفاوضي والتساومي والفرق بينهما.. الأمر الذي قد تجسد بشكل واضح في العديد من مواقف صدام التفاوضية الأخرى قبل وأثناء وبعد الأزمة. أما جلاسبي، وكذلك أي محلل محايد في الشئون الدبلوماسية، فتعي جيدًا أن التساوم في الأساس يعني قابلية إنكار الرسائل أو (DINIABILITY OF MESSAGES) من قبل طرفي التساوم ولا يعني ما يعنيه التفاوض من الوضوح وعدم قابلية الإنكار – لأن الأمور تكون مدونة – في الأساس. فكلام جلاسبي لا يعني بالضرورة إيحاء بالتحريض على الغزو إذا تم تفسيره بمعزل عن الغزو.. بل من الممكن جدًا أن يفهم على أنه تأدب ودبلوماسية من قبل سفيرة أجنبية عند محادثة لها مع زعيم عربي. فقولها «إننا لسنا لدينا ما نقوله بخصوص الاختلافات العربية/ العربية، مثل موضوع حدودك مع الكويت. وكل ما نأمل فيه أن تحل هذه الأمور سريعًا». لا يجوز تفسيره بإطلاقية كما حدث من جانب العراق على أنه بمثابة «الضوء الأخضر» الذي شجع «صدام» على القيام بالغزو. ولكن الذي قد راج بعد نشر حديث جلاسبي في العالم العربي أن الأمر مؤامرة فقط فمن المحتمل أن يكون الأمريكيون قد أغروا العراقيين وأوقعوا بينهم وبين الكويتيين؛ ليتذرعوا بما جرى، ولكن لماذا تصر العقلية التآمرية على أن التحريض هو العامل الرئيسي في كل ما حدث، وتحجب دعاوى صدام بشأن الحقوق التاريخية للعراق، وهي لم تكن بجديدة. وتحجب أمر أن الغزو قد جاء من دوافع أخرى مثل المصلحة الاقتصادية، ففي ذلك الوقت كان العراق يمر بمحنة اقتصادية كبيرة عقب حربه الخاطئة مع إيران، وأن احتلاله للكويت كان يمثل حلاً لأزمته حسب تصور آخر؟.. ولماذا حجبت العقلية التآمرية أهمية أن

يصرف النظام السلطوي والاستبدادي في بغداد جيشه إلى أمور أخرى بحيث لا تكون هناك فرصة مواتية لإحداث انقلاب ضد السلطة؟! ولماذا يحجب أصحاب العقلية التآمرية عرض صدام على جلاسبي أثناء حواره معها أن يحل محل المملكة العربية السعودية في علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة قائلاً لها: «إن العراق أفضل لكم من التحالف مع السعودية» لقد كان عهد العقلية التآمرية في العالم العربي على الصعيدين الاجتماعي والسياسي أن تتجاهل مجموعة العوامل الكثيرة والاحتمالات المختلفة التي تتواكب مع حدث ما وتقصر تفكيرها على فكرة المؤامرة والاستهداف فقط.

النمط السابع: حوارات «دفن المقولة الرئيسية»

من سمات تفاعلاتنا السلبية على الصعيدين الاجتماعي والسياسي في العالم العربي ذلك الإسهاب والإطناب والتكرار دون داع لذلك.. الأمر الذي يصعب معه تحديد المقولة الرئيسية التي يريد المتحاور/ الكاتب أو المتحدث أن ينقلها للمتحاور الآخر. وهذا النمط هو ما أريد أن أسميه «دفن المقولة الرئيسية» (... أي دفنها في خضم إسهاب لغوي بدلاً من البدء بها بوضوح ثم تدعيمها)، وأحياناً تكون عملية «دفن المقولة الرئيسية» عن عمد حين يريد المتحاور أن يكون غير مباشر في حواره من خلال التمويه على المقولة الرئيسية. ولكن في معظم الأحيان تتم عملية «دفن المقولة الرئيسية» وما يصاحبها بطريقة لا شعورية في حوارات الكثيرين من المتحاورين. ولعل ما أدى إلى رسوخ هذا النمط في تفاعلاتنا هو ممارسات عديدة على المستوى الثقافي تتمثل في أهمية وضرورة أن تكون خطبة الرؤساء طويلة، وكذلك خطب الجمعة ورسائل الدكتوراه وحتى العديد من

الأناشيد والأغاني خاصة في فترة الستينيات والسبعينيات... إلا أن طبيعة العصر بدأت تفرض نفسها فبدأ هذا الأمر في التغير، وهذا ما قد نلاحظه مثلاً من خلال تعبير يتداوله رجل الشارع عند تحاوره مع الآخرين حين يقول «هات من الآخر».. إلا أن إرث التطويل والإسهاب المنافي لطبيعة العصر يبدو أنه لا تزال له الغلبة على تفاعلات الكثيرين إلى الآن. والأمثلة كثيرة، ولكن من أكثر الأمثلة الواضحة التي جسدت هذا النمط بصورة فريدة هو ذلك الخطاب الذي أرسله الرئيس صدام حسين للرئيس حسني مبارك للتغاضي عن الوقوف في وجه الغزو للكويت والوقوف بجانب العراق في هذه الأزمة، يجسد العديد من الأنماط السلبية الأخرى، وأهمها «خلط الأوراق» وتجاهل معطيات التفاعلات الدولية والإقليمية بشكل يدعو للدهشة. ولكن ما أركز عليه هنا هو نمط الإسهاب والإتيان بالمقولة الرئيسية بعد مقدمات متعددة؛ فالقارئ لهذا الخطاب يستغرق الوقت ويبذل الجهد للتعرف على المقولة الرئيسية أو (CLAIM) التي ينبغي أن تكون قريبة وواضحة من مقدمة الطرح المكتوب أو المسموع، ومن الملاحظ أيضًا في هذا الصدد أن الرئيس «صدام» قد بعث برسالة على شريط فيديو للرئيس الأمريكي مدتها ساعتان ردًا على رسالة الرئيس الأمريكي التي استمرت خمس دقائق، وتناقلت وكالات الأنباء خبرًا مفاده أن بوش قد جند أحسن مستشاريه المتخصصين في الشئون العربية لكي يتعرفوا وباختصار على «المقولة الرئيسية» ويستخلصوها من خضم المقولات المتفرقة التي تضمنها شريط الفيديو الذي بعث به الرئيس صدام ودفن في مكان ما به مقولته الرئيسية!

النمط الثامن: حوارات الصمت والغموض

ترتبط ميكانيزمات «الصمت والغموض» بميكانيزم اللا مباشرة الذي ذكرناه آنفًا.. واستخدام هذه الميكانيزمات قد يكون له ما يبرره كأدوات حوارية في سياقات معينة، إلا أن ما نسلط الضوء عليه هنا أيضًا هو إساءة توظيفها في لحظات حرجة في علاقة ما حين يستلزم الأمر الكشف والإدلاء برأي حاسم ومحدد وتجنب الصمت واللا مباشرة أو الغموض.

ولقد تناول بعض خبراء علم اللغويات الاجتماعي والاتصال عبر الثقافات هذه الميكانيزمات بالتحليل، وقدمت كل من SAVILLE-TAROIKE, TANNEN (١٩٨٥م) كتابًا مفصلاً عن ميكانيزمات الصمت عبر الثقافات المختلفة ووظائفه في عملية التحاور. فإدراك الأفراد والثقافات لهذه الميكانيزمات لا يزال بحاجة إلى دراسات متعمقة. ومن الأمثلة الشيقة التي وردت بكتاب SAVILLE-TAROIKE, TANNEN كان عن حادثة إطلاق الطائرات القبرصية النار على طيار مصري حينما كان مضطرًا للهبوط بقبرص وطلب الهبوط ولكن لم يصرَّح له بذلك وساد الصمت... وهنا تصور الطيَّار المصري أن الصمت يعني «الرضا» والموافقة فهَمَّ بالنزول فإذا بالطائرات القبرصية تعترضه وتطلق رشاشاتها وتيقن الطيَّار عند الهبوط أن الصمت القبرصي في هذا السياق لم يكن علامة «الرضا» (انظر تنين وسافيك ١٩٨٥:١٩٩).

أما الدراسات المتعلقة بمفهوم الغموض في الحوار، وفي الحوار السياسي على وجه التحديد فنادرة هي الأخرى، وإحدى الدراسات المهمة في هذا الصدد هي دراسة قام بها المعهد الدبلوماسي بجامعة

جورج تاون (١٩٨٥م)، وكان الصراع وغالبية الدول الأخرى على القرار لحين التفاوض فيما بعد بشأن التفسيرات المختلفة للقرار، ولم تكن بعض الوفود المتصارعة على علم بهذا التعمد..

وحين ننظر الآن لتفاعلات أزمة الخليج لنرى تأثير ميكانيزمات كل من الصمت والغموض على سير هذه التفاعلات نجد أنها قد تم توظيفها من قبل بعض من الأطراف العربية بما يجعل من استخدامها انتهاكًا لـ«مبدأ التعاون الإيجابي» في الحوار وهو أحد المعايير الأساسية اللازم توافرها في الحوار السليم طبقًا لما ذكره عالم اللغويات والفيلسوف جرايس وهو ما أسماه بـ (COOPERATIVE PRINCIPLE) .. فعلى سبيل المثال نجد انتهاكًا لهذا المبدأ حين وظف الطرف الأردني ميكانيزمات «الصمت والغموض» في بداية الأزمة، وكان يعني بهذا تأييدًا ضمنيًّا للموقف العراقي، وبالتالي تأييدًا ضمنيًّا لعدم قبول الشرعية الدولية... الأمر الذي أفقد الأردن الكثير من معقوليته أثناء تفاعلات الأزمة وبعدها. ولقد انتقد هذا الموقف في كثير من المقالات التي أكدت على أن «الصمت» أو «الغموض» في سياقات تفاعلية مثل تفاعلات أزمة الخليج يعني «الرضا» والموافقة، فهذه هي الترجمة السائدة لمفهوم الصمت على محيط التفاعلات في المجتمع العربي. وربما لأن توظيف الصمت والغموض في الحوار قد يعني نوعًا من الحياد أحيانًا، وأحيانًا أخرى قد يعني الابتعاد، وفي أحيان أخرى قد يعني الاستعلاء، إلا أن هذه الترجمة ليست الصحيحة في سياق تفاعلات الأردن في بداية الأزمة لأن ما يحسم الأمر هو النظر إلى توظيف الصمت والغموض في إطار أثر أفعال القول (SPEECH ACTS) ككل. وربما يوضح مثل ذلك التفسير للغموض

والصمت الأردني مقالات مثل مقال إبراهيم نافع بعنوان: «محاولة لفهم الغموض الأردني» ٣٠/٨/١٩٩٠م بجريدة الأهرام حيث أشار الكاتب إلى أن الغموض والصمت من الجانب الأردني كان بمثابة تأييد واضح للعراق،ويندرج تحت هذه الفئة العديد من المقالات الأخرى مثل مقال جمال بدوي في جريدة الوفد بعنوان: «لغز الملك حسين» بتاريخ ٢٨/٨/١٩٩٠م، وكذلك مقال لزكريا نيل ١١/٨/١٩٩٠م (الأهرام) بعنوان: «نحن والرموز الغامضة في لعبة الانكسار العربي» حيث يقول: وإذا كان ثمن الصمت من قبل بعض الأطراف العربية التي أيدت «صدام» باهظًا عليها وعلى العراق وعلى الأمة العربية... إلا أن الميكانيزم الذي تبنته ووظفته إسرائيل في تفاعلاتها أثناء الأزمة كان له ثمن كبير لصالحها، وهذا المعنى الأخير نستشفه في مقال لإحسان بكر بالأهرام ١٨/٢/١٩٩١م بعنوان: «ثمن الصمت» الأمر الذي يؤكد على أن توظيف الميكانيزمات الحوارية من قبل طرف ما في الوقت الملائم هو المحدد النهائي لناتج التفاعل الحواري السلبي أو الإيجابي. وهناك عدة مقالات تلقي بالضوء على بعض الميكانيزمات الرئيسية للصمت في تفاعلات أزمة الخليج. الأولى لعباس الطرابيلي بعنوان «الصمت.. الملعون!» (الوفد ٢٥/٨/١٩٩٠م) والأخرى لسعيد سنبل بعنوان «الأزمة والصمت». وفيما يلي جزء من مقالة عباس الطرابيلي التي تلقي الضوء على مدى الضرر الذي نتج عن توظيف نمط الصمت في تفاعلات الأزمة وتربط بين أحداث الخليج وضياع الأندلس بسبب «الصمت»:

«... والذي يتابع صورة الوطن العربي الآن يجدها غاية في القتامة.. فليست هناك جامعة.. وليس هناك عربية. ويكفي لمن يريد

أن يحلل أن يسترجع ما حدث في مؤتمر القمة الطارئ الذي عقد بالقاهرة استجابة – ولو شكلية – لنداء الرئيس مبارك.. إذ لأول مرة ظهر جليًا عمق التفكك العربي واختلاف الأهداف وتنوع الاهتمامات، حتى وصل بنا الأمر أن رحبنا بالقوات الأجنبية ورأينا فيها البطل المنقذ لنا ولشعوبنا من اعتداءات وتهورات بعضنا.

ثم ماذا حدث بعد القمة العربية.. للأمة العربية والدول العربية العشرين، بعد اندماج اليمنين! لا حس ولا خبر.. بل لا صوت سوى الصمت الرهيب، وكأن كل رئيس أو بلد يرى أنه آمن داخل حدوده أو كأن القضية لا تهمه، بل تهم شعوب الزولو والماوماو. لقد نزل الصمت على كل الرؤساء والأمراء وكأن الأمر لا يعنيهم.... وكأن كل جهادهم العربي هو الجلوس على مائدة القمة العربية حتى ولو جلسوا صامتين.. لأنهم للأسف لا يعرفون ما الذي يمكن أن يقولوه.. وإذا قال أحدهم فلا يعرف هل يرضي هذا أم يغضب ذاك!!

وإذا أخرجنا من حسابنا – للأسف الشديد – بعض الدول صغيرة الحجم والتأثير، ولأنها ليست سوى مجرد صوت عند التصويت، تمامًا كما حدث في قمة الشتامين في بغداد في نوفمبر ١٩٧٩م.. عندما كان الهدف الظاهري هو سب مصر ورئيس مصر وشعب مصر.. بينما كان الهدف «الأسمى» لهم هو إزاحة مصر وهدم دور مصر، وإلغاء وجود مصر.. حتى يخلو لهم الجو – وهم الأقزام – ليصنعوا من أنفسهم أبطالاً.. ويحاولوا سد فراغ غياب مصر.. بلا مطامع.. وتحارب وليس في نيتها طلب الثمن.. كما فعلوا الآن، إذا أخرجنا الدول الصغيرة الموجودة الآن تحت «مظلة» الجامعة العربية.. فما هي صورة الكبار الذين يمكن أن يفعلوا شيئا.. ولكنهم للأسف من الصامتين!!

إن عدم التوظيف السليم لميكانيزمات الصمت يجعل الصمت ملازمًا للغموض وعدم الوضوح». وربما في هذا الجزء من مقال سعيد سنبل بعنوان: «الأزمة والصمت» ما يلقي بالضوء على الميكانيزم موضع التحليل هنا على صعيد تفاعلاتنا الداخلية، والتي هي جزء من سلبيات الحوار التفاوضي على مستوى الوطن العربي ودول العالم الثالث بصفة عامة. وفيما يلي نص جزء من هذا المقال والذي كان من الأفضل أن يكون عنوانه «الأزمة والغموض» ليتناسب العنوان مع مضمون المقال أكثر:

.. اهتمامنا بأزمة الخليج وتطوراتها يجب ألا يصرفنا عن الاهتمام بأزمة العائدين ومشاكلهم، وبأزمة مصر ومشاكلها...

لقد استوقفتني عبارة نشرتها الصحف الصادرة أمس على لسان الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء، تقول العبارة: وناشد الدكتور صدقي المواطنين تفهم أبعاد الموقف الذي نتج عن أحداث الخليج، وأن يساهموا قدر الإمكان بالجهود الذاتية، خاصة أن موازنة الدولة فرضت عليها أعباء مالية كبيرة نتيجة النقص في موارد السياحة، ودخل قناة السويس، وتحويلات المصريين العاملين بالخارج، وارتفاع أسعار عدد كبير من السلع الأساسية عالميًا.

هذا ما نشرته صحف الأمس، وأعترف أنني لم أفهم ما يقصده رئيس الوزراء. هل يدعو رئيس الوزراء المواطنين إلى التبرع.. ولمن؟

هل يدعوهم إلى إقامة مشروعات بالجهود الذاتية.. وما هي المشروعات.. وأين؟! وبكل أمانة أقول: إن الموقف الذي نعيشه لا يحتمل الغموض أو الصمت، أو حل المشاكل من وراء الأبواب المغلقة!

الموقف يتطلب أن يخرج رئيس الوزراء ويتكلم بصراحة ووضوح، ويشرح أبعاد الموقف، ويقول ما هو المطلوب، لا أن يناشد المواطنين من خلال كلمات غامضة غير مفهومة.

إن كل ما نطلبه من رئيس الوزراء هو أن يتكلم ويقول الحقائق للناس، ويضع أمامهم صورة واضحة عن مشاكل مصر وهمومها نتيجة المتغيرات الأخيرة...

يقول لهم ما الذي تنوي الحكومة أن تفعله إزاء هذه المشاكل.. وما الذي يجب أن تقوم به الجماهير وتفعله..

[الأخبار ١٩٩٠/٩/٤م]

لا شك أن مسألة غموض الرسائل في عملية الاتصال قد ترجع إلى تعمد من متحاور ما في سياق ما، ولكن من تحليل الكثير من أمثلة التفاعل الاجتماعي وجد كاتب السطور أن هذا الأمر يحدث بصورة غير متعمدة في أغلب التفاعلات التي كانت موضع الدراسة، وما أكثر ما نواجهه في كتابات الطلاب من عدم تحديد للموضوعات مما يجعل كثيرًا مما يكتبونه غامضًا ويحتاج لعلامة استفهام بجانبه. ففي كثير من الحالات نضطر لسؤال الطلاب أسئلة متعددة للوصول إلى ما يريدون قوله، فجملة «ممكن لو سمحت توضح كلامك شوية؟!» هي جملة كثيرة التردد في تفاعلاتنا.. المشكلة أن كثيرًا من الأمور يُترك عبء تفسيرها على متلقي الكلام. ومن الأمثلة الطريفة ذلك الحوار الذي دار بيني وبين أستاذ في كلية الطب كان عنوان مقالة له بالعربية «دراسة طبية عشوائية».

– فقلت له كيف تكون دراسة وكيف تكون عشوائية؟! ولماذا لا تقول: «دراسة طبية باستخدام طريقة العينة العشوائية»؟ فيكون

الكلام واضحًا لا غموض فيه!!.. فليس من الشرط في عملية الترجمة أن تتم ترجمة عدد الكلمات من لغة في حدود نفس عدد الكلمات في اللغة الأخرى.. الأهم دائمًا هو الوضوح وعدم الغموض!.

النمط التاسع: حوارات الإحباط واليأس والحيرة

إذا كان هناك شعور كبير بالإحباط على المستويات الاجتماعية والسياسية على مستوى الوطن العربي بفعل تداعيات أزمة الخليج التي ما كانت إلا تعميقًا لإحباطات أخرى سابقة وموجودة – فإن النخبة قد أسهمت بالدرجة الأولى في تعميق خطاب الإحباط واليأس لدى قطاعات عريضة في الأمة العربية. فلقد اتسم أداء النخبة العربية بالاستغراق في وصف الأوضاع المحبطة، حتى في عملية اختيارهم لمنهج تحليل الأوضاع نجد أن الأغلبية منهم قد لجأت إلى انتهاج المنهج «التفكيكي» والتركيز عليه لحد ذاته.. الأمر الذي وصل بالبعض إلى تفكيك كل ماضي الأمة إلى كتل من المطارحات المشكوك في كل ما تتضمنه، وفي أمور يصعب فيها الحسم، الأمر الذي تعرضنا له بقدر من التحليل في الفصل الثاني الخاص بمنهجية تحليل النص وهو الأمر الذي ساهم كثيرًا في وجود فراغ معرفي وروح من الشك في كثير من الأمور على الساحة العربية. ولعل أبسط توضيح لهذا الأمر هو عرض نماذج من بنك البيانات الخاص بتفاعلات أزمة الخليج أو الأزمة الثقافية المزمنة. ولنبدأ بعينات تجسد مفرداتها تلك الأزمة المزمنة التي سبقت تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٠م، ولعل أكثر هذه العينات تمثيلاً للإحباط... أو بمعنى آخر أكثر تعبيرًا، انزلاق أعضاء بارزين من النخبة إلى وصف الأوضاع المحبطة بأوصاف إن دلت على شيء فهي تدل على تعميم وانفعالية في الوصف تزيد من تعميق الإحباط

واليأس بدلاً من معالجة الأمر بصورة أكثر إيجابية. وهذه العينة تتمثل في المقولة التالية للدكتور هشام شرابي حين يقول في كتابه بعنوان «مقدمات لدراسة المجتمع العربي»:

«إن النزعة العدوانية (AGGRESSIVE IMPULSE) التي يقول فرويد إنها تبدأ في البروز في الفترة الثانية من تطور الطفل البيولوجي ANAL PERIOD أي ابتداء من السنة الثانية من عمره عندما ينتقل اهتمامه إلى عملية البراز فينظر إلى برازه مثلاً كشيء ثمين وهام، هذه هي النزعة السائدة التي تطبع الشخصية القضيبية (PHALLIC PERSONALITY) التي يصنعها مجتمعنا، اعتمادًا على التربية العائلية وطريقة معاملة الأطفال. ونرى هذه الشخصية القضيبية مجسدة في أشكال ونسب مختلفة من العدوانية والشراسة. وهي على اختلاف أشكالها تتميز باعتزازها بذاتها وبشعورها أنها شيء خطير وأنها هدية الآلهة إلى هذا العالم. ويجد صاحبها لذته في الحياة في إبراز الأنا. فهو شديد الحرص على التأكد من احترام الناس له، وفي التشديد على منزلته والدفاع عن سمعته. وهو يجد احترامه لنفسه في فرض نفسه على الآخرين، في تحقيرهم، خصوصًا إذا كانوا من أقرانه وإخوانه. إنه في كثير من تصرفاته لا يزال طفلاً، يتأمل برازه كل صباح باهتمام وعطف كبيرين».

(شرابي ١٩٨١: ٢٤)

أما على صعيد عينات التفاعلات التي صاحبت أزمة الخليج على المستوى النخبوي والتي تعكس بعمق روح الإحباط واليأس نجد مقالاً طويلاً للدكتور حسن حنفي بعنوان: «خطاب للأجيال القادمة» بصفحة الحوار القومي بجريدة الأهرام بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩٠م

ينتمي إلى خطاب الحيرة واليأس والإحباط الذي لا يزال يهيمن على كثير من تفاعلات النخبة، إلا أن هذا الخطاب لم يتضمن ما هو شائع من إلقاء اللوم عادة على الآخرين أو على التنصل من المسئولية، ولكن هذا المقال قد تضمن الاعتراف بالإخفاق في لحظة ما خاصة إذا كانت لحظة حاسمة في تاريخ الأمم دون مكابرة واستعلاء، كما يحدث في كثير من تفاعلاتنا مع الأسف، ولقد تجسد هذا في مقولة د. حنفي في آخر مقاله حين ذكر: .. هل أكمل جيلنا دورة تاريخية، هل عدنا بعد محمد على وعبدالناصر؟ هل نحن في مخاض جديد يتعهده جيل قادم بعد أن تهرَّأ كل شيء؟ «**هذا اعتراف للأجيال القادمة واعتذار لها**».. ولقد كان هذا المقال موضع تأمل العديد من أعضاء من النخبة، ومن أمثلة هذه التأملات ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي الذي تعرض (الأهرام ٨/١/١٩٩١م) لما ورد بهذا المقال ولمقولات نخبوية أخرى في معرض حديثه عن «خطاب الخروج من المأزق» ووصفه قائلاً: إنه كان بمثابة «اعتذار عن الماضي، ويأس من الحاضر، واستقالة من المستقبل». لقد كان لنمط «الإحباط واليأس» جذور وأسباب عديدة بطبيعة الحال، ولقد عمقت تفاعلات الغالبية من أعضاء النخبة من تمكن هذا النمط لدى الكثيرين، ولقد لاحظ د. عبدالمنعم سعيد منذ فترة سبقت تفاعلات أزمة الخليج تأصل ذلك النمط في تفاعلاتنا فكانت له مقالة مهمة في الأهرام بعنوان: «لماذا لانفوز بكأس العالم» (١٩/١/١٩٩٠م). وبالرغم من أن العنوان قد يبدو وكأنه حديث في الرياضة، وهذا بالطبع ما لا يخوض فيه د. سعيد، فإن المقال سياسي واجتماعي في المقام الأول. ومن الممكن اعتبار هذا المقال كنوع من رد الفعل الإيجابي للتصدي لنمط اليأس والإحباط وفقدان الثقة بالنفس لدى الكثيرين من أعضاء

النخبة، الأمر الذي انعكس بالتالي على غالبية من الشباب. لقد كان مقال د. سعيد بمثابة تحفيز للهمم لما يمكن أن تحققه مصر كدولة عريقة لها ثقلها الحضاري والثقافي، وما يمكن أن يحققه الوطن العربي ككل. ولقد تصدى كاتب هذه السطور لشيوع هذا النمط في مقال له بعنوان: «رؤية اجتماعية وسياسية» للأوضاع الراهنة بمصر بـ(مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا – ديسمبر ١٩٨٦م).

النمط العاشر: «حوارات جدلية الوسائل» (التسلحف):

وهذا النمط يتجسد في فقدان الاتساق بين تحقيق الهدف وأسلوب وإجراءات تحقيقه بأسلوب علمي وعملي وموضوعيةتتعامل مع الواقع المعقد بطبيعته وأولوياته ثقافيًا واجتماعيًا ودوليًا. ولعل احتدام الخطابات المتصارعة من إسلامية إلى علمانية أو أي اسم آخر تعاني من هذا الخطأ الفادح الذي شنج حركة الأمة وكبح انطلاقها وجعل الجميع يستهلكون الجهد الأساسي في مسائل إجرائية وخلافية، والتعامل بأسلوب «شخصاني» وتعبيرية انفعالية بدلاً من الاهتمام بالإنجاز لصالح الجميع. ولعل كلاً من تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة وأزمة الخليج ١٩٩٠م قد قذفتنا بعشرات الأمثلة، ففي سياق الأزمة الثقافية المزمنة نجد أبسط الأمثلة وأعمقها تتمثل في عبودية إجراءات روتينية كثيرة ننسى معها أنها ليست الهدف في حد ذاته ولكنها الوسيلة لتحقيق هدف آخر.. ولعل ممارسات القيادة العراقية أثناء أزمة الخليج توضح أنها قد حاولت اللعب على تناقض الخطابات المتصارعة والتعامل مع دوامات الوسائل الجدلية بطريقة أطالت من أمد الأزمة، وكان الهدف من ذلك هو محاولة استقطاب

أكبر تأييد لموقف العراق من ناحية ومحاولة لتمييع الموقف حتى يرجع التحالف عن عزمه في طرد العراق وتحرير الكويت، ولقد تجسد نمط تغلب جدلية الوسائل على تحقيق الهدف بصورة جلية في تفاعلات الأشهر الأربعة الأولى من الأزمة من خلال ذلك الكم الهائل من المبادرات العربية المختلفة لحل الأزمة دون توحيد الجهد، مما أدى إلى فقدان القدرة على إيجاد حل تحت المظلة العربية.

ومن صور هذا النمط ما أسميه باستراتيجيات التسلحف، والمقصود بها فقدان القدرة على ترتيب أولويات الحوار، وفقدان الإحساس بالندية، والإسراع بطلب التأجيل أو الانسحاب بخصوص إشكالية ما تكون موضع الجدل، أو طلب تأجيل الأمور دون البت فيها إلى أن تحل بقدرة قادر أو لاتحل نهائيًا، ومن المقالات التي تستشف منها هذا النمط مقال لمرسي عطا الله بعنوان:«سياسة الهروب من المواجهة ليست في مصلحة العرب»، حيث يقول:

«ولسنا مقطوعي الألسنة ولا عديمي الحجة لكي نفرح بالهروب من ساحة المواجهة في ظل عالم جديد يتجه إلى حقبة من «الدبلوماسية الوقائية» كبديل لحقبة «الدبلوماسية العلاجية التي كانت نتاجًا طبيعيًا لسنوات الاستقطاب والحرب الباردة قبل إعلان شهادة الوفاة للاتحاد السوفيتي.

وكفانا أربعون عامًا من الجدل العقيم!».

النمط الحادي عشر: حوارات «الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة»:

«صناعة كبرى.... ملاعب خضرا

تماثيل رخام على الترعة وأوبرا

فى كل قرية عربية

دي ماهيش أماني وكلام أغاني

ده بر تاني.. ده بر تاني!».

كلمات للشاعر والمفكر الراحل صلاح جاهين تغنى بها الراحل عبدالحليم حافظ... «ده بر تاني» هذا تعبير دقيق في سياق حوارنا الآن... إنه بالفعل بر تاني... ولكننا لم نصل إليه بسبب الاستغراق في الحلم دون الأخذ بتلابيب الأمور والنظرة العملية للواقع المعيش والتصرف من منطلق فن الممكن لتحقيق ما يمكن تحقيقه. إن هذا النمط يتجسد فيما قاله رافائيل باتي برغم التحفظ على الكثير مما ورد في كتابه بعنوان «العقل العربي» وأسلوب معالجته مادة الكتاب:

«إن العقل العربي يعطي وعن قصد وزنًا أعظم للرغبات والأماني التي يود العربي أن يحققها عن ذلك الوزن الذي للواقع الفعلي والموضوعي للأمور».

(باتي (PATAI): ١٩٨٣: ١٥٦)

ويتجسد هذا النمط أيضًا فيما أورده السيد ياسين في مقاله بمجلة المستقبل العربي (١٩٩١م) بعنوان: «التحليل الثقافي لأزمة الخليج» حينما تعامل مع ما أسماه بـ«الخطاب المثالي» الذي ركّز فيه على الوزن التأثيري الكبير للشعارات على وعي الشارع العربي والإسلامي، وهذا ما تجلى من خلال تأييد «القطاع الأكبر من الجماهير العربية للشعارات التي رفعها صدام حسين أثناء أزمة وحرب الخليج؛ لقد ذكر السيد ياسين «أهمية دراسة وتحليل السلوك

الجماهيري العربي أثناء الحرب، وعلى وجه الخصوص بحث ظاهرة التأييد الجماهيري الواسع المدى للخطاب السياسي للرئيس صدام حسين وخصوصًا جماهير الأردن والجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة، وفي الجزائر والمغرب وتونس والسودان واليمن، وبعض قطاعات الجماهير في مصر وسوريا. وأضاف قائلاً: «إن دراسة هذا السلوك الجماهيري كشفت عن توحد الجماهير مع الشعارات التي رفعها الرئيس صدام حسين في خطابه، بغض النظر عن حديثه في رفعها، أو عمله الحقيقي لتحقيقها. وبغض النظر عن تناقض ذلك الخطاب وضعفه البنيوي وركاكة أسلوبه وبدائية أفكاره. ولقد عزا السيد ياسين هذا الأمر إلى الوضع النفسي للجماهير التي اختلطت عليها الحقيقة بالوهم. إن أمر الاستغراق في الأحلام المثالية دون مواكبة ذلك بالفعل قد تأصل بسبب ممارسات كلامية كان الغرض منها التعبئة السياسية من خلال الإعلام والعملية التعليمية في أنحاء الوطن العربي ولفترة طويلة من الزمان. ولعل ما أحدثته أزمة الخليج يدق الأجراس لكي نتخلى أساسًا عن مثل هذه الممارسات.

النمط الثاني عشر: حوارات الإطلاقية في القبول والرفض وحتى في «الحل الوسط»:

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع الآخر، فإن الأمر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسيين للتحليل؛ البعد الأول يتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية في الداخل العربي، والبعد الثاني يتجسد عندما نتحاور مع الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا. ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبول المطلق أو الرفض المطلق»

بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، والسبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التي تؤكد على الرفض المطلق كان تبني البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطيين أو التوفيقيين»، وهؤلاء قد انقسموا إلى فئتين؛ الأولى: تمثل هؤلاء الذين أدركوا – عن عمق – حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم والذي لا نملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم، واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا، ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصيلة.
أما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن أمور تتعلق بنظام القيم الثقافية الأصيلة، وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الإطلاقية أيضًا، وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير «الحل الوسط» مدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعني التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية، وهذا المعنى هو الذي يهيمن على إدراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربي والإسلامي، وما يلقي بالضوء على هذا الأمر ما ذكره باحث اللغويات الاجتماعي بروس فريزر (BRUCE FRASER) (١٩٨٧م) في بحثه الذي تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "COMPROMISE" ، ولقد أورد الباحث عدة أمثلة منها مثل من الشارع الإسلامي في إيران حين ذهب مبعوث الأمم المتحدة إلى إيران بشأن التفاوض في أزمة الرهائن الأمريكيين الشهيرة، ويذكر الباحث أنه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير «حل وسط» وأعلن أنه جاء للوصول إلى «حل وسط» فما كان من الجماهير إلا أن رشقت سيارته بالحجارة.

فإذا ما حاولنا الآن النظر إلى ما طرحته تفاعلات أزمة الخليج من أنماط الإطلاقية نجد أن جزءًا كبيرًا من بيانات تفاعلات الأزمة يجسد هذا النمط، وقد لاحظه أيضًا السيد ياسين في مقالة بعنوان: «المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج» (الأهرام ١٩٩١/٣/٨م). حين ذكر النقاط التالية عن سمات خطاب المثقفين العرب في الأزمة:

- «انطلق معظم خطاب المثقفين العرب من مسلمة مبناها؛ إما أن تكون مع العراق على طول الخط، أو مع الكويت على طول الخط، ومثل ذلك تبسيط مخل لرؤية الواقع، ذلك أن الأزمة أثارت قضايا سياسية وفكرية واستراتيجية معقدة. من الصعب للغاية حصرها في خانة «الأبيض» أو خانة «الأسود»، وبالتالي حرم هؤلاء المثقفون أنفسهم من التحليل النقدي للأزمة والذي من شأنه أن يبرز سلبيات وإيجابيات سلوك كل طرف من الأزمة».

وإذا عُدنا بالأمثلة إلى أحداث قريبة في الواقع الثقافي المصري تتعلق بنمط القبول المطلق والرفض المطلق لوجدنا مادة خصبة في التفاعلات الحوارية الخاصة بـ«قضية الغزو الثقافي»، وسنجد أن كل هذه التفاعلات تندرج تحت إطار أحد المواقف التي يجسدها نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق أو نمط «الحل الوسط». وهنا تندرج مقولة وزير الثقافة المصرى أ. فاروق حسني الذي قال بالنص:

«إن التخوف من الغزو الفكري والثقافي هو تخوف بلا أساس، لا مخاطر من أي لون من الغزو الفكري، ويا مرحبًا بالغزو الفكري في كل وقت وفي كل مكان». ولقد كان لهذه المقولة رد فعل لدى الكثير من أعضاء النخبة المصرية، الأمر الذي دار بشأنه حوارات على صفحات الجرائد استمرت لفترة لا بأس بها. وما أود أن ألقي بالضوء

عليه هنا هو نمط الإطلاقية الذي يتجلى في معظم تفاعلاتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية الراهنة. ولعل أعمالنا الفنية تعكس هذا الأمر أيضًا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن الكثير من المسلسلات أو الأفلام التي يُطلق عليها «سياسية» لم تكن في واقعها إلا قبولاً مطلقًا لعهد عبدالناصر أو رفضًا مطلقًا لهذا العهد، ونفس الشيء ينطبق على عهد السادات، كذلك فإن ما يقتحم آذاننا من أغانٍ هابطة بهذا الكم الضخم ما هو إلا صورة من صور نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق لقيم ثقافية معينة ســـواء على مستوى المرسل أو المتلقي.

إننا إذا ما حاولنا توسيع نطاق تأمل مواقف «العقل العربي» عمومًا بخصوص التفاعلات الإطلاقية مع الآخر لوجب علينا تأمل وتحليل أهم مقولات المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري وهي مقولة رئيسية أكدها في كتابيه الأول والثاني عن العقل العربي، يقول د. الجابري:

«إن الذات العربية الراهنة تفتقد استقلالها لأنها تستمد فاعليتها وردود فعلها من مرجعيتين اثنتين متنافستين ومتعارضتين، وهما معًا منفصلتان عن الذات العربية، أعني أنهما تنتميان إلى عالمين لايعبران تعبيرًا مطابقًا عن عالم العرب اليوم، إحداهما تنتمي إلى الماضي العربي الإسلامي، والثانية تنتمي إلى الحاضر والمستقبل الأوروبي. إن تحكم هاتين المرجعيتين: المرجعية التراثية العربية الإسلامية، والمرجعية المعاصرة الأوروبية في الذات العربية في توجه تفكيرها ورؤاها - هو ما نعنيه بافتقادها إلى «الاستقلال التاريخي التام» على صعيد الوعي والفكر كما على صعيد السلوك

والفعل. وذلك إلى درجة أننا أصبحنا نحن العرب اليوم ولا نستطيع - إلا نادرًا - التفكير في أية قضية من قضايانا إلا من داخل إحدى المرجعيتين المذكورتين، وفي كلتا الحالتين يكون فكرنا في واد وواقعنا في واد آخر، وبالتالي تغدو «الذات» كفكر وكفاعلية وسلوك، موزعة بين فكر مغترب في الماضي أو عند الغير وبين سجن مظلم هو سجن الواقع الذي لا ينيره فكر ولا يحكمه عقل. وإذن فسبيل الاستقلال التاريخي للذات العربية هو التحرر من النموذجين معًا - أعني المرجعيتين - التحرر من سلطتهما «السلفية»، سلطتهما «المرجعية»، وذلك ما أكدناه في خاتمة «الخطاب العربي المعاصر» ونؤكده هنا من جديد.

(الجابري ٨٥:٥٦٧)

إن ما يتحدث عنه ويؤكده د. الجابري بصورة جلية هو «التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين» «السلفي» و«الأوروبي» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخي التام للذات العربية! وهذه المقولة مقولة مهمة تعبر عن الأمل في التجرد والموضوعية وعدم سجن الذات في نموذج بعينه. وهذا مفهوم.. إلا أن هذه المقولة تحمل في طياتها أيضًا ظلالاً قوية لنمط الاستغراق في المثالية التي تبتعد بنا عن الواقع المعيش وتجسد مفهوم «الإطلاقية»، حيث إن التحرر التام من أي نموذج أو فكرة أمر طوباوي أكثر من كونه أمرًا علميًّا يشهد على عدم حدوثه وقائع التفاعلات الحوارية العلمية، ووقائع التاريخ.

إن مقولة د. الجابري بخصوص أمر الاستقلال التاريخي للذات العربية في عالم تتشابك مصالحه وتحركاته تدعونا إلى تأمل مقولة

عالم السياسة المعروف كارل دويتش حينما يتعرض للواقع الأمريكي الذي ينبغي أن نتأمله كمجرد خبرة إنسانية انبثقت من خلال التفاعل في إطار سلطات نماذج مختلفة تمثلت في مهاجرين من أنحاء العالم. فبعيدًا عن هاجس التبعية نستشهد بهذه المقولة لكارل دويتش الذي يقول: «إن الاستقلال شيء نسبي، فنحن الأمريكيين نعتمد على العالم الآخر بطريقة كبيرة، والجميع يعلم أن العلم والتكنولوجيا والطب هي موضوعات «دولية» ولكن القليل هم الذين تأملوا... وماذا يعني هذا؟.. إن الأمر يعني وببساطة أنه لا يوجد شعب في العالم قد وصل إلى ما وصل إليه من تقدم تكنولوجي ورخاء، دون الاستعانة بالعالم الخارجي وإسهاماته»، ويضيف قائلاً: «إن عالم الطبيعة كارلوت يذكرنا بأن هناك ثلاثة اكتشافات أمريكية من الـ١٢ اكتشافًا الرئيسية التي سمحت بإنتاج الطاقة الذرية... إننا نفخر بأننا نشكل ١/١٨ من سكان العالم وبأننا قد أسهمنا بالربع في هذا الأمر... ولكن هذا أيضًا يجعلنا نتأمل الحقيقة القائلة بأن الأمر قد جاء من بلاد العالم الأخرى». (دويتش ١٩٦٦م).

إن أمر الاستقلال التاريخي التام في عالم اليوم هو بمثابة استمرار «الحلم العربي» المجرد والراهن والذي يخرج عن نطاق نواميس أحلام البشرية المختلفة في عالم اليوم وخاصة الحلمين، «الياباني»، و«الألماني»... فهذه «الأحلام» الأخيرة قد تحولت إلى واقع بينما كان الشعبان الألماني والياباني تحت تأثير هيمنة سلطة نماذج المنتصرين بطريقة أو بأخرى. كذلك فإن تجارب دول مثل ماليزيا وكوريا والهند.. تؤكد أن هذه الشعوب لم تنشغل بالاستغراق الفلسفي المجرد والإطلاقية المثالية، وإنما اندمجت مع الواقع والتجربة

العلمية المعيشة بكل تعقيداتها، فلقد تفهمت هذه الثقافات واستوعبت جيدًا قواعد اللعبة الدولية وأيقنت أن ملاعب التحرك قد اتسعت وأن هناك حيثيات قد أصبحت حقيقة واقعة على الساحة، ومنها حيثية «الاختراق» فلقد أصبح عالم اليوم على اتساعه وتفاوته لا يخلو من عمليات الاختراق المتبادل» (INTERPENETRATION) . إن هذه الثقافات لم تتخل عن المفاهيم الرئيسية التي تمثل قوامها الحضاري.. ولم تنشغل بما قد يسمي بـ«الاستقلال التاريخي التام» أو «المطلق لذاته». وبالتالي تتعامل مع ذلك الاختراق الذي تتعرض له بإيجابية بعد أن أصبحت تسير على طريق امتلاك مقومات الاختراق المضاد، إن لم يكن ذلك الاختراق المضاد قد أصبح حقيقة في أسواق أوروبا وأمريكا.

النمط الثالث عشر: حوارات تبديل المواقف بسرعة وانفعالية حادة

لا شك أن هناك أمثلة من التفاعلات الحوارية الاجتماعية اليومية في العالم العربي التي توضح بجلاء نمط تبديل المواقف من موقف إلى آخر وربما يكون نقيضه الحاد وبسرعة غريبة وبانفعالية. ولا شك أن التفاعلات السياسية خاصة أثناء أزمة الخليج لها الحجم الأوفر في هذا الصدد. ولقد لاحظ السيد ياسين في مقاله «المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج» (الأهرام ٨/٣/١٩٩١م)، ما يوحي بتأصل هذه السمة في خطاب المثقفين حين ذكر:

- وسمة أخرى تتمثل في التبعية المطلقة لبعض المثقفين لمواقف السلطة، سواء كانت السلطة العراقية، أم السلطة، الكويتية، أم السلطة السعودية (وينطبق ذلك على تبعية بعضهم للسلطة

المصرية أو السورية). وخطورة هذا الموقف أن يتحول المثقف إلى مجرد مبرر لمواقف السلطة، وهو لذلك مستعد لتغيير موقفه إذا ما غيرت السلطة موقفها. فالمثقفون الذين أيدوا العراق في غزوه للكويت ثم في ضمها بعد ذلك للعراق، وابتدعوا النظريات المختلفة لتبرير هذا الضم، سواء في حديثهم عن أولوية الوحدة العربية ولو تم تحقيقها بالقوة العسكرية، أو في تعرضهم لهشاشة الدولة الكويتية، أو في إثارتهم لقضية الحق التاريخي، هم أنفسهم الذين أيدوا العراق في مبادرته السلمية، والتي جوهرها الانسحاب من الكويت، ولدى هؤلاء البعض موقف السلطة - أيًا كان ومهما تغير - هو الصحيح (أي مهما تطلب الأمر من تبديل للمواقف).

ومن عينات البيانات التي تلقي بالضوء على نمط «تبديل المواقف» كنمط متكرر في تفاعلات النخبة نجد مقال فيليب جلاب بالأهرام بتاريخ ١٤/٣/١٩٩١م بعنوان «عن الحرب والغزو والتواطؤ» والذي يتحاور فيه مع د. فؤاد زكريا بخصوص تفاعلات أزمة الخليج وما تمخض عنها ويركز في مقولته على ما يلقي بالضوء على هذا النمط.

وإذا كانت هذه العينات تمثل التفاعلات السياسية الخاصة بهذا النمط فأود أن ألفت نظر القارئ إلى مضمون عينة من بنك بيانات هذه الدراسة تجسد مدى تأصل هذا النمط السلبي من التفاعل في مجتمعنا.. وهو ما أورده - وبطرافة عميقة - محسن محمد في جريدة الأخبار بعنوان «متى نلعن الجوهري» حيث يقول:

متى نلعن الجوهري؟

دخلنا التصفيات النهائية في كأس العالم في روما فأعلنا على

رءوس الأشهاد أن الفضل لا للاعبين بل لمدرب الفريق الكابتن محمود الجوهري ونشرنا العرائض والقصائد في مدحه واعتبرناه منقذ الكرة المصرية الذي سيجعلنا نفوز ببطولة الكأس. وهزمتنا إنجلترا في الكأس بهدف يتيم فأخذ اللاعبون من أعضاء الفريق الذين حرمهم الجوهري من الاشتراك في المباراة يقسمون ويؤكدون أن العلاقات الشخصية السيئة بينهم وبين الجوهري هي التي أملت عليه إبعادهم!

وتطوعت أجهزة رقابية، لا نعرف إلى من تنتمي، تتهم الجوهري بأنه أفرط في استخدام المال العام، وأن مصروفات الفريق كانت أكثر مما ينبغي في دولة نامية.

ولم يرسل الجوهري إلى روما فريق التصفيق للفريق المصري، ولكن هذا لم يمنعنا من اتهام الجوهري بأنه كان يحتاج إلى من يهتف له ولفريقه في روما لتشجيعهم على الهزيمة!

وعندما لم نحقق نصرًا في أثينا أمسكنا بخناق الجوهري وأخذنا نلومه بأثر رجعي وعزلناه من تدريب الفريق.

وجاءت الدورة الإفريقية لنهزم في التصفيات الأولى في كرة القدم. وكان من الطبيعي أن نلقي اللوم هذه المرة على إتحاد كرة القدم الذي سبق له اتهام الجوهري والتشهير به فأصدرنا قرارًا بحل الاتحاد.

وتذكرنا فجأة الجوهري المظلوم. وتذكرنا أيضًا أننا لم نمنحه وسامًا على جهده في وصول فريقنا إلى كأس العالم. حدث ذلك كله قبل أن تنتهي الدورة الإفريقية لتعرف إفريقيا كلها أن الحسم والحزم طابع حياتنا الكروية قبل أي شيء آخر في الحياة!

ومن المؤكد أننا سننتصر في مباريات قادمة. وسنهزم في مباريات أخرى.

وسيتذكر بعضنا أن الجوهري هو المسئول. وسنلعنه مرة أخرى، وربما نسحب منه الوسام وربما نقدمه إلى المدعي الاشتراكي!

... مبروك مؤقتا للجوهري حتى يجيء الوقت المناسب لنلعنه

[ملاحظة: إذا كان ما سبق يتعلق بوقت كتابة هذه السطور عام ١٩٩١م حينما رصدت مقال الأستاذ محسن محمد، فإنني اليوم في عام ١٩٩٨م وأنا أعيد طبع تلك الدراسة في هذا الجزء من كتابي هذا، أذكر القارئ بأننا والحمد لله نشكر الجوهري من الأعماق لتحقيق لقب بطولة كأس إفريقيا. وإثبات قدرته وخبرته الوطنية].

★ النمط الرابع عشر: حوارات «التحفيز الانفعالي»:

يعد هذا النمط شكلاً من أشكال الانفعالية الحادة التي تبتعد عن الأسلوب الهادئ في الحوار، وهو شيء مفتقد في كثير من تفاعلاتنا، فإذا كان هذا الأمر متوقع الحدوث من قبل العامة التي تحتاج إلى جهد لمعالجة هذه السلبية إلا أن هذا الأمر لا يكون محتملاً إذا كان هو أسلوب من يفترض فيهم أنهم أعضاء في النخبة العربية والأمثلة كثيرة بغض النظر عن طبيعة الموضوع.

ولعل في مقال بقلم الأستاذ المستشار محمد أبو علم ما يوضح ذلك (الأخبار ١٩٩١/٢/٢٠م) والمقال بعنوان «**جهنم بعده لن تطلب المزيد!!**» ويتحدث الكاتب عن صدام حسين.. بلغة توضحها المقتطفات التالية «اقتلوه ولا ترحموه... اذبحوه واشربوا من دمه»... «اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بماضيه.. فسوف يرقص العالم

كله لمقتله»، اقتلوا صدام واسحلوه ولا ترحموه... «أما صدام مسحولاً في الشوارع فسوف ترقص البشرية كلها فرحًا به...» «اضربوه الآن قبل غد... اضربوا هذا الوحش المجنون الذي فقد عقله ويلتف حوله شرذمة من الجبناء والمناجيس... لا تتوقفوا عن قتله في شهر شعبان وشهر رمضان فإن ذبح صدام واجب حتى في الأشهر الحرم...».

* النمط الخامس عشر: حوارات الإذعان واستراتيجيات «الدونية»:

ويتجسد نمط الإذعان والاستجداء العاطفي من خلال توظيف ما أسميه بـ«استراتيجيات الدونية في الحوار» والمقصود بذلك هو إظهار طرف من أطراف الحوار للمتحاور معه دونيته أو قلة حيلته وعدم توافر الندية تجاهه، وأهم استراتيجيات الدونية في الحوار هي:

(أ) المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب.

(ب) الاستغراق في الاستشهاد ببعض الأمثلة التي تجسد نمط الإذعان والاستجداء العاطفي.

(أ) المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب:

في ثقافتنا العديد من ألقاب التخاطب الاجتماعية التي يطلقها أطراف الحوار على بعضهم البعض أو على من هم أعلى سلطة ومن أمثلة ذلك «سمو الأمير وجلالة الملك... وفخامة الرئيس، و(الركن المهيب والقائد الميمون) وفضلية الشيخ، وسماحة البابا، ومعالي الباشا، وحضرة الأفندي، وسعادة البيك، .. إلى آخره.. هذا غير ما يرد في العامية من كم هائل آخر من ألقاب التخاطب. إن هذه التعبيرات في أساسها هي تعبيرات إيجابية تدل على احترام الآخر في المقام

الأول، ولكن المشكلة هي الإسهاب في استخدام مجموعة من هذه الألقاب في كبسولة واحدة لمخاطبة السلطة السياسية أو سلطة السياق، والمقصود هنا هو المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب لمن له سلطة في سياق ما.. كسياق حوار الطالب للأستاذ والمذيع أو الصحفي ومن يستضيفه في حوار حيث يؤكد طرف ما الدونية تجاه الطرف الآخر ولا يكون هنا أدني مبرر لذلك. لقد شاهدت عينات من هذه النوعية من الحوارات التي لا ينتج عنها بطبيعة الحال الاحترام المتكافئ بين أطراف الحوار بسبب مبالغة أحد الأطراف في تأكيد دونيته للطرف الآخر من خلال توظيف استراتيجيات الدونية في الحوار سواء كانت من خلال توظيف ألقاب التخاطب أو غير ذلك من استراتيجيات الدونية، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى جور على مفهوم عزة النفس ومفهوم المساواة والتكافؤ في الحوار كمبدأ مهم في عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة وفي الحوار عبر الثقافات بكل تأكيد.

(ب) الاستغراق في الاستشهاد ببعض الأمثلة العامية:

ولعل في العديد من الأمثلة الشعبية ما يلقي بالضوء على صورة أخري من صور الإذعان، وهنا أود أن أستشهد بالمقولة التالية للأستاذ محمد إبراهيم أبو سنة في كتابه «فلسفة المثل الشعبي» والتي أتت تقديمًا لبعض الأمثلة من هذه النوعية. يقول الأستاذ أبو سنة:

بعد اجتماع كل ظروف القهر الماضية بالإضافة إلى وجود الاستعمار في المراحل المتأخرة من تاريخنا، وأخص المراحل الحديثة؛ لأنه كان الاستعمار الذي ركز اهتمامه حول اقتلاع ثقتنا من أنفسنا، ومازلنا نعاني أزمة الثقة هذه حتى الآن بين شتى مستويات

الثقافة والمجتمع، فالاستعمار قد قام بمزاولة عمله التخريبي في جبهتين: الجبهة الأولى هي تحطيم اقتصادنا أيام إسماعيل وخنق الروح الثورية أيام عرابي وتفتيت كل المحاولات للنهوض بأية إمكانيات ما لخلق وضع آخر. والجبهة الثانية هي ضغط الروح المعنوية وتقويمها بالمفاهيم الرجعية وتأسيس وتشجيع المؤسسات الرجعية المنهزمة. والحقيقة أن انتشار هذا التخريب المعنوي في صفوفنا وثقافتنا ومدارسنا بحيث انعكس في كل مناحي حياتنا ليسري علينا ونقبل الأحكام التي يصدرها التاريخ، كما أني لا أريد لمعنى الإطلاق أن يحيط بهذه الكلمة «الانهزامية»، فالفتور الذي يعتري نضال الشعوب لا يمكن أن يستمر؛ لأن التاريخ في زحفه المرير على سواعد الجموع الكادحة لايؤمن بالجمود والتوقف.

وكان لانتشار هذه الروح داخل فلسفة شعبنا أثر فعال في خلق وجهة نظر غير سليمة أوحت دائمًا بأحكام سلبية ورجعية ومتسامحة، ونحن لا ندهش كثيرًا إذا كان مثلنا الشعبي لم يرتفع إلى مستوى المقاومة الحقيقية إلا في مراحل حديثة جدًا من تاريخنا؛ ذلك لأن الأدب المكتوب نفسه كان يعاني هبوطًا ومرضًا وسطحية لازمته إلى مطالع القرن العشرين، ولذا إذا وضعنا أذهاننا واعية تحت ظروف القهر الماضية لا نجد غرابة عندما نسمع مثلاً:

- «اللي يجوز أمي أقوله ياعمي»،«ارقص للقرد في دولته»، «أقل عيشة أحسن من الموت».

«اللي ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون»، «إن انهدم بيت أخوك خدلك منه قالب»، «إن كان لك عند الكلب حاجة قل له

ياسيدي»، «اللي يبص لفوق توجعه رقبته»، ولكن يقاوم أيضًا في روعة نادرة:

«اللي ما يقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار».

(إبراهيم أبو سنة ١٩٦٨: ١٨ ، ١٩)

وعن «خطاب الإذعان» نستشهد هنا بمقولة د. شرابي الذي يصف الإنسان العربي:

«بأنه ينزع دائمًا إلى الاعتقاد بالاستمرارية الطبيعية والمجتمع ولا يؤمن بقدرة الإنسان على تحقيق التحولات في واقعه وبيئته الاجتماعية، كذلك فإن الإنسان في صميمه إنسان عاطفي مستسلم للطبيعة والسلطة الخارجية ولا يرغب في مقاومتها وهو لذلك سلبي وخنوع للسلطة السياسية والسلطة الأبوية، ويؤمن بالمعجزات وغير قادر على التصدي لمشكلاته بمنهج عقلاني».

(شرابي ١٩٨١:١٢٨)

ورغم العمومية الإطلاقية التي اتسم بها أسلوب د.. شرابي في هذه المقولة، والتي نختلف معه بشأنها فإن ما يتحدث عنه يمثل قطاعًا له وجوده الحقيقي على ساحة تفاعلاتنا الاجتماعية والسياسية.

وإذا انتقلنا الآن إلى عينات تفاعلات ما بعد أزمة الخليج ١٩٩٠م الحديثة للغاية لوجدنا ما يلقي بالضوء على «نمط الإذعان وتهيب السلطة» في مقال للأستاذ وجيه أبو ذكري بجريدة الأخبار ١٣/١٢/١٩٩١م بعنوان «إلى زعيم العالم الجديد: رفقًا برعاياك!! ولأننا نعرف أن وجيه أبو ذكري من الكتاب الذين يتسمون بالجرأة وعدم المهادنة في المطالبة بالحقوق فهو أول من أثار قضية النعوش

المصرية الطائرة التي كانت تحوي جثث العاملين المصريين بالعراق، والتي كانت تصل في «صمت رهيب» في وقت كانت فيه العلاقة بين الحكومتين المصرية والعراقية في أحسن حالاتها، وهو الذي تصدى للمطالبة بحقوق المصريين في دول الخليج، وهو الذي انتقد بموضوعية عدة ممارسات للحكومة المصرية.. من هنا وفي ظل هذا السياق الأشمل وبعد قراءة المقال المشار إليه أعلاه نلاحظ أن المرامي الإقناعية للكاتب ترجع نغمة التهكم إلى ما وصل إليه حال خطاب الإذعان في الوطن العربي من ناحية والتصدي بأسلوب حاول الكاتب أن يكون فيه ساخرًا لإساءة استخدام سلطة «زعامة العالم الجديد» من قبل الولايات المتحدة من ناحية أخرى. والمقال يمثل واحدًا من المقالات المصرية التي شاركت في محاولة امتصاص أي رد فعل متهور من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ضد ليبيا، ولقد وضع الكاتب في هذا المقال حشدًا مكثفًا من مفردات واستراتيجيات الإذعان والدونية، والتي تجسدت المبالغة فيها باستخدام ألقاب التخاطب من ناحية مثل «زعيم العالم الجديد»، «زعيم هذا العالم بلا منازع ولا منافس ولااعتراض» مع تكرار ملحوظ لهذه الألقاب. كذلك استخدام الكاتب أساليب «التصغير المعنوي» من ناحية أخرى مثل «رفقًا برعاياك»، إن «ليبيا العظمى.. دولة صغيرة».. ولقد زاد من تعظيم توظيف استراتيجيات الدونية استخدام التعظيم المعنوي للطرف المخاطب وهو الرئيس بوش الذي وُصف في المقال بأنه «رجل مؤمن ومثقف ودقيق» هذا بالإضافة إلى تقرير مصادر قوة الطرف المتحاور معه (بوش) مثل: «أراك تسعد بالركوع والسجود لك وأمامك من رعاياك في محرابك.. فكم أنت سعيد بأن سفاح بغداد يقف ساجدًا أمامك كما الأرنب، ورئيس روسيا يقدم لك تقريرًا عن

تحركاته، وتطلب من اليابانيين اعتذارًا عن بيرل هاربر، ويسعدك تصريحات العقيد القذافي للأستاذ إبراهيم نافع حيث أشاد بك. رغم ذلك لا تصفح ولا ترضى»!!

★النمط السادس عشر: حوارات الاستبداد والتسلط

وهذا النمط هو نمط «لا حوارى» أساسًا بمعنى أنه نمط يتبناه ذلك المتحاور المقرر للأمور بتعسف وبدون نقاش وتجاذب لأطراف الحديث بخصوص أمر ما. ويرتبط هذا النمط بإساءة استخدام سلطة ما بصفة عامة، ويرتبط كذلك بتركيبة الشخصية الاستبدادية المهيمنة على كثير من تفاعلاتنا، والتي يكون حوارها أو عدمه إما تعبيرًا مقتضبًا مجسدًا لاستغلالها لسلطات حقيقية ممنوحة لها بحكم الوظيفة أو السياق أو يكون حوارها مجرد انعكاس لذلك الإرث الموروث نتيجة تأصل ظاهرة الاستبداد في الحوار، والتي عمقتها حقبة غياب الديمقراطية مع وجود نظام تعليم تلقيني جامد كان أثره الأعظم هو تلقين وشحن أعداد كبيرة من العقول التي لم تتحرك خارج نطاق منظوماته، بمقولات تصنيفية جامدة اتسمت بالهجاء الأجوف وإطلاقية ينقصها التناسق والاتساق ووحدة الفكر. وأمثلة النتائج الوخيمة لهيمنة هذا النمط على تفاعلات أزمة الخليج واضحة.. فهيمنة نمط الاستبداد هذا من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى كارثة الخليج.. فهذا الغزو العراقي لدولة عربية أخرى ما كان يجرؤ أن يفكر في القيام به سوى نظام استبدادي ديكتاتوري. ولقد هيمن هذا النمط الاستبدادي على تفاعلات الطرف العراقي أثناء إدارته الأزمة، وكان السبب الرئيسي في فشل كل المحاولات لإقناعه بالتراجع حتى مع حفظ ماء الوجه الذي كان مكفولاً له عند بداية الأزمة، الأمر الذي كان

بلا شك ممكنًا وكان من شأنه أن يحافظ على قوة العراق وقوة الكويت كرصيد كبير للقوة العربية. وما أكثر الأمثلة التي لا تزال تنهمر علينا من الواقع التفاعلي العربي.

لقد كان لطغيان نمط الاستبداد والتسلط أثره البالغ بطبيعة الحال على تعميق أنماط حوارية أخرى مصاحبة له؛ أولها نمط الإذعان للسلطة بأنواعها، وهو النمط الذي تعرضنا له (النمط الخامس عشر)، ونمط التصنيف المتسرع للنصوص وللمتحاور الآخر أيًّا كان. ويرتبط بنمط الاستبداد نمط احتكار الحقيقة، فمنا من يحتكر العلم والمعرفة ومنا من يحتكر القومية والصمود والتصدي، ومنا من يحتكر الإسلام؛ لقد تناول كاتب هذه السطور هذا النمط بالتحليل في سياقين رئيسيين، الأول هو سياق المفاوضات السياسية الدولية [من منظوري النُظم وشخصيات الفاعلين السياسيين] والتي كان العرب أطرافًا بها في أطروحته للدكتوراه (حسن وجيه - ١٩٨٩م) انظر المراجع باللغة الإنجليزية)؛ أما السياق الثاني فهو في إطار التحاور بخصوص العملية التعليمية (انظر مقال «ديمقراطية التعليم ولغة الحوار» لكاتب هذه السطور) (الأهرام الاقتصادي ١٩٩١/١١/٤م). إن أمر دراسة وأشكال نمط الاستبداد/ التسلط.. هذا النمط «الأب» للأنماط التي تشكل أكثر سلبيات التفاوض الاجتماعي والسياسي في المجتمع العربي لايزال بحاجة إلى دراسة خاصة متعمقة سيكون لها سياق تفصيلي آخر.

★النمط السابع عشر: حوارات «الغفران العام»:

المقصود بهذا النمط هو كل هذه التفاعلات التي نرى من خلالها تقصيرًا وأخطاء جسيمة، بل وجرائم - لا يمكن السكوت عنها في أي

مجتمع تسوده القوانين – تمر دون حساب أو اكتراث ونرى هذه النوعية من التفاعلات تتجسد في كافة أوجه حياتنا الاجتماعية والسياسية، الأمر الذي لا يزال يسبب الاستياء والإحباط لدى الكثيرين. وأود أن أستشهد في هذا السياق بمقالتين من بنك بيانات هذه الدراسة. وهاتان المقالتان تلقيان بالضوء على تأصل ورسوخ هذا النمط. المقالة الأولى تجسد بعض تفاعلاتنا أثناء أزمة الخليج للأستاذة سناء أبو الفتح بعنوان «أزمة وتعدٍّ» بجريدة الأخبار ٢١/١/١٩٩١م (انظر النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢٤٦)، والثانية للأستاذ رجب البنا بعنوان: «عرب ١٩٩٢م» وتجسد طبيعة هذا النمط الذي زاد تأصله في تفاعلات ما بعد الأزمة. وفيما يلي نص مقالة الأستاذ رجب البنا (الأهرام ٢٢/١٢/١٩٩١م) والتي تتضمن نقدًا لهيمنة ما أسميناه بحوارات «الغفران العام» والتي تسود التفاعلات العربية حيث توحي الأنظمة الحاكمة بأن كافة الأمور – رغم المصائب والكوارث المتوالية – على مايرام والحمد لله بفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي!!

عرب ١٩٩٢م

آخر قرار أصدره الرئيس العراقي صدام حسين يقضي باعتبار مسابقات كرة القدم بين أندية العراق هذا العام بطولة ذات طابع قومي، وإطلاق اسم «أم المعارك» عليها، وإقامتها سنويًا تخليدًا لذكرى حرب الخليج، وتخصيص ١٥٠ ألف دينار عراقي للفريق الفائز بالبطولة فيها.. وقد حرصت وكالات الأنباء على إبراز تصريح نشرته صحيفة «البعث» الناطقة باسم حزب البعث الحاكم قال فيه عدي ابن الرئيس صدام ورئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة هناك

بأنه قد تقرر بناء إستاد جديد في بغداد يتسع لمائة وخمسين ألف مشاهد..!

لم تبد الوكالات اهتمامها بهذا الخبر كنوع من التسلية أو التسرية على القراء، ولكنها اختارت بعناية نموذجًا يمثل التفكير القائم الآن بعد كل ما جرى من حرب ودمار وما تتناقله البعثات الرسمية والتقارير من جوع يقتل الرجال والأطفال، ونقص في الأدوية الضرورية، بينما الحاكم مازال يفكر بنفس الطريقة التي كان يفكر بها قبل وقوع الكارثة، وكأن شيئا لم يحدث، وليس ذلك لأنه يعيش في غيبوبة، ولكن لأنه يريد أن يفرض على شعبه استمرار الغيبوبة، ولعل في الخبر ما يكفي لبناء تصور عن حالة العرب عام ١٩٩٢م الذي يوشك أن يجيء على أنه لم يكن فيه جديد، في ظل الفلسفة السائدة الآن في العالم العربي القائمة على تجاهل الواقع والتعامل مع الوهم، فكل شيء يسير في تصور أكثر النظم الحاكمة على مايرام بحمد الله، وبفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي.!

لقد تعجل المحللون - حتى قبل اندلاع عاصفة الصحراء - فتصوروا أن هذه الأزمة التي اهتزت لها الكرة الأرضية وتداعت آثارها على قارات العالم ومراكز القوة فيها، وتحركت فيها جيوش من كل فج عميق، وأطلقت متفجرات تفوق ضعف ما أطلق في (الحرب العالمية الثانية) - سوف تغير حالة التدهور العربي القائمة، وتدفع إلى تغييرات أساسية داخل كل دولة تحقق فيها ديمقراطية حقيقية (بعد أي مدى يمكن أن تدفع نظم الحكم الفردية شعوبها إلى الخراب). كما تصوروا أن نظامًا عربيًا جديدًا سوف يولد من المأساة، وأن جامعة عربية جديدة سوف تظهر إلى الوجود، وأن فكرًا سياسيًا

واستراتيجيًا جديدًا سوف يسود العالم العربي يعطي لهذا العالم الضائع كيانًا فيه قدر من التماسك والقوة الفاعلة فيه، ومن يتخلف عن هذه اللحظة الفاصلة فلن يكون له نصيب بعد ذلك أبدًا.

لكن شيئا من ذلك لم يحدث، وإنما حدث العكس، فما كادت تنتهي عاصفة الصحراء حتى أغلقت كل دولة أبوابها على نفسها - أو كادت - وظنت أنها أصبحت في مأمن. وزال شعور الخطر دون زوال دواعيه وساد شعور بأن الارتباط بالنظام الدولي الجديد يعني الاستسلام له كما يبدو الآن، والتعامل معه من منطلق العرفان والتفويض، دون تفكير في دور يمكن أن يلعبه العالم العربي في هذا النظام الدولي الجديد الذي لم يتم تشكيله بعد، وإنما ظهرت بداياته، ومازال في مرحلة التكوين، بما فيها من انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي بصورته القديمة، وظهور أوروبا الموحدة ١٩٩٢م، وصعود اليابان من حالة الاكتفاء بالقوة الاقتصادية لتخطو نحو القوة السياسية، بل والعسكرية، وعلى المستوى الإقليمي تتحرك إيران وتركيا لاكتساب مواقع قوة جديدة سوف تكون مؤثرة، وبشكل مباشر على العالم العربي، وحالة غياب الوعي والتماسك في العالم العربي تعطيهما فرصة نادرة لا تتكرر كثيرًا.

قيل قبل اندلاع حرب الخليج إن دور الثروة العربية سوف يختلف، فتتجه الأموال العربية إلى تنمية المنطقة العربية وتطويرها، ومساعدتها على تجاوز الأزمات التي تطحنها، ثم لكي تصبح بعد ذلك قوة اقتصادية معقولة، وتتغلب على مشكلتي التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وإن الأموال العربية سوف تتجه إلى حيث تتوافر فرص الاستثمار (المواد الأولية - الخبرة الفنية - العمالة

المدرية - السوق) ومن خلال هذا التكامل سيصبح للعالم العربي كلمة ووزن ودور في شئونه.

كل شيء توقعناه - وتمنياه - وجدنا عكسه.. لأن العقلية العربية لم تتغير، ولم تتغير عادات ومناهج التفكير، ولا تغيرت القيادات أو حتى مساعدوها ومستشاروها - ولا تغيرت وسائل مواجهة ومعالجة الموقف، كل شيء بقي على حاله، والأسوأ من ذلك - كما رصد الدكتور مصطفى الفقي في محاضراته الأخيرة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - أن حرب الخليج نتج عنها انقسام فوق ما كان قائمًا من انقسامات.. انقسام بين التيار الإسلامي في العالم العربي بين مؤيد لصدام حسين ومعارض له ومن يؤمن بإمكان الحل الوسط.. وانقسام في العلاقات الثنائية بين دول الخليج حول ترتيبات الأمن فيها، وهل تشارك فيها إيران أم لا، وإلى أي مدى تترك للولايات المتحدة؟ ووصل الانقسام حتى بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البلد العربي الواحد.

فإذا أضفنا إلى ذلك آثار أزمة الخليج على الشعوب العربية اقتصاديًا وسياسيًا وسيكولوجيًا، وآثار اختفاء قوة عسكرية عربية وأثره في موازين القوى الإقليمية، مهما يقال - فقد كانت قوة العراق العسكرية توضع ضمن حسابات المنطقة وتوازناتها، ولم يعد أمام عرب ١٩٩٢ إلا أن يتمسكوا بطوق النجاة الأخير قبل أن يجرفهم الطوفان، وطوق النجاة الآن - على حد تعبير الدكتور مصطفى الفقي - هو «علاج متميز» لا يعتمد على الشعارات، لأن الجماهير العربية لم تعد تؤمن بجدوى الشعارات، ولكن لابد من جراحة ناجحة، لانتزاع المرارة التي ترسبت في أعماق الشعوب العربية بعد أن كانت

تقتصر على الحكام العرب فقط، ولتكن البداية بإقامة حوار بين الجماهير العربية للخروج من الأزمات الراهنة واستعادة الثقة العربية - العربية المفقودة.

وأضيف: لابد أيضًا من «عمل» سريع لاستعادة الثقة بالنفس المفقودة. أقول: «عمل»؛ لأن استعادة الثقة لن تتم بمزيد من الكلام!

فإن لم يفعل العرب ما تفرضه عليهم ضرورات هذه اللحظة التاريخية، فليتبوءوا مقعدهم المناسب، بين شراذم وبقايا البشر. وإن كان الأمل مازال قائمًا في ألا يكون هذا هو المصير، وألا يكون عرب ١٩٩٢م هم عرب ١٩٩١م وعرب ١٩٩٠م... إلخ!

(ونضيف هنا الآن تعبيرات عرب ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨!!)

رجب البنا

الأهرام ١٩٩١/١٢/٢٢م

* النمط الثامن عشر: حوارات «صور كبش الفداء»

المقصود بهذا النمط هو لجوء المتحاورين في قضية ما إلى قصر إشكالية ما أو محنة كبيرة على تصرفات وأفعال شخص ما بعينه دون النظر إلى جذور الإشكالية أو النظر بشمولية للأبعاد والأسباب الأخرى التي عادة لا تكون «شخصية كبش الفداء» هي السبب في وجودها أو استفحالها فقط ويرتبط نمط هذه الحوارات بعدة أنماط سلبية أخرى كالتي سبقت الإشارة إليها، وعلى الأخص النمط رقم (١٧) الغفران العام/ عدم الاكتراث). فعدم الاكتراث هنا يكمن في استسهال أطراف الحوار في تحديد السبب في شخص ما بعينه. ولقد اتسمت نسبة كبيرة من تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠م بقصر كل محنة

الخليج على تصرفات «صدام حسين» فعزت كل مصائب الأمة إلى هذا الشخص بعينه «فهو سبب كل المشاكل»، ولم تحاول كثير من هذه المقولات النظر لهذا الشخص على أنه مجرد حالة «تألق غيرعادي» لنمط الاستبداد الذي ينبغي أن تُعالج كل صور وجوده المتعددة في مجتمعنا العربي بدلاً من انتهاج أسلوب «كبش الفداء» بصوره المختلفة. وأود أن أشير هنا إلى مقال مهم للكاتب الأستاذ أنيس منصور يلقي الضوء على نمط حوارات «كبش الفداء»، وينتمي هذا المقال إلى تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة في مجتمعنا العربي. وفيما يلي إشارة لبعض ما ورد في هذا المقال:

«لابد أن نشعر بالخجل ونحن نشير بأصابع اليدين والرجلين نتهم وزير الري المهندس عصام راضي بحجة أنه المسئول الأوحد عن انهيار جسر بأظافره، والذي نفخ في منسوب الماء فارتفع. ومن المؤكد أن هذه الكارثة سوف تتكرر غدًا وبعد غد!.

ماذا حدث لأي مسئول في مصر عندما انفجرت مواسير المياه في شوارع العاصمة وطفحت المجاري وتحولت الشوارع تحت أقدام السياح وفي أنوفهم إلى برك ومستنقعات؟ ماذا أصاب أي مسئول عندما دخلت الكوليرا مصر وخرجت، وكذلك الإيدز والكبد الوبائي والحمى الشوكية.. وماذا أصاب أي مسئول عندما خرجت القطارات عن قضبانها واحترقت العنابر والمحاكم؟ وماذا حدث لأي مسئول عندما اغتيل المحجوب ومن قبله السادات ومن قبله عشرات من الكبار والصغار... وعندما انهارت العمارات.. وعندما انقطع التيار الكهربائي ألف مرة.. وارتفعت الأسعار واختفت السلع وظهرت السموم في السردين والزيت؟

وماذا أصاب أي إنسان بعد هرب أصحاب شركات توظيف الأموال؟

وما حدث في العامرية ليس بالشيء الذي يجب أن نستهين به؛ لأنه سوف يتكرر.. ولكن وزير الري عصام راضي مهما كانت قدرته وحتى فصاحته، لا يمكن أن يكون مسئولاً شخصيًا عن مليون كيلومتر من جسور النيل والترع والمصارف والبحيرات.. ولا مسئولاً وحده عن مليار من شجيرات ورد النيل جاءت من السودان تشرب المياه وتخنق الأسماك وتعوق الملاحة: ولا مسئولاً إذا جنحت إحدى السفن السياحية وعليها مائة أمريكي وخمسون من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل..

ما هي حدود مسئولية الوزير؟ ما هو الخطأ وما هو الصواب؟ إن هذه الحملة الشاذة على الوزير أكبر دليل على تعطش الناس إلى (كبش فداء) لما لا نهاية له من الأخطاء والضيق العام والملل واليأس من أي إصلاح لأي شيء!

(مواقف الأهرام ١٨/١٢/١٩٩١)

وإذا كان كاتب السطور قد حاول من خلال هذا الفصل أن يسلط الضوء على أنماط الحوار السلبية الرئيسية في التفاعلات الحوارية على المستويين الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، فإن هذه الأنماط ذاتها تمثل سلبيات رئيسية بطبيعة الحال في عملية إقامة وتفنيد الحجج، والتي سوف نستعرضها بصورة أكثرتفصيلاً في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

الفصل التاسع

تحليل لملامح إقامة وتفنيد الحجج وأنماط أخرى من «خطايا الحوار التفاوضي»

نقدم من خلال هذا الفصل دراسة لعملية إقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض، ويتبع ذلك أمثلة توضيحية من تفاعلات الأزمة وما أعقبها من تجسد الأنماط التفاعلية السلبية السابق ذكرها في الفصل الرابع بالإضافة إلى عدد آخر من هذه الأنماط السلبية التي تمثل انتهاكًا أو خللاً للقواعد العلمية لإقامة وتفنيد الحجج. ونتناول في هذا الفصل النقاط التالية:

أولاً: علاقة دراسة الملامح العلمية لإقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض بدراسة بنية وتضاريس العقل العربي:

اختار الباحث دراسة ملامح وأساليب إقامة الحجج ARGUMENT FEATURE ANALYSIS كإحدى الأدوات التحليلية التي تندرج تحت إطار منظور لغويات التفاوض والذي يعتبر من أحدث مناظير علم اللغويات الاجتماعية - والذي قدمه كاتب السطور - والملائمة لدراسة تفاعلات النخبة حول أزمة الخليج للأسباب التالية:

(أ) أن هناك قدرًا ضخمًا من التفاعلات حول الأزمة من قبل النخبة يتمثل في دحض وتفنيد الحجج المختلفة التي أثارتها تفاعلات أطراف أزمة الخليج إلى الحد الذي دفع عددًا كبيرًا من أعضاء النخبة إلى أن يتعامل مع تقنيات إقامة الحجج في كتاباتهم،

ولكن بالحدس والمنطق البديهي وليس التقني. ولقد انعكس ذلك في تكرار ضخم لتعبيرات، بل عناوين نسوق هنا بعضها، على سبيل المثال، انظر الحجج الأردنية لـ(سلامة أحمد سلامة ١٧/٩/١٩٩٠م)، «الحجج العراقية» أو أكاذيب صدام لـ(د. إسماعيل صبري ٢٠/٨/١٩٩٠م)، «خلط الأوراق» لـ(سعيد سنبل ٢٩/١/١٩٩١م)، «لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية» لـ(زكريا نيل ٨/٩/١٩٩٠م)، «هل صدام هو الذي ربط الغرب بإسرائيل» لـ(د. عبدالوهاب المسيري ٢٩/١/١٩٩١م). إن كل هذه المقالات توضح الطبيعة الجدلية التي صاحبت الأزمة، الأمرالذي يدعو إلى دراسة ملامح الحجج لتوضيح معالم إقامة الحجج على نحو علمي.

(ب) إن دراسة ملامح الحجج لأعضاء النخبة العربية ليمثل أكثر الطرق العلمية ملاءمة للإجابة عن بعض الأسئلة الرئيسية الخاصة باستكشاف «الخلل في بنية العقل العربي ومقولات الفكر العربي التي أفرزها، شكلاً ومضموناً ومحاولة تبين ملامح الشخصية العربية والسلوك العربي النخبوي والشعبي على السواء». فدراسة ملامح الحجج. تقدم لنا صورة لأساليب التفكير المنتهجة من قبل النخبة (REASONING STYLES) ، وكذلك توضح بطبيعتها حجم أو قدر «الخلل» في عملية إقامة الحجج "FALLACIES" واتساقها في سياق مقولة أو مقولات معينة لكاتب أو متحاور ما.

(جـ) إن إقامة الحجج والهدف من إقامة حجة ما في سياق جدلي كسياق الأزمة يمثل محاولة الكاتب أو المتحدث أن يستقطب

الآخرين لوجهة نظره، وكذلك هي محاولة لصياغة الرأي العام أو تشجيع صانع القرار أو الاثنين معًا نحو اتجاه ما. ومن ثم فإن عملية تحليل ملامح الحجج تساعد على التعرف على الأساليب المختلفة الخاصة بصياغة الرأى العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأي العام أو الاثنين معًا نحو اتجاه ما.

ثانيًا: مدخل عام للمفاهيم العلمية الخاصة بتحليل عناصر إقامة وتفنيد الحجج:

أولاً المفاهيم:

★ **ما الحجة؟ وما عناصرها؟**

يقسم علماء اللغويات الاجتماعية المطارحات إلى أربعة أنواع رئيسية من حيث أساليب التناول وهي:

(أ) السرد NARRATION : وتتمثل في سرد أحداث بترتيب متتال من نقطة إلى أخرى وتكون نية الكاتب الأساسية هنا هي إخبار القارئ بالذي حدث.

(ب) الوصف DESCRIPTION : وهو محاولة الكاتب ترك انطباع ما لدى القارئ تجاه شيء ما أو شخص ما أو مكان ما، وبالتالي فأسلوب التناول هنا يتضمن إخبار القارئ أو المستمع بتفاصيل ما يحدث به بطريقة إما ذاتية SUBJECTIVE وإما موضوعية OBJECTIVE.

(جـ) العرض EXPOSITION : وهو محاولة شرح مفهوم ما أو تحديد تعريفه أو شرح عملية ذات طابع ذهني أو فيزيقي، وكذلك محاولة التعريف بالفرق بين شيئين، أو شخصيتين أو مؤسستين

وأوجه التشابه أو الاختلاف بينهما. (دون تدخل ذاتي من العارض).

(د) الحجج ARGUMENTATION : ويختلف أسلوب التناول هنا عن الأنواع الثلاثة المذكورة، فبينما تتداخل هذه التصنيفات بطبيعة الحال فإن الحجة تكون واضحة ومتميزة عندما يحاول الكاتب طرح مقولة يحاول أن يظهر تفوقها على مقولات أخرى، ويحاول في نفس الوقت إقناع الآخرين بها في محاولة منه لتغيير نظرتهم لموضوع ما يكون محل جدل. وبمعنى آخر إذا كان الهدف من الأنواع الثلاثة الأولى هو عرض مجموعة من الاختيارات، فإن الحجة تهدف إلى حث المتلقي لها على تبني اختيار واحد فقط. وتتكون الحجة من ثلاثة عناصر رئيسية وثلاثة عناصر فرعية، وهذه العناصر هي:

(أ) «لب المقولة الرئيسية» أو «الادعاء» "CLAIM" ويعبر هذا العنصر عن الموقف الرئيسي الذي يتخذه كاتب أو متحدث ما في سياق جدلي. وأحياناً أخرى تسمى المقولة الرئيسية بـ«الخلاصة» "CONCLUSION" ويرتبط بـ«المقولة الرئيسية» عنصر الدحض أو التفنيد المسبق "REFUTATION"، وهذا العنصر يتجسد في كافة التعبيرات أو المقولات التي توضح حرص الكاتب على أن تتضمن مقولته الرئيسية العناصر التي تدحض مقدمًا هجومًا أو اعتراضات متوقعة من قبل الآخرين على «مقولته» الرئيسية، وهذا العنصر يستخدم في المقالات ذات الدقة العالية التي تتسم بالنهج العلمي والموضوعي.

(ب) «الأرضية التي تستند إليها المقولة الرئيسية» "GROUND" ويسميها البعض الآخر من علماء اللغويات «البيانات» DATA ،

ومن شأن هذا المكون أن يدعم المقولة الرئيسية أو (الادعاء). والإتيان الجيد بهذا العنصر في مقولة الكاتب يُعد بمثابة قوله: (نعم هناك ما يدعم المقولة الرئيسية أو «الادعاء» في حجتي بخصوص الأمر).

وهناك ثلاثة أنواع من «البيانات» أو «الأرضيات» التي تدعم «المقولة الرئيسية» وهي:

* الدليل (EVIDENCE) مثل الإحصائيات.
* القيم (VALUES) دعم المقولة من منطلق أمثلة ذات قيمة اجتماعية أو دينية متفق عليها.
* المعقولية (CREDIBILITY) دعم المقولة بالاستشهاد بمقولات أشخاص أو مصادر لها معقوليتها.

(جـ) «عنصر الاتساق والربط» بين «البيانات» DATA والمقولة الرئيسية CLAIM وهو ما يسمى بالـ (WARRANT).

ولقد أطلق خبراء علم اللغويات الاجتماعي كلمة WARRANT على هذا العنصر من الحجة لأنه بمثابة إعطاء «رخصة» أو «تصريح» للقفزة العقلية (MENTAL LEAP) من الادعاء للبيانات والعكس.

- وقد يتم حذف «عنصر الاتساق والربط» WARRANT من الحجة أو يترك لاستنتاج المتلقي (القارئ أو المستمع). وهذا يتوقف على نوع الجمهور المتلقي للحجة؛ إذن فهذا هو الذي يكشف إلى أبعد حد عن رؤية الكاتب أو المتحدث «للقارئ أو المستمع».. من حيث تقبلهم لـ«المقولة الرئيسية» التي يطرحها، أو تحفزهم بالاعتراض على تلك المقولة. إذا فحذف هذا العنصر من الحجة من قبل الكاتب يدل على شعوره بالأمان

مع المتلقين لمقولته الرئيسية ومشاركتهم الرأي فيما يتعلق بها كمن يتحدث إلى أعضاء في حزب واحد. ويعتبر وجود هذا المكون ضروريًا جدًا في حالة السياقات الجدالية، وفي حالة التعامل مع جمهور لا يتفق أساسًا مع المقولة الرئيسية المطروحة في حجة جدالية ما. كذلك يرتبط هذا المكون الرئيسي بعنصر فرعي آخر وهو عنصر «التدعيم» (BACKING) أي لتدعيم عنصر «الاتساق والربط» (WARRANT) ويستخدم إذا دعت الحاجة إلى ذلك حسب سياق الموضوع ومعطياته وطبيعة الجمهور الذي يتحدث له الكاتب في المقام الأول.

أما العنصر الفرعي الأخير للحجة فهو «العنصر الذي يعكس مدى قوة موقف الكاتب من القضية المطروحة.. أي حجم ميله وتحيزه لموقف ما، وهذا ما سمى بـ«عنصر حدة أو اعتدالية الطرح» أو (QUALIFIER)، وهذا العنصر يهدف لقياس مدى الانفعالية التي تظهر من معنى المقال أو بمعنى آخر حجم التحيز لعاطفة ما، وبالتالي فإن هذا العنصر ممكن تسميته بـ«**مقياس درجة التحيز**». وهذا العنصر يتمثل في ورود عبارات مثل: «مما لا شك فيه أن موقف س هو الموقف الصحيح تمامًا وهو الذي يجب أن نتبناه»، وهو ما يعبر عن الانحياز غير المتحفظ لموقف ما. وفي بعض الحالات قد يسبب موقف الانحياز التام أن يستخدم كاتب ما تعبيرات التهديد والوعيد والإهانة لمن يخالفه. وهذا الأمر يمثل خللاً واضحًا في إقامة الحجج، أما المستوى الأصوب فهو الطرح الموضوعي الذي يكشف عن موضوعية الكاتب، وعادة ما يصاحب ذلك الطرح تعبيرات وأساليب تجعل هناك مسافة بين الحدث وتفسيره حيث يستطيع القارئ أو المتلقي الحصول على تقييم موضوعي، وعادة ما يتمثل هذا

الأسلوب في تعبيرات مثل «هناك عدة احتمالات نرى أهمية التعرف على معطيات كل منها» أو «من المحتمل» أو «من الجائز». أو «المرجح»... إلخ. والخلاصة هي عدم استخدام أي من هذه التعبيرات التي توحي باحتكار الحقيقة وتقرير الأمور بحدة وذاتية في سياق حدث أو موضوع هو جدالي بطبيعته.

★ الخلل في الحجج (FALLACIES)

– هناك عدة أمثلة تعكس وجود خلل في بناء الحجة، ولقد استعان خبراء علم اللغويات الاجتماعي بتعبيرات من علم المنطق (FORMAL LOGIC) واستخدموها للتدليل على وجود انتهاكات للقواعد السليمة لبناء الحجج أو ما أسموه بنقاط الخلل أو (FALLACIES) وهي كالآتي:

★ الخلل الناتج عن استخدام عنصر «الربط والاتساق»

FALLACIES OF WARRANTS (WARRANT)

ويندرج تحت هذا النوع من الخلل الأنماط التالية:

«هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذلك» (NON SEQUITUR)

أو كما يقال بالإنجليزية (IT DOES NOT FOLLOW) ، ويرتبط هذا النوع من الخلل بنمط آخر يرمي إلى «التهييج العاطفي المتعمد» حين يستخدم الكاتب أو المتحدث سلاح إثارة مشاعر البسطاء إلى الحد الذي تغطي فيه المشاعر الملتهبة على أي منطق.

- التعميم المتسرع (HASTY GENERALIZATION) .
- التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره (CAUSE & DEFECT) .
- استخدام دليل مبني على «شخصية أو مصادر ليس لها معقوليتها، لدى المتلقين»..

* **الخلل الناتج عن استخدام «عنصر الدحض والتفنيد المسبق (REBUTAL)، وقياس موقف الكاتب (QUALIFIER)»**

▪ ويتجسد هذا الخلل في عدم حرص الكاتب على تجنب الوقوع في خطأ إتاحة الكثير من الاعتراضات والنقد المتوقع لمقولته وإخفاقه في حماية حدود حجته من خلال وعيه الكامل بالموقف وردود الأفعال المحتملة وقطع الطريق عليها. وكذلك يتجسد الخلل في اندفاعه نحو تبني موقف بصورة إطلاقية لا تعطي الانطباع بالموضوعية..

* **الخلل الذي قد ينتج عند تقديم الكاتب لـ«مقولته الرئيسية» ويتجسد في الأنماط التالية:**

* «الإثبات من خلال التكرار» أو «الدوران في حلقة دائرية»، فبدلاً من تقديم دليل واضح لدعم المقولة الرئيسية، تقدم المقولة الرئيسية على كونها الإثبات ذاته من خلال كلمات مرادفة وتكرار فقط.

* «تجاهل السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما (IGNORING THE QUESTION) : والمقصود بذلك هو إخفاق طرف من الأطراف في استيعاب وتحديد ما هو السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما إما عمدًا أو سهوًا والتعامل مع أسئلة فرعية.

* **«نقل عبء الإثبات على الآخرين»**

SHIFTING THE BURDEN

أي نقل عبء إثبات المقولة الرئيسية في الحجة على الآخرين، أي كما في القول: «لقد تمكنت قواتنا من إسقاط خمسين طائرة للعدو، ونتحدى كل هؤلاء الذين يزعمون أن طائراتهم قد عادت سالمة. أو

كما في قول أحد المسئولين: «إن الإجابة عن هذا التساؤل قد أجاب عليها السيد فلان في خضم تصريحات له عن هذا الموضوع!».

خلل الإيحاءات الناتجة من ثنائية المعاني EQUIVOCATION

ويتجسد الخلل هنا إذا ما بنيت حجة ما على معنى مفهوم واحد يحتمل وجود معنيين واضحين له وأخذ على كونه معنى واحدًا فقط دون النظر إلى احتمال قصد المعنى الآخر، كما سنوضح في تحليل العينات في الجزء الثاني من هذا الفصل.

- الخلل الناتج عن التشهير بشخص ما دون التعامل الموضوعي مع ما يطرحه من مواقف أو مقولات. (لمزيد من التفاصيل بخصوص عناصر ومفاهيم الحجج النظرية. انظر على سبيل المثال DUBBOIS وآخرين ١٩٨١ – ورايك RIEKE وسييرلوز SILLARE ١٩٨٤م).

ثالثًا: أنماط أخرى تجسد خطايا الحوار وتحليلاً لأوجه الخلل في إقامة وتفنيد الحجج:

★ النمط التاسع عشر: حوارات الحجج الأفقية "PARATAXIS"

هناك نوعان رئيسيان من أساليب إقامة الحجج – الأول هو ما يسمى بالحجة الأفقية أي بتكرار العبارات بهدف التعبئة، وهذا يأتي عادة في المواقف الحماسية واللحظات الدرامية وهي الأشهر استخدامًا في أساليب الإقناع التي تستخدم في التفاعلات العربية، إلا أنها ذات صبغة عالمية أيضًا، فلقد استخدمها تشرشل في خطاب الحرب ضد الألمان. أما الحجة الرأسية أو (SYLLOGISM) فهي تتسم بتسليط الضوء على المقولة الرئيسية للطرح المكتوب أو المسموع في

بداية الطرح، وما يأتي بعد ذلك يكون بمثابة تركيز ودعم للنقطة الرئيسية من خلال أدلة كالتي أشرنا إليها في الجزء الأول من هذا الفصل، وتتسم هذه النوعية من إقامة الحجج بخلوها من التكرار كأسلوب للإقناع.. أي عكس الحجة الأفقية التي تتسم بالتكرار واستخدام الموسيقى اللغوية. وأمر الموسيقى اللغوية يختلف من ثقافة إلى ثقافة، ومن فرد إلى آخر، ولكن للموسيقى اللغوية وقع خاص لدى المستمع العربي، كما نلاحظ ذلك جميعًا وعلى مستوى النخبة والعامة.. انظر إلى عناوين المقالات والأبحاث «الحديثة جدًا» عن الأزمة لتجد الآتي «حرب الكلمات وكلمات الحرب» لـ(مراد الدسوقي) الأهرام ١٦/١١/١٩٩٠م، و(أعلام الأزمة وأزمة الأعلام) لـ(سيف الدين عبدالفتاح) بحث في ندوة «حتى لا تنشب حرب عربية جديدة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – ديسمبر ١٩٩١م»..، «خطاب الأزمة وأزمة الخطاب» لـ(السيد يسين ١٩٨٦م)، و«حرب اللا حرب» لـ(لطفي الخولي ٢٧/١٢/١٩٩٠م)، و«انكسار الثورة وانتصار الثروة» لكاتب عربي آخر. إن أمر استخدام لغة المؤثرات الموسيقية في تفاعلات النخبة له جذور ضارية في تاريخ الكتابة «الموسيقية» العربية. على سبيل المثال لا الحصر تتأصل «الموسيقى» في عناوين قديمة لابن خلدون مثل: «**الشفاء السائل في تهذيب المسائل**». وأمر الموسيقى في اللغة أمر بديع بلا شك خاصة إذا انسجمت الموسيقى مع أسلوب التفكير والموضوعية، ولكن خطورة هذا الأمر تكمن فقط في هؤلاء خاصة إذا كانوا من السياسيين مثل صدام حسين، الذين يكون شاغلهم الأكبر هو الموسيقى اللغوية فيبدءون تناول فكرة ما لمجرد الموسيقى أساسًا أي موسيقى الكلام وليس لمجرد تناول كافة أبعاد الفكرة بأسلوب علمي وبعقلية السياسي المحنك.

لقد تناول سرد التفاصيل المتعلقة بهذين النوعين الرئيسيين لإقامة الحجج (أي الحجج الأفقية والحجج الرأسية) بعض الباحثين من علم اللغويات الاجتماعية مثل باريراكوش BARBRA (١٩٨٣م) وبرياجونستون JOHNSTONE (١٩٨٥م)، حيث قامت هذه الباحثة بتحليل عينات من كتابات بعض الأدباء العرب مثل طه حسين، على وجه الخصوص، وكذلك كتابات الإنشاء للطلاب العرب الذين يدرسون الإنجليزية، وذهبت إلى القول بأن الحجة الأفقية هي خصيصة من خصائص اللغة العربية وهي وسيلة الإقناع التي ينتهجها المتحاورون العرب، وإن الحجة الرأسية هي في واقعها تمثل النمط الغربي في عملية إقامة الحجج وهو ما عرف بالنمط «الأرسطوطالي» (السولوجيزمي) SYLLOGISM ، ولقد فند كاتب هذه السطور هذه المقولات بشيء من التفصيل (انظر حسن وجيه ١٩٨٩م). ولكن ما أود أن أسلط الضوء عليه هنا هو أن كلاً من نوعي الحجة الأفقية والحجة الرأسية له جذوره في الفكر العربي قديمه وحديثه، وأن ذهاب بعض الباحثين إلى قصر الحجة الأفقية على العرب على كونها طريقتهم في الإقناع (على أساس أن ذلك من خصائص اللغة العربية من منطلق تأييدهم لفكرة أن اللغة هي التي تحدد الأنماط الفكرية لمجموعة ثقافية) ما هو إلا نوع من التبسيط الزائد الذي ينقصه الدقة العلمية، فلقد ثبت أن كلاً من الفكر واللغة يتداخلان وأن الفكر قد يؤثر على استخدام اللغة أو العكس، والأمر منوط بعوامل متعددة أكثر تعقيدًا بالفرد ذاته وتكوينه وتعليمه ومدركاته.

ولكن الحقيقة التي لا شك أنني قد توصلت إليها من خلال تحليل كم هائل من البيانات المتعلقة بالأزمة وغير سياقات الأزمة تشير

إلى شيوع الحجة الأفقية كنمط إقناع رئيسي، ولكن ليس مرجع الأمر لطبيعة اللغة العربية كما وصفه بعض الباحثين الغربيين بل يرجع أساسًا لفقدان اختيارات أدوات الحوار المناسبة، وهو أمر يتعلق بفراغ في البنية التعليمية في الوطن العربي، وكذلك غياب الديمقراطية حيث يسود استخدام الحجة الأفقية بغرض التعبئة أساسًا، وبغرض قمع التفكير المنطقي في أحيان كثيرة. إن شيوع إساءة استخدام الحجج الأفقية في سياقات الحوار التي لا يتطلب السياق استخدامها ربما يكون هو السبب الذي دفع باحثًا مثل جون لافين JOHN (1975) LAFFIN إلى أن يقول «إن علينا عندما نتعامل أو نتحدث مع العربي بالصبر، علينا أن نستمع، وعقب أن ينتهي من كلامه علينا أن نعيد تركيب ماقاله لنستطيع أن نفهم ماذا قال». ورغم أن هذه المقولة بها ما بها من تعميم غير جائز علميًا إلا أنه مع الأسف هناك وجود لعدد كبير من المقولات التي تنطبق عليها مقولة لافين. لقد اتسم الخطاب العراقي الرسمي بشيوع «إساءة استخدام كل خصائص الحجة الأفقية» حيث لا يصعب على المراقب أن يجد كمًا هائلاً من الإطناب والتكرار اللاموضوعي والاعتماد على موسيقى اللغة أساسًا دون التعمق الكافي في سياقات ما يحدث مع التركيز العالي على النغمة الانفعالية، والقفز من موضوع إلى موضوع دون ترابط منطقي يعالج السبب وأثره، الأمر الذي جسد بدوره النمط التالي في تفاعلاتنا:

★ النمط العشرون: حوارات «خلط الأوراق»:

لا شك أن هذا التعبير «خلط الأوراق» كان من أكثر تعبيرات تفاعلات الأزمة شيوعًا، وكان قبل الأزمة ولا يزال من بعدها من الأنماط السلبية في تفاعلاتنا. والإشكالية من ناحية تناول الأمر

علميًا هنا أن يقوم أحد المتحاورين باختيار لُب مقولته الرئيسية أو «الادعاء» "CLAIM" دون النظر إلى السياق الأشمل لهذه المقولة، وبالتالي يفتقد اختيار «الادعاء القوي» ويفتقد كذلك تقديم «التفنيد المنطقي والمسبق لما قد يُتوقع من هجوم» "REBUTTAL"، وبالتالي تتسم حُجته بالخلل حيث يفتقد الكاتب الذي تخلو حجته من عنصر الدحض والتفنيد المسبق لمعالجة السبب وأثره، وبالتالي تكون حجته نوعًا من التبسيط الزائد للأمور. ولقد تجسد نمط خلط الأوراق الذي صاحبه أنماط «التأطير والمؤامرة» في تصارع عدة مقولات رئيسية تتجاهل السياق الأشمل والترتيبي للأحداث وهي:

١ - خلط قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الأجنبية على الأراضي المقدسة.

٢ - خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين. وفي بعض الأحيان الأخرى خلط قضية العدوان على الكويت بقضية تحرير فلسطين.

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى نستعرض من بيانات «تصارع الحجج» مقالتين: الأولى لسعيد سنبل، والثانية: للأستاذ خالد محمد خالد، وفيما يلي نص مقال سعيد سنبل بعنوان «خلط الأوراق» (الأخبار ٢٩/١/١٩٩١م).

خلط الأوراق

تشهد الساحة العربية في هذه الأيام محاولات يائسة لخلط الأوراق، وتزييف الحقائق، وقلب الأوضاع، وتصوير الأمور على غير حقيقتها. والذين تعودوا واحترفوا خلط الأوراق، يحاولون هذه الأيام تبرئة صدام حسين من جريمة الدمار والخراب التي لحقت بالعراق، وجيش العراق، وشعب العراق!! إنهم يتباكون اليوم، على القوة العسكرية العراقية التي يجري تحطيمها وتدميرها.. ويذرفون الدمع على العراق الذي كان سندًا للأمة العربية، فأصبح معرضًا للتفكيك والبعثرة!

وهم يصرخون الآن بأعلى صوت: إنها مؤامرة أمريكية صهيونية، لإخراج العراق من الساحة العربية، وبذلك تخلو الساحة أمام إسرائيل، فتنفذ مخططاتها، وتحقق أحلامها، وتتمكن من إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات! ومع الافتراض، أو مع التسليم بصحة هذه الأقوال.. يبقى السؤال: متى جاءت القوات الأمريكية إلى المنطقة؟ وكيف جاءت؟

هل جاءت قبل غزو الكويت؟ هل جاءت بناءً على دعوة من إسرائيل؟

أليس احتلال العراق للكويت، وغزوه واغتصابه، وتشريد أهله وسكانه، هو الذي جاء بالأمريكيين، وجاء بقوات الحلفاء إلى المنطقة؟!

إذن.. إذا كانت هناك مؤامرة، كما يردد من يجيدون خلط الأوراق.. فإن احتلال الكويت هو أول خيط من خيوط المؤامرة! ونفترض أن أمريكا تواطأت مع إسرائيل لتحطيم القوة العسكرية للعراق.. ألم

يتنبه صدام إلى هذه المؤامرة؟ ألم يحذره كل الزعماء المخلصين وفي مقدمتهم الرئيس حسني مبارك من تدمير بلاده، وتدمير جيشه؟

لقد حرص صدام بإصرار غريب على خوض الحرب.. ومعنى هذا أنه أصر على تحطيم جيشه، وتدمير بلاده! إن المسئول الأول عن تدمير الجيش العراقي، هو صدام حسين.. ويشاركه المسئولية الذين سارعوا إلى بغداد، ووقفوا ولم يقولوا له بأعلى الصوت: انسحب من الكويت.. حتى لاتحطم جيشك، وتدمر بلادك.

ولكنهم للأسف، لم يفعلوا.. شجعوه على الخطأ.. وجاءوا اليوم يتباكون.. وغدًا يحاسبهم التاريخ.

أما المقالة الثانية عن نفس القضية فهي للأستاذ خالد محمد خالد الذي اتسم بحدة الاصطدام المباشر والشديد مع هؤلاء الذين يخلطون أوراق قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الأجنبية على الأراضي المقدسة، ويتجاهلون السبب الرئيسي في وجود القوات الأجنبية، وكان هذا المقال بعنوان «ليست المشكلة في وجود القوات الدولية، بل الكارثة في غيابها» (الأخبار ١٢/٨/١٩٩٠م)، وفيما يلي هذا الجزء من المقال:

ليست المشكلة في وجود القوات الدولية .. «بل الكارثة في غيابها»!!

يقول أ. خالد محمد خالد: كنت أستطيع أن أختار لهذا المقال عنوانًا أكثر دبلوماسية، ولا ينقصه التنكر وراء أحد من الأقنعة التي تغطي اليوم وجوه الذين يخفون في أنفسهم ما الله مبديه.. كنت أستطيع ذلك، حتى أقطع - على الأقل - الطريق على المهرجين والمشعوذين الذين سينادون حمقاهم قائلين:

انظروا.. هذا يرحب بالاستعمار الأجنبي!! وها هو ذا لا يرى بأسًا في جيوش الكفر التي زحفت على بلادنا.. بل يرى الكارثة ماثلة فيما لو أنهم تقاعدوا عن المجيء..!! أجل كنت أستطيع.. ولكن ماذا سيكون الفارق بيني وبينهم آنذاك؟؟ كان الكذابون والمضللون سيزيدون بي واحدًا. يضاف إليهم ويأخذ مكانه الهابط بينهم.. وكنت سأكون هاربًا جديدًا من مواجهة الحقيقة. ومناصرة الحق! ومن أجل ذلك اخترت الرضوخ للصدق يارجال.. آثرت القول بأن الكارثة في غيابها عن الميدان!! ودعوني بادئ ذي بدء أرسل التحية مضاعفة لأولئك الجنود البواسل، الذين يواجهون خطر الموت في أقسى صوره، وأشدها نذالة ونكرًا..!!

أما بخصوص خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين فنستشهد بمقال الأستاذ سلامة أحمد سلامة بعنوان «حجج أردنية» حيث يتناول الحجج الأردنية كما جاءت على لسان المسئولين بالأردن في ندوة قدمتها إحدى شبكات الإذاعة الأمريكية. وفيما يلي نص المقال:

حجج أردنية

«في ندوة إحدى شبكات الإذاعة الأمريكية سئل رئيس تحرير إحدى الصحف الأردنية عن الجانب الذي تؤيده صحيفته في النزاع الناشب في منطقة الخليج.. مع الكويت أم مع العراق؟

وكانت إجابة الصحفي الأردني بالغة الغرابة.. فقد أكد أن الأغلبية الكبرى من الرأي العام في الأردن تؤيد العراق وتقف إلى جانبه؛ لأن العالم العربي سئم استمرار الظلم الواقع عليه، للحماس والسرعة والاندفاع الذي أبدته أمريكا وهي تسعى إلى تنفيذ قرارات مجلس

الأمن والأمم المتحدة ضد العراق.. فترسل الأساطيل والجيوش والطائرات، بينما تقف موقف عدم الاكتراث والتعاون من نفس القرارات التي أصدرها مجلس الأمن ضد إسرائيل منذ عشرات السنين.. مع أن الاحتلال هو الاحتلال والضم هو الضم.. أما وجه الغرابة في هذه الحجج التي نسمع شيئًا قريبًا منها في بعض الدوائر الحزبية في مصر، فهي أنها لم توضح نوع العلاقة التي تربط بين العدوان على الكويت والعدوان على فلسطين، ولم تجب على السؤال الملح وهو: وما ذنب الكويت في كل هذا؟ ولابد أن نعترف بأن هذه الحجج التي تساق بشكل أو بآخر على ألسنة المسئولين وغير المسئولين في الدول العربية التي اتخذت موقفًا متخاذلاً من إدانة الغزو العراقي للكويت، قد تلقى هوىً في نفوس قطاع واسع من عامة الناس في بعض أنحاء العالم العربي، تعاني من مرارة الإهمال والقمع والفقر، وتختلط عليها المفاهيم.. فلا تفرق بين استيلاء حاكم عربي على دولة عربية مجاورة شقيقة، مدفوعًا بعوامل الجشع والطمع وأحلام العظمة، وبين اغتصاب إسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني مدعومة بقوى عالمية كبرى وفي ظل صراعات تاريخية وحضارية بين قوميتين، لا يتحكم فيها فرد واحد أو دولة واحدة.

غير أن خطورة مثل هذه الحجج التي تبرر في الوعي الشعبي العام استيلاء دولة عربية على دولة عربية أخرى، هي أنها تبرر في نفس الوقت استيلاء إسرائيل على فلسطين وتجعل العجز عن مقاومة الغصب الإسرائيلي مبررًا للاستسلام لكل أشكال الغصب والعدوان.

وحين قال الشاعر العربي القديم:

وظلم ذوي القربى أشد مرارة..

فقد كان يعني بذلك، أن الذي لا يجزع ولا يضيق بظلم ذوي قرباه، لن يكون أكثر جزعًا وضيقًا بظلم الآخرين له؛ لأنه سوف يفقد القدرة على مقاومة الظلم. وقد بلغت شعوب عربية كثيرة مرحلة العجز عن مقاومة الظلم الداخلي، فكيف يتسنى لها أن تقاوم الظلم الخارجي؟ وخير مثال لذلك ما يحدث لشعب العراق نفسه.

سلامة أحمد سلامة

(الأهرام ١٧/٩/١٩٩٠م)

★ النمط الحادي والعشرون: حوارات سوء استخدام «سلطة النص».

لاحظ بعض خبراء علم اللغويات والاجتماع والأدب والفلسفة على مستوى العالم العربي أن الثقافة العربية هي ثقافة «نصية» انظر سيزا قاسم ١٩٨٨ وحسن حنفي (١٩٨٨) وتنين TANNEN (١٩٨٦) ولاحظ غيرهم أن الثقافتين الإيرانية والتركية هما أيضًا ثقافات «نصية» والمقصود بتعبير الثقافة النصية هو أن يكون هناك نص رئيس هو «النص الأم» المولد لعدد لا حصر له من الظواهر النصية (سيزا قاسم ١٩٨٨ : ٣٢). ومن واقع الثقافة العربية نجد أن القرآن الكريم هو ذلك النص المحوري الأساسي الذي يمثل «سلطة توجيه وتقنين وتشريع» (حنفي ١٩٨٨ : ١٢).

وبتحليل تفاعلاتنا الاجتماعية اليومية نجد عشرات الأمثلة التي تجسد نمط «سوء استخدام سلطة النص» حيث يتجسد ذلك في هذا الكم الكبير من شركات توظيف الأموال التي انتهزت فرصة تأثير سلطة النص القرآني على جموع المودعين وأساءت إلى استخدام هذه السلطة بما قامت به من عمليات نصب وسرقة وهروب رؤسائها من البلاد كما ثبت ذلك في العديد من التحقيقات، ولم تكن تفاعلات الأزمة التي جسدت نمط «سوء استخدام سلطة النص» جديدة على الواقع العربي فلقد استحضر الخطاب الرسمي العراقي كمًّا ضخمًا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة إلى الحد الذي جعل صدام حسين يؤكد على الانتساب إلى الدوحة المحمدية القرشية، وأن الله سبحانه وتعالى قد جعله منوطًا بأداء دور قيادي خاص لمحاربة الفساد وإقرار العدل، ومن هنا فلقد استحضر شعارات الجهاد والدفاع عن

المقدسات ومنازلة الباطل وكان يختتم كل خطاباته بتعبير «وليخسأ الخاسئون» ذلك التعبير الذي لازم كذلك نهاية أي بيان من البيانات العسكرية وغير العسكرية التي وردت بالخطاب الرسمي العراقي. ولقد استمر الخطاب العراقي على هذا النحو حتى عندما بدأ النظام يفكر في الانسحاب، فلم يجعل المفاوض العراقي القرار على أنه قد جاء من شخص الرئيس صدام، بل إنه جاء من خلال قصة أوردها الرئيس العراقي عن «الحلم الذي يظهر فيه النبي ﷺ لصدام حسين ليخبره بأن صواريخه غير موجهة إلى المكان الصحيح». وكان هذا متضمنًا في منشورات وزعتها القيادة العراقية على أفراد القوات في العراق والكويت الأمر الذي تم تفسيره حينذاك على أنه نوع من التمهيد النفسي لاحتمال انسحاب العراق من الكويت (برغبته).

ولكن الذي يلفت النظر بصورة أكبر هو كيف أن هذه الجماهير قد خُدعت «بإساءة استخدام سلطة النص» وبأكذوبة الجهاد الإسلامي ومنازلة الكفار التي رفعها صدام حسين وبعدم جواز الاستعانة بهم من قبل المسلمين، إن هذه الظاهرة لا تزال بحاجة إلى دراسة أخرى فالأمر الذي شاع بين جماهير الشارع العربي والإسلامي حينذاك أن ماضي صدام العلماني وجرائمه ليست شرطًا في إثبات أنه لا يجسد صورة البطل الذي يدافع عن الحق وينازل الباطل وأنه مسلم مؤمن حقًا. ودليلهم هو ما كان يتخذه من مواقف أثناء تفاعلات الأزمة إلى الحد الذي شبه به في إيران على وجه الخصوص بأنه «خالد بن الوليد» الذى كان من المشركين وأصبح سيف الله المسلول، ويقول الكثيرون.. «إنه تاب فلمَ لا نصدقه وأنه من المنافي لتعاليم الإسلام أن نكذِّب ما يقوله أحد، خاصة بشأن التوبة، فالله وحده هو الأعلم

بالسرائر. الأمر الذي لا يختلف عليه أي مسلم. ويذهب البعض الآخر إلى أنه حتى إذا كان صدام جائرًا وظالمًا وليس «بخالد بن الوليد» فشره أهون من الكفار الذين جاءوا إلى الأراضي العربية، وبالتالي وجب الجهاد ضدهم. ولقد فند الأستاذ فهمي هويدي في مقالة له بعنوان «خطاب في الكفر والظلم بتاريخ ٢٣/١١/١٩٩١» هذين المفهومين (الكفر والظلم) من الناحية الإسلامية. إن ما نخلص إليه هو أن إساءة استخدام سلطة النص في الثقافة العربية الإسلامية لايزال من الأنماط ذات الواقع التأثيري الكبير على جماهير الشارع العربي والإسلامي. وهذا ما أكدته تفاعلات أزمة الخليج، وكذلك العديد من تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة.. الأمر الذي يستلزم مزيدًا من التأمل والتدبر لواقع إشكالي جم خطير.

★النمط الثاني والعشرون: حوارات «التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره»:

ويرتبط هذا النوع من الخلل في إقامة الحجج، والذي أشرنا إليه بإيجاز سابقًا عند تقديم العناصر العلمية للحجج بالجزء الأول من هذا الفصل بمفهوم ذاتية المتحاور الذي لا يستحضر القدر الكافي من التفكير الموضوعي للحكم على الأمور بالقدر المطلوب من الدقة، بل يترك لحيز الذاتية الموجود بداخل كل منا المجال الأكبر لتفسير الحدث، ولقد وقع عدد كبير من أعضاء النخبة العربية في هذا المطب، وهناك أمثلة في بنك البيانات الخاص بهذه الدراسة التي تسلط الضوء على هذا النمط، ومن الأمثلة الدالة مقال كتبه د. محمد عابد الجابري أثناء فترة الأزمة في جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية بتاريخ ١٩٩١/١/٢٧ بعنوان «كلام... الآن فقط أصبح له معنى...»! وفيما يلي تحليل لهذا المقال الذي سوف نتناوله من منظورين: الأول هو تحليل لمسار الموضوعات به لتحديد المقولة الرئيسة، والثاني هو توضيح لملامح الخلل في إقامة الحجة به.

***

أولاً: تحليل الموضوعات بمقال الجابري Topic Analysis وتحديد المقولة الرئيسية

:(CLAIM)

يوضح الجدول التالي (رقم ٢) مسار موضوعات المقال:

الموضوع (١)	«مقدمة لتعريف التاريخ طبقًا لوجهة نظر الكاتب بهدف تقديم لحظة التفاعلات الحية في أزمة الخليج».
الموضوع (٢)	«اللحظة التاريخية الحية لتفاعلات الأزمة قد بدأت في ٢٥ يونيو ١٩٩٠؛ أي قبل دخول القوات العراقية الكويت بخمسة أشهر، وهي ندوة أقيمت في بغداد لإحياء ذكرى ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث الاشتراكي الحاكم في العراق».
الموضوع (٣)	«موجز لخطبة مسئول عراقي في الندوة وكلامه عن المشروع القومي العربي التحرري»
الموضوع (٤)	«نص كلام المسئول بخصوص: - العلاقة مع الغرب. وعلاقة العراق مع الدول العربية وعلاقة العرب الآخرين بالغرب. - تقييم لمرحلة ١٩٦٧. - ممارسات الغرب داخل المنطقة.

الموضوع (٥)	مضمون الحوار بين الحاضرين والمسئول العراقي: ـ «تذكرة الكاتب لمقولتين عراقيتين؛ الأولى أن العراق سيحرق نصف إسرائيل في حالة أي اعتداء لها على المزدوج الكيميائي. والمقولة الثانية (أن فلسطين آتية إن شاء الله)». ـ تعقيب من الكاتب على المقولتين. ـ تناول قضية الديمقراطية.
الموضوع (٦)	تفسير الكاتب لحدث غزو العراق للكويت بناء على معطيات الموضوعات السابقة الذكر خاصةً في إطار تصريح المسئول العراقي وتصريح صدام في ٢٥ يونيو. (أن فلسطين آتية إن شاء الله).
الموضوع (٧)	وهي آخر فقرة في المقال نصها كالآتي : المقولة الرئيسية الآن، والآن فقط، بعد اندلاع الحرب أخذت أعطي لكلام المسئول العراقي كامل معناه.. لقد أصبحت أرى فيه الآن كلامًا جديدًا، بل مفتاحًا لإعادة كتابة تاريخ المسلسل الذي أدى إلى ما جرى ويجري الآن (فلنرجع القهقرى) إذن، بعد أن وضعنا أرجلنا على موقع يمكننا من قراءة الأمور الماضية والحوادث «الغابرة» قراءة أخرى؛ قراءة تعطي معنى آخر لدخول القوات العراقية للكويت؛ إذ يبدو الآن أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثرواتها، بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربي.. جديد هو الذي شرحه المسئول العراقي.

ثانيًا : ملامح الخلل في حجة محمد عابد الجابري :

١ - نمط «هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذاك والتبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره» :

ويتجسد هذا النمط في أن الكاتب قد ربط في ادعائه دخول القوات العراقية للكويت بالآتي:

(أ) تدشين العمل في مشروع تحرري عربي جديد.

(ب) ما يفيد أن غزو الكويت خطوة لتحرير فلسطين.

وهنا نقول إن هذا الادعاء يفتقد إذن وجود عنصر الدحض المسبق REBUTTAL الذي تحدثنا عنه سابقًا، والذي يتمثل في الآتي:

أن الكاتب لم يتعرض في مثل هذه القضية الجدلية إلى قضية غزو بلد عربي لبلد عربي آخر وهو جوهر الأمر في سياق الحديث عن المشاريع القومية العربية واقتضب الأمر كله بالكلمات التالية:

إذ يبدو أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثروتها، بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربي جديد هو الذي شرحه المسئول العراقي.

(جـ) تأطير الحدث :

نجد أن «نمط تأطير الحدث» في شكل ما دون الآخر (النمط الثاني الذي تحدثنا عنه) في الفصل الخامس يتجسد في أسلوب الجابري الذي قدم تفسيره للأحداث من خلال سياق تاريخي طويل كما يتضح ذلك من نص مقالته، إلا أنه في سرده للتاريخ قد تجاهل السؤال الخاص بمطامع العراق التاريخية لتكوين إمبراطورية عراقية من ناحية، وهو ما أعلنه العراق صراحة من أن الكويت جزء منه وهو

«المحافظة» رقم ١٩ «فلماذا يكون المشروع تحرريًا عربيًا» كما يقول الجابري ولا يكون «توسعًا قطريًا!!» كذلك تجاهل الكاتب في تفسيره لموضوع «فلسطين آتية إن شاء الله» تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي القريب.. حيث إن هذا التاريخ القريب يثبت عدم جدية العراق في التصدي لإسرائيل سوى بالعبارات والكلام الطنان فقط، فالواقع يقول إنه عندما ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي بتحدٍ سافر واستفزازي لم يتحرك للعراق حينذاك ساكن! ألم ير الكاتب لهذا الحدث هو الآخر «معنى»؟! إن هذه النقاط توضح أن الكاتب قد أسقط من عناصر حجته عنصر الاتساق والربط WARRANT وهو ما عرفناه على كونه رخصة للقفزة العقلية (MENTAL LEAP) من الادعاء للبيانات أو العكس.

٢ - معقولية أو مصداقية من نستشهد بهم في سياق حجة ما:

من عناصر الخلل في إقامة حجة جدلية أن يستشهد متحاور بمقولة شخصية غير ذات مصداقية للطرفين المتجادلين. وهذا ما فعله الكاتب حين استشهد بمقولة «المسئول العراقي» كما ورد في الادعاء الرئيسي بالمقال.

كذلك من أمثلة تفاعلات الخليج التي أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك هيمنة نمط «التبسيط الزائد للسبب وأثره» «وإن هذا الأمر ليس شرطًا لذلك» ما ذكره الملك حسين عن أن موقف مصر من الأزمة كان من منطلق الانتقام من العراق لموقفها في إخراج مصر من الجامعة العربية عقب عقد اتفاقيات السلام. الأمر الذي إن دل عن شيء فهو يدل عن تجاهل ملك الأردن ميكانزمات في غاية التعقيد ليس لها علاقة بمفهوم «الانتقام الضيق» ويكفي حجم الرسائل العلنية وغير

العلنية للرئيس مبارك التي إذا ما قرئت الآن بموضوعية أوضحت أن مصر قد أرسلت جميع الرسائل الواضحة للغاية التي كانت تعكس حرصها الكبير والبين على احتواء الأزمة والحفاظ على قوة العراق لصالح الأمة العربية، وكذلك تحرير الكويت، إن هناك رسالة بلغت ٥٦ صفحة بعث بها الرئيس مبارك للرئيس صدام ينبه فيها إلى العوامل المعقدة التي تحيط بالموقف، والتي كان ينبغي أن يتعامل معها الرئيس العراقي بمسئولية وجدية ومنطق.

★النمط الثالث والعشرون: «حوارات خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى». "EQUIVOCATON" :

ويتمثل هذا الأمر في أن تستند حجة متحاور ما على معنى واحد لمفهوم أو مصطلح قد يحمل استخدامه معنى مختلفًا بين أعضاء المجموعة الثقافية الواحدة أو من مجموعة ثقافية لأخرى، وما أكثر الأمثلة التي تحدث في تفاعلاتنا اليومية في العالم العربي! والتي توضح اختلاف معنى كلمة ما بين الجماعات أو البلدان العربية.

كذلك هناك مفهوم معروف في كل لغات العالم مفاده أن الكلمات القديمة تكتسب معاني مختلفة وجديدة في أحيان كثيرة، فعلى صعيد التفاعلات في المجتمع المصري نجد كلمات «باشا» أو «أفندي» على سبيل المثال كانت تعني لقبًا اجتماعيًا له معناه المحدد قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصبحت لا تعني الشيء نفسه عقب الثورة ثم اكتسبت معنى جديدًا في المجتمع يتسم أحيانًا «بالإفراط في إطلاق هذه الألقاب في التفاعلات الاجتماعية بهدف الاحترام المفرط للبعض وأحيانًا أخرى على سبيل التهكم، ومن أشهر هذه المعاني التي استجدت على هذه الكلمات، والتي تفيد التهكم ما ذكره الرئيس

السادات في أحد أحاديثه حين كان يهاجم بعض الكتاب الذين كانوا ينتقدونه حين وصفهم بتعبير «الأفنديات» دول «اللي لا يفقهوا شيئًا» إلخ هناك عشرات من الأمثلة الأخرى، والمراد قوله هنا أن هناك بعض المفاهيم التي كان لها معنى في اللغة القديمة قد أصبح لها معنى آخر في الاستخدام الحديث للغة، ومن هنا نسلط الضوء على كلمة «الصليبيين» فالكلمة كان لها معنى واضح في أثناء فترة الحملات الصليبية على المنطقة العربية.. وإلى الآن لا تزال هذه الكلمة لها وقع الحملة الصليبية ولكن بقدر ضعيف، فالمعنى الآن في مجتمع اللغة الإنجليزية وعلى وجه الخصوص في المجتمع الأمريكي يعني أي مهمة يقوم بها شخص ما وليس الأمر الآن بمعنى «حملة صليبية» بدرجة المعنى القديم للكلمة. ففي المجتمع الأمريكي كنا نسمع مسيحيًا يقول لغير مسيحي "GOOD LUCK IN YOUR CRUSADE".

والترجمة هي أتمنى لك حظًا موفقًا فيما تريد عمله أو في «حملتك» أو في «مسعاك».. ومن هنا فإن بيان الإخوان المسلمين في الأردن عندما أخذ هذه الكلمة التي وردت في النيوزويك (بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٩٠) لوصف الحملة الأمريكية في الخليج على كونها الدليل الدامغ على أن ما يحدث في الخليج هو حرب صليبية بحتة من منطلق المعنى القديم لكلمة CRUSADE يعتبر أمرًا غير دقيق من وجهة نظر تجنب عوامل الخلل في الحجج.. وهذا لا يمنع أن يعتقد الإخوان بالأردن أو أي إنسان آخر أن أمر الحملات لم تنته ضد العرب والمسلمين، ويكفي ظهور جماعات المسيحيين الصهاينة التي تنادي إلى الآن بهدم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودي، والأدلة على هذه المقولة معلنة وواضحة عند هؤلاء الصهاينة المسيحيين (انظر

مقال كاتب هذه السطور بخصوص هذا الأمر في سياق الحديث عن ديناميكيات الصراع العربي الإسرائيلي (حسن وجيه ١٩٨٧). ولكن ما أود أن أقوله أنه في سياق إقامة الحجج ينبغي أن يتسم الدليل بالدقة حتى تكون الحجة سليمة دون خلل، وهذا نوع من الأمانة، فإذا كانت كلمة "CRUSADE" قد استخدمت لوصف الحملة الأمريكية بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٩١ فإن الكلمة نفسها قد استخدمت في مجلة التايم بنفس التاريخ (٢٠ أغسطس ١٩٩٠) لوصف غزو العراق للكويت على كونه «حملة صدام» SADAM'S CRUSADE (*) وكذلك وصف صدام على أنه CRUSADER (**) فهل نقول هنا إن المعنى هو أن صدام «صليبي»؟! المعنى هو «أنه رجل ذو يقين ما» أو «قائد حملة يقينية ما».

(*) نص الجملة كما ورد في مجلة التايم الأمريكية:

(١) "SADAM'S CRUSADE WILL NOT SUCCEED"

(**) أي أن حملة صدام لن تنجح.

(٢) U.S HAS THE CAPACITY TO MASTER THE INTERNATIONAL EFFORT TO STOP A VAIN A MORAL CRUSADER LIKE SADAM.

والمعنى هو أن للولايات المتحدة القدرة على أن تحشد الجهد الدولي المطلوب لوقف هذا / ذلك المحتال عديم الخلق «الصليبي !!» عند حده.

مثال تطبيقي (حجة الحرب الصليبية الثامنة)

والمثال الثاني يوضح تحليلاً كاملاً لعناصر الحجة مع تسليط الضوء على مصادر الخلل بها وملامح لبعض أخطاء الحوار التفاوضي التي تعرضنا لها.

أولاً : نص العينة :

إخوان الأردن.

بدأت الحرب الصليبية الثامنة:

أصدر الإخوان المسلمون بالأردن بيانًا ملتهبًا، قالوا فيه: لقد جاء يوم الحساب يا بوش ويا بيكر ويا ميجور، وصنع الله لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب، ومهرت في النزال وجاء يوم أعز فيه الله الإسلام ورفع راية التوحيد وقد وشحها شعار «الله أكبر».

وأكد البيان أن الأمريكان قد أعلنوا عن بداية الحرب الصليبية الثامنة كما جاء في النيوزويك قبل أسبوعين، وحشد الصليبيون واليهود جنودهم وبوارجهم، وجاءت جميع أجناسهم من ثمانٍ وعشرين دولة.

وأشار بيان الإخوان المسلمين بالأردن إلى أن الحرب لم تبدأ منذ الثاني من أغسطس الماضي، ولكنها بدأت منذ سنوات للحيلولة دون إقامة النظام الإسلامي العالمي.

وقال البيان: لقد تعرضت أمتنا لمظالم الأمم الغربية جميعها، وبيننا وبينها ثارات وثارات، وأنى لنا بالإحاطة بها وهي في بلادها؟! فكان قدر الله أن يجعلها على صعيد واحد، على أرضنا

المباركة الطهور «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»..

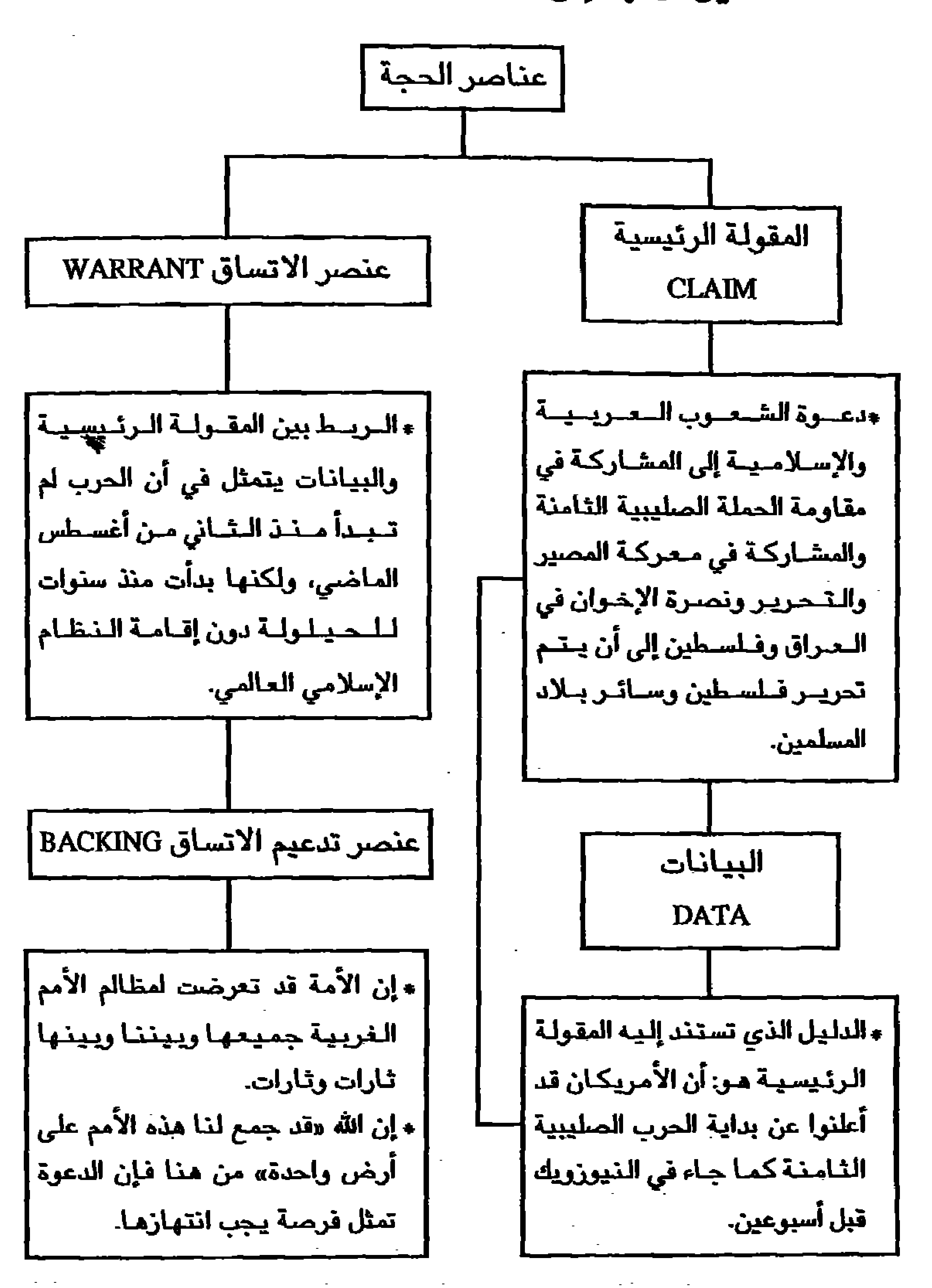
ودعا البيان الشعوب العربية والإسلامية إلى المشاركة في معركة المصير والتحرير، ونصرة إخوانهم في العراق وفي فلسطين، حتى يأذن الله بنصره وتحرير الأرض المقدسة المباركة في فلسطين وسائر بلاد المسلمين..

جريدة الشعب ٢٢/١/١٩٩١.

* * *

ثانيًا : تحليل عناصر الحجة الرئيسية بالعينة: انظر الشكل التالي (رقم ٢)

تحليل الحجة إلى عناصرها الأساسية والفرعية



جدول رقم (٤): مصادر الخلل في الحجة وملامح إشكاليات الحوار التفاوضى

مصادر الخلل في الحجة وملامح إشكاليات الحوار التفاوضي العربي
(١) إن عنصر الدحض والتفنيد المسبق (REBUTTAL) يفتقر إلى التعقل كصفة إسلامية أساسية دعا الله المسلمين إليها بحيث إن عليهم أن يتوخوا الحذر عند الحديث عن معركة مقبلة لم تبدأ بعد... «لقد جاء يوم الحساب يا بوش ويا بيكر ويا ميجور وصنع الله لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب ومهرت في النزال.. وجاء يوم أعز فيه الله الإسلام...) (سلبية نمط «تضخم الإحساس بالذات» [النمط رقم (٢)])
(٢) اتسمت عناصر الحجة المختلفة بنمط التهييج والاسترسال العاطفي وإساءة استخدام سلطة النص، وذلك بالاستشهاد بنص من نصوص الجهاد دون الأخذ بأسبابه بحذر وتعقل ومقدرة. كذلك اتسمت المقولة بالتركيز على الموسيقى اللغوية في بناء النص لإثارة مشاعر وعواطف الشارع العربي والإسلامي وتعبئتها دون إمعان النظر في خطورة الموقف وحيثياته الدقيقة. وهذه الخصائص تضعف من معقولية وموضوعية مقدم الحجة (QUALIFIER).
(٣) خلل التبسيط الزائد بين السبب وأثره وتجاهل السؤال الرئيسي حيث إن سبب الحرب ليس دينيًا، وإنما هو احتلال العراق للكويت. الذي انتهزه بطبيعة الحال أعداء العرب والمسلمين للحصول على أقصى حد من هدم قوة العرب والمسلمين نظرًا للريبة والشك التي ينظر بها الغرب للإسلام وللعرب، والتي دعمها تصرفات مثلما أقدم عليه صدام العراق من مقولات تحدٍّ جوفاء وعداء كلامي وإهانة لمواطنيه وغزوه للجار العربي المسالم.
(٤) خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى EQUIVOCATION وهو ما قصدنا الحديث عنه ويتمثل هنا في الاعتماد على المعنى القديم لكلمة "CRUSADE" (الحملة الصليبية) والذي ورد بالفعل استخدامه في مجلة النيوزويك كدليل يدعم المقولة الرئيسية دون الوعي ـ عمدًا أو سهوًا بمعنى الكلمة الإنجليزية التي تعني في الوقت الراهن معنى «حملة» أو «مهمة» لتحقيق هدف يقيني «والدليل على ذلك أن نفس الكلمة قد استخدمت لوصف عدوان صدام على الكويت (SADAM'S CRUSADE) وكذلك وصفه بأنه "CRUSADER" ... ولا يمكن أن يكون معناها صليبيًا هنا.

* النمط الرابع والعشرون: حوارات «غيبوبة الماضي»:

إن الحنين للماضي وللذكريات وللتاريخ شيء إيجابي بطبيعته إذا ما أحسن توظيفه، بل إن من مصادر هذه الأمة أنها في لحظات تاريخية تستلهم القوة والعزم من الماضي. ولكن سلبية هذا الأمر أن يتحول إلى غيبوبة نعيش فيها وننسى الأخذ بأسباب التغيير أو إعادة ما كان مجيدًا في تاريخنا العريق خاصة أن شواهد العصر تؤكد وجود تعقيدات لم يشهد التاريخ الإنساني مثيلاً لها في تفاعلات عالم اليوم والمستقبل. وعلى النقيض من استلهام الماضي الذي يفترض فهم دروسه نجد نمط نسيان دروس الماضي وبسرعة غريبة في أحيان كثيرة حتى لو كان لها أسباب أهمها عدم الأخذ بتلابيب الأمور في مواجهة عدو شرس، كما حدث في معركة ١٩٦٧، والتي سيطرت فيها اللغة الجوفاء فقط، في الوقت التي أثبتت فيه الأحداث أنه يمكن هزيمة العدو وتلقينه أقسى الدروس كما حدث في حرب رمضان ١٩٧٣.

ولكن كان الشرط ألا نلجأ إلى حرب الكلام الأجوف ومعارك النزال من خلال محطات الإرسال القوية التي رسخت نمط «تضخم الإحساس بالذات» إلى الحد الذي استخف بكل العقول وأدى إلى تغييب العقل العربي.. لم يستفد العراق من هذا الماضي وجسد أسوأ أنماط تفاعلاتنا وتسبب في نكسة أعمق وأخطر من نكسة ١٩٦٧.

كذلك نسي من أيدوا العراق فور الغزو أن القضية لم تعد قضية غزو بلد عربي لبلد عربي آخر، وإنما أصبحت القضية قضية وجود أجنبي لدى هؤلاء. وربما كان من أحدث الأمثلة احتلال بلد عربي لبلد عربي آخر، وأصبحت القضية قضية وجود أجنبي لدى هؤلاء. وربما كان

من أحدث الأمثلة التي جسدت نمط «غيبوية» الماضي وسرعة نسيان دروسه هو أداء الأطراف العربية نفسها التي أيدت العراق في غزوه للكويت عند تفاعلها مع أحداث الانقلاب الشهير في موسكو، والذي وقعت أحداثه في «النصف الثاني لهذا العالم (١٩٩١) وهنا أستشهد بمقال موجز قد كتبته عن هذا الموضوع ونشر في الأهرام بتاريخ ١٩٩١/٩/٣ يستعرض هذا المقال نمط «غيبوية الحنين للماضي» وكذلك مجموعة أخرى من الأنماط السلبية التي استعرضناها في هذه الدراسة وتجسدت جميعها في رد فعل هذه الأطراف العربية وفيما يلي نص المقالة:

«أحداث موسكو وأنماط من التفاوض في العالم العربي»

كأي حدث تتفاعل معه الأطراف العربية على الساحة الدولية يلاحظ المراقب وجود تباين وتناقض واضحين بين مواقف الأطراف العربية المختلفة تجاه هذا الحدث أو ذاك. وبالنظر إلى أحداث موسكو نجد أن هذا التباين والتناقض يماثلان ذلك الذي حدث إبان أزمة الخليج وغيرها من الأحداث الأخرى.. يرجع ذلك في عموميته إلى مجموعتين من العوامل: المجموعة الأولى تتمثل في تباين في الإدراك لتحركات الفاعلين المشتركين في المباراة الدولية وقواعد اللعبة بالمعطيات الموضوعية المحددة لناتج أي مبارة على الساحة الدولية.. والمجموعة الثانية تتمثل في سلبيات الحوار التفاوضي اليومي في العالم العربي على المستويين الاجتماعي والسياسي وبالطبع تتداخل العوامل في المجموعتين في تحديد ناتج الأداء.. الذي يظهر في النهاية بشكل متناقض لا يخدم بطبيعة الحال صورة العرب في عالم اليوم.

لقد كان موقف مصر من أحداث موسكو يعكس اهتمامها في المقام الأول بالشرعية وعدم التدخل في شئون الآخرين من ناحية، ولكنه أيضًا قد عكس ذلك النمط التفاوضي الذي اكتسبه المفاوض المصري بحكم الخبرة المصرية والدور المصري على الساحة الدولية من ناحية أخرى، وهو «حسن الاستماع والترقب» ثم اتخاذ القرار السليم.. فإننا إذا ما أردنا تحليل رد فعل بعض الأطراف العربية بتأييد الانقلاب بموضوعية دون الهجوم على هذه الأطراف لوجدنا أن هذه الأطراف تتمنى وجود الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية رئيسية كما كان العهد به حتى لو كانت قوة عسكرية ديكتاتورية فقط.. إن المفاوض العربي البراجماتي قد لا يعارض ذلك الأمر، فالاتحاد السوفيتي القوي يعيد التوازن في علاقات الشرق والغرب، وهذا شيء بديهي ولكن هذه الأطراف قد نسيت أو تناست أن القوة الاقتصادية هي العماد الرئيسي للقوة المسلحة، كذلك إن من الأنماط المرتبطة بأحداث موسكو على صعيد التفاعلات العربية هو أن الأطراف العربية التي أيدت الانقلاب تعاني من نمط «غيبوبة الحنين للماضي أيًا كان، وعبودية هذا الماضي لما له من صور قديمة لم يعد لها وجود حقيقي في عالم اليوم..» فهذه الأطراف العربية تتصور أن جورباتشوف قد هدم ذلك الصنم الذي ظل يعبده الكثيرون، وهو بذلك قد كفر وأنه هو الذي أذل الاتحاد السوفيتي وليست القيم الشيوعية والأحلام الوهمية التي قامت عليها، بل ذهب الكثيرون إلى توظيف أسوأ ما في الأنماط التفاوضية العربية وهو نمط المؤامرة الكبرى، ولكن الطريف في أحداث موسكو أنها قد أثبتت أن هيمنة نمط المؤامرة ليس على الصعيد العربي فقط.. ولكنه انعكس بوضوح شديد في مقولات العديد من القادة السوفيت. والواضح الآن وجود هيمنة لنمط

المؤامرة في العديد من التفاعلات على الصعيدين العربي والسوفيتي، والأمر يحتاج إلى دراسة متعمقة، ولكن ربما تكمن الأرضية المشتركة لهذه النوعية من التفاعلات في أنها نابعة من العديد من العرب والعديد من السوفيت الذين يمثلون في واقع الأمر حضارات قديمة وعظيمة إلا أنها تعاني الآن حالات من التدهور الحاد والعجز الكبير الذي عادة ما يصل بالإنسان إلى لوم الآخر دون محاولة التحرك الإيجابي لإحباط ما قد يحاك من مؤامرات في هدوء وفعالية.

(د. حسن وجيه - الأهرام ١٩٩١/٩/٣)

★ النمط الخامس والعشرون: «القوالب الذهنية المتفجرة» «والقوالب الذهنية الاستاتيكية» (المعدة مُسبقًا) :

"EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDA"

STATIC / PRESET SCHEMATIC AGENDA

١ - المقصود «بالقوالب الذهنية «الاستاتيكية» :

هو أن يكون لدى متحاور ما قائمة موضوعات مُعدة سابقًا قبل الدخول في عملية التحاور والتفاعل الحقيقي، وهنا يعيب المتحاور توظيفه لهذه الأجندة أو قائمة الموضوعات دون النظر والتعمق فيما يطرحه الطرف الآخر للحوار أثناء عملية التفاعل وهنا يبدو ذلك المتحاور كمن يحفظ طريقة للعبة الشطرنج (مثلاً خطة نابليون) دون أن يرى تحركات وأفعال الطرف الآخر، الأمر الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى فشل «الخطة». فهنا يتضح للمستمع أو المراقب للحوار أن هناك طرفًا «يكرر الأجندة» ويتعامل مع الحوار بعيدًا عن مستجداته ومتغيرات السياق، الأمر الذي يجعله يفقد معقوليته وقدرته على

الفوز أو حتى التعادل، ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن العديد من المفاوضين الذين قاموا بتمثيل قضايانا في الخارج يوظفون هذه الاستراتيجية التي تمثل نمطًا سيئًا للغاية في تفاعلاتنا مع بعضنا وفي تفاعلاتنا مع المفاوضين من الثقافات الأخرى..

وإذا ما نظرنا إلى بنك بيانات أزمة الخليج لوجدنا أن العراق قد قام بتوظيف استراتيجيات «القوالب الذهنية / قائمة الموضوعات الإستاتيكية» أي الموضوعات المُعدة سابقًا من قبل القائمين على إدارة الأزمة (المفاوضون) وبالتالي لم يسمح هؤلاء المفاوضون لأنفسهم بأن يعيدوا ترتيب قائمة موضوعاتهم التفاوضية ويستجيبوا بذكاء لمقتضى تلك التفاعلات ويتطوير الإدراك المسبق للأزمة عند بدايتها وما حدث عقب ذلك بالقدر الذي كان يتيح للعراق والأمة العربية الخروج من تلك الأزمة بأقل خسائر ممكنة.. والمقال التالي بعنوان «التفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة» لكاتب هذه السطور كان بمثابة محاولة جادة للفت نظر القيادة العراقية في ألا تقع في براثن ما أصفه في سياق هذا الكتاب بتوظيف استراتيجيات «القوالب الذهنية الاستكاتيكية» وفيما يلي نص هذا المقال:

المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة:

إذا كانت عملية التفاوض من أعقد العمليات الذهنية، خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية، فإن لهذه الأزمة الراهنة بالخليج تعقيدات فريدة من نوعها، فإذا كانت صفة «المفاوض العربي» في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة تتضمن مواجهة مع مفاوضين من غير العرب فإن «المفاوض العربي» أثناء هذه الأزمة يمثل المفاوض العربي في مواجهة «مفاوض عربي آخر» من ناحية،

وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب من الناحية الأخرى.

إذن فإنه يلزم لإدارة هذه الأزمة نوعان من ديناميكيات التواصل؛ أحدهما يتعلق بخصائص وتعقيدات عمليات التفاوض بين العرب وغير العرب، والآخر له خصائص وتعقيدات عمليات التفاوض العربية - العربية. فإذا أردنا تسليط الضوء على كيفية الإمساك بأهم خيوط الخروج من هذه الأزمة بأقل خسائر ممكنة لقلنا إنه يتعين على الجانب العراقي في إدارته للأزمة أن يعي أن النجاح أو الفشل في عملية إدارة الأزمات على مستوى العالم أجمع - كما يحدد ذلك خبراء وعلماء علم العلاقات الدولية - يتوقف على أن الإدراك السياسي الناضج يتمخض عنه ذلك القرار الذي يسمح باستقبال المعلومات الجديدة والطارئة واستيعابها والاستجابة المرنة لها وتطوير الإدراك المسبق للوضع قبل الأزمة وعند بدايتها وما يحدث عقب ذلك من تحركات للأطراف المتفاوضة المختلفة في اللعبة الدولية.

إن الأمر في أزمة الخليج الراهنة يوضح أن هناك إجماعًا دوليًا لم يسبق له مثيل من قبل لتنفيذ إجراءات اقتصادية وعسكرية ضد العراق قد تصل بالمنطقة كلها إلى حالة من الدمار والانهيار.

إن الطريق مازال مفتوحًا أمام العراق ليخرج من هذا المأزق مع الحفاظ على ماء الوجه. ولقد أوضح ذلك الأمر خطاب الرئيس مبارك الأخير في ذروة الأزمة من خلال عرضه لصيغة السلوك الدولي المطلوب انتهاجه من قبل العراق وفي ظل المظلة العربية، كذلك أوضح خطاب الرئيس أن مصر في إدارتها لعمليات التفاوض الراهنة قد أدركت أهم مشكلات الاتصال في الأزمات الدولية. كذلك كانت

هناك الإشارة بقوة إلى وضع مصر وثقلها عربيًا وعالميًا واحترامها لكيان وتوجهات الرأي العام المصري.

إن درجة ضبط النفس العالية التي تبناها القائمون على إدارة الأزمة في مصر تتيح الطريق مرة أخرى للعراق للخروج من هذه الأزمة المتفجرة وبطريقة تحفظ ماء وجهه وتجنب المنطقة نتائج لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

د. حسن وجيه

الأهرام ١٣/٨/٩٠

وإذا كانت المقالة السابقة تعنى بإبراز مثال من أمثلة تفاعلات أزمة الخليج التي تلقي الضوء على خطورة ظاهرة القوالب الاستاتيكية في الحوار فإن كاتب هذه السطور قد ألقى بالضوء على هذه الظاهرة أيضًا في معرض رده على مزاعم سلمان رشدي في إطار الجدال الذي دار لفترة طويلة عقب نشر روايته المعروفة بعنوان «الآيات الشيطانية» فلقد كان الدافع لكتابة هذا الرد في صحيفة «الهويا» جريدة جامعة جورج تاون – لمنطقة واشنطن العاصمة[1]. ليس فقط الرد على مزاعم سلمان رشدي في حينها، ولكن كان أيضًا من منطلق محاولة تصحيح رد الفعل الإسلامي حيث إن المتحدث الذي كان يمثل وجهة النظر الإسلامية في حواره مع سلمان رشدي في البرنامج الإخباري الشهير بالولايات المتحدة ABC NIGHTLINE. بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ قد وظف استراتيجيات «القوالب الذهنية

(١) كان المقال الذي كتبه كاتب السطور بعنوان «على الغرب أن يحذر الفخ الذي يتصبه رشدي» من: أطراف الجدال حول «الآيات الشيطانية تتجاهل أصول الحوار الفكري الإسلامي» (جريدة الهويا ٢٨/٢/١٩٨٩م).

الاستاتيكية» حيث أضاع الوقت فيما أعده مسبقًا من أن الرواية ضد الإسلام وضد المسلمين وأن المسلمين غاضبون إلخ ولم يلتفت إلى أسلوب سلمان رشدي الذي حاول أن يتحدث فيه عن قضية حرية التعبير في الثقافة الإسلامية، وبالتالي لم يفند ذلك المتحاور حُجج رشدي الواهنة والضعيفة، الأمر الذي أكسب رشدي مناصرة لا تستند للحق بأي حال.

٢ - المقصود «بالقوالب الذهنية المتفجرة»:

"EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDE"

والمقصود أن يكون لدى أى متجاور ما قائمة موضوعات مُسبقة ويتحين أي فرصة لإطلاقها وإعلام الآخرين بها، والفرق بين هذه الاستراتيجية الحوارية والسابقة «الاستاتيكية» هو أن أداء المتحاور هنا يكون أكثر انفعالية إلى الحد الذي يصل به إلى تطويع، أو بمعنى أدق، «تلفيق» السياق بالطريقة التي تتناسب شكليًا مع عملية إطلاق أو تدشين قائمة الموضوعات أو القوالب الذهنية في عملية التفاعل. ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن توظيف هذه الاستراتيجية غالبًا ما يكون من الملامح الرئيسية لخطاب الرفض والتطرف والإطلاقية وما أسماه كاتب السطور بخطاب التناحر DOG FICHT DISCOURSE وتلك النوعية التي تعاني حالة حادة من الإحباط والاضطهاد أو المؤامرة في بعض الأحيان وترتبط هذه الصورة ارتباطًا وثيقًا بنمط حوارات التأطير «النمط رقم ٢ والذي تناولناه بالتحليل في هذا الكتاب».

وإذا كان المفاوض العراقي في أزمة الخليج قد قام بتوظيف هذه الاستراتيجية بكثافة عالية في تفاعلات ما قبل وأثناء وبعد الأزمة إلا أن هذه الظاهرة مع الأسف تتجسد في كثير من تفاعلاتنا

الاجتماعية، والأسوأ أنها قد وصلت إلى التفاعلات الأكاديمية حيث تتنوع صور هذه الاستراتيجية من خلال التصنيف المتسرع أو المتعسف للمتحاور الآخر وللنص ويتحميل النصوص ما ليس بها ويتوظيف استراتيجيات «احتكار الحقيقة» بصورها المتنوعة مع حدة ملحوظة في الألفاظ المستخدمة.

وللتدليل على الاستراتيجيات المتعددة التي تعكس صورًا من نمط الأجندة أو القوالب الذهنية المتفجرة من خلال تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة سوف أقدم في هذا الجزء من الدراسة تفاعلات حوارية حقيقية في واقعنا الثقافي الأكاديمي، ولقد بدأ هذا الحوار على صفحة الفكر الثقافي بجريدة الأهرام والمقالات الخمس التالية تمثل عناصر التحاور وهي كالآتي :

حالة تطبيقية: مناظرة من واقع التفاعلات في واقعنا الثقافي

المقال الأول

العقل العربي .... والحوار مع «الآخر»..

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع الآخر، فإن الأمر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسيين للتحليل. البعد الأول يتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية بيننا وبين ذلك الآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا. ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبول المطلق أو الرفض المطلق» بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، ولا سبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التي تؤكد على هذه المقولة في سياقنا هذا. ولكن ما أود أن ألقي بالضوء عليه هو أن رد الفعل التلقائي لمعالجة نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق كان تبني البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطيين أو التوفيقيين» وهؤلاء قد انقسموا إلى فئتين: الأولى تمثل هؤلاء الذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم، والذي لا نملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيلة في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصيلة. أما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن أمور تتعلق بنظام القيم الثقافية الأصيلة. وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الإطلاقية أيضًا. وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير «الحل الوسط» مدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعني

التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية، وهذا المعنى هو الذي يهيمن على إدراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربي والإسلامي. وما يلقي بالضوء على هذا الأمر ما ذكره باحث اللغويات الاجتماعي بروس فريزر في بحثه الذي تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "COMPROMISE" . ولقد أورد الباحث عدة أمثلة منها مثلاً من الشارع الإسلامي في إيران حين ذهب مبعوث الأمم المتحدة إلى إيران بشأن التفاوض في أزمة الرهائن الأمريكيين الشهيرة، ويذكر الباحث أنه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير «حل وسط» وأعلن أنه جاء للوصول إلى «حل وسط» فما كان من الجماهير إلا أن رشقت سيارته بالحجارة.

إننا إذا ما حاولنا اقتفاء مفهوم «الإطلاقية» من منظور نخبوي لتأملنا أيضًا مقولات د. محمد الجابري، والذي يعد واحدًا من أهم المفكرين العرب المعاصرين، وهنا نجد أن الجابري عندما يتحدث عن مفهوم «الاستقلال التاريخي للذات العربية»، فإنه وبكلماته تحدث عن «الاستقلال التاريخي التام» كما ورد في مقولته الرئيسية في كل من كتابيه «الخطاب العربي المعاصر» و«تكوين العقل العربي» (انظر المصدر الأخير ص٥٦٧)... وإن ما يؤكده د. الجابري بصورة جلية هو التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين «السلفي» و«الأوروبي» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخي التام للذات العربية، وفي طيات هذه المقولة نجد ظلالاً قوية لمفهوم «الإطلاقية»، والتي تؤكد في نفس الوقت على هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعيش بكل تعقيداته البالغة والحقيقية. إنه من المتعين علينا ونحن بصدد تقييم تفاعلاتنا مع الآخر وبصدد «نقد العقل العربي» أن نأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

١ – أن تبني أمر «الاستقلال التاريخي التام» أو ما شابه ذلك من مقولات إطلاقية في عالمنا العربي هو بمثابة استمرار «الحلم العربي» المجرد، والذي يخرج عن نطاق نواميس «أحلام البشرية المتعددة» مثل «الحلم الأمريكي»، «الحلم الياباني» و«الحلم الألماني»... فهذه «الأحلام» لم تتصف باستغراق المجرد والإطلاقية وإنما واكبها لحظة بلحظة الأخذ بعين الاعتبار ميكانيزمات الواقع والتجربة المعيشة بكل تعقيداتها ومكوناتها قبل أي شيء آخر.

٢ – أن علينا أن ندرك أن ساحة التفاعلات قد اتسعت في عالم اليوم وأصبح من شبه المستحيل الحد من هذه التفاعلات الأمر الذي حدا بخبراء العلاقات الدولية إلى تقييم وشرح مفاهيم جديدة مثل «القرية العالمية» "GLOBAL VILLAGE" ومفهوم الاختراق المتبادل (INTERPENETRATION) .. والذي يعني إمكانية عرض المفاهيم الثقافية المتباينة للثقافات المتنافسة على صعيد العالم من خلال قنوات دولية متعددة.

٣ – أن علينا أن ندرك أصول وقواعد المباريات الدولية على كافة الأصعدة مع التمسك بالقيم الأصيلة والإيجابية التي تميز ثقافتنا العربية الإسلامية فهذا هو الطريق الذي يحتاجه مسار هذه الأمة حتى تتمكن من التخلي عن موقع المتلقي وتعود إلى ساحة الإسهام في حضارة عالم الغد... فالتهاون في هذه المعطيات قد يمكن الثقافات المتصارعة أو المتنافسة من إحداث «إحلال ثقافي» في منطقتنا، الأمر الذي سوف يعمق من حدة أزمتنا الثقافية، وهو الأمر الذي ينبغي أن ندق له الأجراس.

د. حسن وجيه - جامعة الأزهر

(الأهرام ٢٥/١٠/١٩٩١)

المقال الثاني

تعليق على مقال «العقل العربي.. والحوار مع الآخر»

تعليق للأهرام:

«ننشر هذا التعليق الجاد (رغم حدته) ليس فقط من باب تأكيد إيماننا بحرية الفكر وحق الجميع في طرح أفكارهم ورؤاهم على الآخرين، ولكننا ننشره أيضًا لتأكيد ضرورة الحوار نفسه واحتياجنا إليه من أجل بلورة منطلقات فكرية تؤسس لعصر التنوير الثاني الذي يكافح كل «العقلانيين» في سبيله.. وغني عن القول أننا ننشر هذا التعليق رغم اختلافنا مع منطلقاته وتحليله لكثير من النقاط..».

مقال كاتب التعليق:

يبدو أن النخبة المنتجة للفكر في مصر، وربما في غيرها، لا تملك في مواجهة أزمتها الراهنة إلا أن تقوم – كعهدها على الدوام – بإعادة إنتاج فكرها، واجترار نفس خطابها الذي لم تفلح مائتا عام من النهضة المحيطة في زحزحته والخلاص من هيمنته، حتى لقد بدا الخطاب – إنه يعيد إنتاج نفسه بلا كلل – أشبه بعنقاء أسطورية تنبعث ثانية من رماد احتراقها في انكسارات لا تنتهي، وهكذا فإنه بالرغم من أن الأهرام يطالعنا كل أسبوع بمفكر مصري جديد، فإن الجدة عند معظم هؤلاء الجدد، لا كلهم، لا تعني إلا إعادة إنتاج خطاب نخبتهم، وذلك بعد زركشته بالطبع بالمقولات الأكثر حداثة، والمتداولة في النتاج الأكثر معاصرة للعلوم الإنسانية الغربية.

– ضمن هذا السياق يندرج المقال الوارد على هذه الصفحة يوم ٢٥/١٠/١٩٩١ عن «العقل العربي والحوار مع الآخر» للأستاذ حسن

وجيه الذي لا يفعل شيئا إلا إعادة إنتاج خطاب النهضة الكلاسيكي» ويلغة الكاتب نفسه خطاب «هؤلاء الذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم الذي لا نملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا، ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصيلة». إنه إذن خطاب النهضة العربية، الذي دشنه الطهطاوي وخير الدين التونسي في القرن التاسع عشر فيعاد إنتاجه - رغم كل عجزه وإخفاقه - بمفردات نهايات قرننا.. إن الخطاب المؤيد الذي تستعصي صيغته النظرية التلفيقية على الانكسار، وذلك رغم كل الانكسارات التي طالته في الممارسة ابتداء من انكسار محمد علي وانتهاء بانكسار عبد الناصر.

والحق أن المقال يأتي تعبيرًا نموذجيًا عن ثوابت خطاب النهضة الذي تصور التقدم تفاعلاً كيميائيًا أو حواريًا بين الأنا والآخر، وهو تفاعل لم يتحقق قط لغياب شرطه اللازم.ولكن خطورة المقال تأتي من إصراره على وصم الطموح إلى التحرر الكامل للذات العربية من أي سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وأيضًا من الحاجة، في هذا الظرف التاريخي الدقيق الذي يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم «الحل الوسط» وهو في حالنا الراهن لن يكون «حلاً وسطًا» - باسم العقلانية والواقعية وغيرهما من مفردات قاموس أيامنا. ومن هنا ضرورة تفنيد دعاوى هذا المقال الخطاب.

فأولاً: يتحدث المقال عن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم

الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا». ولا أظن هذا القول صحيحًا أبدًا.. إذ الحق أن معظم الليبراليين - وهو الاسم المتداول على الوسطيين - قد انتهوا في الأغلب إلى الغرق حتى الأذقان في لجة التراث معبرين عن إخفاق أطروحاتهم التنويرية من جهة، ومعبرين عن بداياتهم المفرطة في إعجابها بالغرب من جهة أخرى. إن من يطالع مجرد عناوين النصوص المتأخرة لفيالق الليبراليين ابتداء من الطهطاوي وحتى زكي نجيب محمود ومرورًا بطه حسين والعقاد ليدرك أن النهاية التراثية - بل والصوفية أحيانًا - لهؤلاء تمثل ظاهرة تستحق الدرس. ومن وجهة أخرى فإن النفوذ المتعاظم لما يسمى بالتيارات المتطرفة دينيًا التي تظهر عداء لا هوادة فيه لكل ما هو عقلاني أو تنويري ليكشف عن زيف الادعاء بأن هؤلاء الليبراليين - ذوي الأهداف التنويرية - قد نجحوا في إحراز أي من أهدافهم.

وثانيًا: يرى الكاتب في القول بضرورة «التحرر الكامل للذات العربية في السلطة المرجعية للنموذجين السلفي والأوروبي» ظلالاً قوية لمفهوم «الإطلاقية» الذي يؤكد - حسب قوله - هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعيش. واستمرارًا لما يسمى بالحلم العربي المجرد. على الذات العربية أن تنخرط - حسب الكاتب - في الحوار مع الآخر بدلاً من مداعبة هذه الأحلام الطوباوية. والحق أن التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفي والأوروبي، بل ومن سلطة كل نموذج، هو الشرط المسبق لكل حوار فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حوارًا، بل ضياعًا. وإذن فإن الحديث عن الحوار مع الآخر كفرض قابل للتحقق هكذا مع تغيب كامل للشروط التي يستحيل دونها هو الذي يعكس. في المقابل،

ظلالاً قوية لمفهوم الإطلاقية الذي يتكشف هنا عن ضرب من التفكير اللاتاريخي يستبدل بالتاريخ النموذج الأمريكي أو الياباني أو الألماني، كما يمثل استمرارًا للواقع العربي البائس، وإلا فهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية ما يمكنها من أن يكون تفاعلها مع الآخر حوارًا لا ضياعًا؟

وهكذا فإن الطريق إلى التخلي عن موقع المتلقي والعودة إلى ساحة الإسهام في عالم الغد - وهو أملنا جميعًا - لن يكون بمجرد الدعوة الرومانسية إلى الحوار الإيجابي مع الآخر، بل يتأسس جوهريا على ضرورة التحرر من السلطة المرجعية لأي نموذج، وأعني ضرورة التحرر من هيمنة «إبستيمولوجية» النموذج التي تغلق أمام العقل العربي أي طاقة للإبداع، والتي تمارس، للأسف، فعلها في وعينا على نحو غير مشعور به حتى لو ادعينا أكثر الحالتين حداثة.

علي مبروك - مدرس مساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

(الأهرام ١٩٩١/١١/٨)

المقال الثالث

رد على التعليق: العقل العربي والحوار مع الآخر

في بداية الرد على التعليق الذي ورد بهذه الصفحة بتاريخ ١٩٩١/١١/٨ أود أن أشكر للكاتب حماسه ومشاركته في الحوار ولكني أجد في تعليقه ما يمثل صورة متكررة من صور ذلك «الخطاب» الذي يجسد العديد من سلبيات الحوار التفاوضي على المستوى التقني، وهذه السلبيات تشكل مشكلة أساسية تواجهنا في تفاعلاتنا اليومية وهذه بعض منها:

١ - التصنيف المتسرع للنص وللمتحاور الآخر:

يأتي تعليق الكاتب غنيًا بواحدة من سلبيات تفاعلاتنا الحوارية، وهي الخاصة بتصنيف أحد المتحاورين للآخر ووضعه في إطار معين بسرعة لافتة لا تدل على التروي المطلوب في الحوار ليكون موضوعيًا. يقول التعليق:

يتحدث المقال عن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا...» ثم يُصنف الكاتب «هؤلاء الوسطيين» على أنهم «الليبراليون»... ويهاجم بعد ذلك جهودهم واجتهادهم.. ويلاحظ هنا أيضًا أن كاتب التعليق يضع رموز «الليبراليين»، و«الوسطيين» في قالب واحد دون إدراك للفروق بينهم سياسيًا، هذا في الوقت الذي لا تمثل كلماتي في المقال «الليبراليون» أو غيرهم على وجه التحديد.. ولكن الكلمات تعني

بوضوح «أي متحاور يتفاعل مع الآخر دون أن يتخلى عن ثوابت القيم الأصيلة في ثقافتنا. فربما يكون هذا المتحاور مبعوثًا ليس له أي انتماءات مصنفة سوى حبه لتراب وطنه... وربما يكون مفاوضًا لشركة من شركات الزلط أو الشيكولاته، وربما يكون ممثلاً سياسيًا في وفد من الوفود.!!

٢ - تبرير «الحل الوسط»!!

يقول التعليق... «ولكن خطورة المقال تأتي من إصراره على وصم الطموح إلى التحرير الكامل للذات العربية من أي سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وأيضًا من الحاجة، في هذا الظرف التاريخي الدقيق الذي يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم «الحل الوسط» ... إلخ.

وهنا أود ألفت نظر الكاتب والقارئ الكريم إلى أن ما كتبته في مقالي بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٥ لم يكن تبريرًا لمفهوم «الحل الوسط» وبالطريقة التي عُرضت بالتعليق، بقدر ما كان توصيفًا موضوعيًا لما لحق بإدراكنا لهذا التعبير... ثم إنه ولو فُهم على كونه تبريرًا «للحل الوسط» الذي لا يمثل تهاونًا في القيم الأصيلة والإيجابية في ثقافتنا العربية الإسلامية كما ذكرت ذلك بالنص... فلماذا يحدث كل هذا الانفعال لدى الكثيرين عند مجرد سماع تعبير «الحل الوسط»، والذي يعتبر مفهومًا أساسيًا لحل أي صراع اجتماعي أو سياسي في عالمنا... فهناك دائمًا هامش كبير «للحلول الوسط» ويرتبط استخدام هذا الهامش إيجابيًا بالفهم الحقيقي والعلمي لطبيعة وقواعد مباريات الصراع الاجتماعي والسياسي. إن هذا

المفهوم ليس أصيلاً فقط في الثقافة الغربية، ولكنه مفهوم أصيل - إذا ما أحسن توظيفه بذكاء - في ثقافتنا العربية الإسلامية. ففي صلح الحديبية تخلى الرسول ﷺ عن وصف «الرسول» المنسوب إليه حقًا ونزل إلى طلب الكفار بمناداته بالاسم المجرد، حيث وجد ﷺ أن هناك هامشا من المرونة في التفاوض لن ينتج عن استخدامه أي مساس بالرسالة. وفي أدبيات الحروب الصليبية التي لا يزال الغرب يتناولها بالتحليل الدقيق إلى يومنا هذا، نجد العديد من الأمثلة التي تتعلق بالفهم الإيجابي لمفهوم الحل الوسط في عدد من المواقف التي كان الناصر صلاح الدين طرفًا فيها، والذي وصف في أدبيات الغرب بكونه المحارب والمفاوض المحنك الذي اتقن ببراعة قواعد إدارة الصراع، وهناك كتاب تفصيلي حديث للكاتب (STANELY LANE-POOL) بعنوان «صلاح الدين وسقوط مملكة القدس: (١٩٧٨) لمن يريد الاطلاع على تلك التفاصيل...

الأخ كاتب التعليق: لقد كان كلامي دقًا للأجراس بخصوص هذا المفهوم وليس مجرد تبرير له في هذا الظرف الدقيق!!

٣ - «الإطلاقية» ووقائع التفاعل العلمية :

ينتقد كاتب التعليق ما ذكرته من وجوب التخلي عن «نمط الانعزال عن الواقع المعيش» ويصر على التمسك بمقولة «التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفي والأوروبي، بل ومن سلطة كل نموذج، فهذا هو الشرط المسبق لكل حوار» فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حوارًا «بل ضياعا»...

ومرة أخرى إن مثل هذه المقولة براقة ورومانسية حقًا واختلافنا هنا ينبع من اختلاف في أسلوب التفكير أساسا؛ لأن مثل هذه المقولة

لا ترقى للتعامل الفعلي والإيجابي مع حقائق التفاعل العلمية البحتة التي يقرها علم النفس اللغوي والإدراكي PSYCHO & COGNITIVE LINGUISTICS . وحتى لا يغضب كاتب التعليق من استخدام (مفردات العلوم الاجتماعية الحديثة) أقول إن مثل هذه المقولة لا تقرها كافة وقائع تاريخ البشر على امتداده.. فالحوار دائمًا وأبدًا له منطلقات مهيمنة عليه... وتتصارع مثل هذه المنطلقات ويمثل تصارعها وحضورها الواضح بداية لأي حوار... فالإسلام جاء لإتمام رسائل الله السابقة ولكن أيضًا عبر عن أقوى صور الحوار المتصارع.. لقد جاء الإسلام ليتعامل مع هيمنة أنماط من العقائد الأخرى السائدة.. والماركسية عندما ظهرت إلى حيز الوجود جاءت كفكرة لتتعامل مع هيمنة الرأسمالية، وبعيدًا عن العقائد والأيديولوجيات فإن حوار علماء الفضاء بخصوص المكوك الفضائي (SPACE SHUTTLE) قد هيمنت عليه سلطة نموذج أو فكرة الطائرة أو لنقل نموذج الطائرة التي يمكنها اختراق المجال الجوي.. إذن فمقولة الاستقلال التاريخي التام لأي ذات في العالم أو التخلص من هيمنة فكرة أو نموذج سائد كشرط مُسبق لعملية التحاور ما هي إلا من قبيل المقولات الجوفاء والرومانسية التي لا يمكن ممارستها عمليًا وغير قابلة للحدوث الحقيقي من منظور التفكير العلمي للتفاعل.

٤ - بعض من ملامح الخلل الشائعة في إقامة وتفنيد الحجج:

هناك أسس علمية مفتقدة للغاية في كثير من تفاعلاتنا بخصوص أسلوب إقامة الحجج وتفنيدها، وفي سياق ما أورده كاتب التعليق أود أن أسلط الضوء على قوله: «إن النفوذ المتعاظم لما يسمى بالتيارات المتطرفة دينيًا، والتي تظهر عداء لا هوادة فيه لكل

ما هو عقلاني أو تنويري ليكشف عن زيف الادعاء بأن هؤلاء الليبراليين – ذوي التوجهات التنويرية – قد نجحوا في إحراز أي من أهدافهم»..

والنقطة التي أتعرض لها هنا تتعلق بخلل تقني واضح في تفنيد الحجج وهو ما يسميه علماء اللغويات الاجتماعية (NON SEQUITUR) أو ببساطة ما يفيد أن «هذا الأمر ليس بالشرط دليلاً على ذاك؟! فتعاظم التطرف له بالتأكيد أسباب أخرى متعددة ولا يعود فقط لاحتمال وجود قصور كبير أو صغير في اجتهادات أعلام التنوير المذكورين ابتداء من الطهطاوي وحتى زكي نجيب محمود ومرورًا بطه حسين والعقاد، طبقًا لكاتب التعليق.

٥ - الإصرار على «التسلحف» و«الانسحاب»:

من أكثر سلبيات تفاعلاتنا سواء الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا، بدلاً من التفاعل الإيجابي والأخذ بتلابيب الأمور – هذا في الوقت الذي نملك فيه الكثير من مقومات التحرك الواعي رغم كل القصور المنظور، فمثل هذا التحرك هو المخرج الوحيد من مهالك الوقوف «محلك سر» فكاتب التعليق ينتقد مقولة:

«على الذات العربية أن تنخرط في الحوار مع الآخر بدلاً من مداعبة الأحلام الطوباوية» ويتساءل: وهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية ما يمكنها من أن يكون تفاعلها مع الآخر حوارًا لا ضياعًا؟[١].

(١) المقال رقم (٣) هو النسخة الأصلية التي أرسلت لصفحة الفكر بجريدة الأهرام قبل أن يتم اختصارها (بمعرفة كاتب السطور لاعتبارات حيز المساحة) ونشرت بتاريخ ١٢/٦/١٩٩١م).

إن هذه المقولة تمثل دعوة لتأجيل الأمور في الوقت الذي لا تملك فيه ذلك.. فهي بمثابة أن نقول للمتصارع أو المتنافس معنا حضاريًا: من فضلك انتظر إلى أن نتحرر من سلطة نموذجك ونموذج س أو ص حتى يكون لنا الاستقلال التام والندية معك! ألا تعلم بعد أن من بديهيات الحاضر والتاريخ أن الصراع ماض إلى يوم الدين وأنه لا يرحم «المتوسلين والمتسلحفين» وأن المتنافسين والمتصارعين الذين نواجههم يركبون قطارًا سريعًا يمكنه سحق السلحفاة التي يصر البعض على ركوب ظهرها ويريدون أن نعبر بها معهم من أمام هذا القطار!! أليس من الأفضل النزول من على ظهرها والتحرك بدونها.. أليس في هذا فقدان لأبسط مبادئ عقلية التحرك بصيغة أكثر فاعلية والتعرف على «فن الممكن».. فحتى إذا لم تكتمل الندية لأسباب هي دائمة غاية في التعقيد.. أليس من الأشرف لنا دائمًا أن نقبل التحدي وننزل إلى ساحة التفاعل بإيجابية.. فحتى إذا خسرنا فستكون خسارتنا أقل فداحة بكل تأكيد من فداحة الهجاء الأجوف والرومانسية والطوباوية التي غاص فيها العقل العربي وأغرق بها وفيها أجيالاً متلاحقة!!

المقال الرابع

عودة إلى قضية: العقل العربي والحوار مع الآخر

الحق أن جزءًا من خطاب النخبة في عالمنا العربي يجتهد في رفع ورقة الحوار مع الآخر - المغاير لستر عورة عجزها وإفلاسها في مواجهته، ولكنها - حين تمارس - فعلى طريقة أسلافها في التفكير وإن بمفردات عصرية ناعمة. ولعله مما يدهش المرء حقًّا ذلك التنازل إلى حد التفريط الذي تمارسه النخبة العربية - باسم الحوار - مع الآخر الخارجي، والتسلط إلى حد القمع مع مواطنيها في الداخل.

وهي وإن تجملت وأشارت إلى أنها تقصد «المتحاور داخل محيطنا الثقافي وليس المتحاور من خارجه» فإن - سياق الخطاب - وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب - يتكفل بالكشف عن قصدها الأصيل.

وإذن فالأمر يتجاوز ما هو شخصي إلى بنية خطاب النخبة بثوابته ومقولاته وحتى بفجواته وتشققاته ووعيه المعرفي وبالمسكوت عنه فيه، فإننا نتجاوز ما هو شخصي في الرد الوارد بهذه الصفحة يوم ١٩٩١/١٢/٦ على تعليقنا على مقال «العقل العربي والحوار مع الآخر»... نتجاوز ما هو شخصي ونصر على الحوار، وقبله لابد من شكر الكاتب، لأنه أتاح لنا برده على تعليقنا فرصة التفصيل بعد إيجاز ادعى معه البعض عسرًا في الفهم لم نكن على اقتناع به إلى أن قرأنا رد الكاتب، فأيقنا صدق الادعاء.. ومن هنا ضرورة التفصيل حسب ما يقتضيه الحيز.

فأولاً: لابد من التنبيه إلى أن أحدًا لا يدعو الذات العربية إلى التمترس خلف أسوار عزلتها رافعة لواء الإضراب عن الحوار مع الآخر، ولكننا فقط ندعو - وبعد قرنين من ادعاء الحوار مع الغرب لم ينتجا إلا الانكسارات المستمرة، ولم يكرسا إلا المزيد من الإحباط والضياع - إلى النظر في جدوى توافر الشروط اللازمة ليكون حوارها مع الغرب منتجا على نحو إيجابي لا مضيعًا كما هو الآن. إن إهمال النظر في هذه الشروط اللازمة لإنتاج الحوار قد جعل الذات العربية تحيا خارج التاريخ، حيث اكتفت بأن ترى في تاريخ الآخر تاريخًا لها، فبدت وكأنها معلقة في الزمان، لا هي تحيا تاريخها من جهة، ولا هي أهل من جهة أخرى لأن تحيا تاريخ الآخر؛ إذ التاريخ ليس مجرد التزامن مع الآخر في لحظة ما، بل هو تراكم للخبرة والتطور لا تستطيع الذات العربية ادعاء امتلاكه، إنها عبثًا توحد نفسها مع تاريخ الآخر انطلاقًا من مجرد التزامن معه في لحظة واحدة. فتسلك مع الحداثة بعقلية (البدوي) الذي يرى فيها متاعًا يمكن نقله بالضبط كما تنقل الخيمة في الصحراء من شعب إلى آخر وتمارس السياسة بسلوك القبيلة، إنها إذن تحيا الحداثة بثقافة التخلف وتاريخه. ومن هنا عجزها وإخفاقها الدائمان، ليس في الأمر إذن دعوة إلى الإضراب عن الحوار - كما توهم الكاتب - وإنما هو الإصرار على ضرورة توافر شروطه اللازمة، وأهمها رد الذات إلى تاريخها ونقد ثقافة التخلف وأدوات إنتاج المعرفة السائدة في حقلها، وتحريرها من هيمنة النماذج الجاهزة التي تعوق قدرتها عن إنتاج معرفة مطابقة - لا زائفة - بواقعها وتاريخها. وليس في ذلك أبدا أي نوع من «الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا»، بل هي المصارحة مع الذات التي هي أول الدرب إلى الوعي. وليس فيه أيضًا ذلك «الإصرار على ركوب ظهر

السلحفاة أمام قطار المتنافسين» بل فيه الخوف من ركوب القطار بمنطق السلحفاة كما نفعل الآن للأسف.

وثانيًا: يبقى، رغم الكاتب، أن تحرر الذات العربية من السلطة المرجعية للنموذجين السلفي والأوروبي - بل ومن السلطة المرجعية لكل نموذج - هو الشرط المسبق لأي حوار. ومن المفارقات أن هذا هو ما تقره على عكس ادعاء الكاتب حقائق التفاعل العلمية ووقائع التاريخ البشري، ولكن على شرط فهم التحرر في إطار قوانين الجدلي لا الصوري. ذلك أنه إذا كان نمط التحرر من الآخر في إطار قوانين المنطق الصوري يعني نفي الآخر واستبعاده، وهو ما فهمه الكاتب وحاكمناه في ضوئه، فإن نمطه في إطار قوانين المنطق الجدلي يعني استيعاب الآخر واحتواءه توطئة لتجاوزه من السلطة المرجعية للنموذجين الأوروبي والسلفي دعوة إلى استيعاب النموذجين واحتوائهما توطئة لتجاوزهما وتخطيهما، وذلك بدلاً من تركهما يمارسان السيطرة علينا على نحو غير مشعور به، واستيعابنا على نحو لا يبدو لنا فيه أي أمل في الخلاص من هيمنتهما. إن التحرر هنا يتحقق عبر الفهم لا عبر النفي.. عبر الاستيعاب لا عبر الاستبعاد.. عبر إنتاج المعرفة العلمية لا عبر الدعاوى الرومانسية.

وأخيرًا تبقى الإشارة إلى أن الليبرالية في السياق العربي هي عنوان اصطلح عليه في الفكر العربي الحديث على طريقة ما في التفكير وليس على مجرد الانتماء السياسي، وهي طريقة في التفكير تنطبق ملامحها تمام التطابق على فكر أولئك الوسطيين أو التوفيقيين - وبالأحرى التلفيقيين - الذين يتحدث عنهم الكاتب.

ومن هنا فإنه ليس ثمة تصنيف متسرع للنص أو للمتحاور مع الآخر كما ادَّعى الكاتب - بل ثمة قراءة تنشغل جوهريًا بالأبنية العميقة التي تنظم التفكير وتوجه مساره ولا تقف عند حدود المعلن أو المصرح به في النص.

علي مبروك - كلية الآداب قسم فلسفة

جامعة القاهرة

الأهرام ٩٢/١/١٧

المقال الخامس

العقل العربي والحوار مع الآخر

في إطار قضية العقل العربي والحوار مع الآخر، أود أن ألقي الضوء على قضية عامة مهمة للغاية وهي الخاصة بضرورة الالتزام بقواعد وشروط «التحاور الجدالي» والدافع لإثارة هذا الموضوع هو تلك الانتهاكات الصارخة الواضحة التي يمارسها الكثيرون في حواراتهم مع الآخرين في واقعنا الثقافي. ولأن هذا الأمر له سياق تفصيلي آخر لا يسمح به حيز المساحة هنا، أود فقط أن ألقي بالضوء على بعض السلبيات التي تشكل انتهاكًا رئيسيًا لهذه «الشروط». ويمثل التعليقان اللذان أرسل بهما الأخ علي مبروك بتاريخي (١٨/١١/٩١)، (١٧/١/٩٢) إلى هذه الصفحة - التي تتبنى مشكورة هذا التحاور الذي نرجو أن يكون بناءً ومثمرًا في النهاية إن شاء الله تعالى - .. تمثل التعليقات مادة خصبة لإلقاء الضوء على هذه السلبيات الشائعة (الصارخة) وبأمثلة محددة. فبالإضافة إلى ما أوردناه في تعليقنا بتاريخ (٦/١٢/٩١) نلقي بالضوء على الآتي:

١- حوارات تحميل النص ما ليس به والاجتراء على إخراج الكلام عن سياقه (في وضح النهار)!!

في إطار تحليلنا لهذه الظاهرة تناولنا وبقدر من التفصيل نمط «التأطير» FRAMING بنوعيه اللاشعوري والمتعمد طبقًا لما نبهت إليه العديد من الدراسات في علم اللغويات الاجتماعي على نفس هذه الصفحة بتاريخ ٤/١/٩١، وكان ذلك في معرض تحليلنا

لتفاعلات أزمة الخليج والأزمة الثقافية المزمنة التي لا نزال نعيش لحظاتها ولكن لدينا الآن ما نضيفه من صور أخرى لهذه الظاهرة وهي جديرة بالدراسة والتأمل.. ولتوضيح ذلك نقول إن لدى الأخ المعلق ما يقوله عن:

«محاولة البعض رفع ورقة الحوار مع الآخر المغاير لستر عورة العجز والإفلاس في مواجهة الحوار ذاته، وعن هؤلاء الذين حين «ينجـرون» إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة.. فإنهم لا يفعلون شيئا إلا أن يمارسوا «التفكير» بمفردات ناعمة... وعن تنازل البعض إلى حد التفريط باسم الحوار مع الآخر الخارجي والتسلط لحد القمع مع المواطنين في الداخل...» إلى غير ذلك من هذه الممارسات التي أقل ما توصف به أنها غير أخلاقية ومتدنية ويدينها أي عقل سَويٍّ يسعى للتنمية الثقافية الحقيقية في وطننا العربي.. وعند هذا الحد نقول إنه لمن المرجح إذن أن الأخ المعلق يريد أن ينتقد كل هذه الصور المتدنية وغير الأخلاقية، الأمر الذي يشكر عليه – كذلك إذ أوضح المعلق في تعليقه الأخير بعض النقاط التي لم تكن واضحة في تعليقه الأسبق – فهذا هو الهدف من التحاور الإيجابي وهذا يُشكر عليه أيضًا.. ولكن أن يربط هذا المعلق بين كل هذه الصور السلبية للغاية وبين ما ورد في مقالي كما هو واضح ومباشر في تعليقه، فهذا هو ما يجسد بجلاء ظاهرة من أسوأ ظواهر التفاعل الشخصاني وهي ظاهرة تحميل النص ما ليس به من قريب أو بعيد والمصحوبة بإخراج الكلام عن سياقه بطريقة مُتعسفة – .. فهنا يقوم المتحاور – كما فعل المعلق – بالادعاء (بكل الذاتية) ما يُفيد بأنه قد أحاط نفسه علمًا بعناصر السياق التي «تثبت» ما ذهب

إليه من مقولات «تهجمية» وهنا يمعن هذا المعلق في التمويه على ذلك «الفاول الحواري» الذي ارتكبه ويذكر شيئا علميًا نتفق معه فيه جدًا وهو «إن سياق الخطاب - وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب - يتكفل بالكشف عن القصد الأصيل للكاتب»... إلا أن السياق الذي يتوهمه هذا المعلق ليس بأي حال سياق المقال الذي يُعقب عليه - إن السياق الذي يتحدث عنه هذا المعلق، من المرجح أن يكون سياق الأجندة المسبقة لديه، والتي كان يريد أن يتحين أي فرصة لإظهارها أو إطلاقها بأي أسلوب أو طريقة في وجه الآخرين وهذا ما يسميه علماء اللغة النفسيون (EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDA) (بالقوالب المتفجرة) حيث يبدو أن هناك بالفعل أجندة (قائمة بموضوعات محددة ومسبقة) لنقد أوضاع معينة لدى هذا المعلق، ولكن مع الأسف كانت طريقة هذا المعلق ومنذ بدء تفاعله في هذا الحوار هي التصنيف المتسرع، بل والمتعسف (مرة أخرى) وتحميل النص وإخراج الكلام عن سياقه وبتكثيف للألفاظ الحادة... كم كنت أتمنى أن يعرض الأخ المعلق أي وجهة نظر لديه بطريقة إيجابية وأكاديمية بعيدًا عن هذه الانتهاكات الصارخة لقواعد التحاور الموضوعي وبعيدًا عن سياق «التلفيقيين».. تلك الكلمة التي دأب على استخدامها الأستاذ المعلق في كل من تعليقيه.

٢ - استراتيجيات احتكار الحقيقة في الحوار:

تعتبر استراتجيات احتكار الحقيقة في الحوار التي يوظفها بعض المتحاورين من الأسباب الرئيسية لهيمنة «الخطاب التناحري» على مستوى التيارات كافة في الوطن العربي ويسهل، في سياقنا هذا،

على القارئ المحايد لنص التعليقين لهذا الأخ المعلق أن يجد العديد من صور هذه الاستراتيجيات الحوارية، ويكفي من الأمثلة هنا الإشارة إلى بادئات الحوار مثل «الحق أن» المتكررة في بدء ادعاءات هذا المعلق الرئيسية عند تفنيده لموضوع هو جدالي بطبيعته.. هذا بالإضافة إلى تلك المقولات التقريرية للغاية، والتي أكدها ودعمها المعلق بتكثيف واضح للألفاظ الحادة التي لاحظها الجميع وسجلوا اعتراضهم عليها، ولا داعي لإعطاء أمثلة هنا - ولكن يكفي من خلال خصوصية هذا السياق أن نشير إلى قضية عامة أخرى؛ وهي أن توظيف أسلوب الألفاظ الحادة في عملية التحاور، والتي تحدث كثيرًا في واقعنا الثقافي، يؤدي إلى هبوط مستوى الحوار وعدم التركيز الإيجابي على المشكلات الحقيقية.. والإشكالية هي أنه عندما يبدأ متحاور ما في توظيف هذا الأسلوب يصعب على المتلقي السكوت عليه؛ إذ إن المنطق الثقافي السائد - مع الأسف - هو أن السكوت على الأسلوب الحاد أو تجاهله قد يُفهم في غالبية الأحوال من قبل العقليات التصنيفية المتعسفة، والتي عادة ما توظف هذا الأسلوب في حوارها على أنه انتصار لحُجَجها التي عادة ما تكون مترهلة وانفعالية، إن هذه الظاهرة قد ترجع إلى ما أفرزه نظام التعليم التلقيني، والذي فرض على البعض أن يبدأ التحاور مع الآخرين في قضايا هي جدلية بطبيعتها من منطلق من يقول «أنا أعرف الحقيقة وأقرها وعلى المتلقي أن يسمع ويعي»!!

د. حسن وجيه

الأهرام ١٤/٢/١٩٩٢

خاتمة لدراسة أزمة الخليج ١٩٩٠

كان الهدف من هذه الدراسة الأولية هو الإسهام في صياغة جديدة للغة الحوار السياسي والاجتماعي فما أحوجنا إلى ترسيخ أنماط جديدة في لغة التخاطب على مستوى الوطن العربي. لقد كان الهدف الرئيسي من التعرض بالتحليل لما أسميته «بخطايا الحوار التفاوضي» في وطننا العربي هو محاولة الإسهام في وضع حد لهيمنة هذا «الخطاب» الذي كان ولايزال من «أعرق: معوقات العمل الجماعي فضلاً عن أنه كان من أهم أسباب كوارثنا القومية، والتي كانت كارثة خليج ١٩٩٠ آخرها وأكثرها فداحة وامتدادًا.

إن المعالجة الجذرية لأنماط التفاعل السلبية التي نجدها في حوارنا على المستويين الاجتماعي والسياسي تستلزم التقويم التقني من خلال العملية التعليمية والجهد الإعلامي معًا. إنه وبالرغم من شيوع صور هذه الأنماط السلبية القاتمة فإن ساحة التفاعلات العربية قد أظهرت ملامح واضحة أيضًا من العقلانية والرشد وهو الأمر الذي يجب الإشارة إليه والدعوة إلى تدعيمه ونحن بصدد إرساء أسس موضوعية للحوار يكون من شأنها ضبط المعايير اللازمة لحوار البناء من الداخل وإدارة الصراع بكفاءة في الخارج والله ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان.

الفصل العاشر

خطايا الحوار التفاوضي من أزمة الخليج ١٩٩٠ إلى ملفات أزمة ما قبل ضرب العراق ١٩٩٨

كان ما سبق هو خاتمة تلك الدراسة التي قدمتها في عام ١٩٩١ ويهمنا أن نستكملها في إطار تفاعلات أزمة ١٩٩٨ بالجزء الثالث إلاّ أن من المهم أن نخلص إلى أهم ملامح الخطاب الاجتماعي والإداري والسياسي والإعلامي الذي قمنا بتحليله وهو يعني أساسًا بأهمية الإلمام بأنواع الكلام وخاصة ما يتعلق بإقامة الحجج من منظور علم اللغويات الاجتماعية والسياسية. وهو خطاب لا يزال يوجد بأشكال متعددة في حواراتنا إلى اليوم. وهذا الخطاب بمجمل أنماطه لا يزال يتفاعل مع ملامح خطاب التسلط الذي يعتبر من معوقات عملية إقامة الحجج من أجل الوصول إلى الرأي الأكثر صوابًا بشكل جماعي. ولابد هنا من القول إن التسلط هو المولد الطبيعي للتطرف، والتطرف يؤدي إلى الإرهاب، وهذا الأخير أصبح من أهم الأمور التي ينبغي أن نتصدى لها بكل الحسم من أجل استقرار الوطن والمواطن، ومن أجل التنمية في جميع مناحي حياتنا في عصر يتسم إيقاعه وحركته بالسرعة والتنافس الشديدين.

ولكن ليس من الكافي أبدًا أن نقول إن هذا متسلط أو متطرف، بل من المهم أن نحدد ملامح وفكر ولغة التسلط والتطرف بشكل علمي ومتعمق.. فمثل هذا الجهد يكشف الشكل والحجم الحقيقي لجذور المشكلة الحقيقية التي ينبغي أن نتعامل معها.. وهذا هو الطريق السليم لمحاولة علاجها.. ونحو توصيف دقيق لحجم المشكلة نقول

إننا لا نتعامل هنا مع فئة محددة وقليلة ممن يوظفون أدوات التسلط والتطرف؛ لأن هناك مستويات عديدة للمفهومين، وعلينا أن نوضح في هذه الدراسة كيف تتجسد هذه المستويات التي نمارسها عن وعي أحيانًا، وتمارس بطريقة غير مشعورة وكامنة في أغلب الأحيان، وعلى مستوى ممارسات التيارات الفاعلة المتعددة في واقعنا الثقافي، الأمر الذي يمثل عائقًا للحوار الإيجابي والعمل الجماعي المتكامل والمتنامي.. ولقد تركت جذور التسلط والتطرف لتنمو في حواراتنا اليومية، سواء كان التفاعل سياسيًا أم إداريًا أم اجتماعيًا أم سمه ما تشاء.. الأمر الذي أنتج اليوم حالة من تأزم العمل الجماعي الذي دخل في نطاق تقسيم المجتمع في حالة تفاعلية كثيرة إلى معسكرات وفرق وأحزاب وجماعات؛ حيث شاعت سمات أساليب عديدة تجسد الحوار المتسلط والمتطرف، وأكثرها شيوعًا ظاهرة الانقضاض المتعسف (HASTY FRAMING) في الحوار.

خطاب التسلط وتصنيفات أنواع الكلام : الاقتراب الخاطئ لتحقيق الوحدة العربية

إن هناك دراسات عديدة حاولت تناول مفاهيم التسلط والاستبداد والتطرف من مناظير مختلفة، ولكن لم توجد بعد دراسة تتعامل مع حقائق وممارسات الحوار من منظور ومفاهيم العلوم التمازجية الحديثة مثل اللغويات الاجتماعية SOCIOLINGUISTICS وعلم اللغويات النفسي PSYCHOLINGUISTICS وعلم اللغويات العرقي ETHNOLINGUISTICS واللغويات السياسية POLITICAL LINGUISTICS ومن ثم فهذه الدراسة تسعى إلى تجسيد هذا التوجه.

هنا لابد أولاً من رصد التصنيفات الرئيسية لأنواع الكلام التي يجمع على وجودها خبراء علم اللغويات الاجتماعية والعرقية، بغض النظر عن اللغة التي تستخدم وهي «الوصف DESCRIPTION والعرض EXPOSITION والسرد NARRATION والحجج» ARGUMENTATION و«التناحر» DOG FIGHT DISCOURSE .. ولكن هناك تصنيفين رئيسيين آخرين، هما: «المبدأ التعاوني» COOPERATIVE و«المبدأ التنازعي» ADVERSATIVE PRINCIPLE ويمكننا أن نضيف هنا أن المبدأ التنازعي يمكن أن نقسمه إلى «تنازع تناحري» و«تنازع تعاوني» ولعل من المهم هنا أن نرصد هذه المفاهيم وتعريفاتها الأولية في الجدول التالي، والذي سوف نقوم بالتعليق التوضيحي عليه.

إن الجدول التالي يسمح بتعليقات وتوضيحات عديدة، قمت بتناول بعض منها في سياقات عديدة أخرى. ولكن التعليق على أهم

ما يثيره بخصوص دراستنا هذه هو أن «التسلط» و«التطرف» ومجرة المصطلحات الأخرى التي تندرج في إطارها قد تدخل في إطار مفهومي «التناحر» و«التنازع»، وهما سببا تأزم الموقف العربي وإخفاق المعالجات التي تتم لكثير من قضايانا على الصعيدين الداخلي والخارجي.. فلقد كان هناك خلط كبير في التوجهات.. فكان التوجه إلى الوحدة العربية مثلاً في إطار تصور ما ينبغي وأن يكون فقط في إطار المبدأ التعاوني/ المثالي.. وهو أمر قد يكون واقعيًا في التفاوض الاجتماعي بين صديقين حميمين، أو زوج وزوجة في حالة حب مثلاً، ولكنه ليس كذلك في إدارة «عقول» و«توجهات» التيارات والدول والكثيرين في واقعنا العربي. ولذلك اختلفت أساليب تحقيق الوحدة والتعاون العربي؛ لأن الكثرة كانت تضع في اعتبارها وتمارس توجهاتها في إطار «المبدأ التعاوني المتصور» فقط.. وكانت الأجندات والتصورات في الحقيقة «متنازعة، وكانت تستلزم الوعي بآليات المبدأ التنازعي في الحوار. ولكن ليس المبدأ التنازعي التناحري الذي آلت إليه الأمور بمجرد إخفاق توظيف «المبدأ التعاوني. المشكلة تكمن في أننا لم نتعود ولم نتدرب على شيء واقعي في عالم اليوم، وهو التعامل مع «المبدأ التنازعي التعاوني»؛ فمن يتعامل طبقًا لمعطيات هذا المبدأ فإن عليه أن يقر ويتوقع – ودون اندهاش واستغراب – وجود أجندات مختلفة ومتنازعة، وأن الجهد الإيجابي يكمن في إدارة التنازع بشكل يبعدنا عن التناحر والعمل على إدارة الاختلافات وإدارة الأجندات المختلفة المتنافرة والعمل على تلمس وصنع الأرضيات المشتركة في إدارة الصراع الاجتماعي والسياسي والإداري.

والجدول التالي يوضح أنواع الكلام الرئيسية، ومنها ما يتعلق بالمبدأ التنازعي والتعاوني:

إن التسلط والتطرف ومجرة المصطلحات المتعلقة بهما هما مدار خطاب «التناحر» والتنازع التناحري، ويهمنا هنا أن نرصد أهم ملامح وأنماط الخلل في عمليات إقامة الحجج من واقع التفاعلات التي ذكرناها تفصيلاً على سبيل تقديم صورة كلية لمسمياتها التي أقدمها هنا بالعربية والإنجليزية وهي كما في الجدول التالي:

جدول (٥) : أنواع الكلام والخطابات الرئيسية

أنواع الكلام الرئيسية (DISCOURSE TYPES)	تعريفها
الوصف (DESCRIPTION)	والمقصود وصف الأماكن ـ الأشخاص ـ الأوضاع ـ إلخ.
السرد NARRATION	هو سرد قصة (حكاية) عن المكان ـ الشخص إلخ.
العرض EXPOSITION	هو تقديم الرؤى التحليلية المختلفة بخصوص موضوع أو قضية ما دون التدخل بالرأي الخاص..
الحجج ARGUMENTATION	هو تفنيد الرؤى التحليلية المختلفة بخصوص موضوع ما أو قضية ما، مع تبني وجهة نظر محددة، والدفاع عنها، وإثبات قوتها وتفوق منطقها على وجهات النظر الأخرى المطروحة.
التناحر DOG FIGHT DISCOURSE	هو ممارسة التسلط والاستبداد والدفاع عن وجهة النظر، دون حجج حقيقية تستند إلى العلم والمنطق السليم، ودون الدخول إلى الحوار بمبدأ تبادل الحجج وهو إقامة الحجج مع الأطراف الأخرى وصولاً للحل أو الطريق الأصوب والأصلح للجميع، والذي يتفق ومنطق العدل وإدارة الخلاف بشكل عقلاني.
المبدأ التعاوني في الحوار COOPERATIVE PRINCIPLE	هو ذلك المبدأ الذي يسلكه المتحاورون الذين يريدون إظهار التعاون الحقيقي في الحوار، سعيًا للوصول إلى حلول سريعة، مع مراعاة كل منها للآخر ولأجندته ولظروفه.. وهذا المبدأ يطبق عادة بشكل أتوماتيكي في حالة عدم وجود تنازع كبير بين أجندات المتحاورين / المتفاوضين.
المبدأ التنازعي في الحوار ADVERSATIVE PRINCIPLE	وهذا المبدأ يمكن رؤيته من خلال تصنيفين رئيسيين وهما «المبدأ التنازعي «التناحري» أي التنازع المستمر الذي يدعم التسلط والاستبداد حتى يتم فرض وجهة نظر ما من خلال التنازع والمناورة والحرب والتناحر.. والمبدأ التنازعي / التعاوني، وهو الإقرار بوجود خلاف كبير في وجهات النظر، ولكن دون الانزلاق لحالة التناحر / في الحوار، والعمل الجاد على إدارة الصراع بقدر من التعاون مع الآخرين.

جدول رقم (٦) خطايا الحوار التفاوضي

١ – هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذلك	NON SEQUITUR
٢ – التعميم المتسرع	HASTY GENERALIZATION
٣ – التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره	CAUSE & EFFECT
٤ – الخلل الناتج عن استخدام «عنصر الدحض والتفنيد المسبق»	REBUTTAL
٥ – الإثبات من خلال التكرار (الحجج الأفقية)	PARATAXIS
٦ – تجاهل السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما	IGNORIN THE QUESTION
٧ – خلل الإيحاءات الناتجة من ثنائية المعاني	EQUIVOCATION
٨ – حوارات المباراة الصفرية (التناحرية)	ZERO SUM GAME DISCOURSE
٩ – حوارات التأطير	FRAMING
١٠ – التأطير المتعسف	HASTY FRAMING
١١ – حوارات تضخم الإحساس بالذات	SELF INFLATED EGO
١٢ – حوارات رد الفعل المتأخر	DELAYED REACTION
١٣ – حوارات المؤامرة الكبرى	GNIHCTIDCLAIM CLOUDING OR DITCHING
١٤ – حوارات الصمت والغموض	SILENCE & AMBIGUITY
١٥ – حوارات الإحباط واليأس والحيرة	DISCOUVRSE OF DESPAIRDISCOURSE OF DESPAIR
١٦ – حوارات «جدلية الوسائل» (التسلحف)	TURTLE-LIKE DISCOURSE TURTLE - LIKE

١٧ – حوارات «الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة» FAKE IDEALISM & LOSS OF ACTIVE FORMULA
١٨ – حوارات الإطلاقية في القبول والرفض وحتى «الحل الوسط» ABSOLUTISM
١٩ – حوارات «تبديل المواقف بسرعة وانفعالية حادة» ALTITUDE IRRATIONAL SHIFTING
٢٠ – حوارات «التحفيز الانفعالي» EMOTIONAL ACTIVATION
٢١ – حوارات «الإذعان واستراتيجيات الدونية» DISCOURSE OF COMPLIANCE & INFERIORITY
٢٢ – حوارات «المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب» EXAGGERATED TERMS OF ADDRESS
٢٣ – حوارات «الاستبداد والتسلط» AUTHORITARIAN/ DESPOTIC DISCOURSE
٢٤ – حوارات «الغفران العام» OVERGENERALIZED FORGIVING
٢٥ – حوارات «صور كبش الفداء» SCAPE-GOAT DISCOURSE
٢٦ – حوارات خلط الأوراق / القضايا MIXING OF ISSUES / CARDS
٢٧ – حوارات «سوء استخدام سلطة النص» MISUSE OF THE POWER OF THE HOLY TEXT
٢٨ – حوارات «غيبوبة الماضي» PAST COMA DISCOURSE
٢٩ – حوارات «القوالب الذهنية المتفجرة» «القوالب الذهنية الإستاتيكية» "EXPLOOSIVE SCHEMATIC AGENDA" SATIC/ PRESET SCHEMTIC

خواص الحجج

نختم هذا الجزء بالقول إن الحجج تتسم بما يلي :

١ – أن لها أصولاً علمية ينبغي الأخذ بها...

٢ – أنها نسبية؛ أي أننا نصل إلى أفضل حجة ممكنة مع قياسها بالواقع المعيش...

٣ – أنها جماعية حيث إن الوصول لأفضل الحجج يستدعي تبادل الآراء المختلفة بخصوص قضية جدالية بطبيعتها؛ أي أنها ترسخ من فكرة العمل الجماعي إذا ما سرنا طبقًا لقواعدها الأصيلة، فهي تستدعي الدخول إلى المناقشة بروح الوصول إلى الأصوب والأفضل وليس الدخول في النقاش بمنطلق أحادي التوجه من أجل إثبات وجهة النظر هذه أو تلك فقط من باب أنها مجرد وجهة نظرنا...

٤ – أنها قاصرة: أي أنها تسعى للوصول إلى ما هو أصوب وأفضل وليست للوصول إلى الكمال؛ لأن الكمال لله سبحانه وتعالى فقط..

ونحن بشر نتعلم من لدن الله سبحانه وتعالى علمًا. يقول الحق عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

صدق الله العظيم، والله ولي التوفيق.

نختتم هذا الجزء بالقول إنه يتعين علينا العمل على إتقان عملية إقامة الحجج والتزود التقني من أجل ذلك الغرض – وهو ما

تسعى إليه هذه الدراسة - فهذا لمن الأمور الحيوية للوصول إلى أصوب القرارات وللعمل بروح الفريق الواحد، وعلينا أن ندرك أن فكرة الحجة هي فكرة إقناع نسبي حيث إننا نصل من خلال تبادل الحجج - طبقًا للأصول العلمية - إلى أفضل الحجج.. إذن هي تحتاج بطبيعتها إلى عمل جماعي وليس أحاديًا.

المراجع العربية للجزء الثاني للدراسة

أولاً : الكتب والدوريات والندوات :

- ابن الجوزي : «أخبار الأذكياء» تحقيق محمد مرسي الخولي مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٩.
- ابن خلدون، «الشفاء السائل لتهذيب المسائل» تحقيق أغناطيوس عبد خليفة اليسوعي، بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٦.
- أبو سنة : «فلسفة المثل الشعبي» وزارة الثقافة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر أول مارس ١٩٦٨.
- أبو العدوس، يوسف: ندوة «طه حسين ومستقبل الثقافة العربية» بحث بعنوان «إشكالية الثقافة العربية المعاصرة ومشروع طه حسين – رؤية عامة –» جامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٨٩.
- الأميري، عمر بهاء الدين «الحوار نافذة من نور المسلم المعاصر» ربيع الآخر ١٣٩٥، أبريل ١٩٧٥.
- الجابري، محمد عابد: «الخطاب العربي المعاصر ...» دراسة تحليلية نقدية دار الطليعة – بيروت – الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٨٥.
- الجابري، محمد عابد: «بنية العقل العربي» دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٦).
- الجابري، محمد عابد: «العقل السياسي العربي». مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠.
- السيد يسين ومجموعة الباحثين: «تحليل مضمون الفكر القومي العربي» مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢.
- السيد يسين: «التحليل الثقافي في أزمة الخليج» «مجلة المستقبل العربي» – مركز دراسات الوحدة العربية ٦/١٩٩١.
- السيد يسين: «خطاب الأزمة وأزمة الخطاب المأزق العربي» منتدى الفكر العربي مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الأهرام القاهرة ١٩٨٦.
- أيوب، حسن: «السلوك الاجتماعي في الإسلام». دار التراث العربي، القاهرة ١٩٨٧.

- برهان، غليون: اغتيال العقل العربي، محنة الثقافة العربية السلفية والتبعية، بيروت: دار التنوير ١٩٨٥.
- بدران، ودوده البحث الأمبريقي في الدراسات السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة ١٩٩١.
- حنفي، حسن: «قراءة النص» الهرمينوطيقا والتأويل، مجلة ألف العدد الثامن ١٩٨٨.
- حسن – وجيه، حسن: «الإدراك اللغوي وقضية التنمية» مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا العدد ١٤، العام الرابع، أكتوبر ١٩٨٤.
- حسن – وجيه «رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر» مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا، ديسمبر ١٩٨٦.
- حسن – وجيه، حسن: «مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي» المجلة العربية للدراسات الدولية العدد الأول خريف ١٩٨٧، الجمعية العربية للدراسات الدولية بواشنطن د. س.
- حسن – وجيه، حسن «البحث الأمبريقي في الدراسات السياسية» تحرير د. ودوده بدران – مركز البحوث – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩١.
- جابر العلواني، طه: «أدب الاختلاف في الإسلام»، المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندون – فيرجينيا ١٩٨٧.
- قاسم، سيزا: «توالد النصوص وإشباع الدلالة»: تطبيق على تفسير القرار الهرمينوطيقا والتأويل مجلة ألف العدد الثامن ربيع ١٩٨٨.
- شرابي، هشام «البنية البطركية»: بحث في المجتمع العربي المعاصر دار الطليعة بيروت ١٩٨٧ (ولقد صدر نفس الكتاب بالإنجليزية) – الناشر مطبعة جامعة أكسفورد – نيويورك ١٩٨٨.
- شرابي، هشام: «مقدمات لدراسة المجتمع العربي»، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١.
- محمد، عبد العليم: «الخطاب الساداتي»، كتاب الأهالي رقم ٢٧ القاهرة ١٩٩٠.
- نصر، مارلين: «التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر» (١٩٥٢ – ١٩٧٠) دراسة في علم المفردات والدلالة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨١.

ثانيا : المقالات الصحفية :

- إبراهيم نافع، «محاولة فهم الغموض الأردني» الأهرام ٣٠/٨/٩٠.
- أحمد نافع «قبل ضياع الفرصة» الأهرام ٢٦/٨/١٩٩٠.
- إحسان بكر «قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة» الأهرام ١٤/٨/٩٠.
- إحسان بكر «ثمن الصمت..» الأهرام ١٨/٤/٩٠.
- السيد يسين، «المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج» الأهرام ٨/٣/٩١.
- إسماعيل صبري، «أكاذيب صدام» الأهرام ٢٠/٨/١٩٩٠.
- أنيس منصور، «مواقف» الأهرام ١٨/١٢/٩١.
- ثروت أباظة «أقتل وبهتان؟!» ٢٧/١/١٩٩٢.
- جمال بدوي، «لغز الملك حسين» الوفد ٢٨/٨/٩٠.
- حسن حنفي، «خطاب للأجيال القادمة» الأهرام – الحوار القومي – ٧/١١/٩٠.
- حسن – وجيه «المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة» الأهرام ١٣/٨/٩٠.
- حسن – وجيه، «المحنة القومية وملف قضية لغة التخاطب» الأهرام الدولي ١/١٠/٩٠.
- حسن – وجيه، «الفكر العربي الحديث ومشكلة لغة التخاطب العلمي» الأهرام ١٦/١١/٩٠.
- حسن – وجيه، «التفاوض اليومي في المجتمع العربي» الأهرام ١٤/١٢/٩٠.
- حسن – وجيه، «التغيير والحوار التفاوضي في العالم العربي» الأهرام ٣/١/١٩٩١.
- حسن – وجيه، «العقل العربي والحوار مع الآخر» الأهرام ١٥/١٠/١٩٩١.
- حسن – وجيه، «العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ٦/١٢/١٩٩١.
- حسن – وجيه، «العقل العربي والحوار مع الآخر» الأهرام ١٤/٢/١٩٩٢.
- حسن – وجيه، «أحداث موسكو وأنماط من التفاوض العربي» الأهرام ٣/٩/٩١.
- حسن – وجيه، «ديمقراطية التعليم ولغة الحوار» الأهرام الاقتصادي ٤/١١/١٩٩١.

– حسن – وجيه، حسن «على الغرب أن يحذر الفخ الذي ينصبه رشدي: الجدال الدائر حول «الآيات الشيطانية» تجاهل أسس الحوار الفكري الإسلامي» ترجمة من الإنجليزية لمقال نشرته جريدة الهويا الصادرة عن جامعة جورج تاون واشنطن د. س بتاريخ ١٩٨٧/٢/٢٨.

– خالد محمد خالد، «ليست المشكلة في وجود القوات الدولية. بل الكارثة في غيابها» الأخبار ٩٠/٨/١٢.

– رجب البنا «عرب ١٩٩٢» الأهرام ٩١/١٢/٢٢.

– زكريا نيل، «لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية» الأهرام ٩٠/٩/٨.

- زكريا نيل، «الرموز الغامضة في لعبة الانكسار العربي» الأهرام ١٩٩٠/٨/١.

– سعد الدين إبراهيم، «مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية» الأهرام ٩٠/٨/١٦.

– سعيد سنبل، «خلط الأوراق» الأخبار ٩١/١/٢٩.

– سعيد سنبل «الأزمة والصمت» الأخبار ٩٠/٩/٤.

– سلامة أحمد سلامة، «الحجج الأردنية» الأهرام ٩٠/٩/١٧.

– سناء أبو الفتح، «أزمة وتحدي» الأخبار ٩١/١/٢١.

– عبد المنعم سعيد، «لماذا لا نفوز بكأس العالم؟!» الأهرام ٩٠/١/١٩.

– عبد الوهاب المسيري، «هل صدام هو الذي ربط بين الغرب وإسرائيل؟» الشعب ٩١/١/٢٩.

– فهمي هويدي، «خطاب الخروج من المأزق» الأهرام ٩١/١/٨.

– فهمي هويدي، «خطاب في الكفر والظلم» الأهرام ٩١/١١/٢٣.

– فيليب جلاب، «عن الغزو والحرب والتواطؤ» الأهرام ٩١/٣/١٤.

– لطفي الخولي، «حرب اللاحرب» الأهرام ٩٠/١٢/٢٧.

– محمد عابد الجابري، «كلام.. الآن فقط أصبح له معنى». جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية ٩١/١/٢٧.

– محمد أبو علم، «جهنم بعده لن تطلب المزيد» الأخبار ٩١/٢/٢٠.

- مراد الدسوقي، «حرب الكلمات وكلمات الحرب» الأهرام ١٦/١١/٩٠.
- مرسي عطا الله «سياسة الهروب من المواجهة ليست في مصلحة العرب» الأهرام ٦/٢/١٩٩٢.
- وجيه أبو ذكري، «إلى زعيم العالم الجديد: رفقًا برعاياك» الأخبار ١٣/١٢/٩١.

***

(المراجع الأجنبية)

1 BOOKS

Aly, Abdul Moneim Said, "The United States And The October 1973 Middle East Crisis" A Dissertation, University Of Illinois, Chicago, December 1982.

Aron, Raymond, Peace & War; A Theory Of International Relations, Doubleday: Garden City - N. Y. 1966.

Ausubel, D., Educational Psychology. A cognitive view, N. Y 1968.

Barber-James, Presidential Character, Predicting Performance In The White House, Prentice- Hall Inc. N. J. 1985.

Bateson, Gregroy, Steps To An Ecology Of Mind, Ballentine: N. Y. , 1972.

Becker, A. L. Text-Building, Epistemology & Athletics In Javanese ShadowTheater. In: The Imagination Of Reality Edited By A. L. Becker & Aram. Yengoyan Norwood, N. J. Ablex, 211-243, 1979.

Bolinger, Dwight, Pronouns In Discourse & Syntax, Edited By Talmy Givon New York; Academic Press 289-309, 1979.

Berlson, B. Content, B. Content Analysis In Communication Research, Free Press N. Y. 1952.

Brown Carl International Politics & The Middle East,, Princeton University Press 1984.

Brown, Gillian & Yule, George, Discourse Analysis Cambridge University Press: Cambridge, 1983.

Caldwell, Dan, Duke Press Policy Studies Durham, N. C. 1983.

Coulthard, Malcolm 257-276 An Introduction To Discourse Analysis. London "Longmans, 1977.

Chomsky. Noam, Aspects Of The Theory Of Syntax. The Mi. T Press, 1965.

.................., Language & Mind, Harcourt, Brace & World Inc., 1968.

Dittmar, Norber. A Critical Server Of Sociolinguistics: Theory And Application. Translated From German By Seter, S. And Peter, Et Al., Nortin,S Press: No Y.. 1976

Dubois, F. Edellive Et Al A General Rhetoric Translated By Pone B. Rurell & Edger M. Slotken, John Hopkings 1981.

Duetsch, Karl W. Nationalism And Social Communication: An Inquiry Into Foundations Of Nationality, 2nd Ed. At: Cambridge. Ma. : 1966.

.... The Analysis Of International Relations, Prentice- Hall, Inc. N. J. 1978.

Edelman, M. Political Language: Words That Succeed And Politics That Fail. Academic Press: N. Y. 1874.

Edelman, M. Political Language & Political Reality P. S., 1985.

Edelman, M. Politics As Symbolic Action. Academic Press, N. Y., 1971.

Fowier, Roger Et Al Language & Control. Rutledge & Kegan Paul Ltd,. London, Boston. 1979.

Frazer Noill M. & Hipel, H. Conflict Analysis: Models & Resolutions North & Holland. New York, 1984.

Goffman, Erving. Strategic Interaction, University Pennsylvania Press, 1969.

Grice, H.P. "Presupposition & Conversational Implicature:, In Cole, S Ed. 1981.

Gumperz John "Sociocultural Knowledge In Conversational Inference". From Muriel Seville- Troike, Ed. Gurt G. U. Press, Washington D . C., 1977.

Gumperz John, Social Setting Of Linguistic Behavior, In Slobin. 1967.

Gumperz John, "Thematic Structure & Progression In Discourse In Language And Social Identity, Cambridge University Press, Inc, London, 1982.

Habeeb, M. William. Power & Tactics In International Negotiation, The Johns Hopking University Press: Baltimore Mary Land, 1988.

Hassan, Wageih, H. "Linguistic Analysis Of Mechanisms Underlying Power In International Political Negotiations "A Dissertation, Georgetown University, Washington D . C . 1989.

Heider John, The Tao Of Leadership: Leadership Strategies For A New Age, Bantam Books, N. Y., 1985.

Holste, K. J., International Politics: A Framework For Analysis, (1st Edition, 1966) Prentice Hall: New Jersey, 1988 Edition.

Hymes, Dell. "Verse Analysis Of A Wasco Text: "Heram Smith' S At' Unaqa; Ijal 46. 650-77. 1980.

Ikle, F. How Nations Negotiate, Institute For Diplomacy Washington D. C. 1988.

Institute For The Study Of Diplomacy Of Georgetown University U. N. Security Council Resolution 242: A Case Study In Diplomatic Ambiguity, Washington D. C., 1985.

Labov, William, Sociolinguistic Patterns; University Of Pennsylvania Press, And Oxford: Blackwell, 1972.

Labov, W and Fanshel, D. Therapeutic Discourse, N. Y. Academic Press 1977.

Lado, R. Linguistics Across Cultures, Ann. Arbor, Mich. 1957.

How To Test Cross - Cultural Understanding In R . Lado,, Language Testing. London: Longmans, Green, 1961.

N . Y. Mc Gran - Llill 1964, Pp. 275 - 89.

Laffin, John, The Arab Mind Considered: A Plea For Understanding, N . Y . Japlinger 1975.

Lanne- Poole, Stanley, Saladin And The Fall Of The Kingdom Of Jerusalem G. P. Putnam,S Sons.N. Y., 1978.

Lasswell, Harold, "The Language Of Power" In Language Of Politics; Studies In Quantitative Semantics (H . D . Lasswell & N. Listes), George Stewart Publisher, Inc., : New York 1949.

Lyons, John Language And Linguistics, Cambridge University Press 1981.

Mallery, .C. "Computing Strategic Language: Natural Language Models Of Belief & Intention", Meeting Of The International Political Association. Washington D. C. 1978.

Nicolson Harold, Diplomacy, Institute For The Study Of Diplomacy, Georgetown University, Washington D . C. 1988 (Ed.)

Jespersen , Oho L , Language Its Nature, Development And Origin London: Allen & Nmwin, 1922.

Patai, Raphael, The Arab Mind, Charles Scribner's Sons, N . Y., 1983.

Quand William, Decade Of Decisions, American Policy Toward The Arab Israeli Conflict, 1957 - 1976, University Of California Press: Los Angeles, 1977.

Radford, K. J. Complex Decision Problems, Reston Publishing Company, Reston, Va, 1977.

Rorty, Richard; The Linguistic Turn: Recent Essays In Chicago, 1967.

Rieke, R And Malcolm Sillars Argumentation And The Decision Making Process Scott, Foresman And The Company Glenviem, Illinois 1984.

Samarin, Willam J . Language In Religious practice. Rowley Mass: New Bury House. 1976.

Seville- Troika, Muriel 1985: "The Place Of Silence In An Integrated Theory Of Communication In Deborah Tannen & Muriel Seville - Troike (Eds.) , Perspective On Silence, Ablex: Norwood, N. J. 1985.

Shapiro, M . J. : Language & Political Understanding. Yale University Press, 1981.

Shuy, Roger 1981 " Topic As The Unit Of Analysis In A Criminal Law Case' In DT. (Ed) Gurt Washington D . C .

Shuy, Roger. "Conventional Power In Fbi Covert Tape Recordings, In Leah Keadar, Eds., 1987.

Snyder, Glenn. And Diesing, Paul. Conflicts Among Nations: Bargaining, Decision Making And System Structure In International Crisis, Princeton University Press: N . J . 1977.

Stubbs, Meichael. Discourse Analysis : The Sociolinguistics Analysis Of Natural Language, The University Of Chicago Press: Chicago, Il, 1983.

Tannen. Deborah & Muriel Seville- Troike, Eds. Perspective, On Silence, Ablex Norwood, N. J., 1985.

Tannen, Deborah, That Is Not What I Meant. William Morrow & Co. Inc., N. Y. 1986.

Tannen, Deborah The Pragmatics On Cross- Cultural Communication, Applied Linguistics, Vol., 5, No.3, 1984.

Weinstein: Brian: The Civic Tongue: Political Consequence Of Language Choices, Longman, London, 1983.

Yassin, El Sayed "In Search Of A New Identity Of The Social Sciences In The Arab World: Discourse, Paradigm, And Strategy In The Next Arab Decade: Alternative Futures, Ed. By H. Sharabi (English Version), West View Press: Colorado, 1988 (Arabic Version Issued In 1986).

Young, O. R. The Intermediaries: Third Parties In International Crisis, Princeton University Press: Princeton, 1967. Periods Cals.

Periodicals

Azar, Edward, "The Conflict & Peace Data Bank (COPAB) Project, Journal Of Conflict Resolution, Vol. 24, No. I, March, Pp. 143-52, 1980.

Bate Walter, J. "The Crisis Of English Studies, In Harvard Magazine, Sep, - Oct. 1982, Pp. 46-53.

Becker, A . L "The Linguistics Of Particularly" , BLS 10. 1984.

Bell, David, "International Negotiations and Political Linguistics"

Unpublished Paper, York University, Political Science Rept. Ontario, Canada, 1988.

Caika, E., 1974, " A Linguist Looks At Schizophrenic Language;, Brain & Language, Vol. 1 Pp.

Cicourel, Aron V. : "Discourse & Text: Cognitive & Linguistic Process In Studies Of Socio Structure" Versus 12.33-84, 1975.

Dubby, G And J . C . Mallery "Relates And Artificial Intelligence Tool For Natural Language Modeling. "Prayer Presented At The 1986 Meeting Of The International Studies Association, Anaheim, March, 1986.

Eco, Umberto. Dr. Eligia, Dolbuox Dessman (An Interview) In Fraser Bruce " Disputing: The Challenge Of Adversative Discourse To The Cooperative Principle" In Tonic & Shuy Eds, 1987.

Hassan - Wageih , H "Going Beyond Notional Functional Syllabuses" SECOL Review Vol. X1 # 1987.

Hassan - Wageih, H. "The West Must Beware Rushdie's Trap": Controversy Over "Satanic Verses Ignores Islamic Intellectual.

Tradition The Hoya . Georgetown University Feb . 28. 1989.

Hassan - Wageih, H "Towards A Field Of Political Linguistics:

Implication For Creativity In EFL Classes CDELT., Ain Shams University 1991.

Johnston, Barbara, "Parataxis In Arabic ; Modifications A Model For Persuasion", An Unpublished Paper, Georgetown University, 1985.

Koch, Barbara Johnston, "Presentation As Proof: The Language Of Arabic Rhetoric", In Anthropological Linguistics, 251 : 47 - 60, Spring, 1983.

Mallery, . C. "Computing Strategic Language; Natural Language Models Of Belief & Intention", Meeting Of The International Political Association. Washington D. C. 1987.

Mallery, J . & G.Kuffy " A Computational Model Of Semantic Perception Al Mino, No. 977, Artificial Intelligence Laboratory, MI Cambridge, 1988.

Mandler . J . M And Jonson , N . S . "Remembrance Of Things Person : Story Structure & Recall Cognitive Psychology 111 - 51 1977.

Mastubara, Nozzomu, Conflict And Limits Of Power, XIVth World Congress Of International Political Science Association, 1988.

Mehan, Hugh, "Social Constructivism In Psychology And Sociology. Sociologic Et Societies Inc. 277 - 96 1982.

Newsweek , Aug. 12 1990

.... Aug . 20 1991.

Onuf , Nicholas " After International Relations: The Constitution Of Disciplines And Their Worlds", A paper Presented At American Political Science Association, Chicago, Illinois, Sep. 1987.

Shuy, Roger 1981 "Topic As The Unit Of Analysis In A Criminal Law Case" In DT. (ed) Gurt Washington D. C.

..............., " Conversational Power In Fbi Court Tapes Recordings, In Leah Kedar, Eds., 1987.

..............., "Indirectness In Discourse, Ethnicity As Conversational Style, Discourse Processes, 1981.

Ting - Toomy, S. "Toward A Theory Of Conflict And Culture Intercultural Communication Annual 9, Pp. 71 - 86, 1985.

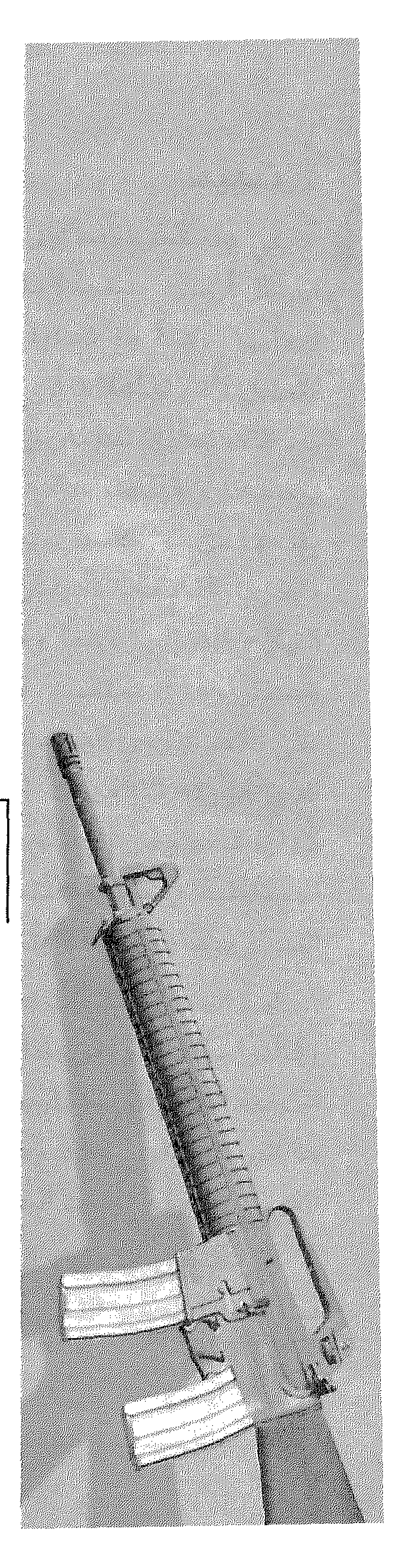
Widdowson, H. "Notional - Functional Syllabuses" Part lv" In Exploration In Applied Linguistics, London 1979.

الجزء الثالث

تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٨م
(أزمة ما قبل قرار غزو العراق)

بين إدارة التوابع
وإدارة غموض ذلك السيناريو
الآسيوي النووي المستجد!

[إطلالة أخرى على أنماط الحوار التفاوضي]



تمهيد

في هذا الجزء نستكمل رصد الخطاب الذي تناولناه مسبقًا ولكن في ظل أزمات مستجدة مثل أزمة خليج ١٩٩٨ وتقديم تصور لإدارة تبعاتها، وهذا ما نحاوله من خلال الفصل الحادي عشر بعنوان «تحليل لأهم تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨ وإدارة توابعها..» ... ثم نقدم بعد ذلك تحليلاً لسيناريوهات مستقبلية مطروحة على الساحة لمن يرصدها ويقيمها، خاصة أن واحدًا من هذه السيناريوهات التي يقدمها كل من كاسبر وينبرجر وبيتر شويتزر فى كتابيهما بعنوان «الحرب القادمة» «سيناريو نووي»... أي يدخل فيه بعد استخدام السلاح النووي.. وهنا وفي إطار هذا الفصل (الثاني عشر) بعنوان «سيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي / الشرق الأوسط: إطلالة على البعد النووي المستجد»، نتعرض إلى ذلك البعد النووي المستجد الذي فجَّرته التفجيرات النووية الهندية والباكستانية في محاولة لإدارة الغموض بخصوص هذا البعد في رصدنا للسيناريوهات المستقبلية ومحاولة التدخل الإيجابي فيها من أجل تفعيل أفضل السيناريوهات المتفقة وأجندتنا الاستراتيجية.

أما الفصل الثالث عشر وهو الفصل الأخير بهذا الجزء الثالث وبالدراسة فنقدم من خلاله تقييمًا لواحد من أهم السيناريوهات الكونية المعروف بسيناريو «صراع الحضارات» ليس فقط على صعيد ما أثير في الغرب بخصوصه، ولكن نحلله كذلك على مستوى التلقي العربي وطبيعة ملفات الحوار التي فتحت له في واقعنا العربي..

ونربط بين التحليل المقدم وما ينبغي أن نقوم به على صعيد دبلوماسية المسار الثاني في إطار مثل هذه السيناريوهات.

* * *

الفصل الحادي عشر

تحليل لأهم تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٨ وإدارة توابعها

أولاً : بُعد التفاعلات العربية - العربية :

إذا كان هناك عدة مستويات لدراسة تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٨ فإن من أهم هذه المستويات هو بعد التفاعلات العربية – العربية أساسًا لأنه إذا نجحنا في إدارتها تمكنا من إدارة علاقتنا بالآخر على المستوى الدولي على نحو أفضل بكثير.. ولذا كان من المهم أن نحلل هذه التفاعلات أولاً على سبيل استكمال رصد الأنماط التي ذكرتها في دراستي لتحليل تفاعلات أزمة خليج ١٩٩١، والتي قمت بإعادة نشرها في القسم الأول من هذا الجزء الثاني. وفي إطار هذا التحليل نرصد عشرات الملفات في الواقع العربي بشأن الكثير من القضايا التي لا تزال تجسد الأنماط والظواهر السلبية في الحوار «اللاتفاوضي» ولقد رصدت منها الكثير، وفي إطار هذا الكتاب رصدنا ملامح من التفاعلات حول ما سُمي بمبادرة كوينهاجن في القسم الأول من الكتاب، أما فيما يتعلق بأنماط التفاعل حول أزمة خليج ١٩٩٨ فأرصد هنا البابين التاليين تحت عنواني «الحكمة والإذعان في العقل العربي» و«نظرية العقرب والضفدع في الخليج العربي».

«الحكمة» و«الإذعان» في العقل العربي وفي «الوجدان الإنساني»

أثارت تفاعلات ما سُمِّي بالأزمة «العـراقـية الأمـريكـية» تـارة أو «أزمة العراق مع الأمم المتحدة» تارة أخرى ضمن ما أثارت من الكثير من الأمور مناقشة لمفهومي «الحكمة» و«الإذعان». وربما أكثر تلك

التفاعلات التي ركزت بشكل غير مباشر على المفهومين مقال الأمير خالد بن سلطان في الحياة بتاريخ ٩٨/٣/٢٥ حيث يشير من خلاله إلى مشكلة الرعونة – المألوفة مع الأسف – وجلب الأزمات من قبل البعض في الوقت الذي تخدم مثل هذه الأزمات كل الأعداء والخصوم والمشكل أن الإذعان يكون نتيجة مثل هذه الأزمات كما حدث ورأينا.. ولقد كان من الأمور الصعبة في هذه الأزمة هو أن نُفوِّت على من اصطنع الأزمة وعلى من يتربص بالمنطقة الفرصة، وكان علينا نزع فتيلها، ولعل من التفاعلات التي تلقي الضوء على المفهومين في وقت إدارة تلك الأزمة ما دار من حوار بين الزميل. د. محمد السيد سعيد بمركز الدراسات بالأهرام ونائب رئيس الوزراء العراقي أ. طارق عزيز في إحدى الفضائيات العربية. وبالرغم من وجود اختلاف كبير بين وجهتي نظر المتحدثين فإن نوعية هذا الحوار لتعتبر من ملامح التفاعل الإيجابية التي أفرزتها الأزمة. فبالرغم من فشل الحوار في ذات البرنامج بين أ. طارق عزيز وأحد الصحفيين؛ لأن الصحفي لم يكن موفقاً في استخدام الألفاظ الحريصة والإيجابية للاستفادة من فرصة مثل ذلك الحوار أثناء لحظات صعبة في الأزمة، مما دعا طارق عزيز لإنهاء الحوار معه بسبب ما رآه من عدم لباقة في لغة الحوار، إلاّ أن حوار د. محمد السيد سعيد وطارق عزيز قد نجح بالرغم من الاختلاف الكبير بين وجهتي نظر المتحدثين على مدى فترة الحوار خاصة بخصوص ما ورد في فهمهما لمفهومي «الحكمة» و«الإذعان». وقبل أن يكون هذا الحوار نقطة انطلاق للاسترسال في قراءة أقدمها لتفاعلات العقل العربي أثناء هذه الأزمة أود أن أقول إن حوار د. محمد وأ. طارق عزيز ينتمي إلى سجل الحكمة في تفاعلات العقل العربي في هذه الأزمة وذلك لعدة أسباب موضوعية منها:

أن كلا الطرفين كان واضحًا للغاية في نقل وجهة نظره المخالفة للآخر دون اللجوء لما هو معتاد في حقل التفاعلات العربية من حيث توظيف الأساليب الحادة تارة أو على النقيض توظيف مفهوم «التشحيم الاجتماعي» SOCIAL LUBRICATION الذي يتخطى مفهوم اللباقة إلى مفهوم الخوف من مواجهة الطرف الآخر بوجهة النظر المخالفة تمامًا فيتم تخفيفها – عادة – بما يسميه خبراء علم اللغة الاجتماعي بآليات «تنعيم الحوار» DISCOURSE SOFTENERS، وهو الأمر الذي تكاد تنعدم بسببه المصارحة والمواجهة الإيجابية عادة في واقع تفاعلاتنا. فتختفي أو تهرب المعالجة الواضحة والمحددة لجوهر المشكلة التي يتعين معالجتها على الفور، ولقد كان من إيجابيات هذا الحوار أيضًا هو أن الطرفين قد أظهرا قدرًا من احترام كل منهما لشخص الآخر، وبذلك استطاعا أن يجسدا مبدأ مهمًا من مبادئ التفاوض الفعال يقول: «احترم شخص المفاوض الآخر وهاجم عناصر المشكلة أساسًا من أجل حلها ووقف تفاقمها». (ATTACK PROBLEMS NOT PERSONS)

ولا أريد الخوض هنا فيما أسفر عنه ذلك النقاش بخصوص مفهومي «الحكمة» و«الإذعان» بل أريد أن أقول باختصار إنه لمن الحكمة أن يتجنب المفاوض في السياق الاجتماعي والإداري والسياسي كل ما يؤسس لسياق يُخرج الأمور من يده، فعندما نرتكب خطأ واضحًا، فلابد من الاعتراف به وتحمل تبعاته، خاصة إذا كان الهروب من تلك التبعات يزيد الأمور سوءًا وخرابًا على الجميع.. المشكلة تكمن أحيانًا في الاستغراق في المسميات فنريد أن نستخدم مثلاً كلمة تنفيذ القرارات بدلاً من الإذعان للقرارات وفي نفس الوقت

ينبغي أن «نفوت» ما نسمعه عن «الانتصارات» في «أم المعارك الثانية»!! المشكلة هنا هي الاستغراق في تنعيم المفردات تارة أو إطلاق الأكاذيب تارة أخرى.

والمشكلة أيضًا تكمن في تلك الاحتقانات المتعددة المستويات في واقعنا العربي فكما نفهم مما جاء بمقال للأمير خالد بن سلطان في الحياة (٩٨/٣/٢٥) أن قطاعًا من الجماهير الطيبة قد خلط كثيرًا مما تعاني منه من احتقانات ورغبة في المواجهة الصحية مع كل من يستهدف الأمة، فرفعت صور صدام «كرمز للمواجهة» في الوقت الذي يعتبر فيه من أكثر من أساءوا إلى هذه الأمة وإنه ليفتعل كل أزمة وأخرى كي يذعن في النهاية تمامًا بعد الضربات أو بعد أن يتأكد من حدوثها كما في المرة الأخيرة والضحية شعبه المسكين الذي لا يساوي شيئًا عنده.. إن ما حدث من خلط أثناء تلك الأزمة ليمثل جانبًا من هذه المشكلة القديمة الحديثة التي نعاني منها - فهذه الشخصية يصعب جدًا معها فصل المشكلة عن الشخص فعلاً - في الوقت الذي تنطلق البوارج وحاملات الطائرات لتتقوقع في مياهنا ومن حولنا وينطلق كوبوي النظام العالمي الجديد - الذي لا يمكن أن نلومه كثيرًا - فنحن الذين أعطينا له الفرصة الكبرى.. والأمور الآن تساعده كثيرًا بعد أن ترك الجياد والحبال واستبدل بها دبلوماسية البارجة الفجة GUNBOAT DIPLOMAT، والتي ظن العالم أن زمانها قد ولى وأن إدارة الأمور الدولية تحتاج إلى مزيد من الحكمة وليس من القوة والأسلحة الذكية وبث الرعب لدى الجميع بل الكثير من العدل وتجنب المعايير المزدوجة.. فلقد اتضح للجميع أن المطلوب من العراق ما هو أكثر من الإذعان.. المطلوب هو إذلال شعب مسكين انكوى بنار

وأخطاء الديكتاتورية الاستبدادية من الداخل ويدفع ثمن تربص المتربصين من الخارج..

في هذا الخضم كانت مصر والمملكة العربية السعودية من أول من يسجل اعتراضه على توجيه أي ضربة عسكرية ضد العراق وكلَّف الرئيس حسني مبارك الأمين العام لجامعة الدول العربية بالتحرك فورًا من أجل تفويت الفرصة على كل متربص ومن أجل منع مزيد من الخسائر والدمار للشعب العراقي وانطلقت المظاهرات في القاهرة وفي العواصم العربية.. ولا جديد في ذلك ويبادر صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ولي العهد بالمملكة العربية السعودية بالذهاب إلى القاهرة والتشاور مع أخيه الرئيس مبارك ونشط محور القاهرة – الرياض لتكثيف الجهود لاحتواء الأزمة وأظهرت القيادات العربية كلها قدرًا كبيرًا من الحكمة لإيقاف دبلوماسية البارجة الرعناء.. أما الأمين العام كوفي أنان وبالرغم مما يثار حول شخصه من جدل فإنه وفي إدارته لأزمة خليج ١٩٩٨ قد أثبت أنه يستحق الوجود في منصبه.. فلقد أدار دفة الأمور بكفاءة وحكمة، فلقد رأى أنه من الحكمة أن يحاول المحافظة على ماء وجه الطرف العراقي بالرغم من صعوبة الموقف ورأى من الحكمة أن يعد نفسه جيدًا وقبل جولة المفاوضات الحاسمة التي انتزعت فتيل الأزمة. ورأى من الحكمة أن يرفض الذهاب للبيت الأبيض ويعلق موعد زيارته لواشنطن إلى أجل غير مسمى في إشارة واضحة ورد حاسم على الانتقادات التي وجهت للدور الإيجابي الذي قام به كأمين عام مسئول للأمم المتحدة غير مبال بغطرسة وحماقة القوة الأمريكية التي لن تكون بالعائد الإيجابي للولايات المتحدة في المستقبل البعيد.

«الحكمة» و«المصالح» في الوجدان الإنساني :

إذا حاولنا أن نقدم تقييمًا لدور القوى الدولية الأخرى في إدارة هذه الأزمة وممانعة روسيا وفرنسا والصين للخيار العسكري لها لكان من الصعب أن نقول هل الدافع هو الحكمة المجردة فعلاً؟ أم أن المصالح فقط هي التي حرَّكت مواقف هذه الأطراف؟! ولكن يوجد لدينا أمثلة واضحة على الحكمة في الوجدان الإنساني، وإذا كان لنا أن نشمئز كثيرًا من المعايير المزدوجة الأمريكية على صعيد الممارسة السياسية الرسمية إلا أننا يجب أن نرصد جوانب الحكمة في وجدان الشعب الأمريكي.. ولعل أوضح أمثلة تفاعلات الأزمة التي اتجهت نحو «الحكمة» ليس فقط ما حدث في جامعة أوهايو الأمريكية حين انتقد الحاضرون، بل سبوا سياسة غطرسة القوة الأمريكية كما حدث في مظاهرات تندد وتحاول منع توجيه ضربة عسكرية للعراق في بعض المدن عبر العالم.. ولكن ما أراه مجسدًا لمفهوم الحكمة في الوجدان الإنساني هو ذلك المقال المهم الذي كتب بصفحة التكنولوجيا في صحيفة "U . S . TODAY" والذي لفت نظرنا إليه أ. محمد عارف بصحيفة الحياة ٩٨/٢/٢٥، حيث نقل عن المحرر قوله: نحن نفكر في قصف العراقيين بالقنابل وتحويلهم إلى جيلاتين.. ثم ماذا؟ معظم الناس في الولايات المتحدة لا يعير الموضوع، كما يبدو، أي اهتمام. فباستثناء بيع النفط لنا وبعض السجاد لم يفعل لنا هذا البلد أي شيء في كل حال، ولكن لعلمكم - لعل ذلك يغير نمط تفكيركم - فإن صناعة الكومبيوتر اليوم لم يكن لها وجود لولا العراقيون.. حيث إن الفضل يعود إلى فتى اسمه أبو عبد الله بن موسى الخوارزمي الذي عاش للفترة ما بين ٧٧٠ و٨٤٩ ميلادية، ولفت انتباه القارئ إلى العلاقة بين اسم الخوارزمي ومصطلح اللوغاريتم المستخدم في

الرياضيات وعلم الكومبيوتر.. ونقل المحرر آراء بعض العلماء الذين يؤكدون على هذه الحقيقة.. كان هذا عن تفاعلات الحكمة في الوجدان الإنساني بذكر فضل الخوارزمي مستشار «بيت الحكمة» في بغداد على نجوم صناعة الكومبيوتر والأسلحة الذكية التي تتوجه رءوسها إلى بغداد في انتظار الأمر أو أي خطأ غير محسوب لتنطلق «وترد الجميل»!!

إذا كان لنا أن نعود لمفهومي «الحكمة» و«الإذعان» في تفاعلات العقل العربي لقلنا إن هناك خلطًا كبيرًا لدى الكثيرين بخصوص هذين المفهومين وذلك واضح من تفاعلات أزمة ١٩٩٠ وما قبلها وإلى اليوم فالنظم الديكتاتورية الاستبدادية مثلاً ترى أن من «الحكمة» للشعوب أن تذعن دائمًا وأن تقبل الحلول والقرارات الفوقية التي لا تشارك في صناعتها بأي قدر حتى لو كانت قاتلة، ويعتبر البعض الآخر أن قبول الأمر الواقع السلبي دون أي محاولة للإصلاح، أيًا كان وفي أي سياق في الواقع العربي هو «عين الحكمة» ففقدنا القدرة على التغيير الإيجابي، فاختنقت قنوات تفاعلية كثيرة في واقعنا.. لقد كان هذا الخلط من أوضح ما يكون في أزمة خليج ١٩٩٠ وإن كانت هناك تفاعلات تدلل على وجوده في تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨، إلا أن هناك بوادر إيجابية في تفاعلات الأزمة الأخيرة، ولعل من أهم المفردات المتمخضة عن الأزمة هي كلمة «فرصة» فالأزمات تعتبر فرصًا لكي نمسك بها وننتهزها ولا ندعها تمر، فالحكمة تقول بذلك، والحكمة تقول بمزيد من الانفتاح والترابط مع صانعي القرارات لاستباق ومنع الأزمات ولتفويت الفرص على أعداء وخصوم لا يخفى كيدهم على أحد..

والحكمة هي مزيد من الحريات ومزيد من التضامن العربي الإسلامي مع إدارة الاختلافات بأسلوب علمي وموضوعي، ولعلي أختتم هذا المقال بمقولة أوردها د. مقداد يلجن، في كتابه بعنوان «جوانب التربية الإسلامية الأساسية» عن الحكمة وأهمية إدراج عناصرها في العملية التعليمية وهي: .. إن من معاني الحكمة أنها فائدة تترتب على الفعل.. وهي علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا.. وهي علم بما لا يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا.. ويضيف قائلاً إن المعاني التي يخصها بالذكر هي أن الحكمة هي العمل بناء على العلم الذي يتناول معرفة قيم الأشياء وقيم المبادئ الإسلامية ومعرفة أسرار الموجودات والمقاصد من إيجادها وخلقها على ذلك النحو دون نحو آخر.. «٩٧» وأخيرًا أختتم كلامي بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] هذا والله ولي التوفيق.

«نظرية» «العقرب والضفدع» من مياه النيل إلى مياه الخليج العربي!!

قصة «العقرب والضفدع» تعتبر من القصص الشهيرة والطريفة بين المعنيين بدراسة وممارسة العملية التفاوضية، وأول من طرحها هو هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وواحد من أمهر وأخبث المفاوضين في هذا القرن، والأهم لنا في هذا الصدد أن كيسنجر قد طرح هذه القصة في معرض محاولاته لتشكيل ذهنية المفاوض العربي في مصر عقب حرب رمضان أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣، فعندما علم كيسنجر أن الجنرالات المصريين لا يرغبون في وقف الحرب حتى يدمروا القوات الإسرائيلية في غرب القناة قال له السادات حسب ما ورد على لسان كيسنجر في كتابه «سنوات الغليان».. «كنت

قبل الحرب أحاول أن أقنعهم بشن الحرب، أما الآن يا هنري فإنني أجد صعوبة بالغة في إقناعهم بالتوقف عن الحرب..» وهنا أراد كيسنجر أن يحبط آثار هذه المقولة التي حاول السادات أن يمارس نوعًا من الضغط عليه من خلالها. وهنا يقدم كيسنجر تفسيرًا مستفزًا لمقولة السادات من أجل إبعاده عن استخدام مثل هذه اللغة معه فقال له إنها تعني أن هناك صراعًا داخل القيادة المصرية وهو يعني أن السادات ليس الرجل الأقوى بشكل مطلق وأن هذا سيزعجه كثيرًا إذا ما أراد التفاوض مع «الرجل الأقوى» الذي يستطيع معه حسم الأمور..

وفي إطار تدعيم محاولاته تشكيل ذهنية السادات والمفاوض العربي في هذا الاتجاه أطلق كيسنجر حكاية «العقرب والضفدع» عندما قص رواية خيالية مفترضة مفادها «أن عقربًا» كان يريد عبور نهر النيل فانتظر ضفدعًا يسبح بالقرب من الشاطئ فناداه وطلب منه أن يقفز على ظهره كي يعبر به إلى الضفة الأخرى للنيل وهنا قال الضفدع، تريد أن تقفز على ظهري فتلدغني فأموت؟!! فقال العقرب يالك من غبي!.. إذا لدغتك وأنا فوق ظهرك في الماء فسيغرق كل منا.. فكانت هذه الحجة مقنعة للضفدع فترك العقرب يقفز فوق ظهره ليعبر به إلى الضفة الأخرى للنيل، ويقول كيسنجر.. ولكن انظروا ماذا حدث؟! «في منتصف نهر النيل قام العقرب بلدغ الضفدع في ظهره.. فصرخ الضفدع وقال يالك من أحمق مخادع.. يالك من غبي!.. لماذا فعلت هذا؟!، فأجاب العقرب قائلاً: «عزيزي إنك في الشرق الأوسط!!» مدلول ومغزى القصة واضح وهو أنه ليس هناك قواعد للعبة.. والطرح الذي أراد كيسنجر أن يذهب إليه في معرض عملية مفاوضاته مع السادات كان بمثابة التأكد من أنه الرجل الأقوى

«الذي يستطيع حسم الأمور في سياق فوضوي بطبيعته».. ونجح كيسنجر في تشكيل ذهنية السادات في هذا الاتجاه عندما استدعى السادات الجنرال الجمسي، وعلى حد قول كيسنجر في كتابه «سنوات الغليان» أن السادات قال «د. هنري وأنا قد توصلنا إلى اتفاق لفصل القوات وأنت يا جمسي الذي ستوقع عليه» وعلق كيسنجر على هذه المقولة بقوله.. لقد أراد السادات أن يثبت لي أنه فعلاً الأقوى الذي يستطيع حسم كل الأمور إلى نهاية المطاف.. وإذا كان من الممكن إخبار الجنرال الجمسي بالقرار الذي توصلا إليه بأكثر من طريقة، إلا أن السادات أراد هذه المواجهة في حضور كيسنجر ليثبت له في حقيقة الأمر شيئًا أراده كيسنجر بدهاء وخُبث.

والآن أود أن أقدم تأملات من خلال قصة العقرب والضفدع هذه ولكن فيما يتعلق بمياه الخليج العربي بدلاً من نهر النيل.. وأود أن أضع مثل هذه التأملات في شكل الأسئلة التالية:

- هل تعتبر قصة «الضفدع والعقرب» التي جاءت من نسج خيال كيسنجر معبرة عن الوضع الفوضوي الذي يتحلى به أبناء منطقة الشرق الأوسط أم أنها قصة بعيدة عن الواقع؟! أم أنها قصة رمزية لا ترمز إلى واقع الشرق الأوسط فقط، بل ترمز إلى القدرة التي يتحلى بها مفاوض ما، فيما يتعلق بمجالات تشكيل ذهنية الآخرين بشأن أحوالهم وتشكيل بيئة التفاوض التي يريد زرعها في ذهنية المفاوض الآخر وبشأن تحقيق الدافعية للحث على التحرك المطلوب؟ وإلى أي مدى يمكننا تفويت هذا الأمر بإدراكه؟!. (عمومًا القصة تحكى في إطار عملية السلام ذلك الواقع المتردي والفوضوي الذي مارسه المفاوض الصهيوني بجدارة إلى الآن!!).

– هل لنا أن نفسر قصة «الضفدع والعقرب» بشكل جديد اليوم وطبقًا لما يحدث في خليجنا العربي؟! فنقول إنها قصة الخلل الكبير في ميزان القوة، ولكن هناك دائمًا طريقة ما للتعامل معه دون الاستسلام لهذا الخلل، وهنا يمكننا القول إن العقرب في هذه القصة معروف جدًا. فهو المتمثل في تلك الحشود الهائلة في مياهنا، والتي حاولت أن تصور لنا منذ خليج ١٩٩٠ إلى خليج ١٩٩٨ أنها تأتي وتحتشد من أجل حمايتنا وليس من أجل لدغنا؟! كل مرة اللدغة أقوى وأعنف.. إن لم تكن بالخراب المادي الملموس من إطلاق القنابل والصواريخ.. فهي لدغة من رصيد الأمة المالي من خلال فواتير باهظة بشكل أو بآخر!

ولكن نعود فنقول إن المشكلة الكبرى أو «المشاكل» كلها هي لدغة الأخ لأخيه عندما قام العراق بغزو الكويت.. وفتح أبواب جهنم على المنطقة إلى يومنا هذا، وهو الأمر الذي أسهم كثيرًا مع الأسف في تجسيد الوضع الفوضوي إلى أبعد الحدود، والذي حاول أن يصفه كيسنجر في قصته عن «العقرب والضفدع».. وهو الأمر الذي استغله الإعلام الصهيوني إلى أبعد حد بحيث تم تصوير العراق على أنه «العقرب المرعب» واقتنع الكثيرون حتى في عالمنا العربي «بأن على المؤمن ألا يلدغ من الجحر مرتين»؟! ولا لوم على من اقتنع بذلك بالطبع، ولكن القول الآن بأن صورة العراق «كعقرب ضخم» هي صورة إعلامية مبالغ فيها وأن العقرب الحقيقي أضحى معروفًا لنا جميعًا.

من هنا فإن إجماع الحكومات والشعوب العربية شبه المتجانس على إقرار الحل الدبلوماسي وتجنيب شعب العراق الشقيق ضربة عسكرية ليمثل خطوة إيجابية، ولكن لابد من أن نتحرك من منطلقات

الفعل الجماعي الذكي وترك موقع رد الفعل المتأخر حتى نتمكن من أن ندير أمورنا بأيدينا، وعلينا ونحن بصدد تأملات قصة «الضفدع والعقرب» أن نتذكر أنه إذا كان «العقرب» يتسم بالسرعة الكبيرة واللدغ المميت، فإن «للضفدع» قفزات هائلة تمكنه من تفويت الفرصة على العقرب، حتى وإن كان أضعف منه..

وإذا كان العقرب يعيش في البر، فإن «الضفدع» أكثر علمًا منه بتضاريس البر والبحر ويستطيع أن يسبح في مياهه بذكاء وأهم من ذلك كله. أن الضفدع يستطيع ألا يقبل أن يقفز العقرب على ظهره بحجة أن يعبر به المياه العميقة وهذا أضعف الإيمان! وهذا ما استطعنا أن نفعله في آخر لحظات أزمة خليج ١٩٩٨ على مستوى الحكومات والشعوب.. ولننتقل للاستباق ونترك موقع رد الفعل.. والله ولي التوفيق.

ثانيًا : الدروس المستفادة من أزمة الخليج ١٩٩٨ :

نحو إدارة تبعات الأزمة :

هناك عدة محاور لابد أن ننظر إليها بعين الاعتبار إذا ما أردنا تقييم دروس أزمة الخليج ١٩٩٨ التي تم انتزاع فتيلها في آخر اللحظات ولكن لا يزال ما في توابعها ما يهدد بحدوثها مرة أخرى ولعلنا نرصد هنا أهم منطلقات التحرك والأهداف والحجة على الصعيدين الأمريكي والعربي فيما يلي:

(أ) أهم أهداف ومبادئ ومنطلقات وتحركات الطرف الأمريكي :

(من مبدأ كارتر إلى مبدأ بوش)

أكدت الأزمة الأخيرة على وجود ثوابت أمريكية تتمثل في الآتي:

- الاستعداد لتفعيل ما سمي «بمبدأ كارتر» وهو المبدأ الذي يقول بأهمية السيطرة الأمريكية والاستعداد السافر للسيطرة على منابع نفط الخليج، وإن كان ذلك مرة تحت شعار حماية الخليج من الهجمة الإيرانية في الثمانينيات وتحت شعار حمايته من الهجمة الصدامية العراقية في التسعينيات وربما في المستقبل تحت أي شعار ثالث ... المهم الحفاظ على تدفق النفط بما لا يضر المصالح الأمريكية أو الغربية بأي شكل من الأشكال مع العمل على تخفيض أسعاره.
- وقف انتشار السلاح النووي مع الحفاظ على «مبدأ چورچ بوش» وهو مبدأ «اللاربط» أو عدم الربط بين ما يتخذ ضد أي دولة وإسرائيل في قضية أسلحة الدمار الشامل... ففي خضم أزمة خليج ١٩٩٠ قالها بوش عندما سُئل عن موقفه من أسلحة الدمار في إسرائيل... ليس هناك ربط "NOLINKAGE"

إذا كانت الهيمنة هدفًا لكل من أمريكا وإسرائيل فإن من صالح الطرفين الإبقاء على قضية العراق وغيرها كقضية متفجرة تسمح بتعميق الانقسام العربي كلما حانت الفرصة إلى مزيد من إحداث التفكيك مادام أمر هذا التفكيك ممكنًا.

(ب) أهم أهداف ومنطلقات التحرك العربي :

أثبتت تفاعلات الأزمة – ورغم من يقول بأن الأطراف العربية لم تفعل شيئًا سوى تقديم التصورات الفردية الأحادية من جانب ومطالبة العراق بالإذعان فإنه يمكن القول بأن الحجة والمنطق السليم كان لابد أن يسعى إلى تجنيب شعب العراق الضربة العسكرية التي كانت أمريكا على وشك القيام بها لولا حجم الضغوط الدولية المتعددة، ولكى لا يجعل من فردية تحرك النظام العراقي الذي أساء

للأمة العربية، كما لم يسئ لها أحد من قبل، هي المحرك لكارثة عربية، وكان من الحكمة مطالبة العراق بالإذعان التام فهذا شأن المهزوم في أي حرب وليس العراق فقط، إلا أن ما ينبغي رؤيته هنا هو أن العقوبات لا ينبغي أن تكون بلا نهاية فهذا من الأمور التي لم تحدث على مدى التاريخ!!

من هنا فلقد جاءت عناصر معادلة الطرف العربي كالآتي.

١ – لا لضرب العراق عسكريًا... وقد نجحت الجهود العربية في هذا الاتجاه ويدعم من معارضة دولية كبيرة.

٢ – على العراق أن ينفذ أو يذعن للقرارات الدولية تمامًا من أجل تفويت الفرصة على الضربة العسكرية وتجنبها، ولكن ماذا عن الإدارة العربية لتفاعلات ما بعد الأزمة؟

لابد أن تتحلى الإدارة العربية لتفاعلات ما بعد الأزمة بالتحرك على عدة أصعدة وهي:

١ – العمل مع العراق على تفويت فرصة جعل العراق قضية متفجرة ثانية، والعمل على رفع العقوبات عنها والحث على أن دمقرطة العراق تساعد على وقف تداعي السلبيات في المنطقة وهذا ممكن وليس مستحيلاً.

٢ – تعميق غموض ما الذي يمكن أن يحدث بعد أي ضربة عسكرية أمريكية وأي تقسيم محتمل للعراق من خلال العديد من الآليات.

٣ – العمل على دعم السوق العربية المشتركة وتوثيق الروابط بين المحاور الرئيسية في الوطن العربي الإسلامي وأهمها محور القاهرة – الرياض – دمشق لمنع هذا الأمر.

٤ – العمل على إحداث تقارب عربي إيراني مدروس وعلى أسس قوية ومتأنية ولعل ما شرعت في القيام به كل من الرياض والقاهرة في هذا الصدد ليعتبر من التحركات الإيجابية التي من شأنها إحداث تغيير استراتيجي يضع الأمور في نصابها الصحيح.

٥ – عدم اليأس من محاولات التعاون الإيجابي مع تركيا مع وضع مميزات وإغراءات توضح لتركيا أن من مصلحتها الأكثر أن تكون في موقعها المتعاون مع الأمة العربية الإسلامية من خلال آليات عديدة.

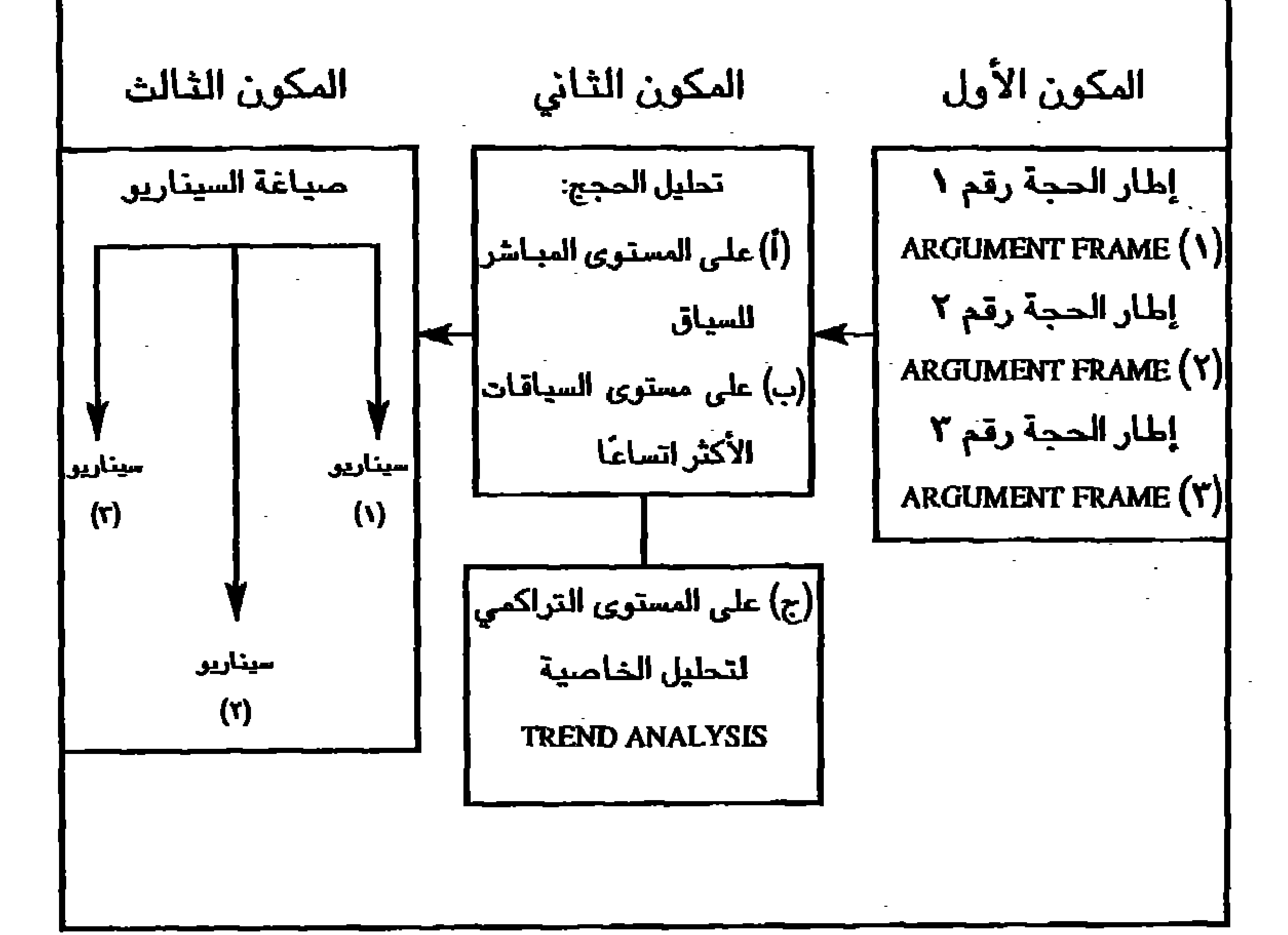
٦ – استغلال ثغرات عديدة في الخطاب الأمريكي وطبيعة التحرك الأمريكي في منطقتنا بذكاء وقدرة على ضبط معادلات تفاعلية عديدة تحتاج إلى تفاصيل أخرى.

الحجج وصياغة السيناريو:

في نهاية هذا القسم الثاني أود أن أوضح من خلال الشكل التالي (رقم ٥) (تحت عنوان رصد الحجج ذات السياقات المتعددة والأوسع نطاقًا كأساس لصياغات السيناريوهات المستقبلية).. فإذا كنا قد أوضحنا العناصر الدقيقة للحجج وأوجه الخلل التي يتعين علينا تجنبها من أجل تفاعلات جديدة تستند إلى الإيمان وإلى العلم. في نهاية هذا القسم الثاني أود القول بأنه إذا كنت قد قمت في القسم الأول بإعادة نشر تلك الدراسة التي تناولت من خلالها العناصر الدقيقة لإقامة الحجة. حيث إن ضمان سلامة الحجج وسلامة رصدها وإقامتها هو السبيل الصحيح للوصول إلى ما هو أصوب من رأي جماعي. فإننا وفي هذا القسم الثاني سنحاول توضيح علاقة الحجج في صياغة السيناريو من أجل صياغة السيناريو على أساس علمي

في محاولة منا للاستشراف وتحقيق مفهوم الاستباق وترك موقع رد الفعل المتأخر ولعلنا نوضح هذا الأمر بشكل أولي من خلال الشكل التالي الذي يوضح علاقة عناصر الصياغة السليمة للسيناريو هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه في هذا الصدد من تعريفات لمفهوم السيناريو وارتباطه بمفاهيم «المباراة التفاوضية» «ونوع التفاوض» واللاعب الرئيس؛ ودبلوماسية المسار الثاني إلخ في الجزء الأول من هذه الدراسة. وهذا من أجل توضيح أهم الأسس التي تنطلق منها العملية العلمية لصياغته.

وكمثال توضيحي لعناصر هذا الشكل نقول على سبيل التوضيح إن أهمية النظر إلى أي حجة من خلال أكثر من إطار – بعد أن نكون قد أسسناها على العناصر العلمية الدقيقة السابقة الذكر وتجنبنا لأوجه الخلل المذكورة – ليعتبر من الأنشطة المهمة التي تساعدنا على تبني الحجة الأصوب وبشكل متكامل على صعيد السيناريو الذي نريد تفعيله أو عدم تفعيله...



شكل رقم (٥) نموذج الحجج ذات السياقات المتعددة والأكثر اتساعًا كأسس لصياغة السيناريو
A MODEL OF ARGUMENTS OF LARGER FRAME AS A BASE TO FORMULATE SCENARIOS
المكون الأول
المكون الثاني
المكون الثالث
إطار الحجة رقم ١
ARGUMENT FRAME (١)
إطار الحجة رقم ٢
ARGUMENT FRAME (٢)
إطار الحجة رقم ٣
ARGUMENT FRAME (٣)
تحليل الحجج:
(أ) على المستوى المباشر للسياق
(ب) على مستوى السياقات الأكثر اتساعًا
(ج) على المستوى التراكمي لتحليل الخاصية
TREND ANALYSIS
صياغة السيناريو
سيناريو (١)
سيناريو (٢)
سيناريو (٣)

أمثلة توضيحية

فمثلاً ومن خلال إدارة الأزمة العراقية الأمريكية الأخيرة أو ما أسميه بأزمة خليج ١٩٩٨.

كانت هناك حجة لدى البعض تقول:

بما أن أمريكا تكيل بمكيالين... وبما أن أهداف أمريكا في السيطرة والهيمنة وعدم المبالاة بحقوق العرب والشعوب العربية لمن الأمور الواضحة. إذن على الدول العربية أن تتوحد كلها وتجابه أمريكا هذه... ولكن حجة مواجهة أمريكا وأساطيلها. في تلك الأزمة لهي حجة ضعيفة؛ لأنها تتجاهل موازين القوى وتتجاهل أن الذي اختار توقيت وأسلوب مجابهة أمريكا هو صدام حسين، ومن ثم على كل القوى العربية أن تنضوي تحت «لوائه»!... هذا في الوقت الذي لا يعدو أن يكون فيه سوى ديكتاتور أرعن تسبب في كوارث فتحت أبواب جهنم على منطقتنا... من هنا لا يخفق أي محلل موضوعي ينتمي لهذه الأمة إلا أن يرفض الضربة العسكرية من أجل الشعب العراقي، وكذلك لابد أن يطالب النظام المهزوم بالإذعان للشرعية الدولية حتى وإن كانت تكيل بمعيارين... فهذا الكيل المزدوج لابد أن يتم التعامل الإيجابي معه في وقت وظروف أخرى أكثر مواءمة وليس في تلك الأزمة... ولذا عندما نقرأ مقالاً للكاتب الساخر محمود عوض بعنوان. «١٩٩٨ : أي أميركا؟ وأي عراق؟

حالة توحش لكن... اسمع كلام أمريكا».

(جريدة الحياة ١٩٩٨/٢/٢٣) حيث يطالب صدام بالإذعان...

فهنا ورغم سخافة السياق وسخافة وغطرسة الموقف الأمريكي وعدم نزاهته فإن السياق الأوسع للحجة النظر من زوايا أخرى غير زاوية الحدث هو أن عدم الانصياع للقرارات الدولية معناها أن نساهم في تفعيل أخطر سيناريو؛ وهو سيناريو ضرب العراق وما يلي ذلك من «حتمية» تفتيت العراق واندلاع النار ربما في الخليج كله. بالإضافة إلى خسائر الشعب العراقي بتبنى «حجة الانصياع للقرارات الدولية» من خلال النظر للسياقات الأكثر اتساعًا ما يمثل – رغم عدم قبوله نفسيًا في ظل المعايير المزدوجة وفي ظل الغطرسة – إلا أنه – المخرج الأكثر حكمة إذن، فمثل هذه الحجة في هذا الإطار الأشمل من شأنها أن تفسد سيناريو من أفزع وأخطر ما يكون على الأمة العربية الإسلامية... ولذا فقد كان من الحكمة أن نتبناها في إدارة الأزمة... ولكن لابد ألا نكتفي بأن فتيل الأزمة قد تم نزعه بفعل التمسك بهذه الحجة وفعل عوامل كثيرة أخرى؛ بل علينا أن نتبنى مفهوم الاستباق لنرصد كل الحجج المقبلة ونرصد ارتباطها بالسيناريوهات المستقبلية من أجل تفعيل ما نراه من سيناريوهات تتم لصالحنا والعمل على إحباط السيناريوهات التي تلحق الضرر بأمتنا العربية الإسلامية والله ولي التوفيق وهذا ما سنتعرض له ببعض التفاصيل في القسم الثالث من هذا الجزء من دراستنا هذه.

الفصل الثاني عشر

سيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي / الشرق الأوسط

تمهيد:

في هذا الفصل سنلقي الضوء على أهم السيناريوهات المستقبلية بخصوص الخليج العربي، وعندما نتحدث عن الخليج العربي فإننا نتحدث عن الشرق الأوسط وتعقيداته وارتباطاته المعقدة...

وإذا كنا بصدد رصد ما أورده كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر بالتحليل في كتابهما بعنوان «الحرب المقبلة» فإننا في هذا الفصل نرصد بالتحليل ملف التفاعل حول النقاش الدائر عن ذلك البعد النووي المستجد الذي أحدثته التفجيرات النووية الهندية الباكستانية بشكل أولي؛ لأن هذا الأمر يستحق دراسة منفصلة وهي في طور النشر لكاتب هذه السطور بعنوان «الدبلوماسية الجديدة أم القنبلة الإسلامية»؟!

استباق الأزمات وسيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي والشرق الأوسط

إذا كانت الحكمة تتطلب منا ألا ننتظر الأزمات والأحداث لنقوم بإدارتها حين حدوثها بل ينبغي أن نضع نصب أعيننا مفهومي «الاستباق» و«التدخل الإيجابي المبكر»، من هنا فإن من الأنشطة الحيوية التي يتعين علينا القيام بها هو رصد كل المعلومات، والتصورات الخاصة بمنطقتنا. والقيام بتحليلها من كافة الجوانب خاصة وأننا في عصر يسمى بعصر المعلومات، ومن تعقيداته وجود معلومات مجردة وكذلك معلومات ملغومة وحملات معلومات INFORMATION CAMPAIGN وكذلك حملات معلومات كاذبة. وعلينا التعامل الإيجابي مع كل هذه الأمور من أجل التدخل المبكر واتخاذ القرارات الصائبة التي تنبني على التحليل الصارم والمصلحة العليا بعيدًا عن الوقوع في براثن مثل تلك الحملات المعلوماتية التي قد تشكل ذهنيتنا وتحركنا في غير مصلحتنا وربما دون أن نشعر بذلك في بعض الأحيان وهذا من مكامن الخطر. في إطار هذا التوجه أود أن أرصد ثم أحلل ما ورد في كتاب لهما؛ لكل من **كاسبر واينبرجر** CASPER WEINBERGER **وبيتر شويتزر** PETER SCHWEIZER (١)

والأول هو وزير الدفاع الأمريكي الذي خدم في عهد ثلاثة رؤساء أمريكيين وهو من العسكريين الذين جمعوا بين الخدمة العسكرية وحصلوا على أعلى المؤهلات العلمية حيث إنه تخرج في جامعة هارفارد ودرس القانون بها. أما المؤلف الثاني فهو باحث زائر في مركز دراسات الحرب والثورة والسلام بجامعة ستنافورد بالولايات

المتحدة وله العديد من الأبحاث والمقالات المهمة. ولقد أثار هذا الكتاب جدلاً واسعًا في واشنطن وفي العديد من مراكز صناعة القرار عبر العالم وهو بعنوان «الحرب القادمة» (NEXT WAR) ، والذي صدر عام ١٩٩٦ عن دار نشر (REGNERY PUBLISHING, INC.) ويسعى لمطالبة الأمريكيين بألا ينسوا مخاطر مرحلة ما بعد الحرب الباردة ويسعى إلى التنبيه إلى أهمية عدم تقليص حجم القوة العسكرية الأمريكية وخطورة خفض درجة استعداد هذه القوات في عالم يراه يموج باضطرابات وتغيرات حادة. وإذا كان الكتاب يستعرض عدة سيناريوهات افتراضية يقول بأنها ستحدث على مدى الاثنتي عشرة سنة القادمة. وأهمها تقديم محاكاة لغزو جنوب كوريا من قبل كوريا الشمالية وغزو تايوان من قبل الصين وقيام الولايات المتحدة بالرد على «اعتداء إيراني نووي مفترض» وقيام روسيا تحت قيادة ديكتاتور يظهر بالاعتداء على أمريكا. وكذلك يقدم الكاتبان سيناريو لاضطرابات عنيفة تجتاح المكسيك وتؤثر على الولايات المتحدة. وآخر هذه السيناريوهات يتعلق بهجوم من قبل الحكومة اليابانية على دول في المحيط الهادي بعد حدوث حرب تجارية.

من أين جاء سيناريو ضرب إيران؟!

ولعل ما يهمنا ضمن كل هذه السيناريوهات سيناريو الرد على «اعتداء إيراني» نووي مفترض أو ما يمكن تسميته «بسيناريو حرب الخليج ١٩٩٩» وهو الذي ورد مضمونه بالكتاب بالجزء الثاني من الصفحات ص١٠١ إلى ص١٦٣ تحت عنوان «٤ إبريل ١٩٩٩» وخلاصته كما يلي:

«حسب سيناريو هذا الكتاب وخيال الكاتبيْن، فإن المواجهة ستبدأ

في جنيف في ٤ إبريل مع اجتماع منظمة الدول المصدرة للبترول (الأويك) حيث تنتقد طهران التي يصفها الكاتبان من الدول الراديكالية موقف الدول الأخرى «المعتدلة» (MODERATE) .

وتطالب بتغيير نظام البترول العالمي المعمول به منذ سنوات طويلة، كما أنها تطالب على لسان مبعوثها للمنظمة باقي الأعضاء بالتمرد على ما تصفه الهيمنة الغربية وإلا فإنها ستنفذ تهديدها بفرض سيطرتها على حركة البترول في الخليج وتدفقه إلى الغرب. وأثناء هذه المواجهة الدبلوماسية والسياسية التي يفترض فيها الكاتبان استخدام إيران لكل المفردات التي رسخت في الإعلام الغربي عن «الشيطان الأكبر» وما إلى ذلك من مفردات. ومع زيادة حدة التوتر في المنطقة يذكر الكاتبان أنه يتم اكتشاف أن إيران تمتلك السلاح النووي وأنها توصلت إليه بواسطة بعض علماء الروس الذين تم توظيفهم منذ عام ١٩٩٤ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ومنهم خبير نظم الصواريخ VLADIMOROW الذي يصفه الكاتبان بأنه أسطورة من أساطير تصميم الصواريخ النووية في روسيا وقد وصل راتبه إلى ١٢ دولارًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ويستطرد الكاتبان في وصف تاريخ الإمبراطورية الفارسية وكيف أن أحلام إعادة الإمبراطورية لا تفارق الفكر الاستراتيجي الإيراني (ص١٠٢، ١٠٣).

ويذهب الكاتبان الأمريكيان إلى أنه في عام ١٩٩٤ اشترت إيران مكونات صواريخ وأسلحة نووية.. وأصبح لإيران سلاح نووي اسمه «ذو الفقار» وأنها طبقًا لخيال الكاتبيْن ستلوح باستخدام هذا السلاح النووي بغرض سيطرتها على الخليج وتنفيذ «مخططاتها التوسعية» طبقًا للكاتبين. ويتصور الكاتبان أن الأحداث تتوالى بعد ذلك حيث

تحدث في مايو ١٩٩٩ تظاهرات شيعية في البحرين وفي يوم ٦ مايو ١٩٩٩ تجري إيران تجربة تفجير السلاح الصاروخي النووي الجديد وتطالب بأن تترك القوات الأمريكية المنطقة في غضون ٢١ يومًا. وبعد ذلك يتم الغزو الإيراني للبحرين في ٧ مايو ١٩٩٩ حسب خيال الكاتبين اللذين يقدمان تفصيلات كثيرة عن طريقة وقوات الغزو وعدتها وعددها، على أساس أن السيطرة على البحرين تفتح الباب أمام إيران للتقدم إلى المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج كما يزعم الكاتبان. وبعد ذلك في يوم ١٤ يونيو ١٩٩٩ يصل سعر برميل البترول إلى مائة دولار وتبدأ طهران في السيطرة على مصير بترول الشرق الأوسط.. ثم بعد ذلك يبدأ هجوم إيران على دولة الإمارات العربية المتحدة بدك المواقع البرية في كل من دبي وأبو ظبي إلى أن تقوم قوات الحرس الثوري الإيراني بغزو يوم ١٦ يونيو، ويفترض خيال الكاتبين أنه وبعد مقاومة تستمر لمدة أربعة أيام تستسلم البلاد في ٢٠ يونيو ١٩٩٩ ويقدم الكاتبان الكثير من المعلومات المتصورة عن خسائر إيران في تلك المعركة الأولية التي – تثير الاستهجان، والتي وصلت إلى ١٣٠٠ قتيل و٢١ جريحًا.. ولا يفوتهما ذكر هذه الأرقام «الدقيقة» من باب إشعار القارئ بالدراما والوقائع التفصيلية التي تشتهر بها «الأفلام الأمريكية» ناهيك عن «السيناريوهات» ويفترض الكاتبان أنه وعند نهاية شهر يونيو تنسحب القوات الأمريكية – الأسطول السابع – من منطقة الخليج وتسيطر إيران على حركة الملاحة والتجارة عبر مضيق هرمز.

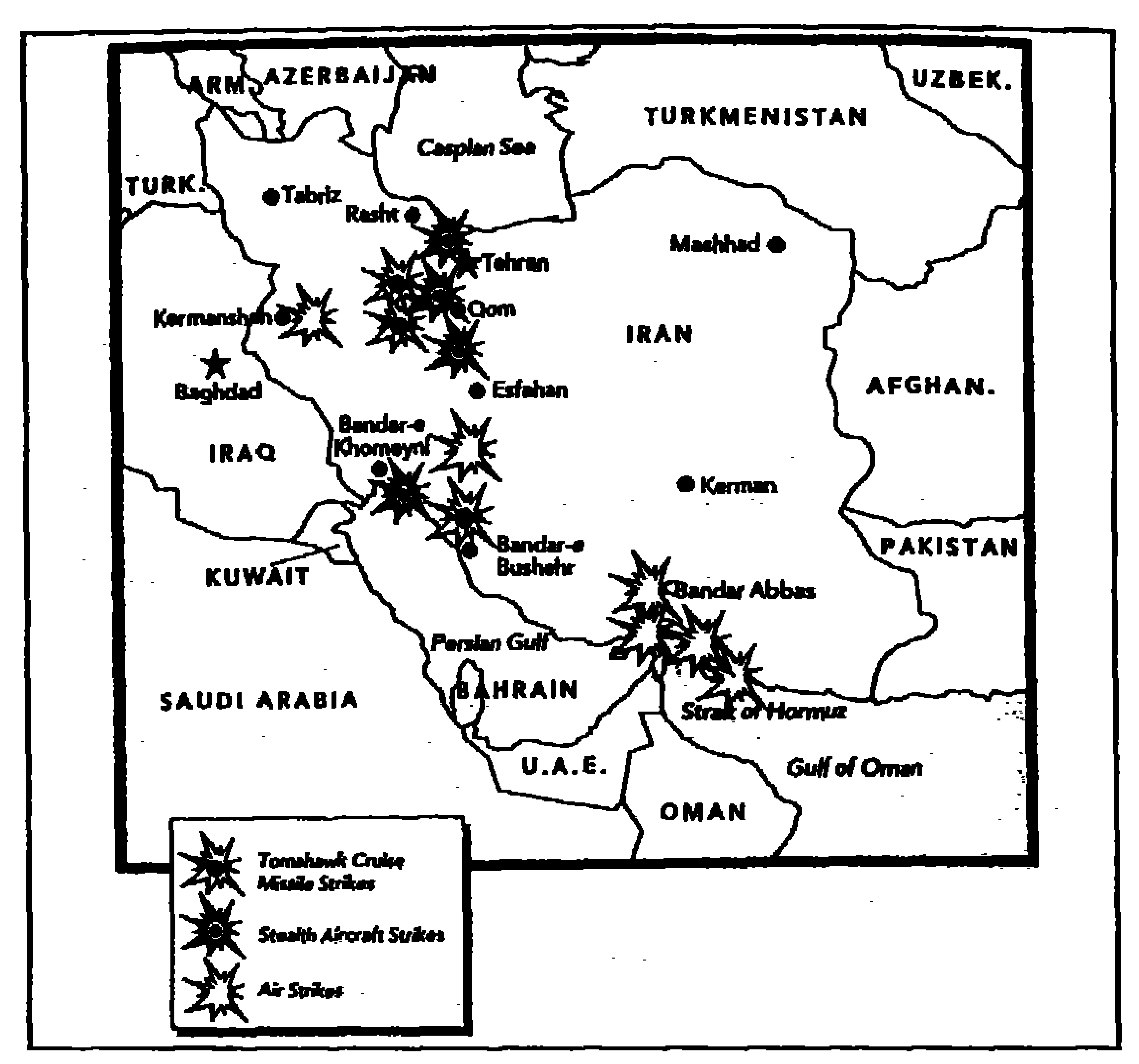
ويرصد الكاتبان أن سبب تفاقم الأزمة هو عدم احتواء إيران مسبقًا وبالقدر الكافي وعدم إلمام واشنطن بكل تفاصيل التسليح

الإيراني وعدم استعدادها لاحتواء الخطر الإيراني قبل أن تتفاقم الأزمة وتصل واشنطن إلى موقف حرج.. ولكن في النهاية وبعد اتصالات وتحالفات مع دول صديقة، وبعد أن يحدث قصف صاروخي نووي تتعرض له مدينة موترا الإيطالية (وكانت روما هي المستهدفة) يتم حسم الأمر ويتخذ القرار الحازم بقصف مدن إيرانية من الجو ويُستخدم السلاح النووي ضد المنشآت النووية الإيرانية التي يدعي الكاتبان وجودها ويسترسلان كالعادة في وصفهما لدقائق هذا السيناريو وذكر الأسلحة المستخدمة، ومن أي مواقع ووسائل يتم تنفيذ مثل ذلك الهجوم.

السيناريو العربي الموازي :

وبالرغم من أن سيناريو الحرب هذا لم يتعرض لأي دور إسرائيلي بشكل صريح ولا لأي موقف عراقي، فإن ما يعنينا هنا وبرغم أدب الخيال العلمي والسياسي؛ الذي صور به الكاتبان صورًا كثيرة على الطريقة الأمريكية السينمائية لها أن مثل هذا السيناريو يكشف عن ممارسات راهنة وحالية كبيرة تنتمي لدبلوماسية المسار الثاني الصراعية بخصوص إيران (بالإضافة لحالة العراق الراهنة) والأمر يتطلب وضع هندسة لدبلوماسية المسار الثاني من المنظور العربي كي نتبين من خلالها موقع حملات المعلومات الملغومة وأن يتم ضبط معادلة مهمة مع إيران ولترشيد العلاقات معها دون تقبل الصور الذهنية التي قد تكون بعيدة عن حقائق الأمور.. والتي قد يكون الهدف القريب منها هو التمهيد لضرب إيران، وبذر بذور الفرقة والحقد والكراهية بين البلدان العربية وإيران في المنطقة بأسرها.

ولعل هذا الأمر المتعلق بمثلث العلاقات العربية الإيرانية الغربية بحاجة إلى اهتمام ودراسة خاصة لتدشين ممارسات من شأنها احتواء سيناريو مثل السيناريو المزعوم لكل من كاسبر واينبرجر وبيتر شوتزر..



The Allied Attack Begins

خريطة توضح الضربة الجوية النووية الأمريكية (والمدعومة من تحالف دولي) المزعومة والمتصورة ضد إيران بكتاب كاسبر واينبرجر (ص١٤٠)

إن التحليل الموضوعي – بعيدًا عن الرعونة – يقول باستحالة هذا السيناريو، فهل تستخدم مثل هذه الخرائط لمجرد خلق موقف تهديد وتفاوض ومقايضة أم ستتحول إيران إلى نموذج لا يمكن التنبؤ به ولا بمستقبل المنطقة إذا ما تم تفعيل سيناريو الضرب.

هل إن لم تكن العراق كانت إيران أو العكس؟! :

والآن لابد وأن ننتقل للنظر إلى منطقة الخليج وخاصة بعد أحداث ما سمي بالأزمة العراقية الأمريكية أو أزمة العراق والأمم المتحدة، والتي علينا أن ندير توابعها من أجل عدم انفلاتها مرة أخرى وهنا لا يمكن للمحلل أن يرى هذه الحشود الرهيبة القابعة في مياه الخليج ولا يرى معها سيناريو كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر.. فهل إن لم تكن العراق هي «الدافع» أو «الغطاء» أو «السبب» كانت «إيران» أو العكس أو ربما دولة ثالثة «الله أعلم» يأتي دورها!!

المهم أننا نرى ما يشبه رسم السيناريو من خلال كتاب كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر في ١٩٩٦ ثم تفعيلاً ما جزئيًا أو تجريبيًا في ١٩٩٨ ولا يمكن أن يكون العرب في موقع المتفرج، فلابد من التدخل الإيجابي الحريص والفعال لإحباط أي سيناريو مثل ذلك السيناريو المدبر والعمل على تفعيل سيناريوهات أخرى إيجابية من شأنها وقف حركة الخصوم وعدم ترك أرض الملعب مفتوحة لممارستهم هم فقط.. **فالحاضر والتاريخ والمستقبل يقول لنا إنه من حق الآخرين أن يفكروا ويخططوا ويتحركوا، ومن حقنا أن نفكر ونخطط ونتحرك ونحبط كيد كل متربص.. ولا يمكن إلا أن نستعين بكل الطاقات، ولابد أن نستشعر المخاطر ونرفع هذا الشعار نصب أعيننا وهو «إذا لم يفكر ويتحرك أبناء منطقتنا لها، فكر لها وتحرك من هم خارجها»،**

ولابد هنا أن نشير إلى أن القيادات العربية تدرك هذا الأمر جيدًا ولعل التحركات الحكيمة التي تقوم بها كل من مصر والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص من أجل ضبط معادلات معقدة في منطقتنا جديرة بالتقدير والتدعيم. وإننا هنا لا نقول إننا لا نملك فقط مقومات الفكر الاستراتيجي السليم والسديد، بل إننا نملك قيم ثقافتنا العربية الإسلامية التي تستمد قوتها من قوة الله سبحانه وتعالى وإن كيد الله أقوى من كل كيد.. ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، ولا يمكن أن تكون لأي قوة اليد الأعلى إذا ما استلهمنا قوتنا من قوة الله سبحانه وتعالى وعملنا بكل جد واجتهاد وحرص وتفكير علمي منظم وسليم يستبق الأحداث والأزمات فإن لم يتحرك أبناء هذه المنطقة لإدارة شئونها تحرك كذلك آخرون وفقًا لإدارة شئونهم.

***

كان ما سبق هو ما رصدته عام ١٩٩٩ في الطبعة التجريبية، وهو مع الأسف ما يبدو أنه قد تحقق ونحن بصدد نشر هذه الطبعة وأقصد هنا تحديدًا تفاعلات الغزو الأمريكي وتداعيات الحرب الكونية على الإرهاب في سياقات عديدة أخرى، وما نكتفي به في هذا الصدد هو رصد توابع المباراة التفاعلية والتفاوضية والخاصة بما يمكننا تسميته بالسيناريو النووي الأسيوي بما في ذلك التعامل مع ملف إيران بعد غزو العراق، وهنا أرصد التحليلات التالية:

الفصل الثالث عشر

في إدارة غموض السيناريوهات النووية المستجدة وتحليل أنماط الحوار التفاوضي حولها في الواقع العربي (رؤية أولية لبيانات التفاعل)

حول التفجيرات النووية الهندية الباكستانية والبرنامج النووي الإيراني وبداية السباق المحموم:

أحدثت التفجيرات النووية الهندية والباكستانية تغيرات استراتيجية وسمحت بقراءات عديدة لبعد الانتشار النووي والنظام العالمي الجديد وللعديد من الصراعات في عالم اليوم ولعل هذا الأمر بحاجة لدراسة منفصلة وهو ما شرع فيه كاتب هذه السطور. ولكن ما يهمنا هنا في إطار هذه الدراسة يتمثل في الآتي:

أولاً: رصد أهم الأسئلة التي تثيرها هذه التفجيرات.. وهذه الأسئلة ليست أسئلة بقدر ما هي محاولة لاستجلاء الحقائق التي تكون أساسًا لرصد الحجج المختلفة بخصوص تبعات هذه التفجيرات ... فالسؤال الجيد يعتبر بمثابة قطع نصف الطريق نحو الإجابة الصحيحة.

ونكتفي هنا بإثارة الأسئلة، لأن الإجابة التحليلية عليها – كما ذكرنا – هى موضع دراسة أخرى.

ثانيًا: رصد أنماط الحوار التفاوضي التي تعتبر من خطايا الحوار التفاوضي العربي المتكررة عبر الملفات... وصولاً إلى آخرها وهو ما

يمكننا تسميته «ملف الحوار حول التفجيرات النووية الهندية الباكستانية» وهو ما نرى أهمية تسليط الضوء عليه في إطار مهمة هذه الدراسة التي تسعى لتحقيق الإدراك التقني لذلك البعد المفتقد في السعي لإحداث التضامن العربي الإسلامي.

ونبدأ بـ: أولا رصد أهم الأسئلة التي طرحها ملف التفاعلات حول التفجيرات النووية الباكستانية وهي كما يلي:

١ – هل الاستنتاج الرئيس من التجارب النووية الأخيرة هو أن نسعى إلى امتلاك قنبلتنا النووية؟ أو بمعنى آخر ما وسائل الردع المتاحة لنا خاصة في حالة تخلي إسرائيل عن أسلوب الغموض (التغميض) الذي تتبعه، وإعلانها – بوضوح عن امتلاكها للسلاح النووي؟ وما مؤهلات وتبعات هذا الامتلاك؟

٢ – هل هناك بدائل للخيار النووي؟ ما هي؟ وما إمكانية تحقيق الردع من خلالها؟

٣ – ما حجج امتلاك السلاح النووي؟ وما حجج عدم امتلاكه؟

وما الأصلح في إطار هذه الحجج خاصة فيما يتعلق بواقعنا؟

٤ – هل امتلاك السلاح النووي هو السبيل الوحيد لإدارة الصراع الممتد مع إسرائيل؟ أم أن عناصر القوة كثيرة ومتعددة وهناك ما هو في مستوى النووي بل ما هو أهم منه؟

٥ – ماذا عن التحالفات القائمة التي تستجد على الساحة الدولية بعد التفجيرات الهندية الباكستانية؟ وما تأثيرها على مجريات الصراع العربي الإسرائيلي، وعلى أوضاع الخليج العربي؟

٦ – ماذا عن تأثير التفجيرات على معاهدة خطر انتشار الأسلحة النووية؟ وهل تستغل هذه الفرصة لخروج بعض الأطراف منها؟ أم تستغل الفرصة في تدعيم المعاهدة وجعلها قابلة للالتزام بها وانضمام الجميع إليها والتغلب على ازدواجية المعايير في النظام العالمي الراهن؟

٧ – ماذا عن انتشار التكنولوجيا النووية؟ ومن الجنرال القادم الذي سيقول لا؟ ما الدول التي قد تدخل النادي الذري وما عددها المحتمل مستقبلاً؟

٨ – ماذا عن النقاش الدائر حول «القنبلة الإسلامية»؟ وهل هذا المسمى ينطبق فعلاً؟ أم أن القنبلة الباكستانية لا تعدو عن كونها قنبلة باكستانية لإحداث التوازن الاستراتيجي مع الهند؟

٩ – من الذي سمى القنبلة الباكستانية بـ«القنبلة الإسلامية؟!» وما الفرق بين توجهات كل من «ذو الفقار علي بوتو وضياء الحق» من ناحية و«كيسنجر وشارون» من الناحية الأخرى في إطار هذا المسمى؟

١٠ – ماذا يعني أن يقول نواز شريف ووزير الخارجية الباكستاني في تصريحاتهما «إن القنبلة لا دين لها؟»

١١ – ماذا عن البعد العرقي والبعد العلمي في موضوع القنبلة النووية؟

١٢ – ماذا عن تعميق بعد العمق الإسلامي لباكستان وما علاقة باكستان – تاريخيًا – بالصراع العربي الإسرائيلي؟

١٣ – ماذا عن فتوى رجال الدين الأخيرة بوجوب حيازة السلاح النووي؟

١٤ – كيف نفهم مقولة صموئيل هنتينجتون الأخيرة عقب التفجيرات النووية الهندية الباكستانية بأن صراع الحضارات قد أصبح «صراع الحضارات النووي»؟

١٥ – لماذا تحول النقاش الدائر حول «القنبلة الباكستانية» إلى نقاش ممجوج ومعتاد بين «العلمانيين» و«الإسلاميين»؟

ثانيًا: أنماط الحوار التفاوضي في ملف التفاعلات العربية حول التفجيرات الهندية الباكستانية:

.... كمعظم ملفات الحوار حول الموضوعات المهمة في واقعنا، لم يخلُ ملف الحوار حول التفجيرات الهندية الباكستانية من العديد من أنماط الحوار التفاوضي السلبية أو ما أسميناه في هذه الدراسة بـ«الخطاب المتأزم» أو بـ«خطاب خطايا الحوار التفاوضي». في واقعنا العربي وهو الخطاب الذي لابد أن نضع حدًا له، لأنه من أكثر معوقات التضامن العربي الإسلامي... وها نحن نضع أمام القارئ كامتداد للملفات التي قمنا بتحليلها من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٨ تحليلاً آخر لأحدث هذه الملفات، ولعل أهم ما يستدعي انتباهنا الأنماط التالية – بصورة أولية –:

١ - نمط: انقسام الحوار الدائر حول ما سُمي «القنبلة الإسلامية» إلى حوار تناحري بين «علمانيين» و«إسلاميين»!!

كما تحدثنا سابقًا في الكثير من واقع هذه الدراسة، فإن من أخطر ما يصيبنا في مقتل هو وجود تيارات متناحرة لا تعرف كيف تدير الاختلاف لصالح الأمة ككل، وهنا نجد المتحاورين يتخندقون ويتمترسون.. خلف مسميات ومواقف تسعد بها إسرائيل وكل الخصوم والأعداء. فبمجرد أن سمع البعض بمقولة «القنبلة إسلامية» ظن أن

هذه حجة «الإسلاميين» فأخذ ينتقد كل الطروحات حتى لو اتخذ في النهاية موقف العداء من «باكستان الأصولية»! واختزل التسمية على أنها من باب هزل وضعف وقلة حيلة «الإسلاميين» ونسي أو تناسى حقائق كثيرة... ولم يفرق بين ما قاله ذو الفقار علي بوتو وضياء الحق في هذا الصدد... وما يقوله كيسنجر وشارون ودوائر غربية تنظر للأمر على أنه يتعلق بخطورة حيازة القنبلة لأي دولة إسلامية أيًا كانت... من هنا فقد نفى نواز شريف ووزير خارجيته جوهر أيوب خان تسمية القنبلة «القنبلة الإسلامية».. ولكن هذا الأمر من دواعي الذكاء والدبلوماسية المدروسة... فقالا إن «القنبلة لا دين لها (انظر على سبيل المثال لا الحصر تصريح وزير الخارجية الباكستاني للشرق الأوسط في ٣١/٥/٩٨م) ولكنَّ هناك فرقًا بين موقفيهما هذا وبين أن نتجاهل البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي وهو قائم بالفعل وليس من جانبنا أساسًا... ولابد من أخذ ما يحدث على صعيده في الحسبان. وهنا لابد أن نضع علامات استفهام على ما يلي:

١ – لماذا يعلن هنري كيسنجر في برنامج في محطة C N N عشية التفجيرات الباكستانية عن تخوفه من «القنبلة الإسلامية» ومن انتقال التكنولوجيا النووية لدول إسلامية أخرى؟ (مقابلة مع هنري كيسنجر في برنامج تحليل الأخبار بـ C N N ٢٩/٥/١٩٩٨).

٢ – لماذا يصرح صموئيل هنتينجتون «صاحب نظرية صدام الحضارات المعروفة» عقب التفجيرات فيذكر أن «صراع الحضارات» قد أصبح « صراع الحضارات النووي؟!» (حوار نقلته جريدة الشرق الأوسط في ٥ يونيو ١٩٩٨).

٣ – لماذا ينسى أو يتناسى البعض أن موجودات قزقستان – وهي دولة مسلمة – من دول آسيا الوسطى السوفيتية السابقة – من الترسانة النووية قد أعيدت إلى عهدة روسيا بناء على خطة أمريكية؟..

وينطبق هذا الوضع على «أوكرانيا وروسيا البيضاء وقزقستان...»؟!

٤ – لماذا صرح شارون ومنذ عام ١٩٩٨ بأن أمن إسرائيل من الحدود مع مصر والدول العربية وحتى باكستان؟

٥ – لماذا نتجاهل إعلاميًا ودبلوماسيًا تحركات إسرائيل في العمق الإسلامي... ومحاولة تطويق ما يحدث فيه ليكون لصالح إسرائيل بدلاً من أن يكون لصالح العمق الإسلامي؟!. فإن ما يحدث من تحركات للمبعوثين ورجال الأعمال الإسرائيليين في الجمهوريات الإسلامية وآسيا وأذربيجان ليستدعي التأمل في مدلول هذه التحركات؟... ولماذا التخوف الإسرائيلي الذي أحدثته تفجيرات باكستان النووية كدولة إسلامية في المقام الأول بالرغم من إدراك العالم كله لبعد الصراع مع الهند أساسًا؟

٢ - نمط الترديد الإعلامي:

من طعم «الغواصات الإسلامية» إلى «القنبلة النووية الإسلامية»!!

... بالرغم من أن تعبير **«القنبلة النووية الإسلامية»** من التعبيرات التي ينبغي التوقف عن استخدامها فإن التعبير استخدم في الواقع الباكستاني وكذلك استخدمه **هنري كيسنجر** لوصف أي مشروع نووي لأي دولة إسلامية، ولقد استخدم تعبير «القنبلة الإسلامية» في الداخل الإسلامي الرئيس **«ذو الفقار علي بوتو»** ومرة أخرى من قبل

«**ضياء الحق**». أي من الزعماء الباكستانيين أنفسهم وردد التعبير الآلاف والملايين من الباكستانيين أنفسهم قبل التفجيرات وبعدها... ورغم أن الدافع هو ألا يُحرم المسلمون من حقهم في امتلاك الرادع النووي... فإن التعبير قد تلقفته آلة الدعاية الصهيونية وعمقت فكرة ترديده إعلاميًا ولكن في إطار مختلف وهو إطار حملات تشويه الإسلام والتخويف من الإسلام والمسلمين، ووصمهم بالعنف والقتل والإرهاب... ولقد استخدم من قبل مفهوم «القنبلة الإسلامية» «مفهوم الغواصات الإسلامية» وهو ذلك المفهوم الذي روج له الصهيوني «**يوسف بودانسكي**» في كتابه بعنوان «الإرهاب يستهدف أمريكا» حيث يصف كل عضو من الجاليات الإسلامية بأمريكا والغرب بأنه كالغواصة التي تسير تحت الماء دون أن يشعر بها أحد ثم يُفاجأ الجميع بما تفعله من تدمير وكأن المسلم يأتي لأمريكا أو إلى أي دولة أوربية وكأن رحلته كرحلة غواصة تسعى لتدمير أهدافها حينما يحين الوقت المناسب..... لابد لنا أن نتنبه إذن للدلالة الخطيرة والمفتعلة لمثل هذه المصطلحات ونعمل على وقف ترديدها ونموها على الأقل من ناحيتنا... ولقد كان لتصريح كل من نواز شريف ووزير خارجيته في أكثر من مناسبة «أن القنبلة لا دين لها» بمثابة دبلوماسية ذكية تتنبه لما يضُر ولا ينفع... وإن كان استخدام تعبير «القنبلة النووية الإسلامية» من ذي قبل ومن قبل «ذو الفقار علي بوتو» و«ضياء الحق» وآخرين من باب إعداد القوة التي أمرنا بها الإسلام ومن باب ألا تُحرم دولة إسلامية من حقها في الدفاع عن نفسها، ومن هنا جاءت فتوى بعض علماء الدين بأهمية امتلاك الرادع النووي إلى حد القول بـ«أن امتلاك الرادع النووي واجب شرعي» ولقد صرح بهذا شيخ الأزهر وجمهرة أخرى من العلماء. يقول

د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.. «إن مصالح الأمة تدعو لحيازة القنبلة النووية... ولقد جاء ذلك حين أدان الموقف الأمريكي غير المتزن من هذه القضية وذكر فضيلته الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وردد فضيلته ما قاله الشاعر في إطار ما نراه من ممارسات إسرائيل:

«لا ألـوم المسـتـبـد إذا تجرأ أو تـعـدى

شـأنـه أن يسـتـبـد وشـأنـنـا أن نسـتـعـدا»

(جريدة المسلمون ٦٢ صفر – ١٤١٨ – ٢٠ يونيو ١٩٩٨)

الخلاصة أن نتنبه لما يُردده الصهاينة بخصوص «القنبلة النووية الإسلامية» حتى إن كان دافع البعض منا في استخدام المصطلح بدافع آخر.. فهناك طرق وتعبيرات أخرى أكثر نفعًا وأقل ضررًا إذا أردنا أن نعبر عن الدافع النبيل والمشروع لنا.

٣ - نمط رد الفعل الانفعالي والمتسرع :

ولقد تجسد هذا في رد الفعل الذي طالب أن تنسحب الدول العربية وفي مقدمتها مصر من معاهدة منع الانتشار النووي، ومن أمثلة هذا الطرح ما ذكره الجنرال سعد الدين الشاذلي – مع عميق الاحترام لشخصه وتاريخه – بجريدة الشعب في ١٩٩٨/٥/٢٩م ومجلة المجتمع في ٩٨/٦/٢٩ – فإن مثل رد الفعل هذا – ومع الموافقة على ضعف وترهل معاهدة منع الانتشار النووي – يجانبه الصواب من عدة أوجه أولها أنه قد فات أوان هذا الأمر الآن وليس هو العقبة.. إنما العقبة الحقيقية هي الإرادة في التحرك نحو اتجاه ما بالإضافة

إلى أن هذا الرأي من شأنه أن يستدعي كل العقوبات وكل ردود الفعل السلبية من الخصوم والأعداء بل المحايدين دون أن يكون له مردود فعلي.. فإذا كنت وعلى سبيل المنطق فعلاً قاب قوسين أو أدنى من الوصول للتفجير النووي الناجح مثلاً لكان هناك قول آخر!.. ولك أن تتخذ هذه الخطوة أو غيرها!.. ولكن الأمر بهذا الشكل، والدعوة للخروج من المعاهدة بهذا الأسلوب من الأمور التي تجسد نمط رد الفعل الانفعالي والمتسرع الذي كلفنا كثيرًا في الماضي ونرجو أن يتوقف من باب المسئولية الوطنية الصادقة والإيجابية.

٤ - نمط الاستعداء السلبي:

المقصود بهذا النمط أن نقوم باستعداء آخرين بأسلوب يتسم بالرعونة دون محاولة تحييدهم وضمهم لقضيتنا... وهذا النمط السلبي الذي نعتبره من خطايا الحوار التفاوضي العربي قد تجسد من مقولات تعبر عن التصدي للهند بالوقوف مع الباكستان فلماذا لا يكون الوقوف بجانب باكستان مثلاً لا يستتبع استعداء الهند ومعاداتها حتى وإن تطرقنا إلى تحليل الأسلوب المتطرف للحزب الحاكم في الهند فلا ينبغي أن ننسى مواقف الهند في فترات سابقة، ولماذا نترك ساحة الهند خالية لإسرائيل لتحدث مزيدًا من التقارب الذي يُعد بالسلب من ناحيتنا... ولماذا لا نترك الجسور قائمة ونمد المزيد منها مع الهند سواء مع الحزب الحاكم أو مع القوى الأخرى التي قد يكون لها أن تمسك بمقاليد الحكم في الهند في المستقبل... فلقد أثبتت ورسخت التجربة الديمقراطية الهندية فكرة تداول السلطة فعلاً...!!

٥ - نمط رد الفعل المتأخر: DELAYED RESPONSE

قدمنا فيما سبق في الجزء الثاني من هذه الدراسة تفصيلات وأمثلة عديدة لمفهومين هما: التفاعل أثناء الحدث.

REAL TIME INTERACTION.

والتفاعل الذي يتسم برد الفعل المتأخر.

DELAYED RESPONSE

ولعل الكثير من تفاعلاتنا عقب التفجيرات الهندية/ الباكستانية قد جسد هذا النمط من التفاعل... حيث بدأنا في التعبير عن الاندهاش والإحباط ووصم تحركاتنا بفوات أوان الفعل، ولعل ممن انتقدوا هذا النمط مقال للواء مهندس محمد عبد الفتاح محسن بعنوان: «البوصلة والقنبلة» (الأهرام ١٩٩٨/٦/٢) الذي يسترجع تاريخ البرنامج النووي المصري ويتساءل في نهاية المقال ويقول:

«والآن ألا يحق لنا أن نتساءل أين القنبلة العربية؟ ولماذا لم ننجح في توظيف الإمكانات العربية الهائلة لحماية أمننا القومي؟... لقد كان لمصر برنامج نووي طموح، ولكنه تجمد، فإذا كان مؤشر البوصلة قد لحق به خلل في الخمسين سنة الماضية، فقد آن الأوان للاستدلال على الدرب وعندنا الإرادة ولدينا علماء مصر وهم كنز لم نقترب منه بعد...».

٦ - نمط القطرية الانعزالي والتسلحف:

هذا النمط يركز على مبدأ غير تفاوضي ومفاده القول: «إن موقفي الأصح ورؤيتي الأصح... كان عليك أن تفهم ذلك من مدة وعليك قبل الجلوس معي أن تفعل كذا وكذا...» وهو موقف لا يتعامل مع فكرة

إدارة الاختلاف من أجل الوصول إلى قاسم مشترك يتيح فرصًا أفضل للجميع مما عليه الوضع الكائن... ولقد تجسد هذا النمط في العديد من التفاعلات السلبية في واقعنا، ولعل من المهم أن نطل على تفاعلات محاولة عقد مؤتمر قمة عربي عقب التفجيرات النووية التي واكبها شبه موت لعملية السلام المتعثرة... فبدلاً من تجاوز الكثير من الأمور وتخطيها وصولاً إلى موقف بخصوص المستجدات، علم الجميع أن أطرافًا عربية تناست كل المستجدات بخطورتها وراحت تقول إن القمة هي من أجل مساندة من دخلوا إلى «معمعة السلام واتفاقياته وأن توجههم من البداية كان خاطئًا ويريدون من ينقذهم اليوم..!» «إن أي محلل موضوعي يجد في هذا الموقف اختزالاً وتسلحًا» فهو موقف يجسد الانعزال القطري وعدم القدرة على إدارة الاختلافات بشكل عملي وفعال ولا ينظر للصورة الكبرى للموقف وموقع الأرضية المشتركة للتحدي الذي يواجه العرب كلهم دون استثناء... ولعل من المقالات التي انتقدت بشكل غير مباشر مثل هذا النمط مقال مرسي عطا الله بعنوان «الحديث النووي» و«حديث القمة!» (الأهرام ١٩٩٨/٦/١) وكذلك ممن سخروا من هذا النمط بشكل غير مباشر زكريا نيل في مقاله بعنوان «اتركوا حكاية القمة لحالها!!... وكونوا كالعمالقة الجدد في الهند وباكستان!!». (الأهرام ١٩٩٨/٦/٦).

... بالإضافة إلى ما يفيد فكرة «التسلحف اللاتفاوضي» المرتبطة بنمط القطرية الانعزالي «انهماك البعض في مزيد من التقوقع وعدم الثقة بأي أحد... كأن نستمع لمن يقول «الموضوع ببساطة أنا كدولة

عربية س أو ص أشعر الآن بالتهديد أولاً من إسرائيل ثم من... ثم من... ثم باكستان....» هذه هي الحسبة الصح!...

فلا ينظر إلى التضامن العربي بإيجابية أو يحاول هذا بأي شكل من الأشكال أو أن يسعى إلى ضم الباكستان إلى العمق الطبيعي لها وهو عمقها الإسلامي أو التقدم بأي صيغ إيجابية من شأنها تعظيم القوة في عالم يتجه إلى الاندماج في كيانات كبرى من شأنها أن تهمش عالم القوى الصغيرة... بل إنه عالم يسعى إلى تفتيت تلك الكيانات الهزيلة المنعزلة... «شاء من شاء وأبى من أبى!!».

***

خلاصة هذا الجزء في ذلك التوقيت وأسئلة مستقبلية

أطلت التفجيرات الهندية الباكستانية بحسابات جديدة ومعادلات لابد من ضبطها بحكمة وربما ما نخلص إليه هو دراسة الأسئلة التي تم تناولها وصولاً للحجج السليمة – وهو الأمر الذي يتطلب دراسة منفصلة؛ لأن الوصول إلى هذه الحجج السديدة هو أساس الوصول إلى اتخاذ القرارات المستقبلية السليمة من ناحية، ومن الناحية الأخرى العمل على تجنب أنماط الحوار التفاوضي السلبية التي رصدناها، والتي لاشك أنها تمثل عقبة كبرى في إحداث التضامن وتعظيم قوة الأمة العربية الإسلامية.

البرنامج النووي المصري

يمثل ما سبق ذكره ما كنت قد رصدته في الطبعة التجريبية عام ١٩٨٨، وما يتبقى لذكره هنا ويعد أحداث الصراع الأوروبي الأمريكي والدولي مع إيران حول برنامجها النووي... هو استمرار رد الفعل العربي تجاه تجارب الآخرين ولقد تمثل رد الفعل العربي في إطار «هوجة كبيرة» لإنشاء البرنامج النووي السلمي المصري، وهذا ما صاحبه كذلك هوجة أخرى في دول عربية لإنشاء برامج للطاقة النووية السلمية ... ولعل من المهم وقبل اللحظات الأخيرة من الدفع بهذا الكتاب إلى آلة الطبع، جاء التحرك المصري بخصوص إنشاء عدة محطات نووية، ومجلس أعلى لاستخدامات الطاقة النووية السلمية حيث أعلن الرئيس محمد حسني مبارك للعالم تدشين مرحلة جديدة يكون لمصر فيها برنامجها النووي. ولا شك أن هذا الأمر جاء ليلبي

احتياجات مصر المستقبلية من الطاقة، ولتأسيس أكبر لقاعدتها العلمية، وقد أعلن الرئيس مبارك مسئوليته التاريخية عن هذا البرنامج في إشارة إلى أهمية الأمر وما قد يتطلبه من خطوات حيوية أخرى لصالح بناء القوة العلمية وفى كافة القطاعات... ويحتاج هذا الملف (بالقطع) إلى تحليل يأتي في سياق لاحق بإذن الله.

***

٧ - حالة إيران وأمريكا ونمط أو «نظرية الدولة المجنونة» !!

(مقالة للكاتب - الأخبار ٢٠٠٦/٦/٨)

مصطلح «الدولة المجنونة» أو (MAD STATE) من المصطلحات التي استخدمت في عدة أزمات دولية سابقة، ومن أهمها أزمة حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣، حين استخدم هذا التعبير الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون عند تبريره لفتح مخازن الجيش الأمريكي على مصراعيها، وإقامة أكبر جسر جوى لتعويض الخسائر الإسرائيلية الضخمة على جبهة قناة السويس، حين عبرت قواتنا الباسلة القناة ودمرت خط بارليف وأسقطت عددًا كبيرًا من طائرات العدو ودمرت مئات المدرعات الإسرائيلية ونفذت عددا من المفاجآت القتالية الاستراتيجية غير المسبوقة التي أوصلت القيادة الإسرائيلية إلى حالة من الانهيار النفسي، والتي لاحظها نيكسون على أداء جولدا مائير وخشي أن تصل في ذروة تلك الأزمة إلى حالة «الدولة المجنونة» التي قد تستخدم ما لديها من أسلحة نووية يعرف الجميع امتلاك إسرائيل لها؛ ولذلك كان الجسر الجوي غير المسبوق لطمأنة إسرائيل ودعمها وعدم إيصالها إلى حالة الانهيار النفسي التام الذي قد يصل معه الفاعل السياسي للقيام بأي عمل قد يصل إلى حالة الجنون أو ما يُسمَّى كذلك «باختيار شمشون» الذي هدم المعبد على الجميع.. وبخصوص الأزمة الأمريكية الإيرانية، نرى أن الطرفين قد استخدما إلى الآن وتبادلا مصطلحات ومفردات «الدولة المجنونة».. حيث سربت أمريكا الأخبار في بدايات الأزمات بالقيام بضربات جوية وصاروخية

مركزة تعيد إيران خمسين عامًا إلى الوراء ولم تبخل إيران هي الأخرى، ومن خلال تصريحات الرئيس الإيراني نفسه أحمدي نجاد بأن إسرائيل سوف تكون من أول أهداف الضربات الإيرانية إذا مس إيران أي سوء، بل لقد صرح رئيس أركان حرب الجيش الإيراني منذ فترة طويلة أن الجيش الأمريكي في العراق سيكون رهينة وسيتعرض لخسائر فادحة بالإضافة إلى استعداد عشرة ملايين انتحاري إيراني للرد على أي اعتداء وستكون أهدافهم عبر العالم كله، كذلك تم تسريب أخبار مفادها أن إيران ضبطت صواريخها الموجهة نحو كل آبار النفط في الخليج وأن أي اعتداء عليها سيكبد العالم أجمع خسائر «اختيار شمشون» بهدم المعبد على كل من فيه... إذن فلقد شاهدنا في هذا الملف أساليب الدولتين في الردع والردع المقابل.. ويقى أن نسمع اليوم عن أن الحوار والتفاوض هو السبيل الوحيد لإدارة هذه الأزمة أو هذا الملف الإيراني الأمريكي.. والصراع اليوم له أولوية محددة للتفاوض حولها لدى كل من أمريكا وإيران، وهو بالنسبة لأمريكا منع إيران من الاستمرار في تخصيب اليورانيوم على أرضها واحتمالية تملكها للسلاح النووي، وبالنسبة إلى إيران أن يكون لها حرية التملك المشروع للطاقة النووية السلمية وتخصيب اليورانيوم على أرضها.. وهنا توجد مسألة ملبدة بالغيوم والغموض حيث تثير وسائل الإعلام والدعاية الأمريكية مسألة الخطر الإيراني على إسرائيل وحالة الغموض النووي الإيراني بعدم قبول كل المقترحات الفنية التي تعني السماح لإيران بوجود الطاقة النووية السلمية لديها مع السيطرة على إمكانية أن تفاجئ العالم كله بامتلاكها للسلاح النووي إذا ما لم تتحقق هذه السيطرة الدولية على الملف النووي الإيراني وفي حديث مطول مع كونداليزا رايس في البرنامج الأمريكي المعروف

باسم «واجهة الأمة» بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٤ ذكرت أن التفاوض والحشد الدولي ضد إيران هو المسلك الذي سيتبع مع إيران، وذكرت أن الاختيار العسكري لايزال واردًا إذا كان هناك اضطرار له..

والموضوع الإيراني هو موضوع لا يمكن فهمه إلا من خلال رؤية تاريخية - ولو قريبة - لطبيعة هذا الصراع.. فالأجندات التفاوضية الأمريكية الإيرانية متنازعة وغير متوافقة شكلا، ولكن هناك رغبات وتحركات غير معلن عنها تفيد بأن هناك حوارًا طويلا على كل الأجندات المغلقة سيتم تفعيله - إذا لم تنفلت الأمور، وهذه الأجندات تعكس ما يلي:

١ - أن هناك رغبة إيرانية حقيقية في الانطلاق نحو التنمية الكبرى وعدم الدخول في صراع مع أمريكا.. وأن إيران قد تكف عن تأييدها لحزب الله وأن تتبنى مبادرة الدولة المعتدلة المعروفة «بمبادرة الأمير عبد الله» ملك المملكة العربية السعودية اليوم - وأنها ستتخلى عن دعمها لحماس وباقي المنظمات المماثلة، في مقابل الاعتراف بها كقوة إقليمية كبرى.. ذات قوة نووية سلمية - أو في حالة أن يكون اختيارها للسلاح النووي أن يتم الاعتراف بها ضمن النادي النووي في العالم.

٢ - أن الإدارة الأمريكية الحالية كانت تبغي تفعيل سيناريو «إيران بعد العراق» لولا أنها قد تلقت درسًا قاسيًا في المستنقع العراقي وهذا قد أضعف الموقف التفاوضي الأمريكي وأعطى قوة دفع كبيرة ليكون الموقف التفاوضي الإيراني قويًا.

٣ - أن قراءة الفكر الاستراتيجي الأمريكي واستشراف المستقبل بخصوصه قد يخبرنا كثيرًا عن دوافع التحركات الأمريكية، وهذا ما رصدتُه بقدر كبير من التفصيل في كتاب لي عن استشراف

المستقبل جاء بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام»: دبلوماسية المسار الثاني من منظور لغويات التفاوض عام ١٩٩٩، (وأودع نسخة منه في الأخبار) وقدمت فيه تحليلاً لكتاب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق كاسبر واينبرجر ومعه الباحث الأمريكي المعروف بيتر شويتزر وجاء بعنوان «الحرب القادمة» ونشر عام ١٩٩٦ (دار نشر ريجنس) والكتاب يطالب الشعب الأمريكي يتحمل كل الأعباء لمواجهة «دول الشر» ومنها إيران والسيناريو الافتراضي يقول ما يلي:

بعد أن حصلت إيران على مجموعة من العلماء، ومنهم خبير نظم الصواريخ فلاديمير أورو الذي يصفه الكاتبان بأنه «أسطورة» من أساطير تصميم الصواريخ النووية في روسيا بعد أن وصل راتبه ١٢ دولارًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بدأت إيران في التفكير في استرجاع مجد الإمبراطورية الفارسية ويقول السيناريو (المكتوب على غرار أفلام هوليود المسلية).

لقد أصبح لإيران سلاح نووي اسمه «ذو الفقار» وأنها ستلوح باستخدامه لبسط سيطرتها على الخليج، ويذكر الكاتبان أنها ويلغة السيناريو يتم استخدام «الفعل الماضي» فيقولان إن تظاهرات شيعية حدثت في البحرين.. وقامت إيران بتجربة تفجير السلاح النووي ثم طلبت من القوات الأمريكية بأن تترك المنطقة في غضون ٢١ يومًا.. بعد ذلك قامت بغزو البحرين ثم باقي دول الخليج، وهنا وصل سعر برميل البترول إلى مائة دولار، وتسيطر إيران على بترول الشرق الأوسط، ويسرد الكاتبان تفاصيل «درامية» كثيرة كالتي نشاهدها في

أفلام هوليود تمامًا.. وهنا يحدث تحالف دولي كبير.. وفي تلك الأثناء تتعرض مدينة موترا الإيطالية لقصف صاروخي نووي إيراني:

لماذا هذه المدينة تحديدًا؟ لا نعرف.. فلم يذكر كاتبا السيناريو أي شيء.. ولكنها من ضمن «إخراج السيناريو» وجعله «هوليوديًا» وهنا لا يوجد مناص من ضرب إيران نوويا.. ويضع الكاتبان خريطة بها مواقع القصف الأمريكي النووي لإيران.. في ص ١٤٠ من الكتاب.

إن هذا السيناريو الوهمي والكئيب والعياذ بالله، والذي شنه اثنان من المفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين الحقيقيين – وليس الوهميين – ليدلنا حتما على التفكير الأمريكي الاستراتيجي في المنطقة، فالكاتبان قد كتبا هذا السيناريو عام ١٩٩٦.. وجزئية وجود القوات الأمريكية بالمنطقة قد تحقق بالفعل في العراق.. وإن كان فاشلاً.. ولكن المهم أن نعلم أن كل السيناريوهات التي يضعها أناس من خارج المنطقة لا يمكن أن يكتب لها أي نجاح إذا تحرك أبناء المنطقة بعقلانية وصيغة فاعلة.. ولاشك أن هناك ما يمكن الاستفادة منه من قراءة هذا السيناريو.. وهو أهمية التوازن الإقليمي لحفظ السلام والابتعاد عن تنفيذ أساليب «الدولة المجنونة» سواء كانت هذه الدولة هي (أ) أو (ب) أو (جـ).. الرهان الحقيقي هو أهمية تفعيل القوة العربية الجماعية ووجود السيناريو العربي الذي يقدر العرب على تفعيله لاحتواء الأزمات بالمنطقة، والذي لن يتم إلا بتفعيل القوة العربية الجماعية، هذا ما ذكرته عام ١٩٩٩ في نهاية كتابي المشار إليه، والأمر يزداد خطورة وخطورة سنة بعد سنة والسؤال: هل يستمر تركيزنا على برامج مثل «العندليب من يكون»!! وبكل هذا الحشد

الإعلامي أو «سمعنا صوتك» ويظل معدل إنتاجنا «٤٠ ألف» مغنٍّ كل شهر في الوطن العربي بينما يتحرك الآخرون في إطار سيناريوهات في غاية الخطورة تتطلب منا برامج أخرى.. من العمل الجاد الشاق لإعلاء شأن هذه الأمة والله ولي التوفيق.

٨ - نمط حوارات «البرمجة اللغوية العصبية» والحالة العراقية!!

(مقال للكاتب. الأخبار ٢٠٠٧/١/١١)

نعود إلى موضوع «البرمجة اللغوية العصبية» (NLP) لنحاول تقديم تحليل للحالة العراقية التي قد يرى المتخصص في هذا المجال الحيوي كيف أن هناك «هندسة» للمشهد العراقي متعمدة لخلق برنامج فوضوي ليس فقط في العراق، بل السعي لتصدير تلك الفوضى التي أطلقوا عليها أنها «فوضى بناءة» وهي في الواقع فوضى، ولكنها هدامة ومخربة ومؤذية، والتحليل الذي أقدمه في سياقنا هذا يتخذ من مفاهيم «البرمجة اللغوية العصبية» أساسًا للتحليل المقدم. لقد أصبح مجال البرمجة اللغوية العصبية» يستخدم لرفع مهارات الأداء في بناء «فرق العمل» وفي «ربطه بمجال التفاوض» وكذلك في استكشاف الطاقات الكامنة واستغلالها في أمور زيادة التحصيل وتقوية الذاكرة والعديد من المجالات الإنسانية البناءة، ولقد خرج هذا النموذج العلمي من رحم علم اللغويات العصبية، حيث أسس له عالمان معروفان للمتخصصين وهما ريتشارد باندلر وهو عالم رياضيات في جامعة كاليفورنيا، ومعه المؤسس الحقيقي جون جرايندر أستاذ اللغويات بنفس الجامعة.. وأول نقطة هنا للاستنتاج تفيد بأن هذا المجال هو مجال عبر تخصص في تأسيسه، والكلمات الثلاث المكونة لمسمى النموذج تعني الآتي: «البرمجة» وهي كلمة من علم الحاسوبيات (PROGRAMING)

وهي أصبحت من الكلمات الدارجة.. وتعني وضع برنامج تشغيل ولكن ليس هنا في جهاز الكمبيوتر، بل في العقل البشري لتشغيله حسب المطلوب.. والمقصود هنا زرع برنامج في العقل المستهدف يجعله ينتقل من وضع إلى وضع آخر (من المفترض بالطبع) أنه الأفضل.. وكلمة «العصبية» NEURO.. المقصود بها الجهاز العصبي المرتبط بالتفكير وبطرق وأساليب التفكير، والكلمة الثالثة هي «اللغوية» أي اختيار اللغة المناسبة والأسلوب والاستراتيجية اللغوية الملائمة لتحقيق هدف ما وتجنب اللغة والأسلوب الذي يبعدنا عن تحقيق هذا الهدف.

وتجربة الباحثين المؤسسين لهذا المجال الحيوي لم تبدأ من التنظير أساسًا.. ولكن بدأت من الواقع المعيش.. والتجربة الإنسانية المبنية على تراكم الخبرات.. وكانت البداية تتمثل في أن عكف العالمان على دراسة شخصيات تألقت واشتهرت ووصلت إلى قمة الأداء الإنساني في جميع المجالات المؤثرة، وهكذا وبعد تجميع عدد من هؤلاء العباقرة في المجالات المختلفة.. بدءوا يدرسون سلوكياتهم وكيف تحدوا الصعاب؟ وما طبيعة تلك الصعاب؟ وكيف تغلبت عليها هذه الشخصيات؟ - كل في مجاله - وكيف تعاملوا مع مجموعة العوامل السلبية التي صادفتهم؟ وكيف تعاملوا مع سياق الفرصة؟.. وأسئلة أخرى كثيرة وحيوية تفسر سبب النجاح والإنجاز الكبير الذي حققته مثل هذه الشخصيات المرموقة في العالم.. من هنا توافر قدر كبير من البيانات التي تم من خلالها الصياغات العلمية ومفاهيم النموذج بالاستعانة بمجالات معرفية وعلمية عديدة.. ومع الأسف فإنني أرى أنه قد استخدم مجال البرمجة اللغوية العصبية للتعامل

بتطبيقات هدامة مع الوضع العربي وخاصة فيما يتعلق بالحالة العراقية المحزنة، وسوف أقدم سردًا أوليًا من مفاهيم هذا العلم لكي أوضح كيف استخدمت البرمجة اللغوية العصبية عندنا في منطقتنا والهدف ليس هو الوصف، بل المزيد من الكشف عن الآليات المستخدمة للتنبه لها وإيقاف مفعولها واستخدامها بأسلوب يحقق أجندتنا بدلا من أن تستخدم على وعينا ليتم تحريكنا من مربع إلى آخر بفعل هذه المفاهيم وهي كما يلي:

(١) مفهوم النمذجة: MODELLING

وهنا جاء التسويق للعراق «كنموذج للديمقراطية» التي جاءت على ظهر الدبابة الأمريكية والاحتلال.. ولايزال هناك من يتبجح ليتحدث عن هذه «الديمقراطية».. وفي البداية كان الكلام عن «ديمقراطية» على غرار «ألمانيا» و«اليابان» ثم خفّت وتيرة مثل هذا الكلام بعد الخسائر الضخمة التي تكبدها العراق بعد هذا القتل البشع وغير المسبوق في التاريخ الحديث، ثم جاء مشهد محاكمة وإعدام الرئيس السابق صدام حسين، والذي جعل كل من أدان ديكتاتوريته وجرائمه يدين كذلك الأسلوب الهمجي وغير المراعي لأي حد أدنى من الآداب التي تعرفت عليها الإنسانية.. وهنا لا يخفق أي محلل موضوعي في إدانة كل الأطراف العاملة في الحقل العراقي، ولكن ومع الأسف نرى من يقع في فخ «النمذجة الأمريكية» فنجد على سبيل المثال أن الطرح الذي قدمه أحد كتابنا الكبار في عمود له بالأهرام في ٢٠٠٧/١/٨ بعنوان «صراع شيعي – أمريكي» هو طرح يقع في هذا الفخ.. وهنا نحذر من الوقوع في هذا الفخ، وهنا نرصد المفهوم التالي الشارح من مفاهيم البرمجة اللغوية العصبية وهو:

(٢) مفهوم وأسلوب «الحذف» (DELETION)

و«الحذف» يتمثل هنا في أن الولايات المتحدة تحاول دائمًا انتهاج هذا الأسلوب.. والحذف الذي ورد في نقل كتابنا للرؤية الأمريكية يتمثل في أن الولايات المتحدة قد أوصلت رسالتها للعرب والمسلمين في أول أيام العيد.. وتحليل المعنى العميق للكلمة التي قالها الرئيس الأمريكي لا يمكن أن تقنع بأن هناك «حذفا» لمسئولية أمريكا عن هذه «الرسالة النفسية» وهي، بغض النظر عن أي شيء، في يوم «عيد النحر» الرسالة السيكولوجية التي هي رسالة تتسم باستهداف جماعي وليست موجهة لشخص واحد.. ولكن «أسلوب الحذف» الأمريكي يحاول الإيحاء بأن حكومة المالكي هي الوحيدة الضالعة في مسألة «النحر يوم العيد»!!

(٣) مفهوم وأسلوب «السيكولوجية العكسية» (REVERSE PSYCHOLOGY)

ويرمي هذا الأسلوب لتوظيف تحرك ما وعرض واقع بعينه ليكون تمويها على تحرك آخر ليكون هو المطلوب بالفعل من وراء ذلك التمويه، والإيحاء بأن هناك خلافًا أمريكيًا شيعيًا، وإشهار وتعزيز هذا الكلام بوسائل مختلفة يرمي إلى اللعب على أوتار مسألة وضع السنة في مواجهة الشيعة، والهدف النهائي هو الزج بحرب طويلة الأجل بأشكالها المختلفة.. وآخر خبر سمعناه كان يقول: «إن أمريكا تخشى أن تتحول العراق إلى أرض حرب بالوكالة بين السعودية وإيران».. فهل تخشى أمريكا ذلك حقًا، نتناول في المقال القادم باقي المفاهيم وأقول لعبة «البرمجة اللغوية العصبية» معنا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو الموفق سبحانه لتجنب كل الفخاخ الصعبة.

٩ - نمط التعامل مع «البرمجة اللغوية العصبية» و«استراتيجية عربية للتفاوض»

(مقال للكاتب - الأخبار في ٢٠٠٧/١/٢٥)

تحدثنا في المقالين السابقين عن عدة «برامج تشغيل» موجهة إلى ساحة التفاعلات في العراق التي أصبحت وكأنها ساحة تجارب تقوم فيها أطراف عديدة بمحاولة تفعيل وتنفيذ تلك البرامج، فتحدثنا عن «برنامج النمذجة» الأمريكي الذي حاولت أمريكا أن تقنع من خلاله – ومن خلال احتلالها للعراق – الجميع في هذا العالم، وخاصة في العالم العربي، بأنها تقيم «نموذج الديمقراطية».. على الطريقة الأمريكية، والحقيقة أن الولايات المتحدة تسببت في تدشين نموذج غير مسبوق للفتنة الطائفية، فلقد أصبحت العراق نموذجًا للدولة الطائفية، حيث التناحر بين الطوائف والمذاهب والأعراق، وأصبح علاج الأمر بحاجة إلى جهود جبارة لإدارة أزمة عراقية داخلية لا تزال تستعصي على الحل أو قريبه.. بل على العكس فإن السيناريوهات الأسوأ هي المرشحة مع كل الأسف، وإذا كانت هناك «عدة برامج تشغيل» فإن الهدف من رصدها في سلسلة هذه المقالات تهدف إلى كيفية أن يمسك المفاوض العربي بأهم خيوط هذه الأزمة بعد الاستيعاب الدقيق لأهم «برامج التشغيل القائمة من أجل استنهاض دور عربي فاعل».. وسوف أحاول في هذا المقال التركيز على معضلة التوصل لاستراتيجية عربية التفاوض والتفاعل مع تعقيدات النموذج العراقي «الطائفي» وتداعياته على المنطقة.

والمشكلة على أرض الواقع أصبحت تتمثل في وجود جرائم شبه منظمة ضد السنة العراقيين وقتل أعداد كبيرة منهم في إطار من ممارسة المتطرفين من الشيعة للشحن والشحناء الطائفية.. وهو ما جعل رموزًا بارزة ممن يمكن تسميتهم بالتقريبيين أو هؤلاء الذين يسعون للتقريب بين المذاهب وتعميق لغة الحوار المنطقي بين المسلمين من سنة وشيعة وترسيخ منهج الحوار وتغليبه على منطق الفتنة والتناحر، خاصة من أهل السنة، فالمتتبع لخطاب من هم أمثال د. يوسف القرضاوي وغيره يجدهم يحذرون من مغبة الصمت على مخططات وجرائم ترتكب في حق السنة في أرض العراق بعد أن كان خطاب هؤلاء التقريبيين يتسم بالدعوة للحوار والتهدئة وهذا التحول في الخطاب الذي أصبح تحذيريًا ومواجهًا بعض الشيء قد جاء بعد هذه المخططات التصفوية وثبوت وقائعها بعد أحداث وصفت بأنها وصلت إلى حد استخدام تعبير «التطهير العرقي» من قبل الشيعة للسنة في العراق.. وهو الأمر الذي رفع وتيرة الأجواء إلى الحد الذي نادت فيه بعض الأصوات أن تقوم قيادات السنة وممثلوها بالتدخل لمنع المجازر أو القيام بما يساوي فعلا من أفعال «الردع» حتى لو كان من خارج الساحة العراقية.. وهنا نكون قد وصلنا إلى قمة التوتر الحرج.. حيث إن التقريبيين أو أصحاب منهج التحاور بين السنة والشيعة قد انتقل جزء مهم ومؤثر منهم بالانشغال بغير التهدئة.. بل والولوج إلى مرحلة من المواجهة نحو التفكير في «أساليب الردع» التي أصبحت مطلوبة في هذه المرحلة، ولكن لعلها تأخذ شكل النصح ولغة الحسم في المواقف، خاصة أن الخطاب الإيراني والأساليب الإيرانية في إدارة الأزمة الإيرانية الأمريكية قد أسست وشجعت على هذا الاستقطاب المؤسف الحادث، فمثلاً عندما

قرأت مقالاً للأخ الكاتب أحمد السيد النجار في الأهرام جاء بعنوان «شرعية صدام وشرعية القتلة الطائفيين» (٢٠٠٧/١/٦) والنجار معنى أكثر من غيره بشئون الاقتصاد أساسًا، إلا أن ذلك المقال قد عكس صورة من الخطاب الذي اضطر أصحابه للخروج إلى مواجهة مطلوبة وعدم اتخاذ مواقف الحيدة والدعوة لمنع الفرقة والتحاور والولوج إلى مربع الهجوم الحاد - المبرر - من زاوية بعينها.. كذلك فإن التحول في وتيرة أعلى في خطاب بعض المثقفين والكُتّاب المعروف عنهم التوجه للحوار، بل والتعاطف الواضح مع الإيرانيين من أمثال الكاتب الكبير فهمي هويدي قد شهد هو الآخر تحولاً نحو التعبير عن الأسى والحزن والانتقاد لمواقف إيرانية بعينها حيث يقول هويدي في مقالة بعنوان «رسائل الإعدام المهين»: «لقد شعرت بمرارة في حلقي حين وقعت على ذلك التصنيف الذي ساوى بين إيران وأمريكا وإسرائيل في الحفاوة بعملية إعدام صدام». ويضيف قائلا: «لكن المرارة اقترنت بحزن لم أستطع إخفاءه لأن طهران انضمت إلى الشامتين ولم يستوقفها انتهاك حرمة العيد ولا ما أصاب مشاعر ملايين المسلمين من أذى ومهانة جراء تنفيذ الإعدام صبيحة يومه الأول ورأيت في تلك التصريحات إيران أخرى غير التي عرفتها أو تمنيتها.. غلبت فيها فرحة الانتقام للطائفة على الغضب لما أصاب كرامة عامة المسلمين من انتهاك وازدراء وهو ما جعلني أتساءل قائلا: لو أنها كانت إيران الشاهنشاهية، هل كان الأمر يختلف عما عبرت به إيران الإسلامية؟!» بينما يضع كاتب كفهمي هويدي اعتراضاته ورفع وتيرة احتجاجه إلى مستوى الأسئلة التي تتطلب توضيحًا ومواقف لا لبس فيها من الجانب الإيراني، فهناك خطاب إعلامي عربي ينمو ويتضخم في اتجاه أكثر إشارة لكل أنواع الخوف

من إيران من الخليج للمحيط وتنتشر فيه لغة المواجهة الحادة، عموما ما أود الوصول إليه بعد ما ورد أعلاه من نوعية خطابات أراها تتحول شيئًا فشيئًا إلى التدرج إلى وتيرة أكثر علوًا في المواجهة إلى حيث لا نعرف أو ندري.. ولكن ما أود أن أركز عليه هنا هو «أننا لا ينبغي أن ننساق لتأثيرات وتداعيات ذلك» البرنامج اللغوي العصبي الذي أرى أنه من الخطورة إلى الحد الذي ينبغي أن نرى معه أحد سيناريوهات المستقبل المحتمل حدوثها وهو سيناريو أمريكي إسرائيلي في جوهره ومضمونه، وأن هناك من يسعى لتفعيله بتصعيد التوتر السياسي والطائفي والمذهبي في المنطقة إلى ذروته.

لاتزال الفرصة أمامنا كعرب وكأمة إسلامية للهروب من ذلك «البرنامج القاسي» والمدمر إلى آفاق برنامج يتجنب كل فخاخ التصعيد والمواجهات المدمرة وأن نسعى في ذلك إلى تدشين وترسيخ استراتيجية تفاوضية تعبر بنا إلى آفاق التقريب بين عناصر الأمة بعيدًا عن أصوات التطرف وأصوات السقوط في مربعات الفتنة.

والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان.

مراجع الجزء الثالث

* المقالات الصحفية والأحاديث الشفهية التي تم الاستشهاد بها قد تم رصد كتابها وأطرافها وتاريخ ومصدر المعلومات داخل نصوص فصول هذا الجزء.

١ – راجع كتاب كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر التالي:

CASPER WEINBERGER & PETER SCH WEIZER, NEXT WAR, REGNERY PUBLISHING, INC., 1996.

– راجع مقال صموئيل هنتنجتون التالي:

SAMUEL HUNTINGTON, "CLASH OF CIVILIZATION", FOREIGN AFFAIRS, SUMMER 1993.

٣ – راجع الكتاب التالي الذي قدم له الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر:

DOUGLAS JOHNSON & SYNTHIA SAMPSON, RELIGION: THE MISSING DIMENSION OF STATE CRAFT, NEW YORK: OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1994.

٤ – راجع الكتاب التالي لايان لوستيك وهو من أول الأعمال العلمية التي تحلل ظاهرة الأصولية اليهودية بجرأة وعلمية موضوعية:

IAN LUSTICK, FOR THE LAND AND THE LORD; JEWISH FUNDAMENTALISM IN ISRAEL, NEW YORK: COUNCIL ON FOREIGN RELATIONS PRESS, 1988.

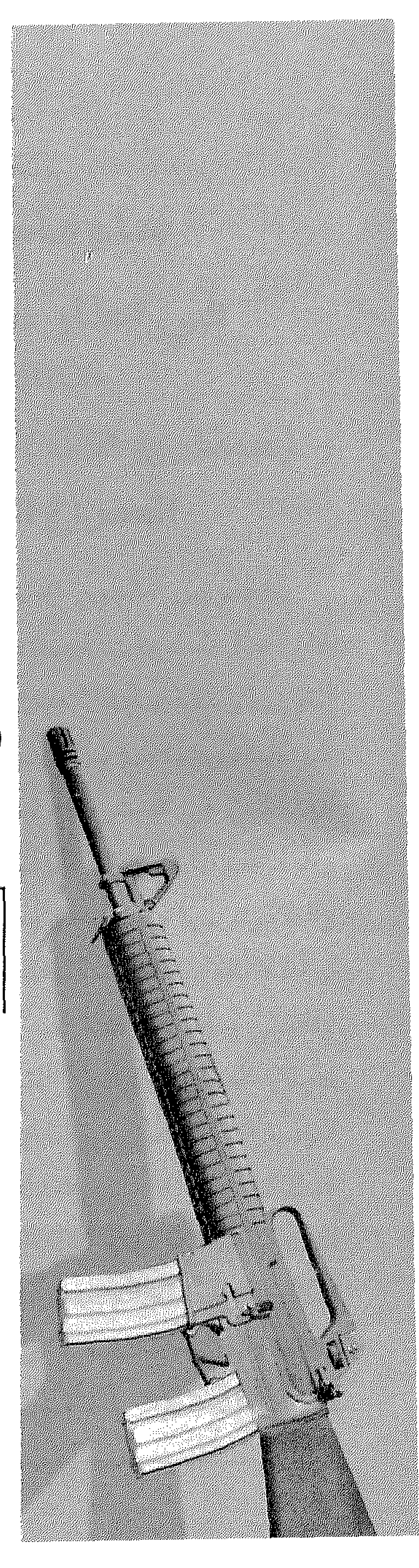
الجزء الرابع

دبلوماسية المسار الثاني في إطار «سيناريوهات كونية»

GLOBAL SCENARIOS

المستقبليات والمعلوماتية:

ومن التخندق ما قتل!



الفصل الرابع عشر

دبلوماسية المسار الثاني

في إطار «سيناريوهات كونية»

GLOBAL SCENARIOS

(سيناريوهات «الإسلام والغرب» في إطار الصراع العربي الإسرائيلي)

بخصوص مفهوم السيناريوهات الكونية يمكننا الخوض فيها على عدة مستويات؛ فيمكننا مثلاً التحدث عن تلك المتعلقة بالمحاور التي ذكرناها سابقًا، حيث قد تتحول صراعات إقليمية إلى صراعات كونية، وهذا ما ترصده وتستغرق فيه جهود عشرات بل مئات الباحثين في المشروعات المستقبلية في عالم اليوم. ويمكننا هنا رصد سيناريوهات كونية على محاور البيئة وصراعات المياه، والتكنولوجيا والمعلوماتية ونظم الحكم، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة أخرى منفصلة خاصة فيما يتعلق بسيناريوهات «الموارد»، ولكنني سأقتصر هنا على ذلك السيناريو الذي لابد أن ننظر إليه في سياق السيولة الراهنة التي يتسم بها ما يُعرف بالنظام العالمي الجديد الذي يندرج في إطار مناقشة مفاهيم متناقضة منها ما يسمى «بالكونية» "GLOBALISM" ومنها ما يتعلق بظاهرة «انفجار الصراعات العرقية» "ETHNIC CONFLICTS" والتكتلات الاقتصادية الكبرى وصدام الحضارات. وقد يكون من المفيد تخريج دراسة منفصلة في هذا الصدد عن كل بُعد من هذه الأبعاد، ولكن ما يعنينا هنا ما قد يستغل أساسًا لإضافة أعباء ينبغي التعامل معها، فيما

يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي خاصة في مجال السيناريو رقم ٤ الذي ورد ذكره. في الجزء الأول من هذه الدراسة.

فإذا ما نظرنا إلى خريطة مفاهيم وأدوات دبلوماسية المسار الثاني (الصراعية) خاصة في صعيد ما يتم ترسيخه عن العرب والمسلمين في الغرب، فهذا لا يكون بعيدًا عن سيناريو «صدام الحضارات» وليس ببعيد عن فكر وممارسة الصهيونية. وبالرغم من أن الكثير من المفكرين والمسئولين في واقعنا العربي يقولون إن هذا السيناريو غير مقبول، ويقول أحدهم «أنا لا أعتقد شخصيًا بوجود صدام بين الحضارات، بل الأمر لا يعدو أن يكون تنافسًا» وكأنه لا يقبل الفكر من باب «أنه من الأفضل أن نقتنع بأنه لا صدام بين الحضارات والأمر مجرد مصالح وتنافس!» نعم... نتمنى جميعًا هذا ولكن الأمور لا تؤخذ بالتمني، فمن الملاحظ أنه عندما نشر صمويل هنتنجتون نظريته بخصوص «صدام الحضارات» وتم الهجوم عليه من باب أنه أكاديمي ضعيف وحجته ضعيفة، فإن أرض الواقع وممارسته لابد أن تجعلنا على حذر واستعداد لكي نحتوي آثار مثل ذلك السيناريو الكوني، والذي يصوره هنتنجتون كما يلي:

«إن النظام العالمي الجديد يقوم على صراع ثماني حضارات هي الحضارة الغربية، واليابانية، والكنفوشيوسية، والهندوكية، والأمريكية اللاتينية، والأرثوذكية السلافية، والحضارة الإسلامية (فهو يعتقد أيضًا) أنه يمكن أن تضاف إلى هذه الحضارات الحضارة الإفريقية... (ويرى) أن الحضارات الثماني الكبرى تختزن قوى الصراع المستقبلي.. وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جهات لها نقاط التماس بين الحضارات خاصة بين

الإسلام من ناحية وكل حضارة من هذه الحضارات على حدة. ويرصد هنتنجتون الأمثلة للتدليل على ما وصل إليه من استنتاجات»...(٢)

وكما ذكرنا ولاحظ عشرات الكُتاب في الشرق والغرب ضعف أطروحات هنتنجتون وعدم اتساق بنية بحثه الذي أحدث كل هذا السجال في عالم الأكاديمية، إلا أن واقع الممارسة يشهد مع وجود نظريات التكتلات الاقتصادية اندلاع صراعات عرقية غير مسبوقة في العصر الحديث ويشهد ممارسات تنم عن تفعيل نظرية صدام الحضارات هذه، ولعلنا نربط بين هذه النظرية الأكاديمية الضعيفة وممارسات عديدة سيكون لها سياق تفصيلي آخر، ولكن ربما يكون من المهم أن نقدم هنا لقطة واحدة من بين عشرات اللقطات المماثلة وردت في مقال حديث لأحد أبناء الجالية العربية المقيمين في لندن حيث يذكر صاحبها وليد نويهض (في ١٩٩٧/٤/٢١. جريدة الحياة) ما يلي:

ازدادت الأسئلة إلحاحًا وأخذت تطرق الذهن عند ملاحظة ظواهر لافتة وغريبة. ألمانيا تقوم بطرد البوسنيين من أرضها على دفعات بذريعة أن الحرب انتهت وعليهم العودة إلى بلادهم لإعمارها في وقت تمنع فيه الولايات المتحدة حكومة البوسنة من الحصول على معونات من دول عربية وإسلامية تسرع من عملية إعادة البناء. الجبهة الوطنية في فرنسا تفوز بعدة بلديات كبيرة وتطالب بإقفال المساجد وطرد المسلمين المغاربة إلى بلادهم في وقت تعاني بلدانهم من القمع والاستبداد والفوضى والفساد. ممثلة سينمائية غبية تقوم بتأليف كتاب (مذكرات) وإطلاق تصريحات عنصرية ضد المسلمين في فرنسا، ويفشل المسلمون في حذف الفقرات المهينة ضدهم لأن

المحكمة رأت في أفكارها مجرد حرية رأي. حوادث عنصرية مشبوهة ضد الأتراك والمغاربة وغيرهم من أفارقة وآسيويين تحصل أسبوعيًا أو شهريًا في ألمانيا وبلجيكا وفرنسا في وقت تتراجع فيه قوانين الحماية ويتجه الاتحاد الأوروبي إلى وضع شروط قاسية ضد الأجانب في القارة وتفشل المجموعات اليسارية والديمقراطية في وقف الإجراءات أمام محاكم الدول الأوروبية.

لم تقتصر تلك الظواهر على بعض أوروبا، بل أخذت تنقل أمراضها إلى بريطانيا التي تعتبر علمانيتها معتدلة وتقوم على التعددية الثقافية ولا تفرض شروطها على الآخر مادام الآخر يحترم القانون ووحدة البلاد. بدأت هذه الظاهرة المخيفة بالانتقال منذ ألف الكاتب الهندي المسلم روايته وجرح فيها مشاعر المسلمين. ورفضت المحاكم الاستجابة لدعاوى المسلمين القضائية بذريعة أن القانون لا يشملهم. وامتدت الظاهرة إلى الصحف الشعبية فأقدمت إحداها على وصف العرب بالخنازير، وعندما اعترض المسلمون على الوصف أقدمت الصحيفة نفسها على نشر كاريكاتور يمثل مظاهرة للخنازير تحتج على وصفهم بالعرب. ومنذ تلك اللحظة كسرت الصحافة الشعبية عين المسلمين وأخذت عند كل شاردة وواردة بالتطاول على الأقليات المسلمة في بريطانيا واصفة إياهم بأبشع الصور متسلحة بأن القانون لا يحميهم كبقية الأقليات مثل الكاثوليك أو اليهود، مستغلة أحيانًا تصريحات يطلقها بعض الأدعياء من المسلمين تساهم في تشويه السمعة والصورة.

آخر الابتكارات كان ذلك الفيلم التسجيلي الذي عرضته القناة الرابعة البريطانية عن واحد يطلق على نفسه أو أطلقت عليه

«آية الله» المذكور بادر بإطلاق الكلام شمالاً ويمينًا فطالب بتطبيق الشريعة في بريطانيا ورفع راية الإسلام فوق مقر رئاسة الوزراء واعتبر أن البريطانيين هدف مشروع للمسلمين وادعى أنه يملك مراكز تدريب في المملكة تمهيدًا لإعلان الجهاد واعترف أنه يتلقى مساعدات مالية من الضمان الاجتماعي ويعيش على حساب دافع الضرائب وأنه يقوم بجمع التبرعات وإرسالها إلى حماس وحزب الله لمحاربة الكفرة واليهود.

وتحدث المذكور عن أمور كثيرة مثل الموسيقى والفرق الموسيقية والشذوذ الجنسي، وترك مقدم البرنامج لـ «آية الله» أن يأخذ حريته في القول والكلام من دون اعتراض. فالكلام يصب في خانة اللاسامية والعنصرية ويعطيهما القوة المادية والتبرير المنطقي لإثارة المجتمع ضد المسلمين والمطالبة لاحقًا بطردهم من البلاد بحجة تهديد أمنها وإثارة الفتن الأهلية. ولم يوضح مقدم البرنامج أن المذكور يمثل رأيه الخاص وأن المسلمين لا يوافقون على ما قاله وذكره...» (وليد نويهض - الحياة - ١٩٩٧/٤/٢١).

إن ما ورد أعلاه يتكرر بشكل أو بآخر ويجعل من «سيناريو صدام الحضارات» سيناريو له وقائعه الحاضرة البينة، وهو الأمر الذي لا يمكن تجاهله ونحن نخطط لممارسات احتوائية من خلال دبلوماسية المسار الثاني من منظور عربي إسلامي. في إطار التأكيد على سياسات تدريبية وبرامج تدريبية من أجل هندسة عربية متكاملة لدبلوماسية المسار الثاني، وهنا لابد أن تتمحور الجهود على عدة محاور هي:

(١) على صعيد العمل العربي الداخلي:

لابد من العمل على تدعيم مهارات الحوار العربي العربي والخروج من دائرة الحوارات السلبية وخطايا حوار التفاوض العربي التي ذكرناها، والتي تبدد الوقت والجهد وتبتعد بنا عن التقارب والتضامن الذي لابد منه لأمة تمتلك قيمًا حضارية وإنسانية تمكنها من أن تضبط معادلة يكون من شأنها رد كيد المعتدين والإسهام الإنساني المتمين، فهذه القيم تتوافق مع معطيات دبلوماسية المسار الثاني كبديل عن سياسات وغطرسة القوة POWER POLITICS والتي تنطلق من المباراة التفاوضية فلنكسب جميعًا WIN-WIN GAME كذلك فإن علينا أن نحتوي في نفس الوقت ملامح وسمات وتوجهات وأغراض دبلوماسية المسار الثاني الصراعية والصراعية الحادة التي ينتهجها الخصوم لتشويه صورتنا ولزرع توجهات معادية للأمة العربية الإسلامية.. ولكل ما يتعلق بمفردتي «عربي» و«مسلم» وقطع الطريق على مثل هذه النوعية من الممارسات حتى لا تحقق الهدف منها، وهذا يتطلب – بالإضافة إلى تدريب القائمين على إدارة هذا الصراع تقنيًا بخصوص تمكينهم من أدوات التحليل والإقناع والتواصل الفعال عبر الثقافات حاضرًا ومستقبليًا – أن نتمكن من تحديد تضاريس الخريطة الذهنية لساحات التفاعل بدقة على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي على سبيل المثال، كما قمنا بتحديد ذلك والعمل على اختراق الجبهة الداخلية الإسرائيلية بطرق مبتكرة تمكننا من الإمساك بأوراق الضغط من أجل تحقيق سيناريو السلام العادل وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام وإفشال وإحباط أي مؤشرات لسيناريو التفكيك الذي يسعى العدو لتفعيله، وكذلك الحفاظ على الحد

الأدنى من تدهور الأوضاع وإفشال خطوات من يسعون إلى جر المنطقة إلى حافة الهاوية بطريقتهم، وفي الوقت والمكان الذي يحددونه سواء عن علم ونية مُبيتة أو عن جهل ورعونة...

لابد أن نحافظ على ضبط معادلة مهمة مفادها تعميق المشاركة الدولية في إقامة السلام العادل وكذلك عدم الدخول في متاهات المواجهة السلبية مع الوسيط الأمريكي الذي يملك الكثير من أوراق الضغط التي يمكننا نحن تفعيلها، فلقد كانت سمة الانفعال هي الغالبة بخصوص الانحياز الواضح الذي مارسه الوسيط الأمريكي، ولكن لابد ألا ننسى أن أرض الوسيط الأمريكي مليئة بالاتجاهات والفرص الكبيرة ولابد أن تكون هناك آليات فعالة لامتلاك منصات فكرية وسياسية مؤثرة على صانع القرار من خلال الجهود المتعددة واستغلال ودفع أنشطة الجاليات العربية الإسلامية هناك والجهود الدبلوماسية المتعددة، أي لابد من نشر رءوس كباري تربط بيننا وبين ما يحدث على الأرض الأمريكية، وأن نقوم بحماية وتنمية كل الاتجاهات الإيجابية التي لابد من تفعيلها وعلى سبيل المثال لا الحصر نرصد ما يلي:

مجابهة سيناريو البقرة الحمراء!

■ هناك فئات ممن يعارضون فكر المسيحية الصهيونية التي تعتنق مبدأ التأييد الأعمى لإسرائيل إلى حد هدم المسجد الأقصى وإحداث محرقة نووية.. ومن آخر أخبار هذه الفئة التي تسمى أيضًا «بحزام التوراة» أنها تؤمن بأسطورة يهودية توراتية تقول: إن بناء هيكل سليمان، للمرة الثالثة سيبدأ بعد ولادة بقرة حمراء لا توجد بها شعرة من لون آخر، فهذه علامة يرسلها الرب ليهود العالم ليؤمنوا

بهذه الأسطورة، وقيل إن البقرة الحمراء المقدسة والمرتقبة قد ولدت بالقرب من حيفا منذ سبعة أشهر تقريبًا. فهي وكما يعتقد اليهود إشارة من «الرب» ببداية تنفيذ «المعبد اليهودي الثالث» في القدس، ولقد ذهب إلى القرية في الأيام السابقة مجموعة من الحاخامات اليهود «خبراء الأسطورة» وشاهدوا البقرة الحمراء «المقدسة» وقالوا إن هذه البقرة هي علامة «الرب» لبناء المعبد أو هيكل سليمان للمرة الثالثة في التاريخ البشري!!

... لماذا لا نقوم بتعبئة كل القوى المناهضة للهوس الديني وذلك التطرف على الصعيد الأمريكي والغربي... فهناك من ساعدنا بتقديم كتابات قوية أثارت ردود فعل إيجابية في الغرب من أمثال جريس هيلسل وجودمان وغيرهما ولقد نوهت بجهود هذا الخط.

* هناك كذلك توجهات عديدة يمكن توظيفها للسيطرة على الهوس الديني وتعظيم دور الدين الحقيقي كرسالة من أجل رفعة شأن الإنسانية وأخوة البشر والتعايش السلمي.. فلماذا لا ندعمها وتكون بدايات لمنصات فكرية مؤثرة في الغرب ولعل من المهم أن أشير هنا إلى كتابات وتوجهات وأصوات هامة في هذا الصدد مثل:

هذا الكتاب الحديث بعنوان «الدين، البعد المفتقد في إدارة شئون الدولة ١٩٩٤م[٢]، والذي قدمه الرئيس الأمريكي الأسبق چيمي كارتر والذي يضم دراسات حالة لعدد كبير من مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية التي ترى أهمية النظر للدين في جوهره لوقف ذلك الهوس الديني والتطرف وبناء علاقات دولية لا تتجاهل هذا الدور الإيجابي للغاية الذي يمكن أن يلعبه الدين بجوهره في إرساء قواعد إنسانية للتفاعل بعيدة عن غطرسة القوة وبعيدة عما سُمي في إطار

هذا الكتاب بمفهوم «الاختزال العلماني» SECULAR REDUCTIONISM الذي اعتبره الباحثون من المفاهيم الخاطئة التي كان من شأنها تدهور الكثير من الصراعات وانفلات إدارتها.

وكذلك فإن من الكتب المهمة للغاية كتاب أيان لوستيك LUSTICK بعنوان: «من أجل الأرض والرب: الأصولية اليهودية في إسرائيل»(٤) وهو من الكتب المهمة التي نشرها المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية حديثًا، والذي يصور حجم الهوس الديني والتطرف الأصولي الذي سوف يؤدي إلى إشعال منطقة الشرق الأوسط، والذي يحذر المؤلف منه وهو أستاذ العلوم السياسية ويقول إن الولايات المتحدة إذا وقفت مكتوفة الأيدي فإن الثمن الذي ستدفعه ويدفعه العالم سيكون ثمنًا باهظًا...».

إن السؤال الكبير الذي يطرحه لوستيك هو من الأسئلة المثارة الآن لدى قطاع كبير من المفكرين الاستراتيجيين والباحثين الأمريكيين ومفاده: «أنه سؤال لحكومة كلينتون يقول: هل تريدون سلامًا في الشرق الأوسط أم تريدون الجلوس تراقبون عملية السلام وهي تموت ببطء؟»

إن السؤال الأكبر والأعمق يطرحه لوستيك وهو: ماذا نحن فاعلون للتعامل بكفاءة مع تيار الهوس الديني داخل إسرائيل الذي لا يؤمن إلا بالصهيونية الأصيلة، والذي يرى أن الصراع الحقيقي في إسرائيل ليس في السجال الدائر بين «الصقور» و«الحمائم» أو بين السلام والحرب ولكن واقع الصراع بالنسبة لهم يكمن فيما يصفونه بأن الصراع بين «الصهيونية المشوهة» و«الصهيونية الأصيلة» ومفادها بالنسبة لهم:

« لقد أُمرنا من رب إسرائيل وخالق هذا العالم أن نتولى حيازة الأرض المقدسة وأن نفعل ذلك من خلال حروب دفاعية أو حروب تحريرية.. إن الأمر يتطلب عينين مفتوحتين... عينين يمكنهما رؤية يد الرب.. ورؤية أرضنا المقدسة التي شهدت حروبًا على مدى السنين... واليوم وبمساندة الحرب، فإن هذه الأرض في أيدينا وكذلك المعبد في أيدينا..».

... القضية هنا أننا لابد أن نؤسس تواصلاً واتصالات فعالة مع كل من يضرب أجراس الخطر الراهن والقادم بخصوص هذا الهوس الديني الذي إن لم يُترك دون احتواء فسيدفع الجميع بخصوص هذا ثمنًا باهظًا ليس في صالح إنسانية هذا القرن والقرن القادم.

■ بالإضافة إلى التواصل الفعال من أجل إنشاء منصات فكرية ورءوس كباري ثقافية داخل الواقع الغربي والأمريكي بل والإسرائيلي ذاته فلابد من تنسيق الجهود بخصوص إعداد برامج فعالة على مستوى المحطات الفضائية العربية التي تحتاج إلى مزيد من الاستنهاض والفعل الإيجابي من حيث الاستخدام الأمثل والفعال لتقنيات التفاعل والتواصل عبر الثقافات وأن يكون هناك تنسيق بين هذه الفضائيات لإزالة التشويه الذي يُلحق بثقافتنا العربية والإسلامية وأن ننتقل إلى مستوى المبادرات التفاعلية التي تحشد الرأي العام العالمي لصالح قضايانا ولصالح السلام العادل الذي هو بحاجة إلى أن يُفرض في إطار الممارسات الصهيونية الراهنة.

■ إذا كان ما سبق يتطلب تنسيق الجهود على مستوى الاستخدام الأمثل للمحطات الفضائية العربية وبلغات أجنبية تصل للآخرين فلا يكون تفاعلنا مغلقًا كما هو في أكثر الحالات، فإنه لابد من بذل

الكثير من الجهود لاستخدام قنوات الإعلام الغربي ذاته، فهناك ولاشك هامش يمكننا استخدامه إذا ما أحسنا اقترابانتا وأساليب تناولنا للقضايا بشكل يخالف كثيرًا ما نمارسه حاليًّا في العديد من البرامج والفقرات الراهنة.

*****

المستقبليات والمعلوماتية
«ومن التخندق ما قتل!»

تبقى هنا هذه النقطة الأخيرة وهي أهمية التعرف على طبيعة هذا العصر وأهمها كونه يسمى بعصر «المعلوماتية» وأحيانًا أخرى يسمى بـ«المستقبليات» وعلينا أن نتيقن أن من ثوابت هذا العصر الذي يتسم بسيولة شديدة هو التمسك بعقيدتنا وبالعقلية العلمية معًا. من هنا فإن هذه الدراسة تقول بالأهمية القصوى للتمسك بعناصر ثقافة التفاوض الإيجابي التي تربط بين ثوابت عقيدتنا وأدوات التحليل العلمي - حاضرًا ومستقبليًا - من أجل تحقيق التضامن العربي الإسلامي... أي من أجل بناء التماسك الداخلي أولاً اللازم لإدارة الصراعات والتحديات الخارجية بكفاءة وإيجابية. وعلينا أن نتخلص من الكثير من الافتراضات المسبقة الخاطئة والاستاتيكية... وخطايا الحوار التفاوضي الذي استرسلنا في إبرازه من أجل تجنبه فيما يجد من قضايا وعلينا دائمًا الأخذ بأساليب التحليل المستقبلي وأن تكون الرؤى والبدائل المستقبلية سبيلنا إلى التدخل الإيجابي في تفعيل السيناريوهات المستقبلية المحققة لتقدمنا واستقرارنا وعزتنا وكرامتنا وتجنب السيناريوهات المخالفة لتحقيق ذلك.

ولقد استوقفني مؤخرًا وأنا أضع نهاية هذه الدراسة مقال بجريدة الحياة اللندنية بعنوان «سيكولوجية المعلومات ومشاكل استخدامها السياسي» «(١٠-٤-١٩٩٨) - (١٣ ذو الحجة / ١٤١٨هـ) لكاتبها أحمد النابلسي - نائب رئيس الاتحاد العربي لعلم النفس كما وصفته الصحيفة... وعند قراءة المقال وجدته بمثابة صيحة «تحذيرية» جديرة بالتوقف عندها بالتحليل» حيث يقول الكاتب:

«وتنطلق المستقبليات من منطلق قدرة المعلومات في المساعدة على رسم صورة المستقبل. لكن هذه المعلومات (وهي صناعة إنسانية) لا تستطيع تخطي القصور الإدراكي – البشري لمفهوم الزمان.

فالإدراك البشري يحيط بالزمان كمفهوم تجريدي ويبذل الجهود لقياسه بصورة رقمية أو مقارنة. هذا القصور يترافق مع الثغرة الزمنية الفاصلة بين المعلومات (المتراكمة عبر الماضي المستمر وبين المستقبل (زمان الحدث). وغالبًا ما تتحدد الأحداث المستقبلية انطلاقًا من مجريات الأمور خلال هذه الثغرة الزمنية. ويضيف النابلسي قائلاً:

هذه العوامل تجعل اعتماد السياسة على المستقبليات اعتمادًا محاطًا بالشكوك. خصوصًا بعد إضافة المبدأ العلمي النفسي القائل بأن مصدر الخوف يكون أحيانًا الخوف من الخوف. بمعنى آخر، فإن **المستقبليات السياسية** قد تلعب دور الإيحاء الذي يدفع الأمور باتجاهها دون أن يكون هذا الاتجاه من طبيعة الأمور. وتحديدًا فإن طرح هنتنجتون عن حتمية صدام الحضارات قد يستتبع جملة أفعال وردود أفعال تحول هذا الصدام إلى واقع أو على الأقل فإنها تدفع الأمور باتجاهه، مما قد يحول المستقبل إلى نتيجة للاستعمال السيئ وللصناعة الرديئة للمعلومات ويعيد طرح مجمل التحفظات الواردة أعلاه...».

إن الطرح الذي يقدمه كاتب ذلك المقال لابد أن يشكر عليه حيث إنه يفيد بحقائق ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار وأهمها في الواقع ما قد يُعتبر بمثابة معالجته لموضوع حملات المعلومات،

وحمـلات المعلـومـات الملغـومـة «أو المضللـة» أو غير الدقيقة (DISINFORMATION) أو (MISINFORMATION) ... ولكن خطـورة هـذا الطـرح أنه لا يتعرض لجزئية المعلومات الخاطئة أو المضللة أو غير الدقيقة فقط، ولكنه يتعرض لفرع من فروع العلم بأكمله حيث يحيطه بالشك والريبة مجال من مجالات العلوم الحديثة على إجماله... فالمستقبليات سواء كانت سياسية أو غير سياسية إذا أردنا أن نأخذ بها لابد أن يتوافر لها ما يلي:

١ - أن تكون علمية... أي أن ينبني البحث في إطارها على الأخذ بكل ما يُطرح على الساحة للتعرف على الحقيقي والوهمي والمضلل أو غيره بأسلوب علمي غير متعسف بعيدًا عن أسلوب «سجن الافتراضات المسبقة التي تنبني على قدر غير كاف من البيانات».

٢ - أن تكون المستقبليات بجانب النظرية العلمية الصارمة مستمدة من بيانات واقعنا العربي الإسلامي وقيمه... أي أن يكون تأسيسها على أساس من التقنيات العلمية المعنية بالتحليل من ناحية، ويهدف استشراف قضايا العالم العربي والإسلامي من قبل المتخصصين العرب من ناحية أخرى، حتى نتمكن من تفعيل ما نراه مناسبًا من سيناريوهات تتفق مع أجندتنا والتدخل الإيجابي لمنع ما نراه سلبيًا ومضادًا لمصالحنا وقيمنا. أي لابد من تأصيل العلم ليناسب أجندة وقيم الواقع الذي نمثله. لأن ما تأسس عليه الكثير من العلوم المستقبلية والاجتماعية والسياسية واللغوية قد نبع من واقع مجتمعات

مختلفة.. وعلينا أن نحدد ما هو علمي عالمي وما هو علمي ثقافي في هذا الصدد.

إذن فخطورة الطرح الذي يقدمه النابلسي - وهو يمثل قطاعًا لا بأس به ممن يفكرون بنفس التوجه - في أنه قد يمثل نمط «التخندق» وربما ترك مجالاً مهمًا من مجالات العلوم الحديثة وبذلك ترك الساحة للآخرين وهذا من سلبيات الحوار التفاوضي العربي.. إذا وصلت هذه الرسالة من مقال الكاتب. أو كانت ما يعنيه فعلاً...

ولعل ذلك المقال يذكرني بحادث آخر أبرزه الفيلم الوثائقي الذي عرضته قناة MBC عن مرور خمسين عامًا على الصراع العربي الإسرائيلي عندما ذُكر - في بدايته - أن الاتحاد السوفيتي قد مرر معلومة لمصر وسوريا عن وجود حشود على الجبهة فاستنفر ذلك القوات المصرية والسورية وحدثت التعبئة العامة والتصعيد، وذُكر بالفيلم أن هذا الأمر كان طُعم المؤامرة السوفيتية حينذاك على العالم العربي... ويغض النظر عن حقيقة هذا الأمر من عدمه - فإن هذا يشكل مثالاً للمعلومة الخاطئة وآثارها المدمرة... ولكن المشكلة دائمًا ليست في المعلومة الخاطئة، المشكلة في المتلقي لها... فكيف لا نتحقق وكيف نفقد دور الفاعل ونقبل بدور المفعول به أساسًا... فهذا الدور له تنوعات عديدة في واقع تفاعلاتنا - مع الأسف - وإذا أردنا أن نترك هذا الموقع على طول الخط فهذا لن يحدث إلا بانتهاج موقع «الفاعل» الإيجابي وهذا له شروط ومقومات كثيرة أسأل الله العلي القدير أن تكون هذه الدراسة واحدة من الدراسات التي تسهم نحو هذه الغاية والله ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان.

*****

خاتمة الدراسة

في خاتمة هذه الدراسة أود التأكيد على أهم ما نستخلصه من مجموعة التحليلات المقدمة وهي كما يلي:

١ - إن هذه الدراسة ليست موجهة فقط لصانع القرار والمفاوض الرسمي، بل لكل إنسان عربي في كل موقع في التفاعلات الاجتماعية والسياسية والإدارية والتربوية والإعلامية، فالدراسة لا تتعامل فقط مع إظهار سيناريوهات للحرب والسلام في منطقتنا - كما في حالة الصراع العربي الإسرائيلي أو كما أوضحنا من خلال سيناريوهات الخليج العربي وسيناريوهات الإسلام والغرب، وكذلك «السيناريو النووي الآسيوي» - بل تتعامل مع عمق عملية بناء مهارات التفاوض الإيجابي اللازمة لدبلوماسية بناء القوة بكل أشكالها وإدارة فرق العمل الجماعي في جميع المجالات لصالح التنمية ولصالح أمة تبني الإخاء وترد كيد المعتدين.

٢ - إن المهارة التقنية التي يركز عليها هذا العمل الذي جاء فيما يزيد على الأربعمائة صفحة هي مهارة أساسية ومحورية لكل عمليات التفاوض بأشكالها المختلفة وهي مهارة بناء الحجج (Argument Building) وتفنيدها (Refutation) ورصد أوجه الخلل التقنية في إقامة الحجج لتجنبها (Argument Fallacies) والتعرف على أنواع وأنماط الحجج داخل وعبر الثقافات وذلك من خلال ملفات تفاعل حية تمس وجداننا ونعايشها سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

٣ - إن التعرف على ما سبق في النقطة الثانية هو بالتالي في عمق مهارة أخرى وهي مهارة القدرة على بناء وصياغة سيناريو سليم (Effective Scenario Building) . وكذلك مهارة «التفكير بالسيناريو» وما يستتبع ذلك من السعي المتواصل لفهم مستوى سياقات التفاعل في أي موقف تفاوضي (في الحاضر أو المستقبل) فمن أهم قيم التقدم (Values of progress) ألاتكون الرؤية آنية وحالية وضيقة، بل تكون متسعة لتطورات المستقبل و«التدخل الاستباقي».

٤ - أوضحت الدراسة أننا نفتقر لهذا «التدخل الاستباقي» ولا أنسى أن أحد الإعلاميين قاطعني في برنامج تليفزيوني ليقول لي «بلاش والنبي كلمة استباق دي لأن الجمهور لن يفهمها» ولم يحزني أداء هذا التعليق الغريب وقلت له: معك حق!! لأنها كلمة مفتقدة كثيرًا بالفعل في واقعنا ولا تكاد تستخدم.. إلا أن هذا أكبر دافع لي لتنشيط استخدامها لتكون مفردة بسيطة وعادية ومتكررة إذا أردنا أن نخرج من شرنقة رد الفعل والجمود الذي جعلنا لا ندير أزماتنا بل يزج بنا من أزمة إلى أخرى.. ولذلك فهذا الكتاب «صرخة علمية» ومحاولة ترصد كل سمات العجز العربي بكل ما وسعني من صدق وموضوعية من أجل استنهاض كل طاقاتنا وطاقات هذه الأمة العريقة التي لا تستحق منا العجز والجمود وإدارة الأزمات من موقع المفعول به بل من موقع الفاعل الذي يستبق الأزمات ويسعى لمنعها، فالاستباق كلمة في عمق القيم الأصيلة لقيمنا الثقافية العريقة، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] .. ففضيلة «الاستباق» هنا تتمثل في المسارعة بكل أشكال الخير، ولا شك أن حماية مصالح الأمة ومنع سيناريوهات تضر بها وتفعيل أخرى تحميها من كل ضرر لتعد على رأس عمل الخيرات.. كذلك نلاحظ أن السياق القبلي لكلمة «الاستباق» في الآية الكريمة هو سياق يتعلق ويرتبط بعملية إدارة الاختلافات ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .. والاستباق في هذا السياق هو إلى كل ما يحبه ويرضاه الخالق العظيم، على صعيد إدارة الاختلافات بهدف فعل الخيرات.. كما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] . أما هذه الآية الكريمة فتحدد سياقًا آخر لـ«فكر الاستباق» من خلال تصنيف العباد إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى عن هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم والآخرين بارتكاب الأخطاء، والثانية عن هؤلاء «المقتصدين» في عمل الخيرات فهم ممن انتهجوا طريقًا متوسطًا، أما فئة أصحاب الاستباق «ومنهم سابق بالخيرات». فهؤلاء هم الذين يحققون أفضل ما يتاح بإذن ربهم ومعونته سبحانه وتعالى لهم.. جعلنا الله أمة تنشر هذا الاستباق (الغائب) بعونه وفضله.

٥ – لقد كان التنبؤ المستقبلي العلمي الخاص بمسار الصراعات الرئيسية في المنطقة والذي قدمته في النسخة التجريبية التي كنت قد كتبتها عام ١٩٩٨ ونشر عام ١٩٩٩ موفقًا – بفضل من الله – ولذلك رأيت الاحتفاظ به في هذه النسخة كما كتبته

حينذاك مع إضافة تحليلات لما استجد من أحداث منذ ذلك الوقت منتهجًا نفس الأسلوب التقني المبني على نموذج لغويات التفاوض Linguistics of Negotiation الذي قدمته على المستوى التحليلي التقني دوليًا وأقدم هنا من خلاله هذا العمل كحلقة من حلقات تطوير هذا الحقل المعرفي الحديث.. والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان.

* * *

عن الكاتب

- تخرج في كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر ١٩٧٧.
- حصل على ماجستير في اللغويات التطبيقية – جامعة تكساس. الأمريكية ١٩٧٩ – ١٩٨١ (المجال: تصميم المناهج واكتساب اللغة الأجنبية).
- حصل على ماجستير علوم في اللغويات – جامعة چورچ تاون بواشنطن ١٩٨٥ (المجال: تحليل للأداء التفاعلي في وسائل الإعلام الأمريكية).
- حصل على الدكتوراة في اللغويات والعلوم السياسية – جامعة چورچ تاون بواشنطن ١٩٨٩ (المجال: آليات القدرة في المفاوضات السياسية الدولية).
- استشاري بالبنك الدولي ١٩٨٣ – ١٩٨٦ (المجال: الترجمة في المجال القانوني والفني والعديد من المشروعات بأقسام الإدارة الفنية وأوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا).
- قام بالتدريس في جامعتي تكساس وچورچ تاون أثناء فترة ابتعاثه، وفي مصر بجامعات الأزهر والجامعة الأمريكية وعين شمس والقاهرة.
- قام بتقديم عشرات الدورات التدريبية في المؤسسات العربية والدولية في مجال تنمية مهارات التفاوض وإدارة الأزمات وطرق الاستشراف المستقبلي في السياقات الإدارية والاجتماعية والسياسية [ومنها بالاشتراك مع جامعة هارڤارد والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية – والديوان الأميري بدولة الكويت – والعديد من البنوك والوزارات في مصر والوطن العربي وبشركات التدريب العربية والدولية..].

- قام بتقديم عشرات المحاضرات والدورات التدريبية في المعهد الدبلوماسي بوزارة الخارجية المصرية وشارك في العديد من ندوات وأنشطة المعهد.
- شارك في تأسيس معهد الأهرام الإقليمي للصحافة، ومستشار بالمعهد.
- خبير من خبراء الوحدة التنفيذية للمعونة الفنية (OUDA) وهي وحدة مشتركة بين وزارة الخارجية المصرية والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وتعنى بتدريب الكوادر البشرية العليا في مصر ودول البحر المتوسط والدول الشقيقة.
- عضو لجنة التخطيط بالمشروع الألفي لاستشراف المستقبل – جامعة الأمم المتحدة.
- عضو لجنة الفكر الإسلامي المعاصر – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٩٩٤ – ١٩٩٥ (قرار وزاري من معالي وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية).
- عضو لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (قرار وزاري من معالي وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية – ١٩٩٦).
- عضو اللجنة الفنية بمكتب وزير التعليم (قرار وزاري من معالي وزير التربية والتعليم العالي بجمهورية مصر العربية ١٩٩٤ – ١٩٩٥).
- عضو اللجنة الاستشارية لنائب رئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم – ١٩٩٥ – ١٩٩٦.
- حائز على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم القانونية والاقتصادية – فرع العلوم السياسية عن كتاب مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، الصادر عن عالم المعرفة ١٩٩٤ وصدر له كذلك عدة كتب من أهمها:

- أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي – دار سعاد الصباح ١٩٩٢.
- التفاوض وإدارة المقابلات – العبيكان – الرياض ١٩٩٧.

■ شارك في عشرات المؤتمرات والندوات الدولية بالأبحاث العلمية في مجالات اللغويات والعلوم السياسية والإعلام.

■ كاتب لعشرات المقالات في الصحف والمجلات المصرية والعربية والدولية ومن كتاب جريدة الأهرام القاهرية.

■ حصل على العديد من شهادات التقدير في مجالات التخصص المشار إليها أعلاه من الهيئات العربية والدولية.

■ مُعار حاليًّا من جامعة الأزهر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – منذ عام ١٩٩٦.

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الإهداء ٣

مقدمة المؤلف ٥

الجزء الأول: سيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي منظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني من منظور لغويات التفاوض ... ١١

– **الفصل الأول:** حول مفهوم دبلوماسية المسار الثاني ومنظومة المفاهيم المتعلقة به ١٣

– **الفصل الثاني:** أهم ملامح وسمات المراحل والمحطات الرئيسية لدبلوماسية المسار الثاني منذ بدء عملية السلام ورؤية من خلال تحليل الخاصية "TREND ANALYSIS" ٢٠

(١) حالة السادات – بيجن: ٢٠

(٢) حالة السفير بيتركونستابل ٢٦

(٣) حالة أوسلو ٢٨

(٤) حالة شمعون بيريز: ٣٢

(٥) حالة مؤتمرات حوار الأديان ٣٣

(٦) دبلوماسية المسار الثاني وحالات خاصة من الإعلام المصري ٣٤

(٧) حالة نتنياهو وحالة الوسيط الأمريكي ٣٦

(٨) حالة كوبنهاجن ٤٢

(٩) حالة توظيف الأفلام الوثائقية في الصراع العربي – الإسرائيلي من منظور دبلوماسية المسار الثاني ٥٣

(١٠) حالة الفيلم الوثائقي «روح شاكيد» فخ «الإعلام» وملف «الأسرى الإسرائيليين» ٥٩

(١١) حالة انتفاضة الأقصى واندلاع العنف ٦٨

(١٢) حالة السياق الحرج لفريدمان الأخير ٧٤

(١٣) حالة سيناريوهات نهاية «خارطة الطريق» ٧٩

(١٤) حالة حرب لبنان ٢٠٠٦ وسيناريوهات الأزمة الإقليمية ٩٦

(١٥) حالة المطلوب عربيًا للتعامل مع المشكلة التفاوضية بعد القرار ١٧٠١.. ١٠٢

(١٦) حالة الحوار مع رئيس الوزراء الهولندي السابق ١١٦
(١٧) مرحلة ما بعد غبار حرب يوليو ٢٠٠٦ ورؤية غربية لنتائج الحرب
اللبنانية الإسرائيلية ١٢١
(١٨) محطة مؤتمر الخريف ٢٠٠٧ ولغة الغموض والمصطلحات المراوغة ١٢٥
الفصل الثالث: دبلوماسية المسار الثاني والسيناريوهات الأربعة
للصراع العربي الإسرائيلي ١٢٩
– تعريف السيناريو ١٣١
– أهم أنواع السيناريوهات ١٣٤
الفصل الرابع: أهم الاستنتاجات الخاصة بتحليل تفاعلات وممارسات
دبلوماسية المسار الثاني في إطار الصراع الممتد ١٤٥
مراجع وهوامش الجزء الأول من الدراسة ١٤٨
الجزء الثاني: سيناريوهات الخليج العربي من أزمة ١٩٩٠ إلى أزمة ١٩٩٨م
(دراسة تحليلية من منظور لغويات التفاوض) ١٥١
الفصل الخامس: مدخل عام لأطر تحليل النص ولغة الحوار ١٥٥
الفصل السادس: خريطة تفاعلات أزمة الخليج وموقع الدراسة عليها
(حالة تطبيقية) ١٦٦
تصنيف هذه الأزمة ١٧١
الفصل السابع: خطايا الحوار التفاوضى فى الواقع العربى ١٧٤
دراسات العقل العربى .. أوجه الوصف وأوجه الخلل ١٧٥
أولاً : المجموعة الأولى من إشكاليات التفاوض ١٧٨
ثانيًا: المجموعة الثانية من الإشكاليات. خطايا الحوار التفاوضى ١٨٧
الفصل الثامن: أنماط الحوار التفاوضى السلبية فى الوطن العربى : مدخل للتقويم .. ١٩٣
النمط الأول : حوارات المباراة الصفرية ١٩٣
النمط الثاني: حوارات التأطير FRAMING ١٩٤
النمط الثالث : حوارات تضخم الإحساس بالذات ٢٠٠
النمط الرابع : حوارات رد الفعل المتأخر ٢٠٢
النمط الخامس : حوارات المؤامرة الكبرى ٢٠٤
النمط السادس : حوارات المواربة أو اللامباشرة ٢٠٧

النمط السابع : حوارات دفن المقولة الرئيسية ٢١١
النمط الثامن : حوارات الصمت والغموض ٢١٣
النمط التاسع : حوارات الإحباط واليأس والحيرة ٢١٩
النمط العاشر : حوارات جدلية الوسائل (التسلحف) ٢٢٢
النمط الحادي عشر : حوارات «الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة» ٢٢٣
النمط الثاني عشر : حوارات «الإطلاقية في القبول والرفض وحتى
في الحل الوسط» ٢٢٥
النمط الثالث عشر : حوارات «تبديل المواقف بسرعة وانفعالية حادة» ٢٣١
النمط الرابع عشر : حوارات «التحفيز الانفعالي» ٢٣٤
النمط الخامس عشر : حوارات «الإذعان واستراتيجيات الدونية» ٢٣٥
النمط السادس عشر: حوارات «الاستبداد والتسلط» ٢٤٠
النمط السابع عشر: حوارات «الغفران العام» ٢٤١
النمط الثامن عشر: حوارات «صور كبش الفداء» ٢٤٦
الفصل التاسع: تحليل لملامح إقامة وتفنيد الحجج وأنماط أخرى من
«خطايا الحوار التفاوضي» ٢٤٩
أولا: علاقة دراسة الملامح العلمية لإقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات
التفاوض بدراسة بنية وتضاريس العقل العربي ٢٤٩
ثانيًا: مدخل عام للمفاهيم العلمية الخاصة بتحليل عناصر إقامة وتفنيد الحجج ٢٥١
ثالثًا: أنماط أخرى تجسد خطايا الحوار وتحليلاً لأوجه الخلل في إقامة
وتفنيد الحجج ٢٥٧
النمط التاسع عشر: حوارات الحجج الأفقية ٢٥٧
النمط العشرون: حوارات خلط الأوراق ٢٦٠
النمط الحادي والعشرون: حوارات سوء استخدام «سلطة النص» ٢٦٧
النمط الثاني والعشرون: حوارات «التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره» ٢٧٠
أولاً: تحليل الموضوعات بمقال الجابري Topic Analysis وتحديد المقولة الرئيسية .. ٢٧١
ثانيًا: ملامح الخلل في حجج محمد عابد الجابري ٢٧٣
النمط الثالث والعشرون: حوارات خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل
ثنائية المعنى ٢٧٥

النمط الرابع والعشرون: حوارات غيبوية الماضي ٢٨٢
النمط الخامس والعشرون: القوالب الذهنية المتفجرة والقوالب الذهنية
الاستاتيكية (المعدة مسبقًا) ٢٨٥
حالة تطبيقية: مناظرة من واقع التفاعلات في واقعنا الثقافي ٢٩١
المقال الأول: العقل العربي والحوار مع الآخر ٢٩١
المقال الثاني: تعليق على مقال العقل العربي والحوار مع الآخر ..تعليق للأهرام ٢٩٤
المقال الثالث: رد على التعليق: العقل العربي والحوار مع الآخر ٢٩٨
المقال الرابع: عودة إلى قضية: العقل العربي والحوار مع الآخر ٣٠٤
المقال الخامس: العقل العربي والحوار مع الآخر ٣٠٨
خاتمة لدراسة أزمة الخليج ١٩٩٠ .... ٣١٢
الفصل العاشر: خطايا الحوار التفاوضي من أزمة الخليج ١٩٩٠ إلى ملفات
أزمة ما قبل ضرب العراق ١٩٩٨ .... ٣١٣
خطاب التسلط وتصنيفات أنواع الكلام: الاقتراب الخاطئ لتحقيق
الوحدة العربية ٣١٥
المراجع العربية للجزء الثاني للدراسة ٣٢٣
المراجع الأجنبية ٣٢٨
الجزء الثالث: تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٨م (أزمة ما قبل قرار غزو العراق)
بين إدارة التوابع وإدارة غموض ذلك السيناريو الآسيوي النووي المستجد! ..٣٣٥
تمهيد: ٣٣٧
الفصل الحادي عشر: تحليل لأهم تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٨ وإدارة توابعها .. ٣٣٨
أولاً: بُعد التفاعلات العربية – العربية ٣٣٨
– نظرية العقرب والضفدع من مياه النيل إلى مياه الخليج ٣٤٥
ثانيًا: الدروس المستفادة من أزمة خليج ١٩٩٨ .... ٣٤٩
– الحجج وصياغة السيناريو ٣٥٢
الفصل الثاني عشر: سيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي/ الشرق الأوسط: ٣٥٧
تمهيد ٣٥٧
– استباق الأزمات وسيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي والشرق الأوسط ٣٥٨
– من أين جاء سيناريو ضرب إيران؟ ٣٥٩

- السيناريو العربي الموازي ٣٦٢
- هل إن لم تكن العراق كانت إيران أو العكس؟ ٣٦٤
الفصل الثالث عشر: في إدارة غموض السيناريوهات النووية المستجدة وتحليل
أنماط الحوار التفاوضي حوله في الواقع العربي ٣٦٦
أولاً: رصد أهم الأسئلة التي طرحها ملف التفاعلات حول التفجيرات
النووية الباكستانية ٣٦٧
ثانيًا: أنماط الحوار التفاوضي في ملف التفاعلات العربية حول التفجيرات
الهندية الباكستانية ٣٦٩
١ - نمط انقسام الحوار الدائر حول ما سمي القنبلة الإسلامية إلى حوار
تناحرى بين علمانيين وإسلاميين ٣٦٩
٢ - نمط الترديد الإعلامي «من طُعم الغواصات الإسلامية»
إلى «القنبلة النووية الإسلامية» ٣٧١
٣ - نمط «رد الفعل الانفعالي والمتسرع» ٣٧٣
٤ - نمط « الاستعداء السلبي» ٣٧٤
٥ - نمط «رد الفعل المتأخر» ٣٧٥
٦ - نمط «القطرية الانعزالي والتسلحف» ٣٧٥
خلاصة هذا الجزء في ذلك التوقيت وأسئلة مستقبلية ٣٧٨
٧ - حالة إيران وأمريكا ونمط أو «نظرية الدولة المجنونة» ٣٨٠
٨ - نمط حوارات «البرمجة اللغوية العصبية» والحالة العراقية ٣٨٦
٩ - نمط التعامل مع «البرمجة اللغوية العصبية» و«استراتيجية عربية للتفاوض» .. ٣٩٠
الجزء الرابع: دبلوماسية المسار الثاني في إطار «سيناريوهات كونية» ٣٩٥
الفصل الرابع عشر: دبلوماسية المسار الثاني في إطار «سيناريوهات كونية»
(سيناريوهات «الإسلام والغرب» في إطار الصراع العربي الإسرائيلي) ٣٩٧
المستقبليات والمعلوماتية «ومن التخندق ما قتل!» ٤٠٨
خاتمة الدراسة ٤١٢
عن الكاتب ٤١٦

أحدث إصدارات

أ.د. حسن وجيه

- سيناريوهات الحرب والسلام .. مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة.
- فخاخ التفاوض وحروب المعلومات.
- التفاوض فى عصر الاستفزاز .. كيف نتحاور ؟.. كيف نتفاوض؟



سيناريوهات الحرب و السلام

مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب للقارئ العربى دراسة استشرافية ترسخ من مبدأ الأخذ بالأسباب التقنية التواصلية لتجاوز خطايا الحوار التفاوضى واللاتفاوضى وفك الاشتباكات الخاطئة فى واقعنا العربى الإسلامى كمنطلق أساسى لابد منه نحو تحقيق التضامن والأخذ بأسباب إدارة الاختلافات والتعايش الإيجابى معها على كافة أصعدة التفاعل الاجتماعى والإدارى والسياسى.

إذن، فهذا الكتاب ليس موجهًا فقط لصانع القرار والمفاوض الرسمى، بل لكل إنسان عربى فى كل موقع، فالدراسة لا تتعامل فقط مع إظهار سيناريوهات الحرب والسلام - كما فى حالة الصراع العربى - الإسرائيلى -، أو سيناريوهات منطقة الخليج العربى وسيناريوهات «الإسلام والغرب» و«السيناريو النووى المستجد»، بل تتعامل مع عمق عملية بناء وصياغة «السيناريو»، وعلاقته بمفاهيم التفاوض ومبارياته، واستباق الأزمات وإدارتها، وعملية إقامة الحجج وأنواعها، وأوجه الخلل التقنية فى إقامتها، كما تربط كل ذلك بمفهوم دبلوماسية المسار الثانى «غير الرسمية»، والتى تمثل أحد المجالات الهامة لإحباط السيناريوهات المعادية والتدخل الإيجابى لتفعيل أفضل السيناريوهات التى تحقق أجندتنا الاستراتيجية على أصعدة التفاعل الاجتماعى والسياسى والثقافى والتربوى والإعلامى.





د. حسن محمد وجيه

- حاصل على الدكتوراه من جامعة جورج تاون الأمريكية فى اللغويات والعلوم السياسية والعلاقات الدولية.
- حاصل على درجة الماجستير فى علوم اللغويات النظرية/ التكاملية من جامعة جورج تاون.
- حاصل على درجة الماجستير فى اللغويات التطبيقية من جامعة تكساس الأمريكية.
- يعمل بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية فى ال... والقانونية - فرع ...
- ساهم فى تأسيس ... التفاوض على ال... وله عشرات الأ... والمقالات الصحف...
- عضو المجلس ... الإسلامية ومست... القادة.





6 221133 335102